



يَانِيسِ رِيتْسُوس

سُونَاتَا ضَوْءُ الْقَمَر

مختارات شعرية شاملة

ترجمة وتقديم: رفعت سلام

ترجمة

طهرا

يانيس ريتسيوس
سُوناتا ضوء القمر
(مختارات شعرية شاملة)

[1]

[1]



خطوط وظلال للنشر والتوزيع

الأردن، عمان، جبل الحسين، بناية (٢٠)
تلفون: +٩٦٢ ٦ ٤٦٥١٨٤٦ - +٩٦٢ ٧٩ ٥٧٤٦٢١٨
email: dar5otot@gmail.com
ص.ب: ١١١٩٠، عمان ٩٢٥٢٢٠ الأردن

سوناتا ضوء القمر - يانيس ريتسوس
شعر - ترجمة رفعت سلام - طبعة جديدة، ٢٠٢١
جميع الحقوق محفوظة ©

تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي:

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without the prior permission of the Publisher
جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه،
بأي شكل من الأشكال، إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٢٠٢٠ / ٨ / ٢٨٠٢)

٨٨١

ريتسوس، يانيس
سوناتا ضوء القمر / يانيس ريتسوس؛ ترجمة: رفعت محمد عوض
ـ عمان: خطوط وظلال للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠
ـ (٥٥٠) صفحة
ـ.إ.: (٢٠٢٠ / ٨ / ٢٨٠٢)
الواصفات: //الشعر اليونياني//الادب اليونياني//الادب المترجم//

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي
دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الرقم المعياري الدولي: ISBN: 978-9923-40-014-2

يَانِيسِ رِيْتُوس

سُونَاتَّا ضَوْءَ الْقَمَرِ

مختارات شعرية شاملة

الجزء الأول

ترجمة وتقديم : رفعت سلام

هذه الترجمة تم إنجازها ونشرها بموافقة مسابقة من "يانيس ريتسوس" نفسه، وفقاً
للخطاب المرسل إلى المترجم من دار "كيدروس"، بأنينا، مالكة حقوق نشر أعمال
الشاعر اليوناني الكبير الراحل.

❖ الرسوم الداخلية من أعمال ريتسوس.

5th April, 1987

Mr. Rifaat Sallam,
5 Rue Cheik Mohammad Rifaat,
(Station Myra)
Heliopolis

Dear Mr. Sallam,

It is through Mr. Yannis Kritikos, a friend of your father-in-law that we were informed of your interest in the poetry of Yannis Ritsos. Kedros is the exclusive publisher of Yannis Ritsos in Greece but the foreign rights for the translation of his poems are owned by him and handled by him personally.

He was pleased to hear of your interest in his poems and of your intention to publish a collection of them in arabic. He gives you the right to proceed to such a publication when you are ready. Unfortunately, he never writes introductory notes to his poems and generally avoids to speak about his poetry. On his recommendation, I enclose some material on his life and work which you will find helpful. If you want to contact him, his address is:

39 N. Koraka Street,
Athens 104.45.

With best regards,

Yours sincerely,

C. Makrinikola

Catherine Makrinikola

رُبَّا..

لا يريد أن يفلتني، ولا أفلته.

كان هناك خيطاً سرياً يربطنا معاً، منذ لقائنا الأول، في نهاية الثمانينيات الماضية، رغم أنف الجغرافيا والزمن. كلما حاولت الابتعاد عنه، أو أدرت وجهي ناحية أخرى، شدني دون أن أدرى إليه، بخيط من سحر، أو وهم، أو خيال؛ فماضي مغضض العينين، كمن يمشي في النوم، إليه، من جديد.

كلما قلت: كفى، وتشاغلت باتصال النسيان، أو إدارة الظهر، وجدتني أعود لأراه يحتل مقعدي، هادئاً، مبتسمًا، مفعماً بيقين ما. بلا كلام، ينظر في عيني، بلا سؤال، بلا ملام؛ فتنتشر الشظايا في جسدي.

لعلنا التقينا عام 1990، أو لم نلتقي. لكنه أعرب لي - كتابةً - عن سعادته بمشروع ترجمتي لقصائده إلى العربية، ومنحني - من خلال دار "كيدروس" اليونانية التي تمتلك حقوق نشر أعماله - حقوق النشر بالعربية حينما يكتمل المشروع. لكنني لم أكن أبحث عن "الحقوق"! كنت أبحث عنه هو.

كانت العين بصيرة، في ذلك الحين، واليد قصيرة. فكيف كان لي أن أعبر البحر المتوسط بخطوة شاسعة إليه، في يونانه؟ كيف كان لي أن أتفاوض عن

الأبدية التي تسكنه، وتسكن قصائده، فأتواهم - أو أعمل نفسي - بأن الأبد
مفتوحٌ لي معه، وأن اليد القصيرة الآن لن تظل قصيرةً في الغد؟ كيف كان لي
ألا يخدعني الزمنُ والموتُ، فيختطفه ميًّا قبل أن أحطِ رجلي في اليونان، أول
مرة، بعد عامٍ وحيد من وفاته؟

لكنه كان قد سكنتني. فلم يستطع الموت أن يأخذه ميًّا. لم يأخذ الموت سوي
العاير منه، المؤقت، الزائل. وتركه لي، عاريًا من الأغصان والأوراق الذابلة
المصفرة، جوهريًّا، شاسعًا وجميلاً.



ظل السؤال مكتومًا يتخبط داخلي دون قدرة على البوح به، أو طرحته: هل
يمكن لشاعر يمتلك هذه الرحابة والأعماق الفريدة ألا يكتب قصيدة حب؟
سنواتٍ طويلة من العمل معه، والسؤال سريًّا لا يجد إجابتة، ولا يريده - في
الوقت نفسه - أن يتركني (ربما كان السؤال همًا شعريًّا لي، في ذلك الحين،
يشغلي تحقيقه، دون أن أدرى كيف؛ ربما). كيف يمكن لشاعر شاهق ألا
يكتب عن الحب، عن العشق، عن العلاقة مع المرأة كامرأة، كأنثى؟ أكل هذه
القصائد والأعمال بلا امرأة حبيبة، عشيقه؟ كيف؟ هل هذا ممكن، شعريًّا؟
وخلال مطاردي له، عثرتُ - بمصادفة ما عابرة - على "إيروتيكا".

قرأتُ العمل في جلسة واحدة. وانتابني حزنٌ عميق وذهول. أحسستُ أنني
سرقتُ على نحوٍ ما؛ في غفلة مني، وخلال النسيان، سُرقت.وها أذنًا أكتشف
"جسم الجريمة"! ولم يكن من سرقني سوي السيد يانيس ريتسوس. فذلك -
تحديداً - ما كنت أُنوي كتابته، أو ما كنت أفتَش عن كتابته، أو ما كنت
أُحلُم بكتابته، في العمل الشعري التالي لي.

فكيف جرَى ما جرَى؟ لا أدرى

فقد جرَى ما جرَى



يبيننا تاريخُ سرِّيٍّ حميم، طويل وعميق، ملتبس وبهم، في الوقت نفسه، لا يمكن أن يكشف عنه، أو يختصره، أكثر من 600 صفحة منشورة، في السنوات السابقة، من ترجماتي وكتاباتي وتقديمي لأعماله الشعرية المختلفة، هنا وهناك، في القاهرة ومطبوعات بعض العواصم العربية. تاريخٌ لا يخزنه المنشور ولا المنطق. فهل تصلح كلمة "المعايشة" للتقرير؟ ليست "المعايشة" المادية، الشخصية؛ بل "معايشة" أعماق الروح، والتفتيش - أنساء الليل وأطراف النهار - سنوات متتالية - في أسرارها وخباياها، ومسائلة للغامض، الرمادي، الذي يبيّن، لكنه سرعان ما يتلاشى في مكانٍ ما؛ وتأملٌ طويٌّ، طويٌّ، لسيرته ومسيرته.

تاريخُ سرِّيٍّ رُوحانيٌّ، مشحونٌ بالأصوات الهاستة والصاخبة، والوجوه المكدودة المتألمة، والكلمات الغريبة والمبتررة، والخطى العرجاء، والأوشحة المتطايرة، والشموس الساطعة والخافتة، ورمال البحر المبلولة، والأساطير الحية الغابرة، و قطرات ندى تسقط على حجر، ومطر يهطل في الماضي، وشجرة عارية في الطريق العام، وسيف صدئ تعثر عليه طفلة عابرة، وصمت سيد يجبرك على ابتلاع الكلمة، وطائر يرفرف في أفق ما (هل هو المستقبل؟)، والموت حاضر كضييف بلا ظل، وشجرة السنديان سامة، تداعب أغصانها الغيوم، وامرأة تتأمل تجاعيدها في مرآة الطريق، وألف "رُبما"، وقد، لكن الأبد أبد.

فمن يكتب سيرة السرّي؟
لا.. أحد.

❖
أما العَلَنِي، فهو للجميع.

كأنه قارةٌ شاسعةٌ ذات بلدان. لكل بلد جغرافيته التي تسكنها شعوب وقبائل. لكل شعب وقبيلة لغة أخرى، وایقاع وأساطير، وجبال وأودية وسهول، وتاريخ غابر عريق. لكل منهم أحلامه وانكساراته الخبيثة، التي لا يعرف بها أحد إلا في لحظة المذيان. ولكل حلم وانكسار قصة طويلة لا تسع لها الأوراق البيضاء. كل ورقة تعويذة سحرية أو رقية. وكل تعويذة أو رقية وعد بحياة أخرى أبدية.

فمن أين يبدأ الشعر؟ أين ينتهي؟

لا بداية.

لا نهاية.

❖
هو سيد "اليومي". تلك الإيماءة أو الحركة العادبة التي تقع- في سهو عنا- كل لحظة، كل يوم.

لُكْن "اليومي"- لديه- ليس يومياً في جوهره؛ ليس الغاية. إنه أداة لما هو أبعد، ما هو أعمق، ما هو أعنى على الإدراك. الأهم أنه ليس "ذاتياً" (على تقىض ما يكتبه من استفادوا منه من شعرائنا العرب، من كتاب "قصيدة النثر"). إنه يتستر على رؤية "الجوهري"؛ أو ينسج من هذا "اليومي" شبكة لاصطياد "الجوهري"، والإيقاع به، واقتناصه (ما أكثر ما يقع القارئ نفسه في هذه الشبكة، يتخبط في خيوطها الظاهرة، الخارجية، والتماء بعض عُقدها الملونة، التي لا يرى سواها).

ليس اليومي الذاتي، بل "يُومي" العالم: الإنسان البسيط في تفاصيله العادبة،

والكائنات في حركتها وإيقاعها شبه السري، والأشياء في حضورها المنسي. فالعالم - لا الذات - هو مركز القصيدة وهدفها؛ والتفاصيل هي شواهد الحضور والفاعلية. أما "الذات"، فهي الفاعل المخفي، الذي يرصد بصيرته الحركة والإيقاع وتحولات المشهد المتغير، بما يكشف عن أعمق الغائية، السرية والدفينة والكامنة والاحتمالية؛ ما لم تره عين أو سمعت به أذن، أو خطر على قلب شاعر من قبل.

فالعادي: هو بطل القصيدة (حتى لو اتخذت سمتاً أسطورياً). والرصد المرهف الدقيق هو الوسيلة التي تكشف فيه المدهش والبِكْر والمفاجئ. ليس رصدًا عاديًّا، تراكميًّا، بل أقرب إلى الاكتشاف غير المُعلن، مؤقتًا. ولن نتبين قيمته ودلالته إلا مع النقطة الخاتمة للقصيدة.

ذلك يعني أن بنية القصيدة (مهما كان قصراًها) تخاصم العشوائية والاعتباطية؛ بل إن قصر القصيدة يفرض المخالفة الأقصى من الرهافة والإحكام والعضوية، لتصبح كل جملة - بل كل كلمة - مشروطة بأن تكون ضرورية كلية للسياق، ليحافظ على كثافته وتوتره وصلابته بلا ترهل.

هكذا، تتأل الصور المنتقا بعناية ورهافة قصوى، وقد تبدو كل صورة، في ذاتها، مألفة؛ لكن الانتقاء الدقيق للصور، ومتاليها وتراتبها، يخلق أو يكشف فيما بينها، وفيما وراءها، علاقات لم تبصرها العين العابرة، ولم يلمسها الذهن الاعتيادي. وتظل "لحظة التنوير" مرهونةً بالبيت الأخير، الذي يفجر المفاجأة المدهشة (كان الرصد والتألي والتراتب السابقين كانوا نوعاً من الاستدراج إلى الفخ الأخير).

شاعر لا يكتب نفسه، أو ذاته "الشخصية"؛ ولا يتخفي وراء "الأنا"

الشعرية ليقدم "الذاتي" الحميم باعتباره جوهر العالم؛ ولا تصلح قصيده أن تكون "سيرة" شعرية ذاتية له. فهو لا يختصر العالم في ذاته، لا يجعل من ذاته مركز الكون، ومعيار الوجود؛ بل إنه ليس مشغولاً أبداً بذاته الشخصية، فيحولها إلى مركز للقصيدة وعالمه الشعري. إنه مشغول دائماً وأبداً بالآخر، باكتشاف العالم، وذلك الجوهري الكامن وراء تغير التفاصيل الخارجية، والشعري الكامن فيما وراء نثرة الحياة اليومية، والأبدي المتخفى في أشكال وإشارات ومظاهر جزئية عابرة.

فالذات/ الأن، في القصيدة، تكاد ألا تكون حاضرة؛ فهي متوازية إلى ما يشبه الإلغاء؛ هي، من وراء الصور والسطور والفجوات بينها، ذلك المراقب الساهر اليقظ على أشياء العالم (لا أشياء الذات)، دون أن يرِف له جفن أو يغمض بصر؛ يرصد الإيقاعات والتحولات الأدق من قدرة البصر على الرصد والالتفاوت، فتصبح "البصيرة"/الخيال الفاعل الأساسي في الرؤية والاكتشاف.

و"العالم" هنا عالم شاسع حافل بالجغرافيات والتاريخ والتحولات واللحظات الفاصلة، الذي لا تحيط بأبعاده وأعماقه سوى بصيرة مفتوحة على اتساع 360 درجة؛ تكتنز الماضي، التاريخي والأسطوري والشعبي، وتسوّع بـ الراهن المتلاطم، وتبصر القادم، الحلم (ليس حلمًا رومانتيكيًا، أو نوعًا من "التفاؤل الثوري" الساذج؛ لكنه حلم من ارتطم بقاع اليأس وتماس مع الموت، فخرج أصلب وأصقى مما قبل، بلا يوتوبيا، أو أوهام).

وحتى قصائده الدرامية- الطويلة- تعتمد نفس المنهجية تقريباً، رغم اتساع مدى الرؤية، وتعددية الأدوات البنائية. فهي- في جوهرها- نسيج متلاحمٌ من تلك التفاصيل المرهفة، واحدة واحدة، بلا تجريد أو ذهنية: *كَسْقُوطِ قَبْعَةِ رَجُلٍ مَيِّتٍ مِنْ مِشَجِبَهَا فِي مَرَّ مُظَلِّمٍ،*

كَسْقُوطِ الْقُفَّازِ الصُّوفِيِّ الْمُهَرَّبِ عَنْ رُكْبَيِّ الصَّمْت
أَوْ قُصَاصَةِ ضَوْءِ الْقَمَرِ عَلَى الْمِقْعَدِ الْقَدِيمِ، الْمَبْقُورِ.

لكن تلك القصائد/الأعمال هي التي تُوحّد- في إهابها- الوجود وتفاصيله المكثفة؛ تُوحّد التاريخي بالأسطوري، الآني بالماضي، الفانتازي باليومي، الشعري بالنشرى، فتكتشف المجهول من المعروف، والمدهش من المألوف، وتقدم قراءتها الفريدة للعالم وتاريخ الكون. هكذا، يقول "أوريست" و"أجامنون" و"هيلين" ما لم يقولوه من قبل، لأنهم- في أعماله- يخرجون من صورتهم القديمة ليطربوا الأسئلة الراهنة، العصبية (لا يتخلون تماماً عن ذواتهم الأسطورية السالفة؛ بل يصبحون قابلين- في تحولهم الجديد- للإحالة إلى الراهن؛ حيث تختفي- تحت الملامح الأسطورية)- علامات الاستفهام التي يطرحها وعي القرن العشرين متعدد الطبقات). إنها أعمال متعددة الطبقات، متعددة الأبعاد، متعددة الآفاق، بلا انتهاء.

ورغم انتماهه- حتى اليوم الأخير من حياته- إلى الحزب الشيوعي اليوناني، إلا أن قصيده لا تنتهي إلى "السياسي" بمعناه الدارج لدينا، التحريري، المطابي، التمجيدي، المباشر، بأي معنى. فـ"السياسي" غائرٌ في أعماق القصيدة، إلى حد ألا تكاد تدركه العين، ولا تدركه سوى البصيرة الرهيبة. كما أنه ليس "السياسي" العابر، المعبر عن لحظة- أو مناسبة- مارّة؛ بل هو أقرب إلى استخلاص "جوهر" تلك اللحظة العابرة فيما يتراوّزها، لتصبح مناسبة- من جديد- لاكتشاف بعض أبعاد الوجود الإنساني وتجلياته، بعض أبعاد الألم والحلم والطاقة على الاحتمال والتجاوز.

قصيدة متحركة من وطأة اللحظة الراهنة، حتى لو كانت تلك اللحظة أحد حواجز القصيدة؛ فليست ردّ فعل أو أداة (ليست- بالغالي- قصيدة استعمالية،

أو خطابية، في هذه المناسبة أو تلك، على هذا المنبر أو ذاك، رغم أنف لحظة كتابتها، أو "المثير" المؤقت، العابر).
هي القصيدة.



خلال ترجمة هذه الأعمال، اكتشفت عدداً من القصائد القصيرة التي سبق أن ترجمتها في كتابي السابقين: "اللذة الأولى" و"البعيد"، من مصادر مختلفة^[٣]! وقد فضلت إعادة ترجمتها، بدلاً من استبعادها، فهي - هنا - تقع في سياقها الخصوصي، الحميم، بانتسابها إلى ديوانها المحدد، ضمن تجربة ريتسوس الشعرية، متراوحة الأطراف؛ بدلاً من وضعيتها السابقة ضمن السياق العام فحسب للتجربة، بشكل عام؛ فضلاً عن أن قارئ الكتاب الحالي قد لا يتتوفر له الاطلاع على الكتابين السابقين، والتعرف - وبالتالي - على هذه القصائد. كما أن عدد هذه القصائد ليس كبيراً..

^[٣] يانيس ريتسوس: اللذة الأولى (مختارات شعرية)، الملحقية الثقافية اليونانية، القاهرة 1992؛ دار البنابيع، دمشق 1997. ويضم 117 قصيدة من القصائد القصيرة، وعملأً شعرياً درامياً كاملاً هو "البيت الميت".

يانيس ريتسوس: البعيد (مختارات شعرية شاملة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1997. ويضم 56 قصيدة قصيرة، مع 11 عملاً شعرياً كاملاً: "أغنية أخي"، "مسيرة المحيط"، "روميوسيفي"، "أوريست"، "18 أنشودة عن الوطن المريض"، "أقواس 1946-1947"، "أقواس 1950-1961"، "البعيد"، "دمار ميلوس"، "حجرة البواب"، "الجسد والدم".
ويحوي الكتابان سيرة ذاتية وشعرية تفصيلية.
وتحت الموسوعة والتعليقين الواردة بالكتاب الحالي من إعداد المترجم.

وقد اعتمد- في ترجمتي لهذه الأعمال على مصادر أساسية:

Yannis Ritsos, **Le mur dans le miroir et autre poèmes**, traduit du grec et présenté par Dominique Grandmont, nrf, Gallimard, 2001.

Yannis Ritsos, **Tard, bien tard dans la nuit**, derniers poèmes, traduit par Gérard Pierrat, Le TEMPS DES CERISES, 1995.

Yannis Ritsos, **Selected Poems 1938-1988**, edited and translated by Kimon Friar and Kostas Myrsiades, BOA Editions Ltd., Brockport, N. Y. 1989.

<http://yannisritsos.blogspot.com.eg/>

Yannis Ritsos, **Epitaphios**, translated by Rick M. Newton, **Journal of the Hellenic Diaspora**, vol XIII, nos 1-2, spring-summer 1986.

Yannis Ritsos, **LATE INTO THE NIGHT**, The Last Poems of Yannis Ritsos, Translated by Martin McKinsey, Oberlin College.

بهذا العمل، أختتم رحلتي الطويلة مع أعمال يانيس ريتسوس، التي بدأت في منتصف ثمانينيات القرن الماضي؛ تلك الرحلة التي أسفرت- في حصيلتها الأخيرة- عن تقديم النصوص الكاملة لما هو أكثر بكثير من واحد وعشرين عملاً شعرياً لريتسوس، من أهم أعمال مسيرته الشعرية منذ البدايات، حتى ديوانه الأخير الصادر بعد رحيله: "إبيتافيوس" (1936)، "أغنية أخي" (1937)، "مسيرة المحيط" (1940)، "سوناتا ضوء القمر" (1956)، "أقواس" (1947-1946)، "أقواس" (1950-1961)، "البيت الميت" (1962)، "شجرة السجن والنساء" (1963)، "اثنتا عشرة قصيدة إلى كفافيس" (1963)، "فيلوكتيت" (1965)، "روميوسيفي" (1966)، "أورист" (1966)،

"أجامنون" (1966-1970)، "هيلين" (1972)، "ثمانٍ عشرة أناشدة قصيرة للوطن المريض" (1973)، "دمار ميلوس" (1974)، "البعيد" (1977)، "الجسد والدم" (1978)، "إيروتيكا" (1981)، انتهاء بديوانه الأخير - "آخر الليل" - الذي صدر بعد وفاته بعام.

أما أعماله الشعرية الأخرى، فقدمنا منها مختارات شاملة، تقارب - في بعض الحالات - الترجمة الكاملة لأعمال أخرى، تضم المئات من القصائد القصيرة، التي تمثل مراحله الشعرية المختلفة.

ولم يكن ممكناً - بأية حال - تقديم أعماله الشعرية "ال الكاملة" ، إذ تتجاوز المائة عمل، وهو ما عجز عنه المترجمون في لغات العالم الأخرى. وبحكم اطلاعنا على ما أنجزه مترجمو الإنجليزية والفرنسية من أعمال ريتسوس، فيمكننا القول - بلا مبالغة - إن أعمالنا الثلاثة المنشورة، الخاصة بشعر ريتسوس، لتجاوز بكثير، فيما احتوته من ترجمات لنصوصه الشعرية، ما أنجزه مترجمو الإنجليزية مجتمعين من أعماله لقراء الإنجليزية، فضلاً عما قدمه مترجمو الفرنسية مجتمعين إلى القارئ الفرنسي. وهو ما لا بد أن يشعر المرء بنوع من الفخر، وخاصةً أن مصاعب الترجمة التي يعانيها المترجم المصري والعريبي لا يعانيها مترجمو اللغات الأخرى، وخاصةً الإنجليزية والفرنسية.

مرسي مظروح: سبتمبر 2017

أصدرت دار كيدروس اليونانية طبعة الأعمال الكاملة ليانيس ريتروس - بعد رحيله - في 15 جزءاً، تقع في 254 صفحة.

جرارات (1934)، أهرامات (1936)، إيتافيوس (1936)، أغنية أختي (1937)، سيمفونية الربيع (1938)، مسيرة المحيط (1940)، مازوركا قديمة على إيقاع المطر (1943)، محاولة (1943)، رفيقنا (1945)، الرجل ذو الفرنفلة (1952)، سهر (1954)، نجمة الصباح (1955)، سوناتا ضوء القمر (1956)، جيران العالم (1957)، الكسندر بلوك: الانثا عشر، ترجمة (1957)، تاريخ (1957)، وداعاً (1957)، الإبريق (1957)، شفافية الشتاء (1957)، حين يأتي الغريب (1958)، مدينة غير خاضعة (1958)، معمار الأشجار (1958)، فيما وراء ظل أشجار السرو، دراما (1958)، المرأة العجوز والبحر، دراما (1959)، امرأة بجوار البحر، دراما (1959)، الثائفدة (1960)، الحس (1960)، مختارات الشعر الروماني، ترجمة (1961)، القديس الأسود (1961)، قصائد-1 (1961)، قصائد-2 (1961)^[٣]، البيت الميت (1962)،

^[٣] يتضمن المجلد الأول أعمالاً سابقة: جرارات، أهرامات، محاولة، إيتافيوس، أغنية أختي، سيمفونية الربيع، مسيرة المحيط، ملاحظات على هواشن الزمن، مازوركا قديمة على إيقاع

تحت ظلّ الجبل (1962)، شجرة السجن والنساء (1963)، شهادات 1-1963)، أتيلا جوزيف: قصائد، ترجمة (1963)، اثنتا عشرة قصيدة إلى كفافيس (1963)، ألعاب السماء والماء (1964)، قصائد 3-3^[٣] (1964)، فلاديمير ماياكوفسكي: قصائد، ترجمة (1964)، فيلوكتيت (1965)، دورا جيب: أنا، وأمي والعالم، ترجمة (1965)، روميوسيني (1966)، شهادات 2-2 (1966)، أوريست (1966)، ناظم حكمت: قصائد، ترجمة (1966)، إيليا اهرنبرج: الشجرة، ترجمة (1966)، نيكولا جيбин: حديقة الحيوان الكبيرة، ترجمة (1966)، مختارات الشعراء التشيكي والسلوفاكي، ترجمة (1966)، أوسترافا (1967)، كريسوثيريس (1972)، هيلين (1972)، إسمين (1972)، عودة إيفيجيني (1972)، البعد الرابع (1972)، أحجار، تكرارات، حدود (1972)، إيماءات (1972)، ثانية عشرة أنشودة قصيرة للوطن المريض (1973)، مهرجان وغار (1973)^[٤]، المر والسلام (1973)، نجراجاننا (1973)، الزمان المتحجر (1974)، وفاء طيني داخن (1974)، دراسات، نقد (1974)، دمار ميلوس (1974)، الحائط في المرأة (1974)، برج الكنيسة (1974)، قصائد ورقية (1974)، ترنيمة ومرثية لغيره (1974)، القرن الأخير قبل الإنسان (1975)، حاشية للمدح (1975)، يوميات المنفى (1975)، حاملو الأخبار (1975)، في الوقت المناسب (1975)، سيدة الكروم

المطر، القرن الأخير قبل الإنسان. ويتضمن المجلد الثاني أيضاً أعمالاً سابقة: سهر، إزاحات، أقواس - 1، إباء طيني داخن، مدينة غير خاضعة، نجمة الصباح، الإبريق.

^[٣] يتضمن المجلد أعمالاً سابقة، بعضها غير منشور: صفير القطار، تخطيطات، اختبار عام، الوداع، الجسر، ملحق، تدريبات، إنسان ليديشي الأول والأخير، شهادات - 1.

^[٤] من ديوان "تكرارات".

(1975)، قصائد 4- (1975)، غرفة البواب (1976)، ليو تولستوي: العنة
 المشاكسة، ترجمة (1976)، ملائم (1977)، البعيد (1977)، المسبار
 (1978)، المدخل (1978)، شرطي المرور (1978)، ملصق الإعلانات
 (1978)، نساء مونيفاسيما (1978)، الجسد والدم (1978)، الرائعة البشعة
 (1978)، يراعة نضيء الليل (1978)، فيدرا (1978)، إذن؟ (1978)، جرس
 الباب (1978)، خريشة الأعمى (1979)، حلم نهار صيف (1980)، شارع
 جانبي (1980)، شفافية (1980)، أوتار منفردة (1980)، إيروتيكا (1981)،
 أغانيات مشتركة (1981)، سيرجي إيسينين: قصائد، ترجمة (1981)،
 أريوستوس الوعي يحكي لحظات حياته ونومه، رواية (1982)، مكتوم
 (1982)، مونوفاسيما (1982)، ثلاثة إيطالية (1982)، جوقة غواصي الإسفنج
 (1983)، تريزياس (1983)، يا لها من أشياء غريبة، رواية (1983)، تماثيل
 صغيرة لتناجرًا (1984)، أغانيات النصر (1984)، يا لها من وكرة كوع، رواية
 (1984)، ربما كانت أيضًا بهذه الطريقة، رواية (1985)، الرجل العجوز مع
 طائرات الورق، رواية (1985)، لا من أجلك وحدك، رواية (1985)، مختوم
 بابتسامة، رواية (1986)، أسئلة مُتلاشية، رواية (1986)، أريوستوس يرفض
 القذافة (1986)، 111 X 3 مقطعا (1987)، توافقات (1987)، أقواس 2-
 (د. ت)، أقواس 3 (د. ت)، في آخر الليل (1991).



لوي أراجون تحيةً إلى ريتروس

في فبراير 1949، في صفحة "لجنة الكتاب الفرنسيين"، التي اعتادت "الآداب الفرنسية Lettres Françaises" أن تصدرها في ذلك الحين، تم تقديم الشاعر اليوناني يانيس ريتروس إلى قرائنا بقصيدة طويلة له بعنوان "رسالة إلى فرنسا"، ترجمتها نيكولاس كوتوزيس.

[...][*]

ومنذ ذلك الحين، لم نسمع شيئاً آخر من الشاعر- إلى أن ظهر له كتيب أتى لنا بأخباره. لم يكن هذا الكتيب سوى "سوناتا ضوء القمر"، الذي تلقيناه بترجمة أليكسس كاراتزاس، والذي ينشر الآن. والشاعر موجود في أثينا الآن، يعيش كشخص حر. وهو في التاسعة والأربعين من عمره، وفي هذا النص الأدبي يمكننا أن نرى شاهداً على عظمته الطبيعية. ولا بد لنا من تحيته، إذ يستحق- عن حق- ويجهر بها من أعلى الأعلى: إنه واحد من العظام، واحد من أكثر شعراء عصرنا روعة. وبقدر ما يخصني، على الأقل، فقد مر زمن طويل على آخر مرة أثارني فيها الصدمة العنيفة للعبقرية. وأنا مدرك تماماً أن هذه الكلمة

^(*) الفقرة المحفوظة تتضمن معلومات بibliografية عن الشاعر، ونفيه آنذاك ببعض الجزر اليونانية، من قبل السلطات الديكتاتورية الحاكمة.

ليس لها أن تُنطق أبداً، فضلاً عن أن تُكتب، لكنني لا أستطيع إيقافها. فلن أتراجع عنها.

وفيما يتعلّق بالقصيدة المعنية، التي نُشرت في ديسمبر 1956، كتب إلى المترجم أنها "تعبر عن المأزق الذي وقعت فيه النزعة الفردية والحضارة البرجوازية برمتها".

وأتصرّف أنّه، بعد الكثير من العمل الشاق والحب في ترجمتها، يخبرني بذلك من أجل التوفيق بيني كقارئ، كما أنا، وبين القصيدة. وفي النهاية، فإنني أعرف أنني - في هذه المناسبات، حين أقرأ هذه القصيدة إلى أصدقاء قد يكونون بحاجة إلى ملاحظة تمهيدية معينة قبل أن يتمكّنوا من ترك أنفسهم للإعجاب بها لكنني سهوت عن تقديم هذه الملاحظة - قد لاحظت نظرة ذهول في عيونهم، نوع من الاضطراب الذي يحدث للناس حين لا يعرفون إلى أين ينقادون. وقد أخبروني أن القصيدة قاتمة وصعبة وأنها قد تناصب بالفعل نمطاً مغايراً من المجالات لا "الآداب". ولم أسع لهذه الملاحظات لأنّ تستوقفني. ربما كنت مخطئاً في إبداء الكثير من الإيمان بقراءة "الآداب الفرنسية"، لكنني لا أعتبرهم قادرين على قراءة أنماط معينة فحسب من الشعر، أو - على الأقل - الشعر المصحوب بتوصيات صريحة تمنّح المشروعية لتحمسهم له.

أكانت نية ريتروس بالفعل أن يكشف عن مأزق النزعة الفردية والحضارة البرجوازية؟ لا أدرّي. فأتصرّف أنه يمكن إدراك الـ "سوناتا" على ضوء قمر مثل هذا التأكيد، لأنّه يمكن العثور عليه ببساطة. وهو ما يُذكرني بالطريقة التي فسرّ بها ميشيليه Michelet لوحة "طوف ميدوزا Radeau de la Méduse" ، حين رصد أن ما عرضه

جيриكُو Gericault في الرسم إنما هو فرنسا عشية الإحياء^[٣]؛ وهو ما يورد إلى الذهن أيضًا تفسير برودون Proudon لللوحة كورييه "العودة من المعرض (Retour de foire) (Return from the Fair)"، التي يرى فيها تاريخ المجتمع كله في ظل حُكم لوبي-فيليب. ولهذا، فليس مقصورًا على الوقت الراهن أن يبحث هؤلاء الشغوفون بالسياسة عن علاقة أعمق بين ما يعجبون به ومعتقداتهم، بنجاح متفاوت غالباً.

فلتتبرّر، بَرَّر... مَن يجرؤ على قول إن مثل هذا التوجه لا ينبع من شعور جدير بالشame؟ وأضيف أن هذا النمط من التفسير أحياناً ما يساعد بالفعل العمل الفني، سواء كان لوحة، أو قصيدة، أو حوض غسيل؛ فلابد أن ندرك أنه يؤدي دوره بفضل القصد الفعال للمنظر لبناء جسر بين العمل الفني وأولئك الذين تنتابهم الحيرة إزاءه. وهذا السبب بالتحديد، في الغالب، فمثيل هذه التفسيرات ذات قيمة ما، بل أحياناً ما تنتشر. وعلينا أن نراها كصور شعرية، لكن دون أن نأخذ تأويلاً لها، مع ذلك، بجدية بالغة؛ ففي النهاية، كان مستحيلًا - بالنسبة لميشيليه - ألا يدرك فرنسا في الـ"طوف"， وصوريته هي صورة شاعر، وأنا أحي ذلك الشاعر الكامن فيه. لكن أن نأخذ التفسير بجدية، أن نصدق أن رسم جيриكُو إنما يصور فرنسا في ظل "الإحياء"، فهو ما سيكون حماقة. فعل هذا النحو، فإننا سنخضع مع ذلك من جديد لما يُدعى، عن حق، النزعة الاجتماعية المبتدلة.

^[٣] لوحة للفنان الفرنسي الروماني تيودور جيриكُو Gericault (1791 - 1824). وقد أصبحت اللوحة أيقونة الرومانтика. وهي تصور اللحظة التالية لتحطم الفرقاطة الفرنسية "ميديوزا"، ولجهة نحو 150 من بحارتها إلى طوف للنجاة، دون أن ينجو منهم إلا حوالي 15 شخصاً، بعد 13 يوماً من تحطم التختبط في البحر.

والآن، أود ببساطة أن أضع "السوناتا" على القرص الدوار، وأخلق حولكم الصمت الملائم حيث ستتبثق الأغنية، حيث سينتشر ضوء القمر- ضوء ليس بـ"ضوء القمر الهدى الجميل" لفيرلين، نمط الضوء المناسب للنافورات أو الأقنعة، ولا للعبة الأبيض والأسود الهندسية في الموسيقى الحديثة، "بيرو في ضوء القمر" الألمانية [ُ].

ففي هذه الليلة الرياحية، متى كانت "امرأة عجوز، ترتدي ملابس سوداء، تتحدث إلى شاب"، هي الطبقة البرجوازية؟ أت تلك هي النزعة الفردية؟ فما يفتتنني شخصياً هو أن التiarات المناسبة- مترافقاً مع وهج الليل خلال النافذتين- ليست وجوه "احتفالات غزالية" [**]، ولا الأشباح التي تراود ماكبث، ولا العالم غير الواقعي للجنيات والجان، بل المدينة الأسمانية الخيالية، المطلية بالبياض "في ضوء القمر".

عند هذه النقطة، فالمعنى المزدوج للصورة لا يتحقق من خلال استخدام "كلمات شعرية"، باللجوء إلى المخزون الموثوق من الأشياء النبيلة. إنه المقدد الوثير منزوع الأحشاء في الغرفة، أو الحذاء ذو الكعب البالى الذي تم أخذة إلى الإسكافى منذ شهر، أو- من جديد- الآنية المعلقة على حائط المطبخ، "ملتمعة كعيون مستديرة كبيرة لسمكة مستحيلة..."

[...] وَعِنْدَمَا رَفَعَتِ الْكُوبَ عَنِ الْمَائِدَةِ
تَبَقَّتْ تَحْتَهُ فَجَوَّهُ صَسَتْ، وَأَغْظَلَيَا بِيَدِي

[١٠] ميلودrama أوبرالية للموسيقار الألماني أرنولد شوينيرج؛ متالية للأصوات الأوبرالية والبيانو، تعتمد سلسلة من نصوص الشاعر البلجيكي البرت جيره.

[١١] عنوان لديوان الشاعر الفرنسي بول فيرلين، ويضم قصيدة "ضوء القمر" التي يشير إليها أراجون.

حَتَّى لَا أَحْدَقْ دَاخِلَهَا - أُعِيدُ الْكُوبَ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ جَدِيدِ،
 فِيمَنْ أَيْنَ يَأْتِي هَذَا الشِّعْرُ؟ وَهَذِهِ الْقُسْطُرِيرَةُ، مِنْ أَيْنَ تَنْبَعُ؟ مِنْ مَكَانٍ تَلْعَبُ
 فِيهِ الْأَشْيَاءُ، مِنْ قَبْلِ مَا هِيَ عَلَيْهِ، أَدْوَارُ الْأَشْبَاحِ، حِيثُ يَجِدُ هَامِلَتْ يُونَانِي
 نَفْسَهُ وَجْهًا لَوْجَهَ لَا مَعَ الْمُلُوكِ الْمُوَلَّ مَرَّةً أُخْرَى، وَلَا أُودِيبُ جَدِيدٌ مَعَ أَبِي الْهُولِ
 مَرَّةً أُخْرَى، بَلْ مَعَ أَشْيَاءٍ مَعْهُودَةٍ بِصُورَةٍ خَادِعَةٍ وَ"قُبَّةُ رَجُلٍ مَيِّتٍ تَسْقُطُ مِنْ
 مِشْجَبِهَا فِي مَرَّ مُظَلِّمٍ".

وَثُمَّ، فِي هَذَا الشِّعْرِ، صَخْبُ الْبَحْرِ الْمُوَسْطَ كَبْحُ بْلَادِهِ وَجَزَرُهُ وَأَجْوَلُهُ
 فِيهِ مُثِلَّمَا فِي أَيَّةٍ رَحْلَةٍ أُخْرَى لِـ دِي مَارْسِيلُوسَ بِالْيُونَانِ [١]، الَّتِي لَمْ تَعُدْ "يُونَانَ"
 بَايِرُونَ وَلَا دِيلَاكْرُوَاءَ، بَلْ "يُونَانَ" مَتَّاخِيَةٌ مَعَ صَقْلِيَّةِ بِيرَانْدِيلُو وَدِي شِيرِيَّكُو،
 حِيثُ الْجَمَالُ لَيْسَ جَمَالُ الرَّخَامِ الْمُبْتَورِ، بَلْ جَمَالٌ إِنْسَانِيَّ مَشْطُورَةٌ - وَالشَّابُ،
 لَدِي مَغَارَتِهِ الْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ، يَقُولُ إِنَّ ذَلِكَ صَحِيحٌ، وَهُوَ يَفْكُ أَزْارَ قَيْصِمَهُ عَلَى
 صَدْرِهِ الْقَوِيِّ: "اَنْخَطَاطُ حَقَّبَةٌ..." كَنْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى هَذِهِ الْكَلْمَاتِ، فَهَذِهِ الْكَلْمَاتُ
 كَافِيَّةٌ لِي لِأَرَاهُ حَيًّا (فِي هَذِهِ النَّقْطَةِ، يَبْدُو تَعْلِيقُ الْمُتَرْجِمِ مِبْرَراً، لَوْ، بِالْطَّبِيعَ، كَانَ
 ثُمَّ أَيَّةٌ حَقِيقَةٌ فِي الْإِيمَانِ بِأَنَّ عَبْرَةَ الْحَكَايَةِ تَفْسِيرَ حَمَّاقَةِ الرَّاوِيَةِ الَّتِي تَضَعُ ثَعْلَبَانِ
 وَطَائِرَ لَقْلَقِ جَنِيَّاً إِلَى جَنْبِهِ).

إِنَّا نَجَاهِدُ لِفَهْمِ الْأَشْيَاءِ مِنْ خَلَالِ التَّمَاثِيلِ. وَرَبِّمَا كَانَ ذَلِكَ السَّبَبُ فِي
 احْتِياجِنَا لِلْكَلَامِ عَنْ صَقْلِيَّةِ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْيُونَانَ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ كَافِيَّةً،
 لِأَنَّ لَيْلَةَ أُخْرَى كَهْذِهِ، فِي بَلْدَ لَمْ أَضْعُ قَدْمَمَا عَلَيْهَا إِطْلَاقًا، سَتَؤْكِدُ لِي الطَّبِيعَةُ
 الْوَاقِعِيَّةُ تَمَامًا لِهَذِهِ الْلَّيْلَةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ جَهْلِيَّ بِالْيُونَانِ لَيْسَ أَقْلَى اكْتِمَالًا مِنْ
 جَهْلِيَّ بِصَقْلِيَّةِ.

[١] هُوَ الْكُونْتُ دِي مَارْسِيلُوسُ (1795-1865)، وَهُوَ دِبْلُومَاسِيٌّ وَأُدِيبٌ، كَتَبَ وَصَفَّ
 لِرَحْلَتِهِ بِالْيُونَانِ.

ولهذا، فيـرـ الشـعـرـ إنـا يـكـمـنـ دـاـخـلـ الشـعـرـاءـ أـنـفـسـهـمـ، ولـأـنـيـ، حـتـىـ هـنـاـ،
بـحـاجـةـ إـلـىـ المـقـارـنـةـ، دـائـمـاـ المـقـارـنـةـ، وـلـاـ شـيـءـ سـوـىـ المـقـارـنـةـ، فـإـنـيـ أـرـىـ فـيـ
رـيـتـسـوـســ بـأـكـثـرـ مـاـ لـدـىـ شـيـكـسـبـيرـ أوـ أـيـسـخـيلـوـســـ أـنـ ثـمـةـ إـلـهـاـمـاـ غـرـبـيـاـ أـعـرـفـهـ
جـيـدـاـ، صـدـىـ لـشـاعـرـ صـوـفـيـ تـرـنـ تـنـفـيـمـاتـهـ الصـوـتـيـةـ فـيـ أـذـئـيـ. وـبـأـتـيـ صـوـتـ
لـوـتـرـيـاـمـوـنـ لـيـلـمـلـمـ هـذـهـ الـقـدـمـاتـ. وـبـاقـتـبـاسـ مـنـ لـوـتـرـيـاـمـوـنـ أـرـبـ الـأـنـ
بـرـيـتـسـوـسـ، وـأـرـجـوـهـ أـنـ يـجـلـسـ إـلـىـ جـوـارـ لـوـتـرـيـاـمـوـنـ، مـعـ "ـسـوـنـاتـاـ"ـ، وـسـيـكـوـنـ "ـلـقـاءـ"
جـيـلـاـ، كـلـقـاءـ مـاـكـيـنـةـ خـيـاطـةـ وـمـظـلـةـ"ـ، ضـمـنـ الـشـعـرـاءـ الـذـيـنـ يـنـعـمـونـ بـالـحـقـ فـيـ
الـضـحـكـ فـيـ ضـوـءـ الـقـمـرـ فـيـ الـلـيـلــ بـضـحـكـةـ "ـصـاحـبـةـ لـاـ يـمـكـنـ كـبـتـهـاـ"ـ كـالـحـيـاـةـ.
ذـاتـهـاـ.



نـشـرـ هـذـاـ مـقـالـ، بـرـفـقـةـ التـرـجـمـةـ الـكـامـلـةـ لـنـصـ "ـسـوـنـاتـاـ"ـ فـيـ ضـوـءـ الـقـمـرـ"ـ لـرـيـتـسـوـسـ
فـيـ الـمـجـلـةـ الـفـرـنـسـيـةـ "ـالـآـدـابـ الـفـرـنـسـيـةـ"ـ Lettres Françaisesـ، الـتـيـ كـانـ يـصـدـرـهـاـ
لـوـيـ أـرـاجـوـنـ (ـالـعـدـدـ 660، 28ـ فـبـرـاـيـرـ 1957ـ). وـلـمـ نـسـتـطـعـ العـثـورـ عـلـىـ النـصـ الـأـصـلـيـ
لـمـقـالـ (ـبـالـفـرـنـسـيـةـ)، فـقـمـنـاـ بـتـرـجـمـتـهـ عـنـ الـإـنـجـلـيـزـيـةـ.

إبِيَّا فِيُوس

(1936)

في مايو 1936، شل إضراب عمال الدخان مدينة "ثيسالونيكي". تدفقت المظاهر، والأوامر مشددة لدى بوليس "ميتاكساس": إطلاق الرصاص بلا إنذار. ومع ضربة الذهول، يسقط من الحشد ثلاثة قتيلاً وأكثر من ثلاثة من الجرحى. كانوا بداية قائمة طويلة من الشهداء. وفي اليوم التالي، نشرت صحيفة الحزب الشيوعي اليونانية "ريزوسباستيس"، في صفحتها الأولى، صورة أم تركع وسط شارع أمام جثمان ابنها القتيل. اشتري ريتروس الصحيفة، وعاد بها إلى مسكنه في غرفة السطوح المفروشة بسرير حديدي وكرسي وحقيقة. اعتكف طوال يومين وليلتين. وفي صباح اليوم الثالث، كان بين يديه قطعة حية من دمه: "إبِيَّا فِيُوس" التي تتكون من عشرين

نشيداً جنائزياً للأم، والتي خلّصت ريتسوس - بضربة واحدة -
من الشكلية والتعليمية اللتين سادتا عليهما السابقين
("جرارات" 1934)، و"أهرامات" (1936)). خيط من
السخرية، ولا خطابية. غنائية عارية، من لحم ودم، من خلال
لغة مألوفة وثيرة في الوقت نفسه. غنائيةً مشدودةً إلى الذاكرة
الجمعية بوسائلها الشعرورية بالغناء العادي، والأسطورة الوثنية،
والطقس الأرثوذكسي، في آن.

نشرت "إيبتافيوس" في شكل متتالية شعرية بجريدة
"ريزوسباسيس"، ثم في كتاب من عشرة آلاف نسخة (رقم
استثنائي مثل هذا العمل)^[٤].

وكلمة إيبتافيوس Epitaphios،
Ἐπιτάφιος، *epitáphios*, or Ἐπιτάφιον
جنائزية، أو "نقش على ضريح".

^[٤] بانيس ريتسوس: اللذة الأولى، ترجمة وتقديم رفعت سلام، الطبعة الأولى، الملحقة
اللقافية اليونانية، القاهرة 1992.

[I]

يَا وَلَدِي ، يَا لَحْمِي وَدَمِي ، يَا قَلْبَ قَلِي ،
يَا عُصْفُورَ فِنَاءِ الْفَقِيرِ ، يَا وَرَدَةَ صَحْرَائِي ،

كَيْفَ أُغْمِضَتْ عَيْنَاكَ فَلَا تَرَانِي أَبْكِي ،
لَا تَتَحَرَّكُ أَوْ تَسْمَعُ كَلِمَاتِي الْمَرِيرَةِ ؟

أَنْتَ ، يَا وَلَدِي ، مَنْ يُدَاوِي كُلَّ آلَمِي
وَيُخْمَنْ كُلَّ فِكْرَةٍ تَخْطُرُ بِبَالِي ،

أَفْلَنْ تُواسِينِي وَتَنْطِقَ بِكَلِمَةَ ،
وَلَنْ تَتَخَيَّلَ الْجِرَاحَ الَّتِي تَنْهَشُ لَحْيِي ؟

أَنْتَ ، يَا عُصْفُورِي ، مَنْ تَأْتِي لِي بِالْمَاءِ فِي رَاحَةِ كَفَكَ ،
فَكَيْفَ لَا تَرَانِي الْطُّمُ صَدِيرِي وَأَرْتَيُدُ مِثْلَ قَصَبَةِ ؟

هُنَا وَسْطَ الشَّارِعِ سَأْرُكُ شَعْرِيَ الْأَيْضَ يَهُوِي
وَيُعَطِّي زَنْبَقَةَ قَوَامِكَ الدَّاُوِيَةَ .

أَقْبَلَ شَفَقَتَكَ الْفَلَجِيَّةَ ، وَهِيَ صَامِيَّةَ ،
مَضْمُومَةَ يَأْحَامَ ، كَأَنَّهَا غَاضِبَةُ مِنِّيَّ .

لَا تَتَكَلَّمُ مَعِي ، وَأَنَا ، التَّعِيَّسَةُ ، أَفْتَحُ صَدَرَ ثُوِيِّ - انْظُرْ ! -
وَفِي ثَدَيَّ اللَّذِينَ أَرْضَعَكَ ، يَا وَلَدِي ، أَغْرِسُ أَظَافِرِي .

[III]

يَا تَاجِي ، يَا سَنِدي ، يَا بَهْجَةَ شَيْخُوْخَتِي ،
يَا شَمْسَاً فِي أَغْوَارِ الشَّتَاءِ ، يَا سَرْوِي الْمَمْشُوقِ ،

كَيْفَ تَرَكَتِنِي لِأَرْحَافَ وَأَعَانِي وَحِيدَةَ ،
بِلَا رَشْفَةٍ أَوْ قَطْرَةٍ مَاءَ ، بِلَا ضَوءٍ أَوْ وَرَدَةٍ أَوْ حَبَّةَ قَمْحٍ ؟

بِعَيْنِيكَ الْحَبِيبَتَيْنِ سَأْرَى كُلَّ رُهُورِ الْحَيَاةِ ،
بِشَفَقَتَكَ الْحَبِيبَتَيْنِ سَأْغَنَى أُغْنِيَّةَ الصَّبَاحِ .

بِدِرَاعِيكَ الْحَبِيبَتَيْنِ ، اللَّتَيْنِ دَاعَبْتُهُمَا أَلَافَ الْمَرَاتِ ،
سَأْعَانِقُ الْأَرْضَ كُلَّهَا ، وَكُلَّ شَيْءٍ كَانَ لِيِّ .

كُنْتُ أَسْتَمِدُ الشَّبَابَ مِنْ شَبَابِكَ، وَكُنْتُ لَا أَرَأُ أَصْحَاحَكُ بِدَاخِلِي .
فَلَمْ تُخْفِنِي الشَّيْخُوخَةُ . وَكُنْتُ أَنْجَاهُلُ الْمَوْتَ .

وَالآن أَيُّ مَكَانٍ سَيَضْمُنِي ، أَيْنَ سَاقِفٌ ، أَيُّ مَكَانٍ سَيُؤْرِيَنِي ؟
فَقَدْ بَقِيَتْ شَجَرَةُ ذَارِيَّةٍ فِي حَقْلٍ مُغْطَى بِالثُّلُوجِ .

يَا وَلَدِي ، إِنْ لَمْ تَسْتَطِعِ الْعَوْدَةَ فَاعْطِنِي الْجَرْعَةَ نَفْسَهَا ،
خُذِنِي مَعَكَ ، يَا رَفِيقِي الْحَبِيبِ .

وَرَغْمَ أَنَّ سَاقِي وَاهِنَّانَ ، فَأَنَا قَادِرٌ عَلَى التَّمْشِي ،
وَإِنْ تَتَعَبَ ، فَسَأَضْمُنُكَ بِرِيقَةٍ إِلَى صَدْرِي .

[III]

فِي شِعْرِكَ الْمَجَعَدِ ، تَبَسَّلُ أَصَابِيعِي
طَوَالَ اللَّيْلِ حِينَ تَنَامُ ، وَأَبَقَى أَرَاقِبَكَ إِلَى جَانِبِكَ ،

وَحَاجِبَكَ ، الرَّهِيفَانَ كَأَنَّهُمَا مِنْ حَرِيرٍ وَمَرْسُومَانِ بِرِيشَةِ رَهِيفَةٍ ،
قَوْسٌ تَأْوِي إِلَيْهِ نَظَرَتِي وَتَرَقَّاحٌ ،

وَعَيْنَاكَ الْمَشْرِقَتَانُ ، اللَّتَانِ تَعْكِسَانِ مَدَى
السَّمَاءِ الصَّبَاحِيَّةِ ، جَاهَدْتُ لِأَمْنَعِ دَمْعَةَ وَاحِدَةٍ مِنْ تَشْوِيشِهِمَا ،

شَفَّاتَكَ الْعَطِيرَاتَانِ فِي عُذُوبَةِ ، حِينَ تَتَكَلَّمُ ،
تَجْعَلَانِ الصُّخُورَ وَالأشْجَارَ الْمَتَهَالِكَةَ تَزَدَّهِرُ وَالْعَنَدَلِيبَ يُرَفِّرِفُ .

صَدْرُكَ الْعَرِيْضُ ، يُشَبِّهُ الْجَنَاحَيْنِ الْمَفْرُودَيْنِ لِلْقَمَرِيِّ ،
حَيْثُ تَنْحَسِرُ عَلَيْهِ مَرَارَتِي وَعَنَتِي ،

وَفَخْذَكَ الْقَوِيَّاتَانِ ، كَطَائِرَتِي حَجَلِي نَاعِسَيْنِ فِي سِرَّاَلِكَ ،
تُعْجَبُ بِهِمَا الْفَتَيَاتِ مِنَ الشُّرَفَاتِ فِي الْغَسَقِ ،

وَخَشِيَّةً أَنْ يَرْمِيَنَ بِنَظَرَةِ شِيرِيرَةٍ عَلَى رَجُلٍ كَهْدَأَ ، يَا فَتَّاهِي الْوَسِيمِ ،
سَأُعَلِّقُ تَعْوِيذَةً بِالْحَرَزَةِ الزَّرَقَاءِ بِكَ ،

يَا غَابَتِي الْفَوَاحَةِ بِالآلَافِ الْجَذُورِ وَالآلَافِ الْأَوْرَاقِ ،
كَيْفَ يُمْكِنُ لِي تَصْدِيقُ أَيِّي مَنْحُوسَةً إِلَى حَدٍ أَنْ أَفْقَدَكَ ؟

[IV]

وَلَدِي ، أَيُّ قَدْرٍ كَانَ مَرْسُومًا لَكَ ، أَيُّ قَدْرٍ كَانَ مَرْسُومًا لِي
لِيُشَعِّلَ مِثْلَ هَذَا الْخَزِنِ ، مِثْلَ هَذِهِ النَّارِ فِي صَدْرِي ؟

اسْتَيْقَظَتْ بَاكِرًا فِي الصَّبَاحِ وَغَسَلَتْ جَسَدَكَ وَشَعْرَكَ ،
قَبْلَ أَنْ يُعْلِنَ رَبِيعُ الْجَرَبَيْنِ بَعِيدًا عَنِ الْفَجَرِ .

تَنْظُرُ مِنَ النَّافِذَةِ مِنْ جَدِيدٍ مِنْ جَدِيدٍ لَتَرَى إِنْ كَانَ الشُّرُوقُ،
وَكُنْتَ مُسْتَعِجِلًا كَأَنَّكَ ذَاهِبٌ إِلَى احْتِفالٍ.

عَيْنَاكَ سَوْدَاوَانْ، وَفَكَّاكَ مُطْبِقَانْ،
وَفِي جُرَأِتَكَ كُنْتَ رَقِيقًا، ثَوْرًا وَعَنْدَلِيبًا.

وَأَنَا، بَائِسَةٌ وَمُهْمِلَةٌ، وَأَنَا، مَخْبُولَةٌ مَجْنُونَةٌ،
كُنْتُ أُعِدُّ لَكَ الْمَرِيمَيَّةَ، وَنَظَرَتِي الشَّاحِبَةَ تُقَبِّلُ

مَفَاتِنَكَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، يَا حَبِيبِي، وَسِيمَاءُكَ الْمَشْرِقَةَ،
وَأَنْتَشِي وَأَضْحَكُ كَفَتَاهِ حَنُونَ.

وَلَا حَتَّى لِلْحَظَةِ تَخَيلْتُ الْأَسْوَأَ، وَلَا رَكَضْتُ مِنَ الْوَرَاءِ
لَا ضَعَ صَدِّري فِي الصَّدَارَةِ لَا قَتِنَصَ الرَّصَاصِ.

وَوَصَلْتُ بَعْدَ الْأَوَانِ . آهُ، لَمْ تَحِلْ مِثْلُ تِلْكَ السَّاعَةِ أَبْدًا !
آهُ، كَانَ الْأَفْضَلُ أَنْ يَنْهَا رَبِّ الْبَلْدَ كُلُّهُ عَلَى رَأْسِي !

[V]

فَلَتَنَهَضْ، يَا حَبِيبِي . لَقَدْ تَأْخَرْنَا . فَالشَّمْسُ تُشْرِقُ عَالِيَا . هَيَا .
وَطَعَامُكَ، الَّذِي لَمْ يُمْسِ، لَبُدَّ أَنَّهُ بَرَدَ فِي الصَّيْنِيَّةِ .

قَمِيصُ الْعَمَلِ الْأَزْرَقُ ، الْمَعْلُوكُ بِالْبَابِ ،
سَوْفَ يَنْتَظِرُ جَسَدَكَ الرُّخَامِيَّ الْمَنْحُوتَ .

وَالْمَاءُ الْبَارِدُ سَوْفَ يَنْتَظِرُ فَمَكَ التَّاضِرِ ،
وَالْمَنْزِلُ الْمَطِيُّ بِالْأَبْيَضِ سَوْفَ يَنْتَظِرُ أَنْفَاسَكِ .

وَقِطْنَتَا سَوْفَ تَنْتَظِرُ أَنْ تَلْعَبَ فِي قَدْمَيْكِ ،
وَالشَّمْسُ يَكْسِلُ تَنْتَظِرُ أَنْ تُوْمِضَ فِي عَيْنَيْكِ .

سَوْفَ يَنْتَظِرُ شَارِعُنَا الْمُطْوَاتِ الْوَاسِعَةَ لِمِرْجِكِ ،
وَالثَّاَفِدَةُ نِصْفُ الْمَفْتُوحَةُ تَرْصُدُ صَوْتَكَ الْعَنْدَلِيُّ .

وَرِفَاقُكِ ، يَا حَبِّيِّي ، الَّذِينَ سَيَأْتُونَ فِي الْأَمْسِيَاتِ
وَيَتَحَدَّثُونَ يَتَحَدَّثُونَ ، وَيَفْعُلُ كُلُّمَا تُهِمُ يَتَوَهَّجُونَ ،

وَالَّذِينَ سَيَأْتُونَ بِالصَّوْءِ وَالْعَالَمِ كُلُّهُ إِلَى مُنْزِلِنَا ،
يَا وَلَدِي ، سَوْفَ يَنْتَظِرُونَكَ لِتَقْعُومَ بِعَمَلِهِمُ اللَّيْلِيِّ .

وَأَنَا ، تَحْنِيَّةُ ، سَأَنْتَظِرُ فِي الْمَسَاءِ وَالظَّهِيرَةِ
حَبِّيِّي ، الْمَوْتُ ، لِيَأْتِي وَيَأْخُذَنِي إِلَيْكِ .

ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ مَا يُوَرَّكَتِي ، وَذَاتَ يَوْمٍ مِنْ مَا يُوَفَّقَدُكَ ،
فِي الرَّبِيعِ حَيْثُ كُنْتَ تُحِبُّ ، يَا وَلَدِي ، أَنْ تَصْعَدَ التَّرَاجُ ،

إِلَى الشُّرْفَةِ وَتَنْظُرُ ، وَيَعِينِي
نَجَرُّعُ ضَوْءَ الْعَالَمِ بِلَا اكْتِفَاءَ ،

وَيَأْصِبَعُكَ الْمَدَبِبُ تُرِينِي وَاحِدًا وَاحِدًا
كُلُّ مَا هُوَ عَذْبُ ، كُلُّ مَا هُوَ طَيِّبٌ وَشَاحِبٌ وَوَرِديٌّ ،

وَتُرِينِي الْبَحْرَ يُومِضُ فِي التَّبَعِيدِ كَالَّزِيتُ ،
وَالْأَشْجَارَ وَالْجِبَالَ فِي الْوِشَاجِ الْلَّازُورِدِيُّ ،

وَالْأَشْيَاءِ الصَّغِيرَةِ الْفَقِيرَةِ - الْعَصَافِيرَ ، التَّمَالَ ، الشَّجَرَاتَ ،
وَتِلْكَ الْأَحْجَارَ الْمَاسِيَّةَ الَّتِي تَنْضَحُهَا جَرَّةُ الْمَاءِ الْمَجاوِرَةِ .

وَالآن ، يَا وَلَدِي ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْكَ تُرِينِي التُّجُومَ وَالبَرَاحَ ،
فَإِنِّي أَرَاهُمْ أَصْفَى فِي عَيْنِيَكَ الزَّرْقَاوِينِ بِلَوْنِ الْبَحْرِ .

وَيَصُوتُ كَانَ عَذْبًا وَدَافِنًا وَرُجُولِيًا
تُخِيرِي بِأَشْيَاءَ أَكْثَرَ مِنْ حَبَّاتِ الرَّمْلِ عَلَى الشَّاطِئِ ،

وَخَبِيرِي ، يَا وَلَدِي ، بَأْنَ هَذَا الْجَمَالُ لَكَهُ سَيَكُونُ لَنَا ،
وَالآن أَنْتَ مَيِّتٌ ، وَمَيِّتٌ ضَوْءُنَا وَشَعْلَتْنَا .

[VII]

كُنْتَ طَيِّبًا وَعَذْبًا . كُنْتَ تَحْمِلُ كُلَّ الْمَفَاتِنِ ،
كُلَّ تَرِبِيَّاتِ النَّسِيمِ ، كُلَّ بَنَفَسَحِ الْحَدِيقَةِ .

قَدْمُكَ رَهِيفَةُ الْخَطُو ، كَدْبُ رَقِيقَ ،
تَخْطُو عَلَى عَتَبَتِنَا وَتُوْمِضُ كَالْدَهْبَ .

فَكَيْفَ سَأَعُودُ إِلَى كُوْخِنَا الْمَهْجُورِ وَهِدِي ؟
لَقَدْ حَلَ الظَّلَامُ عَلَى الْفَجْرِ وَيُخْفِي عَنِ الشَّوَارِعِ .

آهُ ، لَا تَسْمَعُنِي الْأَشْيَاءِ ! مُسْتَحِيلٌ
أَنْ تَحْتَرِقَ شَفَتَتِي وَأَنَا أَمَامَ الرَّبِيعِ ،

أَنْ أَكُونُ قُرْبَكَ ، يَا وَلَدِي ، وَأَنَادِيكَ - وَأَسْفَاهِ ! -
فِيمَا لَا تُبَالِي حَتَّى يَرِي أَنَا الْبَائِسَةِ .

غَيْرُ مَسْمُوحٍ لِأَحَدٍ أَنْ يَضْعَ يَدًا عَلَيْهِ . فَهُوَ طَفْلِي .
صَمَتَ ، صَمَتَ ! فَطِفْلِي مُتَعَبٌ . نَائِمٌ .

مَنْ أَخْذَهُ مِنِّي؟ مَنْ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنِّي؟
شَفَّاتَهُ الصَّغِيرَتَانِ اسْتَحَالَتَا بَيْضَائِينَ، وَعَيْنَاهُ مُغَمَّضَاتَانِ.

فَأَيَّتَهَا النُّسُورُ، امْنَحَيْنِي مَخَالِبَ وَأَجْنِحَةَ لَأَنْقَضَ عَلَيْهِمْ،
حَتَّى يُمْكِنِي أَنْ أُمَرِّقَ قُلُوبَهُمْ كَثْمَرَةَ لَوْزٍ.

[VIII]

إِلَى أَيْنَ ظَارَ أَبْنِي بَعِيدًا؟ أَيْنَ مَضَى؟ إِلَى أَيْنَ ثَرَكَنِي؟
قَفْصُ الْطَّيْورِ بِلَا عُصْفُورٍ، وَلَا مَاءَ فِي الْيَنْبُوعِ.

يَا حُبِّي، لَمْ تَبْقَ فِي مَنْزِلِنَا الْأَبْيَضُ الصَّغِيرُ
مِنْ أَجْلِي لِأَجْعَلَكَ سَيِّدِي، لِأَرْعَاكَ كَعُصْفُورٍ

لِتَعْتَدِي بِحَيَايِي، بِذَرَّةٍ بِذَرَّةٍ، مِنْ يَدِي،
وَتَعِيشَ فِي ظِلِّكَ، يَا شَجَرَتِي الْأَبِيَّةِ.

لَمْ تَتَوَقَّفْ لِتَنَالَ كِنْزَ أُيُّهَةَ فَتَاهَةَ.
فَارِسًا مُشِيرًا، كُنْتَ دَائِمًا أَوَّلَ الْمَغَادِيرِينَ.

وَكَانَتْ بَهْجَتُكَ أَنْ تَمْنَعْ بِسَخَاءَ، وَمَجْدُكَ أَنْ يَتَلَقَّى الْآخَرُونَ،

وَأَنْ تَرْقَعَ مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ مَا يَنْخَنِي وَيَتَوَجَّعُ .

يَا حُبِّي ، كُنْتَ تَمْنَعُ كُلَّ ثَرَوَاتِكَ لِلْعَالَمِ ،
تَتَخَلَّ عَنْهَا ، وَتَرَكَتِنِي فِي الْبَرْدِ فِي الْعَرَاءِ .

وَلَدِي ، لَا أَدْرِي مَا إِنْ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَنْخَنِي عَلَيْكَ وَأَنْوَحَ
أَمْ عَلَيَّ أَنْ أَقِفَ مُنْتَصِبَةً وَأَغْنِي أَجَادَكَ أَلْفَ مَرَّةً .

أَحِيَانًا أَلَا يَعْبُ مَقَايِنَكَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، كَأَنَّهَا خَرَزْ ،
وَفِي أَحِيَانٍ أُخْرَى ، تَنْهِيَدَةً تَنْهِيَدَةً ، أَنْظُمُهَا فِي لَحْنٍ حَزِينٍ .

[IX]

آهُ ، يَا مَارِي الْعَذْرَاءُ ، لَوْ كُنْتِ أُمًا مِثْلِي ،
لَا رَسْلَتِ مَلَائِكَةِ مِنَ الْعَالَمِ الْآخَرِ لِيُسَاعِدَ ابْنِي .

وَآهُ ، يَا إِلَهِي ، يَا إِلَهِي ، لَوْ كُنْتَ إِلَهًا وَنَحْنُ أَطْفَالُكَ ،
لَا شَفَقْتَ عَلَى مَخْلُوقَاتِكَ التَّعِيسَةِ ، مِثْلَمَا أُشْفِقَ .

وَلَوْ كُنْتَ عَادِلًا ، لَقْمَتِ يَالْتَوْزِيعِ عَلَى الْحَلِيقَةِ بِعَدَالَةِ ،
لِيَتَنَالَ كُلُّ طَائِرٍ ، كُلُّ طِفْلٍ مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَعَامٍ .

ولَدِي، كُنْتَ مُصِيبًا حِينْ كُنْتَ تَقُولُ بِكَلِمَاتِكَ الرَّهِيقَةِ،
كُلَّ مَرَّةٍ تَتَكَلَّمُ فِيهَا وَتَشَرَّحُ :

"إِنَّهُمْ نَحْنُ مَنْ يُطْعِمُونَ حَمَامَةَ الْحَيَاةِ بِأَيْدِينَا،
وَمَا فِي أَيْدِينَا حَتَّىٰ كِسْرَةُ حُبْزٍ.

"إِنَّهُمْ نَحْنُ مَنْ نَخْتَضِنُ الْأَرْضَ كُلَّهَا بِأَذْرُعِنَا الْخَيْشَنَةِ،
وَالْأَلْهَةُ يَقْفُونَ كَخَيَالَاتِ مَائَةٍ بِوُجُوهِهِمُ التَّسَامِيَّةِ".

آهُ، يَا وَلَدِي، لَا فَرَحٌ وَلَا إِيمَانٌ بِدَاخِلِي،
وَالضَّوْءُ الْكَابِيُّ الْأَخِيرُ لِشَمَعِنَا الْمَنْدُورَةِ انْظَفَأَ.

وَالآنُ، أَيَّهُ نَارٍ لَدَيْ لَأْفَتَحَ يَدَيْ فَوْقَهَا،
لَأُدْفِعَ يَدَيْ الثَّلْجِيَّتَيْنِ قَلِيلًا؟

[X]

يَا وَلَدِي وَسَيِّدِي، كُنْتَ تُرِينِي كُلَّ شَيْءٍ،
وَبِالظَّرِيقَةِ الَّتِي كُنْتَ تَرَاهُمْ بِهَا، كَانَ كُلُّ شَيْءٍ يَتَوَهَّجُ كَمَا لَوْ فِي سَاعَةٍ
عُرْسٍ،

وَكُنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ بِكُلِّ شَيْءٍ : الْعُيُونُ، وَالظُّبُورُ، وَالنُّجُومُ،

[37]

وَتَخَيَّلْتُ أَنِّي قَادِرَةٌ عَلَى إِمْسَاكِهِمْ بِيَدِي ، هَكَذَا .

مَهَلَّا ! فَهُنَاكَ غَيْمَةٌ رَّبِيعٌ صَغِيرَةٌ تَدْنُو
لِتَتَمَسَّخَ فِي رُكْبَتِيْكَ ، كَحَمْلٍ أَيْضَّ صَغِيرٍ .

وَهَكَذَا ، إِذْ وَقَفْتُ مُنْتَصِبًا بَدَوْتُ لِي كَأْبٌ لِلْعَالَمِ كُلِّهِ ،
ثُمَّ مِنْ جَدِيدٍ أَثْيَرْتُ كَالضَّوْءَ وَالْهَوَاءَ .

وَإِذْ يَنْتَابِنِي الْإِعْجَابُ بِكَ ، يَا شَجَرَتِي الدَّلْبُ ، يَا فَنَّايِ ،
أَرْتَعَدُ خَشِيَّةً أَنْ تَسْرِقَكَ إِلَى السَّمَاءِ نَسْمَةً هَوَاءَ ،

فَوْقَ الْأَسْطُحِ ، فَوْقَ بَسَاتِينِ الْأَشْجَارِ
- كَدَقَّةٌ قَلْبٌ فِي التَّبَضَاتِ الْأُولَى لِلنُّجُومِ -

عَالِيَا هُنَاكَ حَيْثُ وُرُودُ الْغَسْقِ تَنَلَّاشِي فِي الضَّبَابِ ،
وَحَيْثُ تَغُوصُ وَسَطْهُمُ الْعَجَلَةُ الْدَّهَبِيَّةُ لِلشَّمْسِ .

وَهَكَذَا ، فِيمَا تَنْهِيَّدُكَ تَجِيءُ وَتَمْضِي ، ضَوْءًا حِينًا ، وَجِينًا ظِلًا ، يَا
حَبِيبِي ،
كَانَتْ تَمْنَحُنِي الْقَلْلَ وَتَمْنَحُنِي الضَّوْءَ ، مِثْلَ مُرُورِ الرَّيْحِ .

لَا مَفَاتِنَ لِي وَأَنْتَ مَنْحَتِنِي الْجَمَالُ، لَا تَعْلِيمَ عِنْدِي – انْظُرْ! –
وَقَرَأْتُ أَبْجَدِيَّةَ الْحَيَاةِ فِي عَيْنِيْكَ.

وَكُنْتُ أَتَعَلَّمُ دُرُوسِيِّي بِشَكْلٍ أَفْضَلُ، مُنْدُ الْبِدَائِيَّةِ،
وَأَعْدَ عَلَى أَصَابِعِي وَأَجْدُ كُلَّ شَيْءٍ وَاحِدًا.

وَاحِدًا كَانَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، وَالضَّوءُ، وَاللَّوْنُ، وَالْبَنْسَاجُ،
وَهَذَا الْوَاحِدُ كَانَ أَنْتَ، وَأَنْتَ مِنْ جَدِيدٍ كُنْتَ كُلَّ شَيْءٍ.

وَكُنْتُ أَبْحَثُ عَنْ مَنْبَعِ مَعْرِفَتِكَ بِكُلِّ هَذَا، أَينَ رَأَيْتُهُ، أَينَ وَمَتَّ،
فِيمَا كُنْتُ مُنْحَنِيَّةَ هَكَذَا، ذَاتَ غَسْقٍ وَأَنَا أَطْعُمُ الدَّجَاجَ.

كُنْتُ أَسْتَطِيعُ الإِحْسَاسَ بِالسَّرَّدَابِ الْعَمِيقِ يَتَنَفَّسُ فَوْقِي
وَالْتُّجُومِ، كَانَهَا تُمْسِطُ شَعْرِي بِمِسْطِ ذَهَبِيِّ،

وَفَجَأَةً أَدْرَكْتُ مَا هِيَ النَّشَوَةُ
الَّتِي كَانَتْ تَأْخُذُنِي وَتَعِيدُنِي أَبَدًا تَدْرِي بِحِيَاةٍ إِلَى الْأَعْلَى السَّمَاوِيَّةِ،

وَرَأَيْتُ الْمَقَى وَالْأَينِ، ضَوْءَ وِظَلَالَ الْغَابَةِ:
وَكُنْتَ تَقْفُ بِالْبَابِ تَنْظُرُ إِلَيْنِيِّ.

الآن ، انغلقت عيناك ، وأنا منغلقة بالخارج ،
ولَا أملك حتى حجرًا لأقف عليه ، ولَا طريقًا أمضي عليه بعد الآن .

[XII]

ولدي ، إن كنت تحس بالألم الشكلي واقفة خارج بابك ،
فافتح عينيك الحبيبتين وانظر للحظة واحدة

إلى هذه العجوز المنحوسة ، إلى هذه المسؤولة العجوز
التي لا يرمي إليها إنسان أو رب أي فلس ،

التي تجلس وتنوح في الشارع الملطخ بالدم
مسئولة القلب ، مكسورة الجناح .

ولدي ، كل شيء طار وتركني في الوراء .
ولَا عين لي لأرى ، لا فم لي لأنكلم .

شيء ما فحسب مثل صرحة تمر غائرة في البعيد
وأسمع صوتي ، فيبدولي كصوت شخص غريب .

صوت شخص غريب ، صوت مرير - مادا يقول ويظل يقول ؟ -
وأصرخ عليك وأصرخ على من أسمعها تصرخ ،

وَأَنَا سَعِيدَةٌ بِسَمَاعِهَا ، حَيْثُ يَنْبَثِقُ نَبْعٌ بِعْنَفْوَانٍ أَكْبَرٌ
مِنْ جِذْرٍ وُجُودِي ، لِيَجْعَلْ صَرَاطِي أَكْثَرَ حِدَّةً .

فَيُخْرِيَنِي فِي وِحْدَتِي - مِنْ جَدِيدِهِ ، يَا وَلَدِي - أَنَّكَ رَحَلتَ
وَأَنَّنِي مَا يَزَالُ لَدَيَ صَوْتٍ - ثَرَثَرَةُ الْحُزْنِ الرَّخِيْصَةِ .

[VIII]

وَلَدِي ، فَمُكَلَّهُ شَكْلُ الْقَلْبِ ، وَحَاجِبُكَ عُصْفُورٌ ،
عَيْنَاكَ نَدْيٌ وَنَارٌ ، وَفَكَّاكَ كَمَاشَةً .

قَوِيٌّ كَأَسَدٍ وَمُسَالِمٌ كَحَمَامَةٍ صَغِيرَةً ،
وَأَنفَاسُكَ تُشِيهُ جَرَسَ الْقَطِيعِ فِي الْغَسَقِ .

لَكِنْ ، كَانَ شَيْئًا مَا كَانَ يُنَادِيكَ فِي الْمَسَاءِ الْذَّهَبِيِّ ،
كُنْتَ دَائِمًا مَا تَنْظُرُ إِلَى الْأَعْلَى إِلَى الْبَعِيدِ ،

كَانَ صَدِيقًا حَمِيمًا كَانَ يَصْفُرُ لَكَ ، يَدْعُوكَ
إِلَى مَوْعِدِ سِرَّيِّ عَلَى شَاطِئِ مَعْهُودٍ .

وَإِذْ تَرْكُنِي وَجِيدَةً ، كُنْتُ أَرْهَفُ سَمْعِي لِأَرَى وَأَخْمَنَ
لِمَاذَا أَرَادُوكَ وَمَاذَا أَرَدْتَ ، لِأَرَى أَيَّةَ رَأْسٍ بَحْرِيَّةَ تَشَجَّهُ إِلَيْهَا .

وَيَعْيَنِي أَسْعَى لِأَرَى إِلَى أَيِّ الْتَّجَاهِ تَتَظَلَّمُ ،
وَكَأَنَّمَا أَحْسَسْتُ بِي فِي صَمْتٍ صَارِخَةً عَلَيْكُ ، "تَوَقَّفْ ، يَا وَلَدِي" ،

تَسْتَدِيرْ ، تَضْحَكُ خِفْيَةً مِنْ وَتَقُولْ ، "هَا أَنَّدَا ، يَا أُمِّي" ،
فِيمَا يُمْكِنْ سَمَاعُ جَرَسِ الْكَنِيسَةِ بَعِيدًا يُقْرَعُ لَصَلَوَاتِ الْمَسَاءِ .

وَفِي فَمِي أَحْتَسِي مَزِيجًا لَذِيدًا مِنْ حُنُورَهِيفْ ،
لَا نَكَ أَدْرَكْتَ بِالْحَدِيثِ كُلَّ شَيْءٍ ، وَأَنَا لَا شَيْءٍ .

[XIV]

آه ، يَا وَلَدِي ، وَلَدِي ، لَا يُمْكِنُنِي الْمُضِي وَحْدِي .
أَسْنَانِي تَصْطَكْ ، تَصْطَكْ ، كَأَنَّ الْخَمْرَ تَجْتَاهُنِي .

وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَدْفَنَ رَأْسِي تَحْتَ الْأَغْطِيَةِ
وَلَا أَرَى الشَّمْسَ أَبْدَا مِنْ جَدِيدِ ، وَأَنْظُرْ ، إِنِّي أَقْفِرُ مِنْ جَدِيدِ

لِأَغْنِيِ وَأَغْنِيِ مَفَاتِنِكْ ، لِأُحِبِّيَّهَا مَرَّةً أُخْرَى مِنْ جَدِيدِ ،
كَأَنَّهُ يُمْكِنْ اسْتِعَاذَتِكْ ، يَا وَلَدِي .

لَا نَكَ فِيمَا كُنْتَ هُنَا ، يَا وَلَدِي ، كُنْتُ مَحْكُومَةً بِكَرْبِ عَظِيمِ ،
سَجِينَةَ الصَّمْتِ فِي قَصْرِ مَسْحُورِ .

وَعَيْنَايِ وَحَدَهُمَا تَتَبَعَانِكَ عَنْ قُرْبِ مِنَ الْوَرَاءِ ،
مِثْلَ گَلَبَيْنِ ، مَوْثُوقَيْنِ ، مَمْرُورَيْنِ ، مَرْعُوبَيْنِ مِنَ النَّاسِ .

وَفِي صَمَتِ الْمَلِمُ كُلَّ مَا يَنْخُصُكَ ، كَذَجَاجَةٌ حَاضِنَةٌ لِكَتَاكِيَتَهَا ،
وَلَحْظَةٌ أَنْ رَحَلْتَ عَنِّي تَحَرَّرَ لِسَانِي

وَأَمْضِي أُوَاصِلُ الْكَلَامَ ، يَا وَلَدِي ، يِلَا اِنْتِهَاءَ ،
كَأَنِّي كُنْتُ أَنْشَبَتُ بِكِنْزٍ وَأَرْتَعَدُ خَشِيَّةً أَنْ أَفْقِدَهُ ،

وَأَرِيدُ أَنْ أُوْدِعَهُ حِجَرَ الْخَلِيقَةِ ،
لَا ثُرِي حَيَاتِي ، وَأَمْتَعَكَ مِنَ الْمَرْوَرِ .

[XV]

وَكُنْتَ تَقِفُ إِلَى النَّافِذَةِ ، وَكِتْفَاكَ الْقَوَيَانَ
يُغَطِّيَانَ تَمَامًا فَرَاغَهَا ، وَالْبَحْرَ ، وَقَوَارِبَ الصَّيْدِ .

وَظِلُّكَ ، كَمَلَاكِ ، يَفِيَضُ عَلَى الْمَنْزِلِ ،
وَفِي أَذْنِكَ يُومِضُ هُنَاكَ صَمْعُ نَجْمَةِ الْمَسَاءِ .
وَكَانَتْ نَافِذَتْنَا بَابًا مَفْتُوحًا عَلَى الْعَالَمِ كُلَّهُ ،
يُطِلُّ عَلَى الْفِرْدَوْسِ ، حَيْثُ تُزَهِّرُ النُّجُومُ ، ضَوْئِي .

وَجِينْ كُنْتَ تَقْفُ لِتُشَاهِدَ الْغُرُوبَ مُشْتَعِلًا ،
كُنْتَ تَبُدُّو مِثْلَ رُبَّانٍ ، وَالْعَرْفَةُ سَفِينَةٌ .

وَفِي الْمَسَاءِ الْفَاتِرِ الْلَّازُورِدِيِّ -
كُنْتَ تَأْخُذُنِي فِي سَفِينَةٍ إِلَى صَمَتِ الْمَجَرَّةِ .

وَالسَّفِينَةُ تَغُوصُ وَنَكِسِرُ الدَّفَّةُ ،
وَالآنَ أَهِيمُ وَحِيدَةٌ فِي قَاعِ الْبَحْرِ .

لَكِنِّي مَا غَرَقْتُ ، وَلَا صَدَدْتُ إِلَى السَّطْحِ :
أَتَلَمَّسُ أَيِّ شَيْءٍ لَا تَسْبِّهُ بِهِ ، فَلَا أُمْسِكُ إِلَّا بِالظَّحَالِبِ .

نَكِسِرُ الظَّحَالِبُ وَالْمَحِيطُ يُجْرِجِرُنِي إِلَى مِيَاهِهِ ،
وَلَا أَغُودُ قَادِرَةً عَلَى تَمِيزِ الصُّعُودِ مِنْ الْهُبُوطِ .

[XVI]

وَلَدِي ، أَيِّ خَطْلٌ أَرَتَكْبُهُ ؟ فَمِنْ رَجَالِ ظَالِمِينَ
كُنْتَ تَسْعَ إِلَى مُكَافَأَةٍ عَلَى جُهُودِكِ .

كُنْتَ تَطْلُبُ كِسَرَةً خُبِزٌ فَأَعْطُوكَ سِكِّينًا .
كُنْتَ تَطْلُبُ مُقَابِلَ عَرَقِكَ فَقَطَطُعُوا يَدَكِ .

لَمْ تَكُنْ شَحَادًا تَذَهَّبُ وَيَدُكَ مَمْدُودَةً .
فِيَقْلِيلِكَ الْقَوِيُّ ذَهَبَتْ سَائِرًا مُنْتَصِبًا .

وَسِرْبُ الْغَرَبَانِ انْقَضَ عَلَيْكَ
وَشَرِبَ دَمَكَ ، يَا وَلَدِي ، وَأَغْلَقَ شَقَّتِيكَ .

الآن ، يَا زَنْبَقَتِي الْوَاحِدَةُ الْوَحِيدَةُ ، كَفَاكَ الشَّاحِبَانِ
يُشَبِّهَانِ طَائِرَيْنِ عَلِيلَيْنِ ، كَثِيرَيْنِ

جَنَاحَاهُمَا مَضْمُومَانِ وَلَمْ يَعُودَا يُرْفِرْفَانِ ،
فَأَمْسِكِيهِمَا فِي يَدِيِّ ، فَلَا يُغَرِّدَانِ لِي .

آهِ ، يَا وَلَدِي ، لَعَلَّ مَنْ ذَبَحُوكَ يَرَوْنَ
أَطْفَالَهُمْ وَآبَاءَهُمْ مَذْبُوْحِينِ ، وَيَخْتَنِقُونَ بِالدَّمِ .

وَلَا صِبْعٌ بِدَمِهِمْ تَنَوَّرَتِي بِالْأَحَمرِ
وَأَرْقَصِ . آهِ ، يَا وَلَدِي ، فَلَا يَلِيقُ بِي أَنْ أَبْكِي عَلَيْكَ .

[XVII]

لَقَدْ أَفْلَتِ ، يَا نَجْمَتِي . أَفْلَالِ الْعَالَمِ كُلُّهِ ،
وَالشَّمْسُ ، الْكُرَّةُ حَالِكَةُ السَّوَادِ ، قَدْ ذَوَتِ فِي وَهْجَهَا .

الْمَحْسُودُ تَمُرُ وَتَدْفَعُنِي . وَالْعَسْكَرُ أَيْضًا يَدْهَسُونِي ،
وَعَيْنِي لَا تَتَرَحَّزْ حَوْلًا ثَفَارِقُكَ .

وَانْظُرْ ، فَهُمْ يُنْهِضُونِي . أَرَى آلَافَ الْأَبْنَاءْ ،
لَكِنِي عَاجِزَةُ عَنْ مُفَارَقَةِ جَانِبِكَ ، يَا وَلَدِي .

يَتَكَلَّمُونَ مَعِي بِالْطَّرِيقَةِ الَّتِي اعْتَادُوهَا ، وَيُقَدِّمُونَ لِي الْعَزَاءْ ،
وَلَدَيْهِمْ قُبَّعَتُكَ ، يَرْتَدُونَ مَلَابِسَكَ .

وَأَحِسْ بِبُخَارِ أَنْفَاسِكَ عَلَى خَدِّي ،
وَآوِي ، ضَوْءُ ، ضَوْءُ هَائِلٌ يُبَحِّرُ فِي الظَّرِيفِ الْبَعِيدِ لِلشَّارِعِ .

كُفْ مُشَرِّقَةُ تَمَسُّحُ عَيْنِي ،
وَآوِي ، صَوْتُكَ ، يَا وَلَدِي ، اندَفَعَ فِي أَحْشَائِي .

وَانْظُرْ ، لَقَدْ لَمَلَمْتُ نَفْسِي تَاهِيَّةً . قَدَمِي لَا تَزَالُ تَدْعَمُنِي .
وَضَوْءُ هَادِيُّ ، يَا وَلَدِي ، أَنْهَضَنِي مِنَ الْأَرْضِ .

الآن ، مَلْفُوفٌ أَنْتَ بِالْأَعْلَامِ . فَلَتَذَهَبْ أَنْتَ لِتَنَامَ ، يَا وَلَدِي ،
وَأَنَا مَاضِيَّةٌ إِلَى أَخْوَتِكَ وَأَخْوَاتِكَ وَأَمْنَحُّهُمْ صَوْتَكَ .

[XVIII]

بَلْ إِنِّي لَمْ أَشْأُ سَمَاعَ وَتَصْدِيقَ كُلَّ مَا كُنْتَ تَقُولُ،
وَأَوْبَخُكَ، يَا حَبِيبِي، دُونَ أَنْ أَفْهَمَكَ.

مَا لَمْ تُخِيرِنِي بِهِ أَبَدًا الأَوْقَاتُ وَالْأَلْسِنَةُ فِي الْعَالَمِ كُلَّهِ
عَلِمْتُ بِهِ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنَا مُنْتَصِبَةُ وَسَطِ الْجَمْوَعِ.

أَيْنَ أَنْتَ، يَا حَبِيبِي، لِتَبْتَهِجَ وَتَقْفَ إِلَى جِوَارِي؟
اسْمَعْ، فَأَنَا أَنْطَقُ بِكَلِمَاتِكَ، وَقَلِيلٌ افْتَحَ

وَقَادِرٌ عَلَى مُعَانِقَةِ الْعَالَمِ كُلَّهِ، بِالْطَّرِيقَةِ الَّتِي قُمْتَ بِهَا.
أَصْبَحَ قَوِيًّا وَقَادِرًا عَلَى الْخَلْقِ، عَلَى التَّدْمِيرِ.

لَيْسَتْ جِنَاحَةً هُنَا. فَهِيَ أَشْبَهُ بِعُرْسٍ.
دُمُوعٌ وَضَحِكٌ، وَحُبٌّ، وَغَضَبٌ يَقْطُرُ مِنْ كُلِّ عَيْنٍ.

وَلَدِي، قُلْ لِي، لِمَاذَا تَغْضَبَ جَيِّنُوكَ؟
أَنْتَ غَاضِبٌ، رُبَّمَا، مِنْ رَجِيلٍ عَنْكَ، يَا حَبِيبِي؟

يَا عُصْفُورِي، أَلْفُ حَيَاةٍ وَحَيَايَاتٍ تُوَثِّقُنِي إِلَيْكَ،
وَجَمِيعُ مَنْ أَحَبُّوا لَا يَعْرِفُونَ الْمَوْتَ أَبَدًا، حَتَّىٰ فِي الْمَوْتِ.

وَحَتَّى لَوْ اخْتَيَّتْ وَضَمِّنْتْ يَدَيَّ فِي صَلَاةِ ،
فَأَنْتَ تَعْرُفُ ، يَا وَلَدِي ، أَنِّي أَقْفُ مُلَاصِقَةً لَكَ الْآنَ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلِ .

[XIX]

لَيْتَ لَدَيَّ فَحَسْبَ الْمَاءِ الْأَبْدِيِّ ، لَيْتَ لَدَيَّ فَحَسْبَ رُوحَ جَدِيدَةَ
لَا مَنَحَهَا لَكَ ، لِيُمْكِنَكَ أَنْ تَصْحُو لِلْحَظَةِ وَاحِدَةٍ فَحَسْبَ ،

لِتَرَى وَتَقُولَ وَتَبَتَّهُجَ بِأَنَّ حُلْمَكَ بِكُلِّ اكْتِمَالٍ
يَنْتَصِبُ مُفْعَمًا بِالْحَيَاةِ بِجَانِبِكَ إِلَى جَوَارِكَ .

الشَّوَارِعُ وَالْأَسَوَاقُ ثُرِّعَدُ ، وَالشَّرْفَاتُ وَالشَّوَارِعُ الْجَانِبِيَّةُ ،
وَالْبَنَاثُ يَقْطُفُنَ رُهُورًا لِشِعْرِكَ .

الْحُشُودُ اجْتَرَأَتْ إِزَاءِ الدَّمِ الَّذِي لَطَّخَ الْأَرْضَ ؛
غَابَاتُ مِنْ قَبَضَاتِ ، بَحَارُ مِنْ صَيْحَاتِ ، جِبَالٌ مِنْ قُلُوبٍ وَصُدُورِ .

قُمَصَانُ الْعَمَالِ انْضَمُوا إِلَى الْكَلَّاكيِّ ، الْجَنُودُ وَالْعَمَالُ ،
وَالْجَمِيعُ يَتَوَهَّجُونَ قَلْبًا وَاحِدًا - إِرَادَةً وَاحِدَةً ، نَبْضًا وَاحِدًا ، عَيْنًا وَاحِدَةً .

آهُ ، كَمْ هُوْ جَيْمُلٌ حِينَ يَنْضُمُ النَّاسُ بَعْضُهُمُ إِلَى بَعْضٍ فِي حُبِّ .
السَّمَاوَاتُ مُضِيَّةٌ ، وَالْأَرَاضِيُّنَ فَوَاحَةٌ .

وَإِذ يَمْرُ الشُّبَّانُ الشُّجَاعُ، أَقْوَيَاءٍ فِي أُخْوَةٍ،
يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ أَنَّهُمْ سَيَغْرُبُونَ الْعَالَمُ، الْكَوْنُ.

وَالدَّنَابُ تَرَاجَعَتْ وَاخْتَبَأَتْ فِي وُجُورِهَا،
وَالْهَوَامُ انْكَسَتْ بَعِيدًا بِمِكْنَسَةِ الْعُمَالِ.

آهُ، يَا وَلَدِي، يَا عُصْفُورِي، أَيْنَ سَتَّهَلَّ
وَتُعَانِقُ الْعَالَمَ قَبْلَ أَنْ تَرْحَلَ وَحِيدًا؟

[XX]

لَمْ تَخْتَفِ، يَا جَمِيلِي. فَأَنْتَ فِي شَرَابِيَّنِي.
فَلَتَدْخُلْ عَمِيقًا فِي شَرَابِيْنِ الْجَمِيعِ، يَا وَلَدِي، وَلَتَعِشْ.

انْظُرْ إِلَى الْحَشُودُ تَمُرُ، وَرِجَالُ عَلَى ظَهَرِ أَحْصَنَةِ،
الْجَمِيعُ مُنْتَصِبُونَ وَأَقْوَيَاءٌ وَوَسِيمُونَ، مِثْلَكِ.

مِنْ بَيْنِهِمْ، يَا وَلَدِي، أَرَاكَ بُعْثَةَ،
وَوَجْهُكَ مَرْسُومٌ بِلَا حَصِيرٍ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

وَأَنَا الْمَسْكِينَةُ، الْضَّعِيفَةُ أَنَا، الْعَجُوزُ فِي الْخَسْدِ،

أَخْرِجْ أَطْلَافِي الْطَّوِيلَةَ وَأَنْزِعْ مِنَ الْأَرْضِ حَفَنَاتِ ثَرَابٍ

أَقْدِفُهَا فِي وُجُوهِ الدَّنَابِ وَالْوُحُوشِ
الَّذِينَ هَشَّمُوا كَرِيسْتَالَ نَظَرِيِّيِّ .

وَأَنْتَ ، جُنَاحَةَ ، تَتَّخِذُ طَرِيقَكَ أَيْضًا ، وَالْكُتْلَةُ فِي حَلْقِنَا وَنَحْنُ نَشَهَقُ
تُحَوِّلُ نَفْسَهَا إِلَى عَقْدَةٍ فِي حَبْلٍ مِنْ أَجْلِ رَقَبَةِ عَدُوَّنَا .

وَكَمَا تَمَنَّيْتَ (كَمَا كُنْتَ تَقُولُ فِي الْأَمْسِيَاتِ بِجَوَارِ الْمَصَبَّاحِ)
فَإِنِّي أَرْفَعُ جَسَدَكَ الْمَحْنَى وَأَرْفَعُ قَبْضَتِي .

وَبَدَأْلًا مِنْ تَمْزِيقِ ثَدَيَّ الْبَرِيَّتَيْنِ ، انْظُرْ ، فَأَنَا أَسِيرُ
وَوَرَاءَ دُهُوِيِّ أَرَى الشَّمْسِ .

يَا وَلَدِيِّ ، إِنِّي مَاضِيَّ إِلَى أُخْوَتِكَ وَأُخْوَاتِكَ وَأَسْتَجِمُ غَضَبِيِّ .
لَقَدْ أَخْذَتُ سِكِّينَكَ . وَأَنْتَ ، فَلَتَذَهَّبَ إِلَى النَّوْمِ ، يَا عُصْفُورِيِّ .



حُلم ظَهِيرَة صَيف

(1938)

امتنطينا أجنيحة السُّنُونُ لِتَجْمَعُ الرُّزُورَ مِن السَّمَاءِ .
 بِالنِّسْبَةِ لَنَا كَانَتْ رِيحُ الصَّيفِ بِلَا أَسْرَارٍ ، وَنَحْنُ نَمِشِي حُفَاءَ عَلَى الْعُشَبِ
 وَنَتَكَلَّمُ مَعَ زِيزِ الْحَصَادِ بِلُغَةِ الشَّمْسِ .
 نَقَدَتِ النَّارُ تَمَامًا وَعَادَتْ نَارًا مِنْ جَدِيدٍ .
 صَنَعَنَا خَوَاتِمَ مِنْ رُزُورٍ وَتَظَاهَرَنَا بِالزَّوَاجِ مِنَ الْأَشْجَارِ ، وَالْهَوَاءِ ،
 وَالصَّمْتِ الْأَوَّلِ .
 كَانَتْ كُلُّ حَصَاءٍ تَعْرِفُنَا مِثْلَمَا كُنَّا نَعْرِفُ كُلُّ نَجْمَةٍ نَامَتْ فِي الْمَيَاهِ .
 وَفِي الْلَّيلِ ، كَانَتْ أَشْجَارُ السَّنْطِ تَمُرُ خَارِجَ نَوَافِذَنَا ، وَتَدْخُلُ عَبْرَ رُجَاجِ
 النَّافِذَةِ الْمُفْتُوحَ ، وَتَرْتُكُ غُصْنًا مُزْهِرًا فِي كُوبِ .
 سَحَبَنَا إِلَهُ الْكُرُومِ الْمَرِحُ إِلَى الْحَقُولِ الْخَضْرَاءِ الشَّاسِعَةِ ، وَلِحِينَتِهِ تَقْطُرُ
 بِالْعَصِيرِ ، وَقَدْمَاهُ تُشَبِّهَانِ أَقْدَامَ الْعَنْزَةِ ، وَنَظَرَتُهُ شَبِيهَةً بِنَظَرَةِ
 الْمَسِيحِ ، عَطْوَفَةً وَرَحْيَةً .
 بِالْأَمْسِ وَأَوَّلْ أَمْسٍ ، طَوَالِ الْلَّيلِ ، حَاوَلَنَا إِحْصَاءُ التُّجُومِ .
 كَانَتِ التُّجُومُ كَثِيرَةً لِلْغَايَةِ ، كَثِيرَةً كَفُولِنَا ، بَلْ إِنْ كَلُوبَنَا أَكْثَرُ حَقَّ مِنِ
 التُّجُومِ .

[2]

لَمْ يَتَمَّ الْأَطْفَالُ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَّةَ أَبْدًا . وَضَعُوا عَدَدًا مِنْ زِيَرِ الْحَصَادِ فِي عُلَيَّةِ
أَقْلَامِهِمُ الرَّصَاصِ ، وَكَانَ الرَّزِيرُ يُغَيِّرُ تَحْتَ وَسَائِدِهِمْ أُغْنِيَّةً يَعْرِفُهَا
الْأَطْفَالُ مُنْذُ زَمِنٍ بَعِيدٍ ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تُنْسَى كُلَّ صَبَاحٍ .

ضَفَادِعُ ذَهَبِيَّةٌ ، جَالِسَةٌ عَلَى أَصَابِعِهَا دُونَ أَنْ تَلْحَظَ ظِلَالَهَا عَلَى الْمَاءِ ،
كَانَتْ تُشِيهُ تَمَاثِيلَ صَغِيرَةً لِلْعُزْلَةِ وَالسَّكِينَةِ .

آنِيَّةٌ تَعْتَرُ الْقَمَرِ فِي شَجَرَةِ صَفَصَافٍ وَهُوَ عَلَى الْعُشِّ الْكَثِيفِ .
تَظَاهِرَتْ عَاصِفَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ .

رَكَضَ الْأَطْفَالُ وَالْتَّقَطُوا الْقَمَرِ فِي أَيْدِيهِمُ الْمُسْتَدِيرَةِ وَلَعِبُوا طَوَالَ اللَّيْلِ فِي
الْحَقُولِ .

وَالآنَ أَيْدِيهِمُ ذَهَبِيَّةٌ ، وَأَقْدَامُهُمُ ذَهَبِيَّةٌ ، وَأَيْنَمَا يَخْطُونَ يَطْبَعُونَ أَقْمَارًا
صَغِيرَةً فِي الْأَرْضِ الْطَّرِيَّةِ .

لَكِنِّ مِنْ حُسْنِ حَظِّهِمْ أَنَّ الْكِبَارَ لَمْ يَشْكُوا فِي شَيْءٍ .
فَقَطِ الْأُمَّهَاتُ انتَابْهُنَّ بَعْضُ الشَّكِ .

لِهَذَا أَخْفَى الْأَطْفَالُ أَيْدِيهِمُ ، أَيْدِيهِمُ الدَّهَبِيَّةِ ، فِي جُيُوبِ خَاوِيَّةٍ لِيَتَحَاشَوْا
الثَّوْبِيَّخَ مِنْ أُمَّهَاتِهِمْ عَلَى لَعِبِهِمُ فِي السَّرِّ بِالْقَمَرِ طَوَالَ اللَّيْلِ .

[3]

لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ أَنَّنَا هَمَسْنَا فِي أُذُنِ فَرَاشَةٍ .
وَلَا يَتَذَكَّرُ أَحَدٌ كَيْفَ تَحَدَّثَتْ إِلَى الْفَجَرِ ، أَوْ أَنَّ الزُّهُورَ عَرَفَتْ صَوْتَهَا ،

[54]

أَوْ أَنَّ الطُّيُورَ قَدْ رَفَعَتْ أَعْلَامًا وَأَبْوَاقًا وَقَامَتْ فِي الْبَعْدِ بِمَسِيرَةِ
كَجُنُودِ دُنْيَى عَلَى طَرِيقِ ضَوءِ الصَّبَاحِ .
غَالِبًا مَا نَتَذَكَّرُ حِينَ يَفْتَحُ الرَّبِيعُ النَّوَافِذَ وَيَحْفَ مَلَائِكَةِ النَّوْمِ بِالضَّوءِ .
يَتَبَدَّى الْبَحْرُ مِنْ مَكَانِهِ .
حَتَّى الْحَقْلُ يَدْنُو أَكْثَرَ كُسْلَحَفَاءِ تَصْحُورِ لِتَوَهَا .
فِيمَا بَعْدَ يَرَاجِعُ الْحَقْلُ لِيَكُونَ حَقْلًا ، وَنَحْنُ الْأَطْفَالُ الَّذِينَ يَلْعَبُونَ فِي
الْحَقْلِ .

[4]

فَلَشُرِحُ الْمَهْرَ الْخَشِيِّ ذَا السَّرِيجِ الْأَحْمَرِ ، فَسَنُلَاحِقُ ظِلَالَ الْمَيَاهِ قَبْلَ أَنْ
يَلْحَقَ بِنَا الْمَسَاءُ بِحَكَائِيقِهِ الْخَرَافِيَّةِ الظَّوِيلَةِ وَنِيرَانِهِ الشَّتَوِيَّةِ .
فَالْوَقْتُ لَا يَكُونُ مُنَاسِبًا حِينَ تُعْلَقُ الشَّمْسُ أَصَابِعَ ذَهَبِيَّةَ عَلَى أَبْوَابِ
الْغَابَةِ .

تَخْلَعُ الْأَجْجَاثُ مَا زِرَاهَا الْحَضْرَاءُ وَتَسْتَحِمُ خِفْيَةً فِي النَّهَرِ .
وَفِي الْأَصْبَيلِ ، حِينَ يَنَامُ الْكِبَارُ ، كَانَ الْأَطْفَالُ يَتَرُكُونَ الْمَنَازِلَ ،
يَتَدَحَّرُونَ عَلَى الْعُشُبِ ، يَقْصُمُونَ أَوْرَاقَ "شَجَرَةِ الْعَجِيَّةِ"
وَيَحْتَضِنُونَ الْأَشْجَارِ .

وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ، كَانَتِ الْغَابَاتُ تَفُوحُ بَعْبَقِ نِسَاءِ عَرَابِيَا .
وَكَانَتْ فَرَاسَاتُ كَبِيرَةٍ تَكْشِفُ أَسْرَارَ الرَّبِيعِ ، وَسَحَالِي بِعُيُونِ زُمُرِّدِيَّةٍ
تَسْرِقُ السَّمْعَ بِغَرَابَةٍ مِنْ وَرَاءِ الصُّخُورِ خِلَالَ اللَّيلِ .

[55]

لَمْ تَلْحَظِ الأَسِيَّجَةَ .

رَجَوْنَا فِيمَا بَعْدَ أَلَا تُخِيرَ الْغَرَبَانُ أَمْهَاتِنَا بِمَا جَرَى وَسْطَ أَشْجَارِ الرَّاتِنِجِ
نَازِفَةَ الصَّمْغِ .

[5]

صَنَعْنَا عَرَبَةً كَارُو مِنْ قِشَرَةِ جُوزٍ . اسْتَخْدَمْنَا بَكَرَةَ خَيْطِ عَجَلَاتٍ .
رَبَطْنَا فِيهَا نَمْلَتَيْنِ وَكَدَسْنَا فَوْقَهَا كَوْمَةَ بَرَسِيمٍ . أَرْجُوكَ أَلَا تُخِيرَ
أَحَدًا إِلَى أَيْنَ سَنَدَهْبَ .

الصَّدَى يَسْتَمِعُ فِي الْبِئْرِ ، وَالْكَهْوَفُ تَرَدَّدَ رَنِينَ أَصْوَاتِنَا .
الشَّمْسُ تُحْرِقُ الصَّخْرَةَ ، وَبَعْضُ الْمَدَاخِنِ تُرِسِّلُ عَالِيًّا أَعْيَدَةَ مِنْ مُدْنٍ
البَابُونِجِ الْبَيْضَاءِ .

عَصَافِيرُ "أَبُو فَصَادَةَ" يَسْرِقُونْ قُبَّعَاتِنَا الْقَشَّ وَيَرْتَدُونَهَا .
وَإِذْ يَقْبَعُونَ عَلَى الشُّرْفَةِ الْأَعْلَى لِشَجَرَتِنَا التُّوتَ ، يَسْخَرُونَ مِنَّا . وَنَحْنُ
نَسْخَرُ مِنْ عَصَافِيرِ "أَبُو فَصَادَةَ" .

نَدْخُلُ الْخَظِيرَةَ الْمَطْلِيَّةَ بِالْأَبْيَضِ ، الْمَلِيَّةَ بِالْأَعْشَابِ وَبِصَلَيْبِ خَشَبِيِّ ،
وَنَبْحَثُ عَنْ زُهُورِ بَنَفَسِجَ بَرَّيِّ ، لِنَجْدِلَهَا تَاجًا لِشِعْرِ الْفَتَيَّاتِ .
الْقَطْرِيَّقُ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ مُسْتَقِيمٍ ، وَسَاسَةُ الْبِغَالِ يُعْنُونَ أُغْنِيَّاتِ جَمِيعِ
الْكَرُومِ تَحْتَ حَرَارَةِ شَمْسِ الظَّهِيرَةِ الْهَائِلَةِ .

[56]

مِثْلْ قَلْبِ سُنُونُ صَغِيرٍ يَرْتَعِدُ فِي قَبْضَةِ الْفَجْرِ ، تَبَدَّأْ ذَاكِرَتُكَ بِأَوَّلْ وَرَقَةٍ شَجَرِ حَضْرَاءِ .

تَتَدَّعَّرُ كَيْفَ جَلَسْتَ وَحَدَّقْتَ فِي الْعَيْنَيْنِ الْوَاسِعَيْنِ الْمُسْتَدِيرَيْنِ لِلْبَقْرِ الَّذِي يَرْعَى ، وَأَنْتَ تَرَى مَشَهِداً طِبِيعِيًّا زِرَاعِيًّا مُصَغَّرًا : السَّهْلُ الَّذِي يُشِيدُهُ صِينِيَّةٌ حَضْرَاءٌ فَسِيْحَةٌ ، وَالْكَنِيْسَةُ الصَّغِيرَةُ بِأَشْجَارِ السَّرُوِ ، وَالْقَوْسُ الْأَبِيْضُ مِنْ حَمَامٍ فَوْقَ الْغَابَةِ ، وَالْحَصَادُونَ بِحِزْمِ الْقَمَحِ وَمَنَادِيلِ صَفَرَاءِ .

لَمْ تُدْرِكْ مِعْمَارَ الزُّهُورِ ، وَلَا آلَيَّاتِ الْطُّبُورِ الْمُسْتَخْدَمَةَ فِي اجْتِيَازِ السَّمَاءِ . قُلْتَ بِبَسَاطَةٍ "صَبَاحُ الْخَيْر" لِلْزُهُورِ وَلِلْطُّبُورِ ، مِثْلَمَا قَدْ تَقُولُ "صَبَاحُ الْخَيْر" لِلْفَتَيَاتِ .

آتَيْتُ فَتَحَ الْأَقْحَوَانَ نَوَافِدَ صَغِيرَةً وَالْخَنَى عَلَى حَوَافَهَا لِيُحَيِّي الصَّبَاحَ ، حِينَ مَرَّ فِي الشَّارِعِ دُونَ أَعْبَاءِ الظَّلِّ وَالدَّاْكِرَةِ : فِيمَا بَعْدَ ، اخْتَنَىتِ لِشُحْيَّ النَّاسِ يَخْلُعُ قُبَّعَتِكَ ، وَلِتَقُولَ "شُكْرًا" لِلْزُهُورِ وَحَدَّهَا حِينَ لَا يَكُونُ هُنَاكَ مَنْ يَسْمَعُكَ .

تَمَنَّيْتَ لَوْ تَكُبُرُ سَرِيعًا ، لِتَرْتَدِي سَرَاوِيلَ طَوِيلَةً ، لِتَتَعَلَّمَ أَنْ تَكُبُّ فَيُمُكِّنَ أَنْ تَكُفَّ عَنْ قَوْلِ "شُكْرًا" ، لِتُنِيتَ وَرَدَةً حَيْثُ يَنَامُ شَعَاعُ حَزِينٍ مِنْ ضَوْءِ فِي قَوْسٍ خَارِيًّا مِنْ شَدَّى .

وَالآن تَطْلُبُ مِنْ جَدِيدٍ أَنْ تُلْقِي عَلَى الشَّفَةِ تَفْسِيْهَا "شُكْرًا" تَفْسِهَا ، بَعْدَ سَوَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنْ نِسْيَانِهَا .

[7]

نِمَنَا حِينَ كُنَّا غَيْرَ مُتَعَبِّينَ . أَكَلَنَا حِينَ لَمْ تَكُنْ جَوَعَى .
حَافَظَنَا عَلَى الْوَقْتِ بِإِسْتِخْدَامِ سَاعَاتٍ أَيْدِينَا الَّتِي مُنْحَتْ لَنَا فِي يَوْمٍ
تَسْمِيَتِنَا^[٣] ، نَاسِينَ سَاعَةً الْحَدِيقَةَ الَّتِي كَانَتْ دَائِنَّا مَا تُشِيرُ إِلَى
الصَّيفِ .

وَالآنَ ، نُرِيدُ أَنْ تَضَعَ سَاعَةً يَدِنَا لِصِيقَةً بِنَبِضِنَا ، لِتُحَدِّدَ الْوَقْتُ الَّذِي تَبَدَّأ
فِيهِ أَيْدِي سَاعَةِ الظُّلُمِ فِي الإِشَارَةِ عَبَرَ الْوَجْهِ الْأَخْضَرِ الدَّهْنِيِّ
لِلْمَرْجِ .

مَا يَرَأُ الْمَهْمَةَ وَقْتُ لَنَا لِيَنْقُطُعَ بَعْضُ الْخُشَّاשِ حَتَّى لَا تَشِيقَ أَيْدِينَا دَاخِلَّ
أَدِيرَةِ الْكُتُبِ .

[8]

فِي الَّلَّيْلِ ، تَمُرُ أَشْجَارُ الْلَّوْزِ تَحْتَ نَوَافِذِنَا بَطِيشَةً حَزِينَةً فِي أَرْدِيَتِهَا
البَيْضَاءِ ، كَهْوَلَاءِ الْفَتَيَاتِ الشَّاحِبَاتِ مِنْ مَلْجَأِ الْأَيْتَامِ عَائِدَاتٍ
مِنْ نُزْهَةٍ يَوْمَ أَحَدٍ قَصِيرَةً ، شِبَّهَ نَائِمَاتٍ ، يُسِكِّنُ بِأَيْدِي
بعضِهِنَّ اثْنَتَيْنِ ، بِلَا كَلَامٍ ، بِلَا نَظَرٍ لِأَعْلَى إِلَى التُّجُومِ
الْمُتَبَرِّعَةِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً فِي الظُّلُلِ ، نَائِيَّةً وَسَعِيَّةً .

فِي الْغَدِ ، سَنَنْطُلُ مِنْ أَشْجَارِ الْلَّوْزِ أَنْ تَذَهَّبَ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَتَغْسِلَ عُبَارَ
أَحْزَانِنَا عَنْ وُجُوهِنَا .

^[٣] احتفال بقدیس ما، شفیع، في اليوم الذي تتم فيه تسمية المولود..

وَفِي الْمَسَاءِ، حِينَ تَعُودُ مُتَهَلِّلَةً، سَتَمْتَحِنَا كُلِّمَاتِنَا الْأُولَى نَظِيفَةً مُغَنِسِلَةً فِي الْبَحْرِ، وَسَنَصْرُخُ فِي النَّوَافِذِ الْمُفْتُوحةِ ابْتِهَاجًا بِقُدْرَتِنَا عَلَى الصُّرَاجِ.

[9]

اللَّيْلَةَ نَسْقُطُ فِي التَّوْمِ فِي حِجْرِ الرَّبِيعِ، وَرَأْسُنَا نَسْتَقِرُ عَلَى قَلْبِهِ.
نَسْعُ نَبْضَاتِ الْقَلْبِ وَنَنْفُسُ الطُّيُورِ فِي نَوْمِنَا.
وَفِي الصَّبَاحِ، حِينَ نَصْحُو، تَرَى السَّمَاءَ تَثْمَسِي فِي حُجْرَتِنَا، كَظَاهِرٍ أَرْزَقَ
بِعَيْنَيْنِ ذَهَبِيَّتَيْنِ يَتَعَذَّذِي بِبَقَائِيَا فُتَّاتِ الظَّلِّ.
آنِيَّذِ، فِي لَحْةٍ، نَغْتَسِلُ وَنَسْتَعِدُ لِلنَّهَارِ.

[10]

أَيُّهَا الْمَسِيحُ، لِمَاذَا تَرْتَدِي ذَلِكَ الرَّدَاءَ الطَّوِيلَ الْحَزِينَ، وَتِلْكَ الْأَعْشَابَ
عَلَى رَأْسِكِ؟ أَلَيْسَتِ الزُّهُورُ أَفْضَلُ؟
هَلْ أَنْتَ قَلِيقٌ مِنْ أَلَا يَنْفَتَحَ بَابُ السَّمَاءِ لَوْ وَضَعْتَ خُشَّخَاشًا فِي شَعْرِكِ
الْأَشْعَثِ؟
لَا تَضْحَكْ لَأَنِّي أَضْعُ ضِمَادَةً عَلَى رَأْسِيِّ.
فَقَدْ سَقَطْتُ فِي الْأَجْمَاتِ أَوَّلَ أَمْسٍ وَأَنَا أَلْأِحْنُ الْفَرَاشَاتِ.
هَيَا، فَلَنَمِضَ إِلَى الْحَقْلِ يَدَا فِي يَدِ كَاطِفَالٍ، وَسَأُعْلَمُكَ كَيْفَ تَعْرِفُ عَلَى
الثَّاَيِّ.

[59]

لَنْ تَبُدُو جَمِيلَةً عَلَيْكَ تِلْكَ التَّجَاعِيدُ الَّتِي يَتَخَذُهَا وَجْهُ الْأُمِّ حِينَ تُوقَفُ
شُغْلَهَا لِبُرْهَةٍ وَتَنْتَظِرُ إِلَى الْقَمَرِ الْجَدِيدِ عَبْرَ النَّافِذَةِ.

فَلَنْمِضْ لِنَفْصَ شَعْرَكَ الْمَحْزُونِ . سَنَسْتَخْدِمُ الْمَجَرَّاتِ الْضَّخْمَةِ الَّتِي
يَسْتَخْدِمُونَهَا مَعَ الْأَغْنَامِ .

وَسَرَرَى ، فَالَّرَبُّ سَوْفَ يُجْبِنَا . سَيَتَرُكُنَا نَجْلِسُ عِنْدَ قَدَمَيهِ . وَسَوْفَ يَبْتَسِمُ
بِعُدُوَّيْهِ وَنَحْنُ نَضَعُ زُهُورًا فِي شَارِبِهِ الْطَّوِيلِ .

وَجِين يَحْلِ الظَّلَامُ ، سَتَرِطْ صَرَاصِيرَ اللَّيْلِ بِمَرْكَبَتِهِ الصَّغِيرَةِ ، وَسَنَنْظِلِقُ
خِلَالَ الْفِرَدَوْسِ ، فِيمَا تُشْعِلُ الْمَلَائِكَةُ النُّجُومُ الَّتِي تُشَرِّقُ إِلَى
الْأَسْفَلِ عَلَى جَمِيعِ الْأَطْفَالِ الْآخَرِينَ الَّذِينَ بَقَوْا عَلَى الْأَرْضِ .

[11]

الْيَوْمُ غَنَّتْ فَتَاهُ مِنْ قِمَّةِ شَجَرَةِ حُورٍ ، وَشَرَانِطُ الْبَحْرِ فِي شَعْرِهَا .
مِنْ أَغْنِيَتِهَا ظَارَتْ عَصَافِيرُ صَغِيرَةٍ ، مَلَأْتِ السَّاحَاتَ وَغَطَّتِ الْأَسْفَفَ .
حَطَّتِ الْعَصَافِيرُ عَلَى أَكْتَافِ الْأَطْفَالِ .

وَالْكِبَارُ ، الْمَتَخَبِّطُونَ فِي شِبَابِ الشَّمْسِ ، تَرَحَّبُوا كَالْكَتَاكِيتِ .
جُنَّتِ الْوُرُودُ ، وَهِيَ تَقُومُ بِحَرَكَاتٍ بَهْلَوَانِيَّةٍ فِي الْمَيَاهِ .

أَئِهَا الْمَسِيحُ ، يَا لَهُ مِنْ ضَوْءِ سَكَرَانِ ، يَخْتَرِقُ زُجَاجَ النَّافِذَةِ ، يَفِيضُ عَلَى
الْغَرَفِ ، فَلَا يَتَرَكُ ظِلًّا وَاحِدًا لِلْأَمْ لِتُظَلَّلَ عَيْنَيْهَا .

هَكَذَا سَوْفَ تُمَارِجُ مُنْدِلَاهَا فِي الْهَوَاءِ ، وَتَرْقُضُ الرَّقَصَةَ الَّتِي رَقَصَتْهَا
جِينَ كَانَتْ وَالْأَبْ صَغِيرَيْنِ - رَقَصَةً جَزِيرَةً بِأَرِيجِ الْبَحْرِ

[60]

والقوارب المحمولة بالبرتقال.

والأب سوف يتظاهر بأنه نسي الخطوات، وينتسب وهو يخطو كعبه في الهواء.

ونحن - الأطفال، والطيور، والزهور، والصخور - سنتبعهم في الرقص، وصولاً إلى ساحة الدّراس للشّمس، نغنى لتلك الأيام التي لا تذوي أبداً، حين رقص الكبار مع أطفالهم، نفس الرقصة، كلّ ربيع.

[12]

العالم امتلأ بالزهور والطيور.

والأصوات المبتهجة ترن خلال القرية.

الأجراس في أعناق الحمير.

الأجراس في آذان الشمس.

الأجراس في أطراف أوراق الشجر.

الأجراس في شعر الفتيات المضفر.

الجيمع يرقصون في الضوء والرّين.

ينخرُج الحجُّ إلى ضوء الشّمس، وينسج من أغصان خضراء سلالاً صغيرةً
تُستخدم في جمع الثوت وبَيْض الحمام.

[61]

سَوْفَ نَسْتَخْدِمُ الْكُرْةَ الْأَرْضِيَّةَ ، تِلْكَ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا الْمَدْرَسُ فِي شَرْجِ
الْجُغْرَافِيَا ، كَكُرْةٍ وَنُدْحِرِجُهَا خِلَالَ الْقَرِيَّةِ الْخَضْرَاءِ ، فِي الْبَابُونِجِ .

فِي الْلَّيْلِ صَعَدْنَا إِلَى مَقْبَرَةِ الْقَرِيَّةِ ، وَجَهْنَمَنَا فِي السَّرِّ عَنْ جَمَاجِمْ ، وَنَحْنُ
نَمَلَاهَا بِالْأَعْشَابِ وَالْزَّهُورِ .

وَفِي الْعَيْنَيْنِ الْخَلْوَيْتَيْنِ وَضَعَنَا وَرَدَتَنِ .

وَالآنَ كُلُّ شَيْءٍ مُشْرِقٌ وَنَاءِيْضُ بِالْحَيَّيَّةِ .

حَتَّى لَوْمَ يَكُنُ الصَّيْفَ حَسْبَ التَّقْوِيمِ ، فَقَدْ كُنَّا نَعْرِفُ أَنَّهُ سَرَّعَانِ مَا
سَيَحْلِ .

الْفَتَيَّاتُ يُرْغِنِنَ رَأْسَ الشَّمْسِ ، وَالشَّمْسُ تَسْبُ كَطْفِلٍ مُدَلِّلٍ حِينَ يَدْفَعُنَ
بِرَأْسِهَا إِلَى حَوْضِ الْغَسِيلِ لِيَشْطُفُنَهَا .

آلَافُ مِنْ رَغَوَاتِ الصَّابُونِ تَسْبُ فِي الْهَوَاءِ ، كَأَقْوَاسِ قَرَاجِ صَغِيرَةٍ فِي أَفْقِ
مِنْ فَرَاسَاتِ مَسْحُورَةِ .

الْحَنَامُ يُلَاحِقُ الرَّغَوَاتِ .

يُومِيُّ الصَّوْءُ ، مُؤَنِّبًا السُّنُنُوَاتِ الْمُسْتَيْقِظَةِ لِتَوَهَّا .

غَرِيبٌ أَنْ يَظَلَّ الْكَبَارُ نَائِمِينَ مَعَ كُلِّ هَذِهِ الْضَّوْضَاءِ .

لَسَوْفَ نَضَعُ زِيَّرَ حَصَادِ تَحْتَ مِنْخَارِ الْجَدِّ ، لِيُمْكِنَهُ أَنْ يَشَمَّ نَفَسَ رَبِيعَنَا ،
وَلَسَوْفَ يُزَهِّرُ ظَرْفُ عُكَارِهِ مِثْلَ شَجَرَةِ كَرِزٍ صَغِيرَةِ .

نَحْنُ لَا نُحِبُّ، فِي هَذَا الْوَقْتِ، الْكُتُبُ ذَاتِ الْقَصَائِدِ الشَّيْهَةِ يُنْسَاكِ
مَهْزُولِينَ.

لَا نُحِبُّ أَبْنَاءَ عُمُومَتِنَا الْبَعِيْدِينَ، الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنَ الْعَاصِمَةِ، وَهُمْ يَرْتَدُونَ
سُرَّاتِ مُزَدَّوْجَةِ، وَدَائِمًا مُصَابُونَ بِالْبَرْدِ ..

نَمْشِي حُفَّةً عَلَى الْأَرْضِ الْمُلْتَهَبَةِ، وَنَخْلَعُ ثِيَابَنَا تَحْتَ أَشْجَارِ الدَّبَابِ،
وَنُصْفَرُ، نَلْعَبُ لَعْبَةَ الْحَرْبِ، وَنَتَقَادُفُ بِالْأَحْجَارِ، نُطْلِقُ طَائِرَاتِ
وَرَقَيَّةَ، وَنَسْتَحِمُ فِي النَّهَرِ مَعًا مَعَ الشَّحَارِيرِ وَالْحَجَلِ.
خَبَانَا نَحْلَةَ طَنَانَةَ فِي حَقِيقَةِ الْمَدْرَسَةِ وَأَنْصَتَنَا إِلَيْهَا وَهِيَ تَئِزُّ خِلَالَ دَرِيسِ
الْحَسَابِ.

بِالْكَادِ نَبَقَ بُرْهَةً فِي الْمَنْزِلِ.

نَخْرُجُ إِلَى الْحَقُولِ وَنَتَفَقَّدُ فِي خَاهَنَا.

فِي سَاحَةِ الدَّرَاسَاتِ أَكْوَامُ الْقَشِ شُرِقُ گَائِدَاءِ عَارِيَةَ، وَالْأَحْصِنَةُ تَسَابِقُ
فِي الظَّهِيرَةِ، سَاحِقَةُ السَّنَابِلِ، وَضَائِعَةُ فِي الْغَابَةِ.

جِينَ يَحْلُّ الْمَسَاءُ، تَعُودُ الْأَحْصِنَةُ إِلَى فِنَاءِ الْمَزَرَعَةِ ذَلُولَةً، وَالسَّلَاحِفُ
الْكَسُولَةَ تَقْطُفُ الْأَقْحَوَانَ فِي الْحَقُولِ الصَّامِيَّةِ.

يَفْوُحُ الْوَقْتُ بِالْعَرَقِ وَنَبِيِذُ الرَّتِيسِينَا، فِيمَا يَتَصَاعِدُ دُخَانُ الْمَسَاءِ فَوَقَّ
السُّقُوفِ، وَمَكَثَنَا بُرْهَةً فِي الظَّرِيقِ، نُلَمِلِمُ الثَّجُومَ، لِيُرِي أَمْهَايِنَا
أَنَّنَا أَيْضًا قُمَنَا بِشَيْءٍ مَا، وَأَنَّ قَلْقَهُنَّ عَلَى يَوْمِنَا لَمْ يَكُنْ عَبَثًا.

لَا يَرَأُ الْكِبَارُ لَا يَدْرُونَ عَمَّ نَبَحَثُ، لَا يَدْرُونَ حَصَادَنَا، وَلَا قَادِرِينَ عَلَى

الأكل من طحيننا.

وَمَعَ ذَلِكَ فَنَحْنُ نَرَيْتُ عَلَى الْأَيْدِي الْمَعْبَةَ لِأَمْهَاتِنَا ، فِيمَا نَرَقْبُ طَوَالَ
الْوَقْتِ ، عَنْ بُعْدِ كَوْكَبِ التُّبَّ الْكَبِيرِ فِي اِنْطِلَاقِهَا الْدَّهْبِيَّةِ .

[16]

أُمِّي ، لَا تَغْضِي مِنَّا لَأَنَّنَا لَا نُرِيدُ الْبَقَاءَ فِي الْمَنْزِلِ .
فَالشَّمْسُ تَدْعُونَا إِلَى الْخَرُوجِ .

سَنُلْبِسُكِ رِدَاءَ مِنْ رُدُودِ نَسْجَهِ الرَّبِيعِ بِنَفْسِهِ ، مُسْتَخْدِمًا أَوْهَى أَشْعَعَةَ
كَيْابِرِ ، تَحْتَ أَشْجَارِ الْلَّوْزِ . سَنُجَلِّسُكِ أَمَامَ مِرَآةٍ لِيُمْكِنَ لَكِ أَنْ
تَنْظُرِي ، وَتَضْحَكِي ، وَتَعْرِفِينَا .

ثُمَّ سَتَقْعِي سَنُونَاتٌ صَغِيرَةٌ عَلَى أَصَابِعِكِ ، لَكِنَّكَ مَعَ ذَلِكَ لَنْ تَضْحَكِي
مِنْ ذَلِكَ .

أُمِّي ، كَيْفَ يُمْكِنُنَا أَنْ نُدْهِرِجَ بَعِيدًا الصَّخْرَةَ الَّتِي تَسْدُدُ بَابَكِ ؟
وَمَعَ ذَلِكَ ، فَفِي رُجَاحِ نَوَافِذِنَا يُشَرِّقُ الْوَجْهُ الْمَلَوَنُ لِلْفَجْرِ ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ،
فِي إِطَارِ مِنْ أَشْجَارِ التَّفَاجِ المَزْهِرَةِ عَلَى الْجَبَلِ .

نَقْفِرُ خَارِجَ نَوَافِذِنَا .

وَالسَّمَاءُ تُزَهِّرُ دَاهِلَنَا مُبَتَسِّمَةً ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ نَقْفُ ، نَقْفُ فِي كُلِّ
الْأَمَاكِنِ .

أُمِّي ، لِمَاذَا أَنْتِ مَمْرُورَةً هَكَذَا ، فَلَنْمِضِ إِلَى الْحَدِيقَةِ لِيُمْكِنَنَا أَنْ نُعْلَمَكِ أَنْ
تَتَهَبَّجِي مِنْ كُتُبِ دَرَاسَتِنَا أَبْجَدِيَّةِ الشَّمْسِ ، وَشَيْئًا فَشَيْئًا ،

[64]

سَتَتَعَلَّمِينَ أَنْ تَقْرَئُ الْزُّهُورَ .
سَنَدْفَعُ إِلَيْكَ عَلَى ظَهِيرَةِ أَوْزَةِ بَرَيَّةِ ، وَسَيُرْفِفُ تُوبُكَ فِي الْهَوَاءِ كَرَائِيَّةَ عَالِيَّةَ
فَوْقَ الْحُقُولِ الْخَضْرَاءِ .

[17]

كَانَتِ الْأَرْضُ مَرْوِيَّةً بِالضَّوءِ . وَلَا يُسْكِنُكَ الْخَدِيثُ عَنِ الصَّوْءِ وَالْأَرْضِ
وَبَعْضُهُمَا بِمَعْزَلٍ عَنِ بَعْضٍ .
نَحْنُ أَحْلَامُنَا .

انفَتَحَتِ النَّوَافِذُ ، وَدَخَلَتِ الْزُّهُورُ كَجَيِّشٍ بَهِيجٍ بِطُبُولٍ حَمَراءً وَأَبُوَاقِ
ذَهَبِيَّةً ، غَائِدِينَ مِنْ حَدِيقَةِ الْأَمْسِ إِلَى مَوَدَّةِ الْيَوْمِ .
كَانَ السَّيَاجُ مُغَطَّى تَمَامًا بِالْأَخْضَرِ ، وَلَمْ تَعُدْ تَسْتَطِعُ أَنْ تَرَى أَنَّهُ سَيَاجٌ .
فِي ضَفَائِرِ الرَّبِيعِ الشَّقَرَاءِ تَبَرَّعَتِ زَنَابِقُ زَرَقَاءُ صَغِيرَةٌ .
وَيَقْدِرُ مَا بَكَوْا أَوْلَى أَمْسِ ، تَذَكَّرُوا الْيَوْمَ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ شُبَانًا ،
وَيَضْحَكُونَ لِأَنَّهُمْ بَكَوْا .

[18]

جِينَ مَرَّتْ "بَانَاجِيَا" فِي صَمْتِ تَحْتِ الْأَشْجَارِ ، لَمْ يَسْمَعَهَا أَحَدٌ .
لَمْ تَنْبَحِ الْكِلَابُ فِي الْفِنَاءِ .
وَحْدَهَا صَرَاصِيرُ اللَّيلِ قَامَتْ بِتَحْيِيَّهَا ، وَدَوَّتْ نَجْمَةٌ كَبِيرَةٌ كَوَرِيرٍ فِي أَغْنِيَّةِ
عَجَّهُولَيَّةٍ لَمْ يَسْمَعَهَا سَوْيَ الْأَطْفَالِ فِي نَوْمِهِمْ ، وَاسْتَدَارَتْ مِنْ جَانِبِ

[65]

إِلَى آخَرْ مُبَتِّسِمَةِ .

الْيَوْمَ فِي الْحَقْوَلِ ، نَبَتَتْ رَنَابِقُ ذَهَبِيَّةٌ صَغِيرَةٌ ، وَالرُّعَاعَةُ الَّذِينْ عَنْرُوا عَلَيْهَا
رَكَعُوا وَصَلَوَا .

حَقًّا ، غَادَ بَصَرُ الْأَعْمَى الْعَجُوزُ ، وَالْمَشْلُولُ مَشَى ، وَأَمَامَ الْأَنْظَارِ الَّتِي
سَفَحَتْ دُمُوعًا غَزِيرَةً ، وَبَدَتْ وُجُوهُهَا مَبْهُوتَةً ، انْفَجَرَتْ شَجَرَةُ
لَوْزٍ بِالْإِزْهَارِ .

وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ نَفِسِهَا ، أَصْبَحَ نَوْمُهُمْ عُشَّ سُنُونُ مُقَامًا تَحْتَ قَوْسِ جَرَسِ
كَنِيسَةٍ .

[19]

كَمْ هِيَ زَاعِقَةُ الطُّيُورُ ، حِينَ تَتَحَدَّثُ فِي نَوْمِهَا .
إِنَّهَا مِثْلَ أَطْفَالٍ يَكُونُ طَوَالَ اللَّيْلِ بِهَدْيَانِ أُغْنِيَاتِهِمْ كَأَنَّهُمْ يُرَدَّدُونَهَا مِنْ
أَجْلِ امْتِحَانِ مَا .

لَا نَسْتَطِيعُ النَّوْمَ ، نَسْمَعُ أُغْنِيَاتِنَا كَتَحْلٍ يَئِزُّ حَوْلَ بَابُونِجِ النُّجُومِ وَحَوْلَ
قُلُوبِنَا .

يَقُولُ الْكِبَارُ إِنَّا كَسَالَى .

لَكِنَّنَا نَعْرِفُ الْعَمَلَ - نَظَلْ يَقِظِينَ إِلَى أَنْ يَغْمُرَ الْفَجْرُ الْحَقْلَ الْأَرْزَقَ
الشَّاسِعَ فَيَكُونُ عَلَيْنَا أَلَا تَفُوتَنَا حَدِيقَةُ الشَّمْسِ أَعْلَى حَدَائِقِ
النَّاسِ .

وَحَتَّى لَوْ وَصَفُونَا بِالْكَسَلِ ، فَنَحْنُ نَعْرِفُ مَا التَّعَبُ ، نَعْرِفُ مَاذَا يَكُونُ

حَرَثُ الْحَقْلِ الْأَعْظَمُ ، مِنَ الْبَدْءِ ، ذَلِكَ الَّذِي يَكْتُسِي كُلَّ يَوْمٍ
بِالْفُرَّاصِ .

نَعْرِفُ كَمْ يُمْكِنُ أَنْ تُصْبِحَ الْأَيْدِي الْدَّهْنِيَّةُ الصَّغِيرَةُ لِأَشِعَّةِ الشَّمْسِ
بِالِّغَةُ الْوَهْنُ ، وَهِيَ تَبْنِي هَذِهِ الْمُدْنَ الْبَهِيجَةَ لِلزُّهُورِ ، يُشْرَقُ عَلَيْهَا
مَفْتُوحَةٌ مِنْ وُرُودٍ ، يَأْبَرَاجُ أَجْرَائِينَ شَاهِقَةٍ مِنْ زَنَابِقِ
وَلَا يَرَى آخَرُونَ سَوَى أَشِعَّةِ الشَّمْسِ وَالزُّهُورِ .
لَا يَدْرُونَ بِنَمَطِ تَعْبِينَا ، وَلَا دُمُوعِنَا .



سُونَاتَا ضَوءِ القَمَرِ

(1956)



(ليلة ربيعية. غُرفة كبيرة في بيت قديم. امرأة في وسط العمر، ترتدي الأسود، تتحدث إلى شاب. لم يُشعلَّ أي ضوء. من خلال النافذتين، يدخل ضوء قاس. لم أهيل ذكر أن المرأة ذات الرداء الأسود قد أصدرت عَمَلين أو ثلاثة أعمالٍ لافتةٍ من الشعر ذي الطبيعة الدينية. حسناً، فالمرأة ذات الرداء الأسود تتحدث إلى الشاب):

فَلَأَذْهَبْ مَعَكَ. يَا لَهُ الْلَّيْلَةَ مِنْ قَمَرٍ!
فَالقَمَرُ مُفِيدٌ لِي - وَلَا تَسْتَطِعُ أَنْ تَقُولَ
إِنَّ شَعْرِي قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى الْأَبْيَضِ . فَالقَمَرُ
سَيَجْعَلُ شَعْرِي ذَهَبًا مِنْ جَدِيدٍ . وَلَنْ يُمْكِنْكَ أَنْ تَعْرِفَ الْفَرْقَ .
فَلَأَذْهَبْ مَعَكَ.

جِينَ يَكُونُ هُنَاكَ قَمَرٌ، تُصْبِحُ الظِّلَالُ فِي الْمَنْزِلِ أَكْبَرَ،
وَأَيْدِي لَا مَرِئَيَّةٌ تَشُدُّ السَّتَّائِرَ،

وأصابع شبحية تكتب كلمات منسية في الغبار
على البياض - لا أريد أن أسمعها. فلتبقى ساكنة.
فلاذهب معك

لمسافة قصيرة إلى هناك، حتى الخاطط الحقير لمصنع القرميد،
حيث ينحني الطريق ويسكنك أن ترى
الندينة الأسمانية لكن ذات الهواء الطلق، وهي مطلية بضوء القمر،
لامبالية ولا مادية،
يقيمية كالميافيزيات،
إلى حد أنك يمكن - في النهاية - أن تصدق أنك موجود وغير موجود،
أنك لم توجد قط، وأن لا الزمان ولا تخريبه قد وجد أبداً.
فلاذهب معك.

ستجلس برهة على الجدار المنخفض، هناك في ذلك المرتفع،
وعندما تهب علينا ريح الربيع
يمكننا أن نتخيل حتى إننا سنطير
لأنني، في مرات كثيرة، حتى الآن، أسمع حفيظ توبي
كرفرقة جناحين قويين يضربان الهواء،
وعندما تستغرق في صوت الطيران هذا
تشعر أن حلقك، وضلعك، وجسدك قد أصبحوا راسخين؛
وبذلك - وانت محسور بياحكام في عضلات الهواء الأزرق،

في الأعصابِ القويةِ لتلكِ الأعلى-
 لا يَهُمْ مَا إِذَا كُنْتَ تَمْضِي أَمْ تَعُودُ،
 وَلَا يَهُمْ إِذَا مَا تَحْوَلَ شَعْرِي إِلَى الأَيْضِ
 (لَيْسَ ذَلِكَ مَصْدَرَ أَسْفِي، فَأَسْفِي
 أَنَّ قَلْبِي، أَيْضًا، لَمْ يَتَحَوَّلْ إِلَى الأَيْضِ).
 فَلَا ذَهَبَ مَعَكَ.

أَعْرِفُ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَمْضِي وَحْدَهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْحَبِّ،
 وَحْدَهُ إِلَى الْمَجْدِ وَإِلَى الْمَوْتِ.
 أَعْرِفُ هَذَا. وَجَرَبْتُ ذَلِكَ. لَا جَدْوَى.
 فَلَا ذَهَبَ مَعَكَ.

هَذَا الْمَنْزِلُ أَصْبَحَ مَسْكُونًا بِالْأَشْبَابِ، يَتَرَدُّدُ عَلَيْهِ.
 أَعْنِي أَنَّهُ أَصْبَحَ عَيْنِيَا، مَسَامِيرُهُ تَسَاقَطُ،
 وَأَطْارَاتُ صُورِهِ تَتَدَاعَى بِسُهُولَةٍ كَأَنَّهَا تَغُوصُ فِي الْفَرَاغِ،
 وَالْجَهْنُمُ يَسَاقَطُ بِلَا صَوْتٍ
 كَسُقُوطِ قُبَّةِ رَجُلٍ مَيِّتٍ مِنْ مِشَجِبِهَا فِي مَرْمَمُظِلِّمٍ،
 كَسُقُوطِ الْقُفَّارِ الصُّوفِيِّ الْمُهَرَّبِ عَنْ رُكْبَتِيِّ الصَّمَتِ
 أَوْ قُصَاصَةِ ضَوءِ الْقَمَرِ عَلَى الْمِقْعَدِ الْقَدِيمِ، الْمَبْقُورِ.
 وَحَتَّى لَوْ كَانَتْ جَدِيدَةً ذَاتَ يَوْمٍ - لَا، لَيْسَتِ الصُّورَ الْفُوْتُوغرَافِيَّةُ الَّتِي

تَنْظُرُ إِلَيْهَا بِارْتِيَابٍ -

إِنِّي أَجَدَّثُ عَنِ الْمِقَعِدِ، الْمُرِيجُ لِلْغَایَةِ، حَيْثُ يُمْكِنُكَ الْجُلُوسُ لِسَاعَاتٍ

بِلَا اِنْقِطَاعٍ

وَيَعْيَيْنِ مُغَمَضَتَيْنِ تَحْلُمُ بِأَيِّ شَيْءٍ عَشَوَائِي

- بِشَوَاطِئِ رَمْلِيَّةٍ، نَاعِمَّةٍ، مَبْلُولَةٍ، لَامِعَةٍ بِفَعْلِ الْقَمَرِ،

بَلْ أَكْثَرَ لَمَعَانِي بِكَثِيرٍ مِنِ الْحِذَاءِ الْجِلْدِيِّ الْقَدِيمِ الْمَصْوُنِ الَّذِي أُرْسَلَهُ كُلُّ

شَهْرٍ إِلَى كُشْكِ الْأَحْذِيَّةِ،

أَوْ شَرَاعٌ قَارِبُ الصَّدِيدِ الَّذِي يَتَلَأَّشِي فِي الْبَعْدِ، مُتَأْرِجِحًا مَعَ زَفِيرِهِ،

شَرَاعٌ مُثَلَّثٌ مِثْلَ مِنْدِيلِ مَطْوِيَّ مِنْ قُطْرِهِ إِلَى اثْنَيْنِ فَحَسْبٍ

كَأَنْ لَا شَيْءَ هُنَاكَ كَيْ يُغَطِّيَهُ أَوْ يُخْبِتُهُ،

أَوْ لِيُرَفِّفَ عَلَى اسْسَاعِهِ فِي وَدَاعٍ. كُنْتُ دَائِمًا مَجْنُونَةً بِالْمَنَادِيلِ -

لَا لَأُحْتِفِظَ بِأَيِّ شَيْءٍ دَاخِلَهَا وَهِيَ مَعْقُودَةٌ،

كَبُدُورِ الرُّهُورِ أَوْ الْبَابُونِجِ الْمَجْنِيَّةِ مِنْ الْحُقُولِ فِي الْغُرُوبِ،

لَا لِأُعِقِّدُهَا مِنْ أَرْكَانِهَا الْأَرْبَعَةِ مِثْلَ الْمَنَادِيلِ الْمُهَرِّبَةِ لِعُمَالِ الْمَنِزِلِ

الْمُقَابِلِ نِصْفِ النَّبْنِيِّ،

أَوْ لِأُجْفَفَ بِهَا عَيْنِيَّ - لَقَدْ اعْتَنَيْتُ جَيِّدًا بِعَيْنِيَّ،

وَلَمْ أُرَئِدْ أَبَدًا نَظَارَاتٍ. مُجَرَّدُ نَزْوَةٍ، تِلْكَ الْمَنَادِيلِ.

أَطْوِيْهَا الآنَ إِلَى أَرْبَعِ، إِلَى ثَمَانِيِّ، إِلَى سِتَّ عَشَرَةَ
بِبَسَاطَةٍ كَيْ تَظَلَّ أَصَابِعِي مَشْغُولَةٍ. وَالآنَ أَذْكُرُ

كيف أنني ظللت أدق الموسيقى فيما كنت أحضر معهد الموسيقى
في زيارة أزرق بياقة بيضاء، مع ضفيريَّتين شقراوين

- 64، 32، 16، 8 -

مشيشة بيد شجرة خوخ صديقة لي، كلها زهور ذات لون وردي فاتح،
(اغير لي أفالى هذه- إنها عادة سينية)- 64، 32، 16، 8 - وعلق أهلي
آمالاً كبرى على موهبتي الموسيقية. حسناً، كنت أحكي لك عن المقعد-
المترفع الأحشاء- ياباته الصدئة ظاهرة، والخشوع-

كنت أفكُّر في أخذِه إلى نجاري المُوبيليا المُجاور،
لَكِنَّ أينَ الوقْتُ أو المَالُ أو المِزاج- أَيُّهُمْ لَهُ الْأُولَى؟-
فَكُرُّت في إلقاء قطعة قماش فوقه- لِكِنِّي كُنْتُ خائفة
مِنْ قطعة قماش بيضاء في ضوء قمرٍ مثلَ هَذَا.

هُنَا جَلَسَ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ حَلَمُوا أَحَلَاماً عَظِيمَةً، مِثْلَكَ أو مِثْلِي،
وَالآن يَتَمَدَّدُونَ تَحْتَ التُّرَابِ حَيْثُ لَا يُرْعِجُهُمْ مَظْرُولَاً قَمَرٌ.
فَلَأَذْهَبَ مَعَكَ.

سَنَتَوَقَّفُ بُرْهَةً عَلَى قَمَةِ السُّلَّمِ الرُّخَاميِّ لِسانِ نِيكُولاوس
وَيَعْدَ ذَلِكَ سَوْفَ تَمْضِي نَازِلاً وَسَوْفَ أَغُودُ،
مُتَذَكِّرَةً عَلَى جَنِيِّ الْأَيْسَرِ دِفَاءً مِعْطِفِكَ وَهُوَ يَلْمَسُنِي مُصَادَقَةً،
وَحَتَّى بَعْضُ الْأَصْوَاءِ الْمُرْتَعِشَةِ الْمُرَبَّعةِ لِتَوَافِدَ صَغِيرَةً فِي الْأَحْيَاءِ الْفَقِيرَةِ،
وَهَذَا الضَّبَابُ الْأَبْيَضُ النَّاصِعُ مِنَ الْقَمَرِ مِثْلَ سِرْبٍ طَوِيلٍ مَنْ أُوْزَ فَضَّيَ-

لَا أَخْشَى اسْتِخْدَامَ مِثْلَ هَذَا التَّعْبِيرِ
لَأَنِّي فِي لَيَالِي رَبِيعِيَّةِ كَثِيرَةٍ، فِيمَا مَضَى، تَحَادَّتْ مَعَ الرَّبِّ عِنْدَمَا تَجَلَّ لِي
مُكْتَسِيًّا بِغُمُوضٍ وَمَجِيدٍ ضَوْءٍ قَمَرٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛
وَكُمْ مِنْ شُبَانٍ، أَكْثَرَ وَسَامَةً مِنْكَ، قَدَّمُتُهُمْ قُرَبَانًا لَهُ
هَكَذَا، نَاصِعَةً وَمُسْتَعِصِيَّةً، تَحَوَّلُتْ إِلَى سَدِيمٍ فِي وَهْجِيِّ الْأَبَيَضِ، فِي بَيَاضِ
الْقَمَرِ،

تُوَجَّحُونِي عُيُونُ الرِّجَالِ الشَّرِهَةِ، وَنَشَوَةُ الشُّبَانِ الْخَائِرَةِ،
مُسَيَّجَةً بِأَجْسَادِ فَاتِنَةٍ، لَفَحَتْهَا الشَّمْسُ،
وَأَعْضَاءَ فَتِيَّةٍ تَمَرَّسَتْ فِي السَّبَاحَةِ وَالْتَّجَذِيفِ وَالسَّبَاقِ وَالْكُرْكَةِ (رَغْمَ أَنِّي
تَظَاهَرْتُ بِعَدَمِ الْمُلَاحَظَةِ)

حَوَّاجِبَ، وَشَفَاهَ، وَأَعْنَاقَ، رُكَبٍ، وَأَصَابِعَ، وَعُيُونَ،
صُدُورٍ وَسَوَاعِدَ وَأَفْخَادَ (فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ أُلْحَظُهَا)
- تَدَرِّي أَنَّكَ، فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، عِنْدَ الْافْتَنَانِ، تَنْسَى مَا يَقْتُنُكَ، فَاقْتَنَاكَ
يَكْفِي -

يَا إِلَهِي الْعَزِيزِ، يَا لَهَا مِنْ عُيُونٍ لَامِعَةٌ كَالثُّجُومِ، وَقَدْ سَمَوْتُ إِلَى مَثْلِ أَعْلَى
لِلنَّجُومِ الْمُحَرَّمَةِ
لَأَنِّي، مَحَاصرَةً هَكَذَا مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ،
مَا كَانَ أَمَانِي سَبِيلٌ سَوَى الْأَعَالِيِّ أَوِ الْقَاعِ.- لَا، ذَلِكَ لَا يَكْفِي.
فَلَأَذْهَبَ مَعَكَ.

أَعْرِفُ أَنَّ الْوَقْتَ ثَأْخَرَ لِلْغَایَةِ الْآنِ. فَلَأَذْهَبَ،

لَأَنِّي طَوَالَ سَنَوَاتٍ كَثِيرَةً وَأَيَّامَ وَلَيَالِيْ وَأَقْمَارٍ قُرْمُزِيَّةً، ظَلَّلْتُ وَحِيدَةً،
 صَامِدَةً، وَحِيدَةً وَظَاهِرَةً،
 حَتَّىْ فِي سَرِيرِ زِفَافِي، وَحِيدَةً وَظَاهِرَةً،
 أَكْتُبُ قَصَائِدَ مَحِيدَةً عَلَىْ رُكْبَتِيِّ الرَّبِّ،
 قَصَائِدَ سَوْفَ تَبَقَّىْ، أُوْكِدُ لَكَ، كَأَنَّهَا مَنْقُوشَةٌ عَلَىْ رُخَامِ نَقِيِّ
 فِيمَا بَعْدَ حَيَاتِكَ أَوْ حَيَاتِي، أَبْعَدَ بِكَثِيرٍ. ذَلِكَ لَا يَكْفِيْ.
 فَلَأَذْهَبَ مَعَكَ.

لَا أُسْتَطِيعُ احْتِمَالَ هَذَا الْمَنْزِلِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.
 لَا أُسْتَطِيعُ احْتِمَالَ مَوَاصِلَةٍ حَمْلِهِ عَلَىْ ظَهْرِيِّ.
 لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مُنْتَبِهَا دَائِمًا، مُنْتَبِهَا لِلْغَایَةِ
 لِتَسْنِدَ الْخَائِظَ بِالْبُوْفِيهِ الْكَبِيرِ
 لِتَسْنِدَ الْبُوْفِيهِ بِالْمَائِدَةِ الْعَيْنِيَّةِ الْمُزَخَّرَةِ
 لِتَسْنِدَ الْمَائِدَةَ بِالْكَرَاسِيِّ
 لِتَسْنِدَ الْكَرَاسِيِّ بِيَدِيْكِ
 لِتَضَعَ كَتِفَكَ تَحْتَ الدُّعَامَاتِ الْمُتَدَلِّيَّةِ.
 وَالْبِيَانُوِيُّسِيِّ كَفَنَا أَسْوَدَ مُغْلَقًا. لَا تَجْرُؤُ عَلَىْ فَتْحِهِ.
 لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مُنْتَبِهَا دَائِمًا، مُنْتَبِهَا لِلْغَایَةِ، خَشِيَّةً سُقُوطِهِمْ، خَشِيَّةً
 سُقُوطِكَ. لَا أُحْتَمِلُ.
 فَلَأَذْهَبَ مَعَكَ.

هَذَا الْمَنْزِلُ، رَغْمَ كُلِّ مَوْتَاهُ، لَا يَنْوِي أَنْ يَمُوتُ.
 إِنَّهُ مُصْرِّ عَلَى الْحَيَاةِ مَعَ مَوْتَاهُ
 عَلَى الْحَيَاةِ بَعِيدًا عَنْ مَوْتَاهُ
 عَلَى الْحَيَاةِ عَلَى الْيَقِينِ فِي مَوْتِهِ هُوَ
 بَلْ حَتَّى عَلَى إِيَّاهُ مَوْتَاهُ فِي أُسْرَةٍ وَرُفُوفٍ خَرِبَةٍ.
 فَلَا ذَهَبَ مَعَكُ.

هُنَّا لَا يُهُمْ مَدَى الْهُدُوءِ فِي سَيِّرِي خِلَالَ غَيْبَشِ الْمَسَاءِ،
 سَوَاءً فِي خُفْيٍ أَوْ حَافِيَةٍ،
 فَسَوْفَ يَصِرُّ شَيْءٌ أَوْ آخَرُ - يُقْرِعُ إِطَارُ نَافِذَةٍ، أَوْ مِرَاةً،
 يُسْمَعُ وَقْعُ خَطْيٍ مَا - لَيْسَتْ خُطَّايِ.
 فِي الشَّارِعِ بِالْخَارِجِ يُمْكِنُ أَلَا تُسْمَعَ هَذِهِ الْخُطَّى -
 فَالنَّدَمُ، كَمَا يَقُولُونَ، يَرْتَدِي قَبَاقِيبَ حَشَبِيَّةَ -
 وَإِذَا مَا حَاوَلْتَ النَّظَرَ فِي هَذِهِ الْمِرَاةِ أَوْ تِلْكَ،
 فِيمَا وَرَاءِ الْغُبَارِ وَالشَّرُوخِ،
 فَسَوْفَ تَتَبَيَّنُ وَجْهَكَ أَكْثَرَ إِعْتَامًا وَتَشَظِّيًّا،
 وَجْهَكَ، رَغْمَ أَنَّكَ لَمْ تُرِدْ مِنِ الْحَيَاةِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ ثَبِيقِهِ وَاضْحَى وَمُكْتَمِلًا.

حَافَّةُ كُوبِ الْمَاءِ تَلْتَمِعُ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ

كُموسي دائري - كَيْفَ يُمْكِنُنِي أَنْ أَضْعَهُ عَلَى شَفَقِي؟
 لَا يُهُمْ مَدَى مَا أَشْعُرُ بِهِ مِنْ عَطْشٍ، كَيْفَ يُمْكِنُنِي؟ هَلْ تَرَى؟
 لَا أَزَالُ فِي الْمِزَاجِ الْاسْتِعَارِيِّ - ذَلِكَ مَا يَبْقَى لِي،
 ذَلِكَ مَا يُؤْكِدُ لِي أُثْنَيْ لَا أَزَالُ هُنَا.
 فَدَعْنِي أَذْهَبُ مَعَكَ.

في بعض الأحيان، عندما يحفل الليل، يتملّكُني الإحساس
 بِأَنَّ مُدَرِّبَ الدَّبَّابَةِ يَمْرُّ خَارِجَ النَّافِذَةِ مَعَ دُبُّيهِ العَجُوزِ التَّاسِعَةِ،
 وَفِرَاوْهَا مُغَطَّى بِالشَّوْكِ وَالزَّعْرُورِ،
 مُشِيرَةً سَحَابَةً مِنَ التُّرَابِ فِي الشَّارِعِ الْمُجاوِرِ،
 سَحَابَةً تُرَابٌ كَثِيرٌ تَصَاعِدُ كَالْبَخْرُورِ فِي الشَّقَقِ؛
 وَالْأَطْفَالُ عَادُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ لِلْعَشَاءِ دُونَ أَنْ يُسْمَحَ لَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ جَدِيدٍ،
 رَغْمَ أَنَّهُمْ يَهْجِسُونَ خَلْفَ جُدُرِهِمْ بِالْخَطْنِي التَّقِيلَةِ لِلْدَّبَّابَةِ العَجُوزِ،
 وَالْدَّبَّابَةُ تَتَقَدَّمُ بِتَعَبٍ فِي حِكْمَةٍ وَحْدَتِهَا، لَا تَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَوْلَادَاهَا -
 لَا تَرَى أَنَّهَا أَصْبَحَتْ ثَقِيلَةً، لَمْ تَعُدْ تَسْتَطِعْ الرَّاقِصَ عَلَى قَدَمِيهَا الْخَلْفَيَّتَيْنِ،
 لَا تَسْتَطِعُ أَنْ تَرْتَدِي قُبَّعَتَهَا الْمُزَيْنَةَ لِتُسْلِي الْأَطْفَالَ، وَالْعَاطِلِينَ، أَوْ هُؤُلَاءِ
 الَّذِينَ يَطْلُبُونَ مِنْهَا،
 لَا تَرَى أَنَّهَا لَا تُرِيدُ سَوَى أَنْ تَسْتَلِقِي عَلَى الْأَرْضِ،
 وَتَتَرُكُهُمْ يَقْفِرُونَ عَلَى بَطْنِهَا، لِتَلْعَبَ بِذَلِكَ لُعْبَتَهَا الْأُخِيرَةِ،
 وَرَفَضَهَا مَصَالِحَ الْآخَرِينَ، وَالْأَجْرَاسَ فِي مِنْخَارِهَا، وَاحْتِيَاجَاتِ أَسْنَانِهَا،

رَفْضَهَا لِلَّمَّا زَالَتِ الْحَيَاةُ

مَعَ اقْتِرَانِ أَكِيدِ الْمَوْتِ - حَتَّى لَوْ كَانَ مَوْتًا بَطِيشًا -
رَفْضَهَا الْأَسْمَى الْمَوْتُ مَعَ اسْتِمْرَارِ وَمَعْرِفَةِ الْحَيَاةِ
الَّذِي يَتَضَاعِدُ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْفِعْلِ فَوْقَ عُبُودِيَّتِهَا.

لَكِنَّ مَنْ يَسْتَطِعُ أَنْ يَمْضِي فِي هَذِهِ الْلُّعْبَةِ إِلَى نِهَايَتِهَا؟

وَالْدُّبَّةُ تَنْهَضُ مِنْ جَدِيدٍ وَتَتَهَادَى،
مُطِيعَةً لِسُوْطِهَا، لِأَجْرَاسِهَا، لِأَسْنَانِهَا،

مُبْتَسِمَةً بِشَفَقَتِهَا الدَّامِيَّتَيْنِ لِلْمَلَالِيْمِ وَالْقُرُوشِ الَّتِي يَرْمِيْهَا إِلَيْهَا الْأَطْفَالُ
الْجَمِيلُونَ الْوَاثِقُونَ

(جَمِيلُونَ لِأَنَّهُمْ بِالْتَّحْدِيدِ وَأَثْقَوْنَ)

وَهِيَ تَقُولُ: شُكْرًا. لِأَنَّ الشَّيْءَ الْوَحِيدَ
الَّذِي تَعْلَمَتِ الدَّبَّةُ الَّتِي شَاحَتْ أَنْ تَقُولَهُ هُوَ: شُكْرًا، شُكْرًا.
فَلَأَذْهَبَ مَعَكُ.

هَذَا الْمَنْزِلُ يَخْيِّنِي. الْمَطَبُخُ بِالدَّازِّ

يُشِيهُ قَاعَ الْبَحْرِ. غَلَائِيَّاتِ الشَّايِ الْمُعْلَقَةُ تَلَامِعُ

مِثْلَ الْعُيُونِ الْكَبِيرَةِ الْمُسْتَدِيرَةِ لِسَمَكَةِ حُرَافِيَّةِ،

وَالْأَطْبَاقُ تَتَحَرَّكُ فِي كَسْلٍ مِثْلَ قَنَادِيلِ الْبَحْرِ،

وَالْقَوَاقِعُ وَالْطَّحَالِبُ تَعْلُقُ بِشَعْرِيِّ - لَا يُمْكِنِي اِنْتِزَاعُهَا فِيمَا بَعْدِ،

لا أستطيع الصعود إلى السطح من جديد،
 سقط الصينية من أصبعي بلا صوت- أنها
 وأقرب الفقاقير تتضاعف من تنفسني وتضاعف
 وأحاول تسلية نفسي بمرأبيها،
 وأسائل نفسي عما يمكن أن يقوله شخص في الأعلى إذا ما رأى هذو
 الفقاقير-
 أن شخصاً ما يغرق، ربما، أم أن غواصاً يستكشف أعمق البحر؟

والحقيقة أنني اكتشفت في أعمق البحر، مراتٍ ليست كثيرة،
 لولوا ومرجاناً وكنوز السفن الغارقة،
 لقاءات غير مُنتظرة، وأشياء اليوم والأمس والمستقبل،
 تتحقق في الغالب- من الأبدية،
 سحراً ما ينشر عبيرة، وسمة ما للخلود، كما يقولون،
 سعادة، سكراء- حماسة حتى،
 لولوا ومرجاناً وياقوتا-
 فقط، لا أدرى كيف أمنهم- ومع ذلك أمنهم-
 فقط، لا أدرى ما إذا كانوا قادرين على تلقيهم- ورغم ذلك أمنهم.
 فلأذهب معك.

لحظةً واحدةً إلى أن آتي بستري.

في هَذَا الْمَنَاجِ غَيْرِ الْمُسْتَقِرِ، عَلَى أُوْتَةِ حَالٍ، يَنْبَغِي أَنْ تَنْتَهِي لِأَنْفُسِنَا.
الْمَسَاءَاتُ مُقْبِضَةُ، وَالْقَمَرُ -

أَلَا تَعْتَقِدُ، يُصِدِّقُ، أَنَّهُ يُعْكِثُ الْقُشْعَرِيرَةَ؟

دَعْنِي أَزَرِرُ قَمِيصَكَ - كَمْ أَنَّ صَدَرَكَ قَوِيًّا ! -

يَا لَهُ مِنْ قَمَرٍ قَوِيٍّ.. الْمِقْعَدُ، أَقُولُ.. وَعِنْدَمَا رَفَعَتِ الْكُوبَ عَنِ الْمَائِدَةِ

تَبَقَّتْ تَحْتَهُ فَجَوَّهُ صَمَتْ، وَأَغْطَلَهَا بِيَدِي

حَتَّى لَا أُحَدِّقَ دَاخِلَهَا - أُعِيدُ الْكُوبَ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنْ جَدِيدٍ،

وَالْقَمَرُ فَجَوَّهُ فِي جُمْجَمَةِ الْعَالَمِ - لَا تَنْنُرُ فِيهَا،

فَفِيهَا قُوَّةٌ مِنْ نَاطِيْسِيَّةٌ تَجَذِّبُكَ - لَا تَنْنُرُ، لَا تَدْعُ أَحَدًا يَنْنُرُ،

أَنْصَتْ لِمَا أَقُولُ - لَسَوْفَ تَسْقُطُ فِيهَا. هَذَا الدُّوَارُ

جَمِيلٌ وَبِلَا ثِقْلٍ - لَسَوْفَ تَسْقُطُ -

وَالْقَمَرُ يَثْرُ مِنْ رُخَامَ،

ظِلَالُ وَأَجْنِحَةُ صَامِتَةٌ تَتَحرَّكُ، أَصْوَاتُ غَامِضَةٍ - أَلَا تَسْتَعْهَا؟

عَمِيقٌ، عَمِيقٌ هُوَ السُّقُوطُ،

عَمِيقٌ، عَمِيقٌ هُوَ التُّهُوضُ،

الثَّمَالُ الْأَثِيرِيُّ مُقَطَّبٌ فِي صَرَامَةٍ وَسَطَ جَنَاحِيَّهِ الْمَنْشُورِيَّنِ،

عَمِيقَةٌ، عَمِيقَةٌ هِيَ هِبَةُ الصَّمَتِ الرَّاسِخَةِ،

إِصَاءَاتُ مُرْجِفَةٌ عَلَى الشَّاطِئِ الْآخِرِ كَأَنَّكَ تَتَأْرِجُ فِي مَوْجَتَكَ الْخَاصَّةِ،

تَنَفُّسُ الْمُحِيطِ. هَذَا الدُّوَارُ

جَمِيلٌ وَبِلَا ثِقْلٍ - انْتِهِ، سَتَسْقُطُ. لَا تَنْنُرُ إِلَيْ،

لأنَّ دَوْرِي أَنْ أَتَرَّحَ - الدُّوَارُ الرَّائِعُ. هَكَذَا كُلَّ يَوْمٍ حَوَالَى الْمَسَاءِ
يُوَاتِينِي صُدَاعٌ طَفِيفٌ، يُضْعُفُ رُقْيَ سِحْرِيَّةً مُدَوَّخَةً.

كَثِيرًا مَا أَهْرَعْتُ إِلَى الصَّيْدَلِيَّةِ عَبَرَ الشَّارِعَ مِنْ أَجْلِ أَسْبِرِينِ،
وَأَحِيَاً مَا لَا أُسْتَطِعُ تَكِيدَ نَفْسِي مَشَقَّةَ الدَّهَابِ، وَأَبْقَى مَعَ صُدَاعِي
وَأَنْصَتُ إِلَى الضَّوْضَاءِ الْمَكْتُومَةِ الَّتِي تَصْنَعُهَا مَوَاسِيرُ الْمِيَاهِ فِي الْجُدُرَانِ،
أَوْ أَصْنَعُ بَعْضَ الْقَهْوَةِ، وَأَنْسَى - وَأَنَا غَائِبُ الدَّهْنِ كَمَا دَائِيَا -
فَأَصْنَعُ كِمَيَّةً تَكْفِي اثْتَنِينَ - فَمَنِ الَّذِي سَيَشْرُبُ الْكُوبَ الثَّانِي؟
إِنَّهُ حَقَّا شَيْءٌ مُسْلِ - أَتُرُكُهَا تَبَرُّدُ عَلَى عَتَبَةِ النَّافِذَةِ
أَوْ أَحِيَاً مَا أَشْرَبُ الْكُوبَ الثَّانِي أَيْضًا، مُحْمِلَّةً مِنْ تَافِدَتِي فِي الإِضَاعَةِ
الْكَهْرَبَائِيَّةِ الْحَضْرَاءِ لِلصَّيْدَلِيَّةِ،
مِثْلَ الضَّوءِ الْأَخْضَرِ لِقِطَارِ بِلَادِ صَوْتٍ يَأْتِي لِيَرْحَلَ بِي
بِمَنَادِيلِي، وَأَحْذِيَقِي الْمُتَنَافِرَةِ، وَحَقَّبِي السُّودَاءِ، وَقَصَادِيِ،
وَبِلَا حَقَّابَتِ سَفَرَ أَبَدًا - فَمَا الْفَائِدَةُ مِنْهَا؟
فَلَأَذْهَبَ مَعَكَ.

آهُ، هَلْ تَمْضِي؟ تُصْبِحُ عَلَى خَيْرٍ. لَا، لَنْ أُجِيِءُ. تُصْبِحُ عَلَى خَيْرٍ.
سَأُخْرُجُ بِنَفْسِي بَعْدَ بُرْهَةٍ. شُكْرًا لَكَ، لَأَنِّي يَنْبَغِي حَتَّى
أَنْ أَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْمِنْزِلِ الْمَسْكُونِ بِالْأَشْبَاحِ.
لَا بَدَّ أَنْ أُقْبَلَ نَظَرَةً عَلَى الْمَدِينَةِ - لَا، لَا، لَيْسَ الْقَمَرِ -

المَدِينَةُ يَأْيِدِيهَا الْقَاسِيَّةُ، مَدِينَةُ الْأَجْرَاءِ،
 الْمَدِينَةُ الَّتِي تُقْسِمُ عَلَى حُبْرِهَا وَقَبْضَتِهَا،
 الْمَدِينَةُ الَّتِي تَحْمِلُنَا عَلَى ظَهِيرَهَا،
 يَتَفَاهَّاتِنَا، وَرَدَائِلِنَا، وَأَحْقَادِنَا،
 يُطْمُوحَاتِنَا، وَجَهْلِنَا، وَشَيْخُوختِنَا،
 لِأَسْعَ الْخُطُوطِ الْكَبِيرَةِ لِلْمَدِينَةِ
 إِذْلَمْ أَعْدَ أَسْعَ الْخُطُوطِكِ،
 وَلَا خُطْرِي الرَّبِّ، وَلَا حَتَّى خُطَّايِ. تُصْبِحُ عَلَى حَيْرٍ.

(تعتم الحجرة. يبدو أن سحابة لابد أخفت القمر. فجأة، كأنّ
 شخصاً ما فتح الراديو في البار المجاور، تبلغ السمع جملة مألفة
 للغاية. أدرك آنئذ أن هذا المشهد كله كان مصحوحاً بـ"سوناتا ضوء
 القمر"، بالجزء الأول فحسب. لابد أن الشاب يهبط الآن المنحدر
 بابتسامة متهكمة وربما شفوفة على شفتيه المنحوتين، وشعورٌ
 من تحرّر أخيراً. وما إن يصل إلى سان نيكولاوس - قبل أن يهبط
 السلم الرخامي - حتى يضحك، ضحكة عالية مطلقة العنان. ولأن
 تبدو ضحكته نشازاً تحت القمر أبداً. ربما كان الشيء الوحيد
 التأشير فيها أنها ليست نشازاً أبداً. وبعد برهة، سيمهوي الشاب إلى
 الصمت، سيتحول إلى شخص وقور، ويقول: "نشاز عصر". هكذا،
 سيفتح أزرار قميصه من جديد، وهو رصين تماماً مرة أخرى،
 ويوافق طريقه. أما المرأة ذات الرداء الأسود، فلأدرى ما إذا كانت

فَدَغَادَرَتِ الْمَنِزِلَ فِي التَّهَايَةِ، أَمْ لَا. ضَوْءُ الْقَمَرِ يَلْتَسِعُ مِنْ جَدِيدٍ.
وَفِي أَرْكَانِ الْغُرْفَةِ، تَنَبَّسُ الظَّلَالُ وَتَوَتَّرُ تَحْتَ وَطَأَةِ نَدِيمٍ لَا يُحْتَمِلُ،
وَغَيْظُ غَالِبٍ، لَا تَجَاهُ الْحَيَاةِ يُقَدِّرُ مَا هُوَ تَجَاهٌ اعْتِرَافٍ كَانَ بِلَا جَدَوْيٍ
تَمَامًا. هَلْ تَسْمَعُ؟ الرَّادِيوُ يُوَاصِلُ)؛ (مُوسِيقَيْ "سُونَاتَا ضَوْءُ الْقَمَرِ").



تمرينات

(1960 – 1950)

1 - الشَّمَائِيلُ

أَدَارَ المفَاتِحَ فِي الْبَابِ
لِيَدْخُلَ الْمَنْزِلَ، لِيَرْقُدْ.
فَجَاءَ تَذَكَّرَ أَنَّهُ نَسِيَ شَيْئًا مَا.
كَانَ الْوَقْتُ قَدْ تَأْخَرَ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ الْعَوْدَةِ.

هَكَذَا، وَجِيدًا فِي اللَّيلِ،
وَيَدُهُ عَلَى الْمفَاتِحِ،
بَعِيدًا عَنِ الشَّارِعِ، بَعِيدًا عَنْ بَابِهِ،
تَحَوَّلُ الرَّجُلُ كُلُّهُ، وَهُوَ يُوَاجِهُ مَصِيرَهِ،
إِلَى رُخَامِ كَالشَّمَائِيلِ.

مَعَ ذَلِكَ، فَالشَّمَائِيلُ تَبَتَّسِمُ بِلَا مُبَالَاةَ.

1954-1953

2 - انتصارٌ قاتل

وَحِيدَةٌ فِي اللَّيلِ ، نَهَضَتْ بِلَا صَوْتٍ ،
خَائِفَةٌ مِنْ وَقْعِ حُطَاطَاهَا .

هَبَطَتْ إِلَى الْقَبُو لِلتَّحْقِيقِ مِنْ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ
- أَهِيَ بِسَبِّ الْفِتْرَانِ ، أَمِ الْعَنْكُبُوتِ ، أَمِ الرَّزْمَنِ ، أَمِ رَأْسِهَا ؟ -
حَتَّى يُمْكِنَهَا فِي النَّهَايَةِ أَنْ تَنَالَ بَعْضَ النَّوْمِ .

حِينَ هَبَطَتْ ، أَطْفَأَتِ الرَّيْحُ الْمُصَبَّاحِ
وَعَلَى خَدَّيْهَا أَحْسَتْ بِشَعْرِ الصَّمْتِ الْمُنْتَصِبِ .

فِي الصَّبَاجِ التَّالِي عَثَرُوا عَلَيْهَا مُكَوَّمَةً تَحْتَ السَّلَالِيمِ . كَانَتْ تَبَسِّمُ .
لَمْ تُؤْكَدْ أَيَّ شَيْءٍ . لَقَدْ انتَصَرَتْ .

1956-1955

3 - شجاعة أم جهل

قال : "الطيور تمضي عكس الريح
لَا يسبِّبُ الغضبِ أو روحِ المقاومةِ، أو الحيويةِ الزائدةِ .
لَا . بَلْ يُفْعِلُ الغُرُورِ فَحَسْبٌ - حَتَّى لَا تُشَعِّبَ رِيشَهَا" .

كَانَ الْآخَرُونَ مَذْهُولِينَ وَصَامِتِينَ

كَانُوكُمْ يَشْعُرُونَ بِالذَّنْبِ لَأَنَّهُمْ لَمْ يُفَكِّرُوا فِي ذَلِكَ ،
قَلِيقِينَ مِنْ احْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ صَحِيحًا
مُذَنِّبِينَ بِقُدْرَتِهِمْ عَلَى تَصْدِيقِهِ .

أَحْنَوا رُؤُوسَهُمْ ، وَبِصُورَةِ غَيْرِ مَلْحُوظَةِ ، مَشَطُوا شَعَرَهُمْ .
لِحْسَنِ الْحَظَّ أَنَّ الظَّلَامَ قَدْ حَلَّ ، وَلَمْ يَرَ أَحَدٌ إِيمَاءَ الْآخَرِ ،
وَلَا حَتَّى الشَّخْصُ الَّذِي تَكَلَّمُ وَكَانَ يَقْفُ هُنَاكَ
بِأَنَّفِهِ ، مُمَشَّطًا مُتَأْنِفًا . فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ
أَلْصَقَ الْقَمَرُ أَذْنَهِ بِزُجَاجِ النَّافِذَةِ .
كَانَ الصَّمْتُ الْآنَ قَدْ أَصْبَحَ مَحْسُوسًا . وَافْتَرَقُوا .

1960-1950

4 – بعد النّيران

بعد بُزُوغ النَّهار، كَانَ الصَّمْتُ ثَقِيلًا وَسَطَ الْأَطْلَالِ الدَّاخِنَةِ.
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَصَارَعُوا مَعَ النَّيرَانِ طَوَالَ اللَّيْلِ
كَانُوا الآنَ نَائِيْنِ، مُتَعَيْنِ وَهَادِيْنِ فِي اسْتِسْلَامِهِمُ العَذْبِ،
وَالآخَرُونَ يَابِيْسَامَةً انتِصَارِ مُبَهِّمٍ وَبِلَا غَايَةٍ.

وَحْدَهُ كَانَ مُسْتَيْقِظًا. كَانَ، فِي الْحَقِيقَةِ، يَتَحَاسَّى الثَّوْمَ،
دُونَ أَنْ يَدْرِي مَا إِنْ كَانَ الْمُنْتَصِرُ أَمْ الْمَهْزُومُ،
مُخْمَنًا فَحَسْبٍ بِصُورَةٍ مُبَهَّمَةٍ أَنَّهُ رُبَّمَا – رُبَّمَا
كَانَ الْمُنْتَصِرُ الْوَحِيدُ هُوَ: قَرَارُهُ بِأَنْ يَعْرِفَ أَيْهُمَا.

1955-1956

5 - الظالم

ليل . نَظَرَةٌ وَاحِدَةٌ فَحَسِبَ . رَصَاصَةٌ بِلَا صَوْتٍ .
الْغِلَافُ الْمَعْدَنِيُّ لِلْعُزْلَةِ اخْتُرِقَ .
تَهَشَّمَتْ تِلْكَ الْأَسْتِدَارَةَ .
وَالْكِبْرِيَاءُ رَاكِعَةٌ .

لَيْلٌ جَمِيلٌ . جُرْحٍي الْجَمِيلِ - قَالَ .
الْطَّرِيقُ ، السَّمَاءُ ، الشَّجُومُ - مَوْجُودَةٌ
كَيْ تَغُوصَ مِنْ جَدِيدٍ . نَظَرَةٌ وَاحِدَةٌ فَحَسِبَ .

خَارِجُ الْعُزْلَةِ يُهَدِّدُ الْحَظْرُ الْعَظِيمِ
لِلْعُزْلَةِ - حَظْرٌ جَمِيلٌ :
أَنْ تُنَافِسَ ذَلِكَ الشَّخْصُ الْآخَرُ وَالْعَدْلُ إِلَى صَفَّكَ ،
فِيمَا الظُّلْمُ كُلُّهُ أَنْ يَنْتَهِي ذَلِكَ الْعَدْلُ أَيْضًا إِلَى ذَلِكَ الْآخَرَ .

1955-1956

6 - خطيب بروليتاري

حاول أن يتكلم؛ تلعثم.
كرر الأشياء نفسها؛ توقف.
"ذلك كل شيء"، أعلن ووضع يده على المنصة.
يده، الراسخة، بخطوط واضحة،
كانت ملعقة مسطحة. وأمكنا
أن نشق في الكلام الذي لم يقله، وفي يديه.

خارج الغرفة، هبط الضوء في هدير.

1955-1956

7 - تَبَادِلَات

أَخْذُوا الْمَحْرَاكَ إِلَى الْخَفْلِ ،
أَحْضَرُوا الْخَفْلَ إِلَى الْمَنْزِلِ -
تَبَادِلَاتٌ لَأَنِّيَّةٌ شَكَّلَتْ
مَعْنَى الْأَشْيَاءِ .

الْمَرْأَةُ تَبَادَلَتْ مَكَانَهَا مَعَ السُّنُونِ ،
جَلَسَتْ فِي عُشِّ السُّنُونِ عَلَى السَّقْفِ وَغَرَّدَتْ .
وَالسُّنُونُ جَلَسَ إِلَى نَوْلِ الْمَرْأَةِ وَنَسَجَ
نُجُومًا ، وَطُلُوْرًا ، وَزُهُورًا ، وَقَوَارِبَ صَيْدٍ ، وَأَسْمَاكَ .

آهُ لَوْ كُنْتَ تَدْرِي فَحَسْبَ كَمْ هُوَ جَمِيلٌ فَمُكْ
فَسَتَقْبِلُنِي فِي عَيْنِي لَعَلَّيْ لَا أَرَاكَ .

يوليو 1955

8 - جَمَال

عَارِيَةَ - أَخَذَتْ مِنْ دِيلَهَا الْأَحْمَرَ
وَغَطَّتْ عَيْنَيْهَا حَتَّى لَا تُرَى ،
فِي حَالَةِ إِنْ أَجْبَرُهُمُ الْحَوْفُ عَلَى أَلَا يَنْظُرُوا . صَامِيَةٌ وَمُتَعَجِّرَةٌ - وَرَبِّيَّا
حَتَّى خَائِفَةٌ .

خِلَالَ ظَلَامِ عَيْنَيْهَا الْمَغَطَّاتِينَ
لَرِبِّيَّا لَا مَسَتْ حَتَّى أَوْ مَرَجَتْ الضَّوءَ ؛ بَعْدَهَا لَمْ تَسْتَيِّقِظْ .
تَحَتَ كُرْبِي الْحَدِيقَةِ الْخَيْرَانَ ، احْتَفَظَ حِذَاوُهَا
بِالشَّكْلِ الْخَافِي لِقَدَمِيهَا . وَعَلَى عُصْنِ الشَّجَرَةِ ،
إِنْسَابٌ رِدَاوُهَا الْأَبِيَضُ ، كَاشِفًا عُرْيَهَا كُلَّهُ .

كَانَتْ تَأْمُلُ ذَلِكَ بَعْدَ الْمَوْتِ . رَفَرَفَ ضَوءُ الْحَدِيقَةِ -
لَا أَدْرِي كَيْفَ - مِثْلَ سُخْرِيَّةِ ، مِثْلَ إِطْرَاءِ .

1955-1956

٩ - واقعة

ظلَّ الفارسُ في السَّهْل ، شَبَهَ مَخْفِيًّا فِي الْعُشْبِ .
فِي الْلَّيْلِ عَادَ الْحَصَانُ وَحْدَهُ . لَمْ يَصْهُلْ .
أَحْنَى رَأْسَهُ أَمَامَ حَائِطِ الْبَيْتِ وَبَكَى بِدُمُوعٍ كَبِيرَةً .
فِي تِلْكَ الْلَّحْظَةِ جَيَءَ بِالْمَصَابِيحِ إِلَى غُرْفَةِ الظَّعَامِ .

أَدْرَكُوا جَمِيعًا أَنْ قَمَرًا أَصْفَرَ ، ثَلْجِيًّا ، كَانَ يَذُوِي فِي الْحَدِيقَةِ
وَتَوَقَّعُوا صَرَخَةً مُرْعِيَّةً فِي الْأَفْقِ . لَمْ يُسْمَعْ شَيْءٌ .
مُحْبَطِينَ ، اسْتَكْمَلُوا عَشَاءَهُمْ ، وَسَجَائِرَهُمْ ، وَجَرَائِدَهُمْ .
وَالْفَارِسُ دُفِنَ بِكَثِيرٍ مِنِ الرَّسْمِيَّةِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِي
وَخِلَالَ أُسْبُوعٍ مَاتَ الْحَصَانُ .

1956-1955

10 - إلى وجهة مجهولة

جِينَ أَحَسَّ بِيَدِهَا عَلَى كَتِفِهِ ،
عَادَ كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَوْضِعِهِ فِي الشَّمْسِ ،
يَصْمِتُ ، يَنْظَامُ ، يَتَرَتَّبُ مُسْبَقًا .

حَسَنًا ، فَالْمَعْطُوفُ لَا بُدَّ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى التَّرْزِي ؛
فَعَلَيْهِ أَنْ يُحَوِّلَ قُبَّعَتَهُ إِلَى شَكْلِ بِيروقَرَاطِي ،
لِيَكُونَ قَادِرًا عَلَى الْعَمَلِ لِأَكْثَرِ مِنْ ثَمَانِي سَاعَاتٍ
هُنَا وَهُنَاكَ ، فِي الْجَمْرِكِ ، فِي الْبَنْكِ ، فِي مَكْتَبِ مَا .

فِي اللَّيْلِ ، حَفَرَ صَلِيبًا عَلَى مِنْصَدَةِ الْمَقْهَى بِمَطْوَاتِهِ ،
كَأَنَّهُ قَدْ مَاتَ بِالْفِعْلِ ، كَأَنَّ مَنْفَاهُ الْقَدِيمِ
كَانَ مَنْزِلَهُ ، وَبَابَهُ ، وَحَدِيقَتَهُ .

ذِرَاعُهَا الْهَادِيَةُ ، الْمُسْتَقِرَّةُ عَلَى عُنْقِهِ ، ثَقَلُ
لَا غَنِيٌّ عَنْهُ ، مُلَائِمٌ ، بِلَا تَوْجِيهٍ

كَيْوِمِهِ الْأَخِيرُ؛ لَأَنَّ كُلَّ مَوْتٍ - قَالَ -
خَفِيٌّ وَيَلَا جَدَوْيٌ. خَلَعَ قُبَّعَتَهُ
وَحَيَّاهَا بِوَقَاحَةٍ كَأَنَّهَا شَخْصٌ غَرِيبٌ؛ حَقًا، لَقَدْ قَامَ بِالْتَّحِيَّةِ
كَأَنَّمَا كَانَ يُحْيِي مَوْتَهُ. مُنْذُ ذَلِكَ الْحَيْنَ
لَمْ نَعْلَمْ شَيْئًا عَنْهُ - مَا إِنْ كَانَ قَدْ رَحَلَ مَرَّةً أُخْرَى أَمْ غَرِيقٌ.

1956-1955

11 - توضيح ضروري

هُنَاكَ مَقَاطِعٌ مُعَيَّنَةٌ - أَحِيَّانًا قَصَائِدُ كَامِلَةٍ -
لَا أَدْرِي حَتَّى مَعْنَاهَا. وَذَلِكَ الَّذِي لَا أَدْرِي
هُوَ مَا يُفْحِمِنِي. فَأَنْتَ تُحِقُّ فِي أَنْ تَسْأَلَنِي. لَكِنْ لَا تَسْأَلِنِي .
فَأَنَا لَا أَدْرِي، أَقُولُ لَكَ .

فَالْأَضْوَاءُ الْمُتَوَازِيَّةُ تَأْتِي مِنْ الْمَرْكَزِ نَفْسِهِ . وَصَوْتُ الْمَاءِ
الْمَنْسَاقِطِ فِي الشَّتَاءِ مِنْ مَاسُورَةِ صَرْفِ الْمَيَاهِ الزَّائِدَةِ ،
أَوْ صَوْتُ قَطْرَةِ مَاءٍ وَهِيَ تَسْقُطُ
مِنْ زَهْرَةٍ فِي حَدِيقَةِ مَرْوِيَّةٍ
يُبُطِّئُ ، يُبُطِّئُ ، عَلَى مَسَاءِ رَبِيعِي
كَنْجِيبِ طَائِرٍ. لَا أَدْرِي
مَا يَعْنِيهِ هَذَا الصَّوْتُ ؛ وَمَعَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي أَعْتَرِفُ بِهِ .
لَقَدْ أَوْضَحْتُ لَكَ مَا أَعْرِفُ ، أَيْاً مَا كَانَ . وَلَسْتُ مُسْتَخْفِفًا .
لَكِنْ حَقَّ هَذَا أَيْضًا يُضِيفُ إِلَى حَيَوَاتِنَا . وَلِي أَنْ أَلْاحِظَ
حِينَ نَامَتْ ، كَيْفَ شَكَّلَتْ رُكْبَتَاهَا زَاوِيَّةً عَلَى الْمَلَأَةِ -
لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَخَسْبَ مَسَالَةَ حُبٍ . فَهَذِهِ الزَّاوِيَّةُ

كانت ذرّة العذوبة، وشذى
الملاءة والنظافة، والربيع المكمل
لذلك الشيء العصي على التفسير الذي حاولت - مرتّة أخرى عبّينا - أن
أوضحه لك.

1957-1956

12 - نُضُوج

كُنَّا نَعْرِفُهُ حِينَ كَانَ مُهَنَّدًا ، مُتَحَفَّظًا ، رَصِينَا ،
قَوِيًّا وَوَسِيمًا ، عَلَى نَحْوِهَا . قُنَّا بِتَحْيَيْهِ كُلُّنَا
بِصُورَةٍ طَبِيعِيَّةٍ تَمَامًا ، رَبِّيَّا مَعَ ارْتِيَابٍ مَا
فِي الشُّعُورِ الَّا يُطَاقُ الَّذِي تَنَوُّءُ بِهِ
عَيْنَاهُ نِصْفُ الْمَغَضَتَيْنِ . إِلَى أَنْ خَلَعَ كُلُّ مَلَابِسِهِ ،
خِلَالَ غُرُوبِ أَحْمَرٍ فِي مُنْتَصِفِ أَغْسَطْسِ - فِي صَيفِ رَهِيبٍ ، مُشْتَعِلٍ -
وَوَقَفَ هُنَاكَ عَارِيًّا تَمَامًا ، مُحَمَّرًا بِكَامِلِهِ ، مَصْبُوْغًا
بِتِلْكَ الْحُمَرَةِ الدَّاكِنَةِ لِلْعُزَلَةِ وَاللَّانِهَايَيَّةِ ،
عَارِيًّا تَمَامًا ،
كَخَرُوفٍ رَائِعٍ مُعَلِّقٍ بِالْخُطَافِ وَسَطِ السُّوقِ
بِشَرَائِينِهِ الشَّفَاقَةِ ، الْمَكْشُوفَةِ
الَّتِي تَكْشِفُ جَرِيَانَ الدَّمِ وَالرَّبِّ . لَمْ يَسْتَطِعْ شَخْصٌ مَا احْتِمَالَهُ ؛
رَمَاهُ بِقَطْعَةِ خَيْشٍ وَهَرَبَ . بَصَقَ عَلَيْهِ الْعَجَائِزَ .
أَخْرَجَ الرِّجَالُ مُسَدَّسَاتِهِمْ وَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ التَّارِ . رَجَمَهُ الْأَوْلَادُ بِالْأَحْجَارِ .
وَحَدَّهُمُ النِّسَاءُ وَالشَّبَّانُ عَطَّلُوا وُجُوهَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَرَكَعُوا .

13 - طفل قصير النَّظر

كَانَ الْأَوْلَادُ الْآخَرُونَ يَصْخَبُونَ حَوْلَ الْمَلْعَبِ؛ وَأَصْوَاتُهُمْ
تَرْقَعُ أَعْلَى سُقُوفِ الْحَيِّ، وَأَيْضًا "صَفَعَاتٌ" كُرِّتُهُمْ
الشَّيْهَةِ بِعَالَمٍ كُرُوِيٍّ، بِكُلِّ بَهْجَةٍ وَصَفَاقَةٍ.

لَكِنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ مُطَوَّلَ الْوَقْتِ، هُنَاكَ فِي نَافِذَةِ الرَّبِيعِ،
دَاخِلَ مُسْتَطِيلٍ مِنَ الصَّمْتِ الْمَرِيرِ،
إِلَى أَنْ أَغْفَى فِي النَّهَايَةِ عَلَى النَّافِذَةِ وَالْأَصْبَلُ مَا يَزَالُ،
غَافِلًا عَنْ أَصْوَاتِ هَوْلَاءِ مِنْ فِي عُمْرِهِ
وَعَنِ الْمَخَاوِفِ السَّابِقَةِ لَا وَانِهَا لِتَفْوِيقِهِ.

النَّظَارَةُ عَلَى أَنْفِهِ كَانَتْ شَيْهَةً
بِدَرَاجَةٍ صَغِيرَةٍ مُسْتَنِدَةٍ إِلَى شَجَرَةٍ،
بَعِيدًا فِي رِيفِ شَاسِعٍ، غَارِقٍ فِي الضَّوءِ؛
دَرَاجَةٍ لِطِفْلٍ مَاتَ.

1957-1956

صَارِمٌ ، عَنِيدٌ طَوَالْ حَيَاتِهِ كُلُّهَا .
قُرْبَ النَّهَايَا ، أَصْبَحَ يَخَافُ مِنْ صَرَامِتِهِ ،
لِيَرَاهَا لَا كَفَضِيلَةَ بَلْ كَافِتِعَالْ ،
عُقُوبَةَ لِلآخَرِينَ ، وَبِالظَّبْعِ ، لِنَفْسِهِ .

بَعْدَهَا يَتَمَدَّدُ فِي صَمَتِ ، فَأَتِرًا وَصَارِمًا ،
كَخَطَّ نَادِيم . وَتَابُوتُ طَوِيل
يَمْتَدُ عَبْرَ كُرْسِيَّنْ عَادِيَنْ
أَصْبَحَ جِسْرًا ضَيِّقًا فَوْقَ مَخَاوِفِهِ وَشُكُوكِهِ .

1957-1956

15 - تحقق

ذلِكَ الَّذِي كُنَّا نَنَتَظِرُهُ كَتَبِرِيرُ حَيَاتِنَا ،
حَلَّ الْيَوْمُ . لَا أَثْرَ لِرَغْبَةٍ ، أَوْ ذِكْرَى ، أَوْ رُعبٍ
فِي مَرْكَزِ خَلَايَا .

نَحْنُ جَسَدَانِ مُجَوَّفَانِ مَرْمِيَانِ عَلَى شَاطِئِ اللَّيلِ .
فِيمَا بَعْدٍ ، فِيمَا كُنْتَ تَرْتَدِينَ جَوَارِبِكَ ، لَاحَظْتُ
أَنَّ السَّرِيرَ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى حَيَوانٍ مُتَحَجِّرٍ مِمَّا قَبْلَ التَّارِيخِ
فِي وَضْعِ نِكَاحٍ
يَخْطُو بِأَقْدَامِهِ الْأَرْبَعِ الْمَيِّتَةِ عَلَى الْعَدَمِ .

1960-1950

16 - ليلةُ رَجُلٍ وَحِيدٍ

كَمْ هُوَ حَزِينُ الْأَثَاثُ فِي عُرْفَةِ رَجُلٍ وَحِيدٍ .
الْمَائِدَةُ حَيَوَانٌ مُتَجَمِّدٌ مُتَصَلِّبٌ مِنَ الْبَرِدِ ،
وَالْكُرْسِيُّ طَفْلٌ ضَائِعٌ فِي غَابَةٍ مَغْمُورَةٍ بِالْقَلْجَعِ ،
وَالْأَرْيَكَةُ شَجَرَةٌ جَرَادَاءُ أَسْقَطَتْهَا الرِّيَاحُ .

وَمَعَ ذَلِكَ ، فَفِي عُضُونِ بُرْهَةٍ قَصِيرَةٍ ، سَيَتَشَكَّلُ
صَمْتُ شَفِيفٍ هُنَاكَ مِثْلَمَا فِي الدَّلْوِ ذِي الْقَاعِ الزُّجَاجِيِّ لِقَارِبِ صَيْدِ ،
وَأَنَّتَ ، مُنْحَنِيًّا تَمَامًا عَلَى هَذِهِ الْفَجْوَةِ ،
تُحَدَّقُ عَبْرَ الزُّجَاجِ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ
الشَّفَاقَةِ ، الْمَضِيَّةِ ، يُشْقُو قَهَا الْكِرِيسِتَالِ ، دَائِكَّةُ الْخُضْرَةِ ،
يُنَبَّاتِهَا الْبَحْرِيَّةُ الْغَرَائِيَّةُ ، تُحَدَّقُ
طَوِيلًا فِي الْأَسْمَاكِ وَرَدِيَّةِ الْلَّوْنِ ، الْلَّامِبَالِيَّةُ ، الضَّخْمَةُ
يُحَرَّكَاتِهَا النَّبِيلَةُ ، الرَّحْبَةُ ، فَلَا تَدْرِي
مَا إِنْ كَانَتْ مُسْتَلْقِيَّةً فِي مَكْمَنْ ، مُتَتَخِذَةً مَأْوَى ، أَمْ إِنَّهَا تَحْلُمُ ،
لَاَنْ عَيْوَنَهَا مَفْتُوحةٌ عَلَى اسْتَسْاعِهَا إِلَى حَدٍّ أَنْ تَبْدُو مُغْمَضَةً يَإِحْكَامِ .

لَكِنْ ذَلِكَ بِلَا أَهْمَيَةً . أَلَا يَكْفِي رُبَّا
أَنْ حَرَكَتَهَا شَبِيهَةٌ بِالْجَمَالِ وَشَبِيهَةٌ بِالسُّكُونِ ؟

مارس 1957

17 - امرأة قروية

حين أحست أن ساعتها قد دلت ، استدعت ابنيها وأعدت وصيتها ؛
بالعدل قسمت أشجار الزيتون ، وستان الكروم ، وحقل البطيخ ،
والبقرة ، والحمار ،
بعدها دعت زوجة ابنيها الحامل لشجرة الشموع لدفنتها .

من مرتبتها القش ، راقبت العين الأمومية ،
صححت هذا أو ذاك ، شهدت عملها ، حددت الشكل والحجم ،
قدمت لها نصيحة جيدة ، ليعرفوا - كما قالت - شيئاً عن التعبيد .

حين انتهت ذلك ، أيضاً ، أغمضت عينيها ، لكينها منذ ذلك الحين لم
 تستطع أن تموت مع ذلك ،
 فأمرتهم بأن يشعلوا الشموع . في ضوئها الرهيف
 رأت بيديها التحيلتين ، الحافتين ، قويتين كأيدي القدسين ،
 كأشجار جافة سبق أن منحت الكثير من الشمار - يدان حشتنا ،
 شققتهما أشغال البيت والحقل . في تلك اللحظة ،

أَحَبَّتْ يَدِيهَا . ابْتَسَمَتْ ابْتِسَامَةً يُعِيَّدَة
وَغَطَّتْ فِي النَّوْمِ كَفَتَّاهُ فِي الْعِشَرِينِ . احْتَضَنَتْ زَوْجَتَهَا ابْنَيَهَا الْاثْنَتَانِ
بَطْنَيْهِمَا
وَظَلَّتْ تُحَدَّقَانِ فِيهَا يُعُوِّنُهُمَا الشَّابَّةُ الْمَفْغُورَةُ بِلَا دُمُوعَ .

فِيمَا بَعْدَ أَعْدَّتَا الْمَائِدَةَ ، ذَهَبَتَا إِلَى الصَّالَةِ ، وَدَعَغَتَا زَوْجَيْهِمَا إِلَى الْعَشَاءِ .
أَضَاءَتِ الشَّمْوُعُ الْأَرْبَعُ رَغِيفَ الْخَبِزِ الْكَبِيرِ .
وَالآنَ ، سَيَعْرِفُونَ ، بِالْطَّبْعِ ، شَيْئًا عَنِ التَّعْمِيدِ ، أَيْضًا .

1958-1957

18 - هَكُذا دَائِمًا

كُلَّ لَيْلَةَ ، كَانَتِ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا تَتَهَشَّمُ فِي الظَّلَامِ .

لَكِنَّ صَحَّبَ انْهِيَارِهَا يَبْقَى . هَذَا الصَّحَّبُ
يَبْدُو كَأَنَّهُ يُعِيدُ تَرْكِيبَ الْأَشْيَاءِ كُلُّهَا مِنْ جَدِيدٍ .

وَ، فِي الْحَقِيقَةِ ،

فِي الْيَوْمِ التَّالِيِّ ، مَعَ عُدُوبَةِ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، وَسَطَ
الْمَبَانِيِّ الْمَبْيَنِيَّةِ حَدِيثًا ، وَسَطَ الْأَضْوَاءِ

الَّتِي تَعْكِسُ الْمَيَادِينَ الْعَامَّةَ الْبَيْضَاءَ وَالصَّفَرَاءَ السَّاسِعَةَ ، تَقْفُ الْحَيَاةَ
إِذَا زَمِنْ أَشْعَثَ كَامِرَةً تَقْفُ أَمَامَ رَجُلَ ،
مُنْتَظِرَةً فِي صَمَتٍ أَنْ يَتَمَّ تَقْبِيلُهَا وَالْغِنَاءُ لَهَا
وَأَنْ تَلَدَّ بَعْدَهَا وَتُغَنَّى وَحْدَهَا .

يناير- فبراير 1958

19 - تناقضات

ذات ليلة حين بدأ تخموراً إلى حد ما قال بتره صوت طرفة :
"كثيراً ما أمسك بالنجوم في راحتي من أطراف أشعتها
كخيوط آلاف الطائرات الورقية ،
وأنا أحس في كلّ أعصايب بالشد العكسي لـ كل حركاتها ،
وانحرافاتها ، وتؤثر مسافاتها
وت تلك السكينة الكامنة في السطح الأعلى لـ الليل ،
والشكمة الحادة للأوكسيجين ، ونبضات ذيولها ذات الأهداب " .

بذلك توقف ، كأنه يكبح المسألة الأهم .
آنئذ ، بأمانة ، تفحصنا ندوب النجوم أعلى ذراعه العارية ،
علامات غريبة صنعتها ذبذبات مجنونة لإبرة حارقة ،
أشياء من قبيل قوارب ثلاثية المجاذيف ، أرقام ، حوريات بحر ،
وادركتنا أنه سجن لسنوات
وربما كان لا يزال .
لكن ، آه ، لا ،

لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَقُولَ إِنَّا كُنَّا الْقُضَّابَانَ الْمَعْذِنِيَّةَ لِسِجْنِهِ ،
وَلَا إِنَّا تَنَبَّأْنَا بِطَبِيعَةِ حُرَيْتَهِ .

بنابر - فبراير 1958

20 - حصاد الفراغ

أشجارُ دلبٍ فارِعةٌ ، جُذُوعٌ قَوِيَّةٌ للبرُودَةِ .
لَا يَنْتَوِي الظُّلُلُ أَنْ يُخْفِي أَيَّ شَيْءٍ . ضَوءٌ جَرِيءٌ ، ظُلُلٌ جَرِيءٌ -
جُرَاءٌ بِلَا جَدَوَةٍ - لِمَوْاجِهَةِ مَاذَا؟ -
البَسَاطَةُ تَتَنَفَّسُ فِي الْهَوَاءِ .

النَّاسُ يَجْلِسُونَ تَحْتَ الْأَشْجَارِ ،
يَتَعَشَّشُونَ عَلَى مَنَاضِدٍ خَشِيبَةٍ صَغِيرَةٍ ، يَتَحَدَّثُونَ ،
لَا يَتَشَكَّكُونَ فِي الْعَظَمَةِ الَّتِي تَلْفُهُمْ ، الْعَظَمَةُ الَّتِي
تَحْكُمُ إِيمَاءَاتِهِمُ الْبَرِيَّةَ . وَقُرْبَ الْمَسَاءِ
غَنِّيٌّ شَخْصٌ مَا (رُبَّمَا تَخْمُورُ). وَأَشْجَارُ الدَّلْبِ
تَحْرَكَتْ فِي مَوْكِبٍ صَامِيٍّ تَحْوِي الْأَفْقَ .
خَلَّتْ الْمَنِطِقَةُ . وَالنَّادِلُ ، بِمَرِيلِتِهِ الْبَيْضَاءُ ،
ظَاهِرٌ لِلْحَاظَةِ عَنْ بُعْدٍ ، فِي الْغُرُوبِ الْقَرْمُزِيِّ ،
حَامِلًا بِطَرِيقَةٍ كَهْنُوتِيَّةٍ الصَّينِيَّةِ بِأَكْوَابٍ فَارِغَةٍ .

أغسطس - سبتمبر 1958

21 - ظهيرة

انشطرَ حصانٌ أبيضُ نصفينٍ بِفُعلِ الظلِ الأزرقِ لِشجرةِ سروِ.
صَاحَ شَخْصٌ مَا بِصَوْتٍ عَالٍ (مَنْ كَانْ؟)
لَا أَدْرِي - كَانَ يَصِيع - لَا أَدْرِي، فَالْحَيَاةُ قَوِيَّةٌ كُلَّكُمَّةٍ فِي الْبَطْنِ.

رَجُلٌ عَارٍ، بِسِكِّينٍ ذَهَبِيَّةٍ بَيْنَ أَسْنَانِهِ، مَرِ.

وَرَاءَ قُرُونِ التَّغَيَّانِ، نَارٌ، كَشْجَبَرَةُ وَرَدٍّ، تَنْفُثُ الدُّخَانِ.

أغسطس - سبتمبر 1958

22 - أُعْجُوبَة

قَبْلَ الْذَّهَابِ إِلَى الْفِرَاشِ ، وَضَعَ سَاعَتَهُ تَحْتَ وِسَادَتِهِ .
ثُمَّ ذَهَبَ لِلنَّوْمِ . كَانَتِ الرِّيحُ تَهْبِطُ بِالْخَارِجِ .
وَأَنْتَ ، مَنْ يَعْرِفُ التَّالِي الْعَجِيبَ لِأَرْهَفِ الْحَرَّكَاتِ ،
سَوْفَ تَفَهَّمُ . رَجُلٌ ، وَسَاعَتُهُ ، وَالرِّيحُ . لَا أَكْثَرَ .

سامُوسُ، أغسٍطس- سبتمبر 1958

في وقت متأخر، حوالي منتصف النهار، بعد أن باعوا بضائعهم
في السوق - حضروات، أعناباً، كمشري -
يعودون بعرباتهم الكارو على طول الطريق الساجلي
نحو حقوقهم الصغيرة، البعيدة -
متصبين عرقاً، هم وأحصنتهم،
ينقذهم الورقية مربوطة في مناديلهم
والعملات المعدنية تُدخل في جيوبهم،
مضحكين، مسترذفين، تقريراً مهتاجين
بالغضب من تأخير وظلم مجهولين،
يأجحات شعرهم الأشعث، المترقب والمتعرق،
المتلبد تحت طوابيقهم.

ل يكنهم حين ينطقون عن الطريق العام، حين يصلون
إلى الشاطئ الرملي الأول المهجور، يفكرون الأحصنة،
يخلعون ثيابهم على عجل، ويرمون ملابسهم على الصخور

وَيَخُوضُونَ الْبَحْرَ لِيُحَمِّلُوا أَحْصِنَتَهُمْ .

آنِيَّةٍ ، يَقْطُرُونَ مَاءً ، عَرَائِيَا تَمَامًا وَمُذَهَّبِينَ تَمَامًا ، الرَّجَالُ وَالْأَحْسَنَةُ ،
كَانُوا يَلْتَمِعُونَ فِي الشَّمْسِ بِنَبَالَةٍ رَفِيعَةٍ ،
مُفَعَّمِينَ بِالْطَّاقَةِ وَالْحَيَّةِ ، كَانُوكُمْ خَرَجُوا
مِنْ أَسَاطِيرِ عَتِيقَةٍ . وَأَصْغَرُ سَاقِيَيِ الْكَارُو ،
فِي الثَّامِنَةِ عَشَرَةِ ، فِيمَا يُوَمِّضُ كُلُّهُ فِي الظَّهِيرَةِ ، عَارِيَا ، مُمْتَنِيَا حِصَانَهُ ،
كَانَ يَرْكُضُ بِهِ فِي الْبَحْرِ
فِيمَا رَصَدَتْ غَيْمَةٌ بَيْضَاءُ ظِلَّهُ فِي الرُّزْقَةِ .

وَعَلَى الشَّاطِئِ ، عَرَبَاتُ الْكَارُو ، الدَّهْبِيَّةُ كُلُّهَا ، أَيْضًا ،
كَانَتْ تُشْرِقُ فِي الْأَنْعَكَاسَاتِ الدَّائِرِيَّةِ لِعَجَلَاتِهَا
كَعَرَبَاتٍ مَحِيدَةٍ فِي سِبَاقَاتِ اليُونَانِ الْقَدِيمَةِ
تَوَقَّفَتْ هُنَا ، وَمِنْ هُنَا سَتَبَدَا مِنْ جَدِيدٍ .

ساموس، أغسطس-سبتمبر 1958

يَتَلَاشَى رَجُلٌ فِي الْطَّرِفِ الْبَعِيدِ مِنِ الشَّارِعِ
يُبُطِّئُ، يُصْمِتُ. فَمَا الَّذِي يَبْحَثُ عَنْهُ هُنَاكَ عَالِيًا حِينَ يَذُوِي الْفَسْقَ،
حِينَ تَرْمِيَ الْمَرَايَا الدَّائِرِيَّةَ لِلَّدَرَاجَاتِ الْمَرْكُونَةَ
يَانِعَكَاسَاتِهَا عَلَى الْمَيْدَانِ الْعَامِ الْخَاوِيِّ؟
امْرَأَةٌ تَتَأَمَّلُ عِنْدَ نَافِذَةِ مُظْلِمَةٍ.
امْرَأَةٌ أَكْبَرُ تَأْتِي بِالْمَاءِ مِنْ بَيْنِ
عَنْكُبُوتٍ صَغِيرٍ يَجِلِّسُ عَلَى جَرَّتِهَا. فَلَتَشَرَّحَ لِي:
مَا الَّذِي يُرِيدُونَهُ جَمِيعًا؟ مَنِ الَّذِي سَيَشَرِّبُ الْمَاءَ الدَّاكِنَ؟ عِنْدَ حُلُولِ
اللَّيلِ، يَنْحَنُونَ فِي صَمْتٍ عَلَى الْبَيْرِ ... فَكَيْفَ
أَدْخِلَ وَجْهَ مُتَعَصِّبٍ إِلَى الْبَيْرِ،
الْخَبَلَ الْمُبَتَلَ، وَالْعَنْكُبُوتَ الصَّغِيرَ
عَلَى الْجَرَّةِ، وَظَلَ الْجَرَّةِ
وَالْمَرْأَةُ يَجِوَّارُ النَّافِذَةَ، وَالرَّجُلُ الَّذِي يَمْشِي
لِأَعْوَامٍ وَأَعْوَامٍ؟ فَلَتَشَرَّحَ لِي . سَرْعَانَ
مَا سَنْضَاءُ الْأَنْوَارِ . مَنَازِلُ مُحَاصَرَةٍ . قُلْ لِي .

سَيَسْحَبُ الْقَمَرُ سِكِّينَهُ فَوْقَ الْبَئْرِ .
مَا مِنْ أَحَدٍ رَأَانَا . فَلَتَشَرَّحْ لِي . وَهَذَا الرَّجُلُ الْمَشْنُوقُ
يَتَأْرِجَحُ فِي جَمَالٍ فِي الْهَوَاءِ ، كَطِفَلٍ فِي مَهِيدٍ -
أَهِي الْأَرْجَحَةُ نَفْسُهَا إِذَنٌ ؟ الْحَبْلُ يَتَرَوَسَّأَلُ . قُلْ لِي .

أغسطس-سبتمبر 1958

25 - رَسَامٌ تَجْرِيدِي

رَسَامٌ تَجْرِيدِي رَسَمَ ذَاتَ أَصِيلٍ قِطْارًا .
هَرَبَتِ الْعَرَبَةُ الْأَخِيرَةُ مِنِ الْوَرَقَةِ
وَعَادَتِ إِلَى الْمَخْزَنِ مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهَا .

فِي هَذِهِ الْعَرَبَةِ بِالْتَّحْدِيدِ كَانَ يَجْلِسُ الرَّسَامُ .

يونيو 1959

26 - عودة هارب

أَحَسَ بِالْقَلْقِي هَذِهِ الْأَيَّامُ الْأُخِيرَةُ، كَأَنَّهُ كَانَ حَارِسًا وَقَدْ هَرَبَ،
تَارِكًا الْمَدِينَةَ بِلَا حِرَاسَةً. وَلَوْقَتْ طَوِيلٌ
كَانَ يَخْشَى أَنْ يَكْتَشِفُوا جَرِيرَتَهُ. هَارِبًا،
مُخْتَبِئًا وَسْطَ الْأَجَمَاتِ، لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى رُؤْيَا الْحَوَائِطِ،
وَيَتَخَيلُ فَحَسْبَ الْعَوَاقِبِ الْمَرْعِيَّةِ لِلْمُوَاطِنِينَ بِلَا حِرَاسَةٍ
وَلَهُ هُوَ نَفْسُهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ. فِيمَا بَعْدَ، عَلِمَ
أَنَّ الْمَدِينَةَ لَمْ تَسْقُطْ، وَأَنَّ أَحَدًا لَمْ يَلْحَظْ غِيَابَهُ.
بَلْ حَتَّى لَمْ يَبْحَثُوا عَنْهُ. وَاسْمُهُ لَمْ يَكُنْ ضِمْنَ
قَائِمَةِ التَّاجِينِ، أَوِ الْمَفْقُودِينِ، أَوِ الضَّائِعِينِ.
انْتَشَرَ حَوْلَهُ - بِلَا جَدَوْيٍ - سُكُونٌ عَظِيمٌ. وَالآنُ،
كَانَ مَا عَذَّبَهُ بِالْتَّحْدِيدِ - السُّكُونُ
الَّذِي كَانَ يَحْلُمُ بِهِ. فِي الْفَسَقِ، أَحَسَ حَوْلَ الْمَنْزِلِ
بِالآلِفِ الْأَطِيافِ تَنَسَّلْ كَقِطْطِيَّ ضَالَّةٌ
وَسْطَ الْأَشْوَالِ فِي الْمَلْعُبِ الْمَهْجُورِ؛ وَفِي خِزَانَةِ الْمَلَابِسِ
أَحَسَ بِسُرْتَتِهِ الْمَرَهَّلَةِ، الْمَعْلَقَةِ كَأَنَّهَا الشَّيَّابُ الْمَرْمِيَّةُ لِلْمَوْتِ. آتَيْذِ،

أَحْكَمَ أَحْزِمَةَ الْحَرْطُوشِ مُتَقَاطِعَةً عَلَى صَدِرِهِ
كَأَنَّهُ يُؤْمِنُ صُرَّةً مِنْ أَعَزِّ مُمْتَلَكَاتِهِ
وَعَادَ إِلَى مَوْقِعِ الْحَرَاسَةِ فِي الْوَقْتِ الْمَحَدُودِ تَمَامًا.

مايو-يونيو 1959

حي بحارة مزدحم . الأضواء الكروية ناعسة .
حانات البيره الرئية متنالية في صف كنساء بائسات
ينتظرن بصير أمام مستشفى المقاطعة .
الشارع مظلم . انتوى الجميع أن يناموا مبكرين . لكن فجأة
تضاء حانات البيره حتى مقاعدها الأخيرة
من الضاحك أبيض الصافي لأحد الشبان . وعلى الفور بعد ذلك
سُمع البحر اللانهائي ، المنظم ، الذي لا يُقهر .

مايو 1960

28 - مُداوَة

ضَجَرٌ تَارِيْخِي اَنْشَرَ عَلَى الْأَصِيلِ
كَجِيلٍ حَيَوَانٍ يَمْتَدُ إِلَى خَارِجِ عُرْفَةِ شَخْصٍ عَلِيلٍ .
وَالْعَلِيلُ يَظْلِمُ دَائِمًا فِي السَّرِيرِ . رَالَتْ حُمَّاهُ .
وَثَمَّةَ رَائِحَةٌ لِمَلَائِسِ دَاخِلِيَّةٍ تَنْضَحُ بِالْعَرَقِ وَبِالْكَحُولِ . هَذَا الْجَلْدُ
مَاخُوذٌ مِنْ حَيَوَانٍ ثُمَّ سَلَخُهُ حَيَا (ذَلِكَ مَا ادَعَاهُ) .
الْفِرَاءُ مُذْعِنٌ ، حِيَادِيٌّ ، مَيِّتٌ ؛ لَكِنْ مِنْ الْجَانِبِ الْآخِرِ ، الْعَارِيِّ ،
مَا يَرَأُ الْمُجْفَافُ بِاقِيًّا ، مُسْتَوِيًّا . كَانَ يَلْعَبُ عَلَى ذَلِكِ :
كَانَ الْحَيَوَانُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ حِينَ ثُمَّ سَلَخُهُ . وَفِي النَّهَايَةِ ، حِينَ
وَضَعَ قَدَمَيْهِ الْحَافِيَتَيْنِ هُنَاكَ ، اَنْتَفَضَ شَعْرُ رَأْسِهِ مُنْتَصِبًا ،
وَتَقَوَّسَ الْجَلْدُ لِأَعْلَى وَشَكَّلَ ظَهِيرًا ، وَالْعَلِيلُ
انْطَلَقَ عَبَرَ الرُّوَاقِ مُمْتَطِيًّا ظَهَرَ الْحَيَوَانُ ، وَهُوَ يَنْزَهُ
خِلَالَ الْمَطَبَخِ ، مُنْدَفِعًا إِلَى الْفِنَاءِ ، إِلَى الطَّرِيقِ ،
وَالْآزِيَّةُ تُنْدَوِي وَرَاءَهُ كَطْبُولٌ مَعْدَنِيَّةٌ .

مايو 1960

29 - صيادون

خَرِيفٌ مُنْتَشِرٌ مَعَ أَغْصَانِ مَكْسُورَةِ ، بِلَوْنِ الْكِسْتَنَاءِ
وَالْأَصْفَرِ الْمَتَهَاوِيِّ لِلْطَّيْرِ الْمَصَابِيَّ بِالْطَّلَقَاتِ . وَالصَّيَادُونَ
تَرَكُوا الْغَابَةَ وَرَأَءُهُمْ لِأَعْوَامِ ،
أَفْرَغُوا حَقَائِبَ الظَّهَرِ عَلَى مِنْصَدَةِ الْمَطَيْخِ وَرَحَلُوا .
فِي ذَلِكَ الْمَسَاءِ ، لَمْ يَعُودُوا لِيَأْكُلُوا . فَلِمَاذَا ، إِذْنَ ،
كُلُّ هَذِهِ الْاسْتِعَادَاتِ - خَرَاطِيشُ ، بَارُودُ ، رَصَاصُ ،
الثَّنَظِيفُ الْمَرْهِقُ لِلْبَنَادِقِ ، وَالْأَنْطَلَاقُ فِي الصَّبَاجِ الْبَاكِرِ ،
وَفِي هَذِهِ الرُّطُوبَةِ ؟ فِي مُنْتَصِفِ اللَّيْلِ ، عَادُوا .
لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَتَوَقَّعُهُمْ ، كَانَ الْجَمِيعُ نَائِمِينِ .
وَالْمَنْزِلُ كُلُّهُ ، حَتَّى غُرْفَةِ النَّوْمِ ، تَفُوحُ بِمَا لَا يُحْتَمَلُ
مِنْ رَائِحَةِ وَجْبَةِ لَذِيَّةٍ لَمْ يَتَذَوَّقُوهَا .
وَجِينَ خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ ، انْفَلَّتْ شَعَرَةٌ ذَهَبِيَّةٌ صَغِيرَةٌ
فِي صَمْتٍ مِنْ شَعْرِ صُدُورِهِمْ .

مايو 1960

30 - بالصادفة

تَبَادُلُتُ وَتَعْوِيضَاتٍ . لَمْ نَخْدَعْ أَحَدًا .
وَلَا حُدِّعْنَا - لَا . فِي تَحْلِيقِ طَائِرٍ
رَأَيْنَا وَثِيقَةً تَارِيخَنَا وَاضِحَّةً .

فِيمَا بَعْدُ ، بِالظَّبْعِ ، أَحْسَنَا بِالْحَاجَةِ كَمَا دَائِمًا
إِلَى الْخُبْزِ وَالملحِ ، وَابْتِسَامَةُ امْرَأَةٍ هَادِيَةٍ ،
لِنَنْهِي نَوْمَ لَيْلِنَا
فِي مَنْزِلِ عَشْوَائِي ، مَعَ ثَلَاثَةِ كِلَابٍ غَرِيبَةَ
ظَلَّتْ تَنْبَحُ طَوَالَ اللَّيْلِ فِي حِرَاسَةِ المَنْزِلِ ، لَا نَحْنُ .

يوليو-أغسطس 1960



شجرة السجن والنساء

(1962)

(حل المساء. جرس الصمت رنَّ منذ بعض الوقت. النساء، اللائي تجمَّعن في القاعة، في الظلمة، لم يكُن بعد نائمات. الأيرة المجبولة من ألواح مع ملائكتهن تومض في غموض. قبل الدّهاب إلى الأيرة، تجلس النساء في شبه دائرة على الأرض، كما حول نبع خفي، ويتحدثن بهدوء، بصورة غير مسموعة تقريباً. ورغم أنهن يبقين هناك بلا حراك، فإنهن يبدين كأنهن يتحركن بصورة إيقاعية مثلما في جوقة تراجيديا قديمة. لا تتحدث هيلين. ترك شعرها الطويل الأسود ينسدل على كتفيها وتقف أمام النافذة بقضبانها المتصالبة).

جميع النساء: فناءٌ مُسَوَّر، وشَجَرَة، وقليلٌ مِن الشَّمْسِ في سَاعَاتِ الصَّبَاح
على الحائط -

هذو الشَّجَرَة يَوْمِيَّاتِنَا، صَدِيقُنَا، سَاعِي بَرِيدِنَا، طِفْلُنَا،
المرأة الأولى: وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، حَقّا، زَوْجُنَا - لَكِنْ كَثِيرًا
الثانية: كَثِيرًا، كَثِيرًا جَدًا - زَوْجُنَا، مَعَهَا نُسَارِكُ فِي الزَّمَنِ،

الثالثة: نُشارِكُ في البقاءِ وفي الذَّكْرِ،
الرابعة: وَأيْضًا فِيمَا تُسَمِّيهِ التَّغْيِيرُ وَالتَّجَدُّدُ.

فَهَذِهِ الشَّجَرَةُ

فِي مُنْتَصِفِ مِسَاخَةِ مُغْلَقَةٍ وَخَارِيَةٍ

تُصْرُّ عَلَى الْوُجُودِ، تُصْرُّ

عَلَى الْمُلَاحَظَةِ، وَالشَّمِيزِ، وَالاسْتِجَابَةِ؛

الخامسة: مُحَكَّمَةُ الْوَثَاقِ فِي الْأَسْفَلِ، تُصْرُّ عَلَى التَّنَايِ لِأَعْلَى؛

الرابعة: تَوَرَّعَتْ عَلَى أَرْبَعَةِ فُصُولٍ، فِي تَوْجِيدِ الْفُضُولِ وَالْمَشَاهِدِ الْطَّبِيعِيَّةِ؛

الأُولَى: أَحْيَانًا مَا تَنْظُرُ بَدَلًا مِنَ إِلَى مَا وَرَاءِ الْجِدَارِ،

الثالثة: تَسْتَحِلِّبُ صَوْتُ الْطَّفْلِ بَايْعَ الشَّقَابِ،

الثَّانِيَةُ: صَوْتُ بَايْعَ الْقَلْجَى الْمُتَجَوِّلِ،

الرابعة: صَوْتُ امْرَأَةٍ اشْتَرَتْ خَمْسَ وَرَدَاتٍ مِنْ كُشِكِ الرُّزُورِ بِالْتَّقَاطِعِ،

الخامسة: وَقَعَ خُطْرِي رَجُلٍ يَقْرَأُ جَرِيدَتَهُ عَلَى الرَّصِيفِ؛

كُلُّ النِّسَاءِ: مُمِيَّزَةُ الْوَانِ السَّاعَاتِ الْكَثِيرَةِ الْمُخْتَلِفَةِ،

كَثِيرَةُ الْوَانِهَا، بِالْطَّبِيعِ، عَلَى مَدَى النَّهَارِ،

الأُولَى: وَالثُّجُومُ عَلَى مَدَى اللَّيلِ - نُجُومُ غَرِيبَةِ،

عَجَلَاتُ مُسَنَّةٍ، نُجُومُ خَمَاسِيَّةٍ، مَرَكَبَاتٍ، حَيَوانَاتٍ مُسَالَّمَةٍ،

وَمَرَكَبَتَا الْغَيْوُمِ الْلَّتَانِ تَجْرِهِمَا الشَّيْرَانِ تَأْتِي لِلتَّوْقِفِ عِنْدَ بَوَابَةِ

قلعةِ القمرِ -

الثالثة: لَا أَحَدٌ يَجِلِّسُ فِي القَمَرِ؛

الثانية: رُبَّما كَانَ نَائِمًا، رُبَّما كَانَ يَتَظَاهِرُ بِأَنَّهُ نَائِمٌ؛
 الأولى: المَفَاتِيحُ سُمِعَتْ فِي الْمَرَّ الْكَبِيرِ،
 الخامسة: طَعْنَةٌ سِكِّينٌ بِيَضَاءِ الظَّلَامِ،
 الرابعة: وَأَنْ تَكُونَ أَوْ لَا تَكُونُ كَانَتْ بِالْغَةِ الْبَسَاطَةِ،
 تَقْرِيبًا بِلَا أَلَمَ، تَقْرِيبًا بِلَا أَهْمَيَّةَ. هَذِهِ الْبَسَاطَةُ
 تَعْلَمَنَا هَا مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - تِلْكَ مَعْرِفَتُنَا،
 جَمِيعًا: تِلْكَ شَجَاعَتُنَا الْهَادِيَّةُ؛ أَنْ تَكُونَ بَعِيدًا، أَنْ تَنْتَظِرُ، أَوْ لَا تَنْتَظِرُ -
 البَهْجَةُ الصَّامِتَةُ فِي أَنْ تَمْنَعَ أَنفُسَنَا
 حَتَّى عِنْدَمَا يَنْسَى الْآخَرُونَ ذَلِكَ أَوْ لَا يَعْرِفُونَهُ -
 الأولى: إِدْرَاكٌ بَسِيطٌ، مُتَوَاضِعٌ، نَبِيلٌ،
 الثانية: كَحْجَرٌ فِي حَائِطٍ مَنِيلٍ،
 الثالثة: كَجُزْءٍ مِنْ جَزَعٍ شَجَرَةٍ فِي التَّارِ،
 الخامسة: كَقِطْعَةٍ رُجَاحٍ فِي إِطَارِ النَّافِذَةِ؛
 هَذِهِ الْقِطْعَةُ الْمُتَوَاضِعَةُ بِلَا كِبِيرَيَاءَ، غَيْرِ الْمَرِيثَةِ، تُسَاعِدُ الْآخَرِينَ
 عَلَى الرُّؤْيَا،
 الثالثة: تَجْعَلُ الْأَشْيَاءَ صَافِيَّةً، وَتَحْمِي مِنَ الرِّيحِ،
 الثانية: تَحْمِي مِنَ الْبَرِدِ، وَتَسْمَحُ لِلضَّوءِ بِالْمُرُورِ وَلِلْحَرَارَةِ أَيْضًا -
 الرابعة: وِحدَةٌ رَّهِيقَةٌ، شَفَافَةٌ تَحْمِي مِنَ الْوِحْدَةِ،
 صَمَتْ صَغِيرٌ بَيْنَ كُلِّمَتَيْنِ مَرِيرَتَيْنِ -
 لَذِكَّرِ الْوَقْتِ لِلتَّأْمُلِ - وَالْكَلِمَةُ الثَّانِيَّةُ الْمَرِيرَةُ لَمْ تُنْطَقْ أَبَدًا

جَمِيعًا: يَصْفُو الْهَوَاءُ، تَصْفُو الْعَيْنُ، تُصْفَى -

إِدْرَاكٌ صَامِتُ، إِدْرَاكٌ بَعِيدٌ وَمُغْلَقٌ -

الرَّابِعَةُ: تِلْكَ أَقْصَى عَظَمَتِنَا الْمُتَوَاضِعَةُ، وَلَا تَجِدُ صُعُوبَةً

فِي نُطْقِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، رَغْمَ أَنَّنَا نَهَوْيٍ فِي الصَّمْتِ

هُنَّا، مَوْقُوفِينَ، مَسْجُونِينَ، مَسْحُوبِينَ مِنَ الْأَحْدَاثِ،

الْأُولَى: مُسَيَّجِينَ عَنِ الْأَشْيَاءِ بِالْخَارِجِ. لَكِنَّ الشَّجَرَةَ

تُلَاحِظُ وَتَنْتَرِي إِلَى الْخَارِجِ بَدَلًا مِنَّا، وَفِيمَا بَعْدِ

جَمِيعًا: الشَّجَرَةُ مَغْرُوسَةٌ فِينَا -

الخَامِسَةُ: مَرَأَتِ كَثِيرَةً، فِي سَاعَةِ النَّوْمِ، رَاقِدَاتِ، تَبَقَّى مُنْتَصِبَاتِ،

فِي وَضْعِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - رُبَّمَا هَذِهِ الشَّجَرَةُ

لَنْ تَتَرُكَنَا نَرَاثَةً،

الْأُولَى: لَنْ تَتَرُكَنَا نَنْسَى،

الرَّابِعَةُ: لَنْ تَتَرُكَنَا نَمُوتُ.

الخَامِسَةُ: هَذِهِ الشَّجَرَةُ تَقْوُمُ بِالسَّهْرِ بِلَا عَنَاءٍ أَوْ تَفَاحُرٍ.

الْأُولَى: غُصُونُهَا الْأَرْهَفُ تُصْبِحُ مَجْدُولَةً مَعَ أَصَابِعِنَا؛

الثَّانِيَةُ: أَحْيَانًا، عِنْدَمَا نَأْكُلُ، يَتَصَادِفُ أَنْ تَسْقُطَ وَرَقَةٌ بِجُوارِ الرَّغِيفِ

مِنْ يَدِي مَارِي - وَلَا تَنْدِهِشُ وَاحِدَةً مِنَّا؛

الخَامِسَةُ: فِي أَوْقَاتٍ أُخْرَى أَيْضًا يَحْدُثُ أَنْ يُرْفِرِفَ غُصْنٌ صَغِيرٌ أَخْضَرٌ

هَايِطًا مِنَ الْمِنْدِيلِ الْأَسْوَدِ لِلْعَمَّةِ كُوْسْتِينَا

الثَّانِيَةُ: أَوْ يَسْقُطُ بُرْعَمٌ أَبْيَضٌ مِنْ عَيْنِي اسْمِينِي

إِلَى الْقِدْرِ الْمُشَرَّكِ - وَلَا نَنْدِهِشْ،
جَمِيعًا: نُنْهَّى جَانِبًا تِلْكَ الْوَرَدَةَ بِمَلَأْعِقِنَا
وَنُواصِلُ وَجْبَتَنَا فِي صَمَتٍ،

الرَّابِعَةُ: لَكِنَّنَا الْآنَ نَعْرِفُ عَنْ يَقِينٍ
أَنَّ الرَّبِيعَ قَادِمٌ، أَنَّ هُنَاكَ الْكَثِيرَ مِنَ النُّجُومِ، الْكَثِيرَ مِنَ الْأَشْجَارِ،
الْخَامِسَةُ: الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ، الْكَثِيرَ مِنَ الْحَزْنِ، الْكَثِيرَ مِنَ الشَّجَاعَةِ فِيمَا
وَرَاءِ الْجُدُرَانِ،

الثَّالِثَةُ: الْكَثِيرَ مِنَ الْجُدُرَانِ وَرَاءِ الْجُدُرَانِ،
الْأُولَى: وَالْكَثِيرَ مِنَ السَّمَاءِ فَوْقَ الْجُدُرَانِ،
الْقَالِثَةُ: وَالْأَمْلُ؟ وَالْأَمْلُ؟

جَمِيعًا: لَا تَنْتَلِمِي - فَلَتَصْبِيَ، فَلَتَهَدِيَ.

الثَّالِثَةُ: الْخُوفُ هُوَ النَّفَرَةُ الْوَحِيدَةُ لِإِصْبَعٍ خَفِيٍّ عَلَى الْجِدَارِ،
عَنْكَبُوتٌ تَحْتَ كَوْمَةَ أَرْوَاقِ شَجَرٍ،
صَوْتٌ مَكْتُومٌ - إِنَّهُمْ يُسَمِّرُونَ الْبَابَ الْعُلُوِيِّ - يُسَمِّرُونَنَا -
الْأُولَى: نَعَمْ، الصَّوْتُ الْمَكْتُومُ - إِنَّهُمْ يَدْعُونَ مِسْمَارًا خَارِجَ الْبَابِ،
لِيُعَلِّقُوا...

الثَّالِثَةُ: الْمَوْتُ يَدْعُ مِسْمَارًا فِي الْبَابِ - إِنَّهُ يَنْتَظِرُ، هُنَاكَ -
يُصْبِحُ الْمِسْمَارُ صَدِنَا مِنَ الرُّطُوبَةِ - إِنَّهُ يَنْتَظِرُ
الْأُولَى: أَنْ يُعَلِّقُوا أَكَالِيلَ وَرَدٍ فِي الْأَوَّلِ مِنْ مَאיُو - فَمَا يُوَيْقَنُ بِرِبِّ؛
الْقَالِثَةُ: الْوُرُودُ تُخْفِي الْمِسْمَارَ، لَكِنَّهُ تَحْتَ الْوُرُودِ -

الثانية: فَكَيْفَ يُعَلِّقُونَ الْأَكَالِيلَ بِغَيْرِ ذَلِكِ؟ فَلَتَهَدَأْنِ.

الثالثة: وَتَحْتَ الْأَكَالِيلِ، الْمِسْمَارُ الصَّدَى- الدَّمُ الْمُسَوَّد-

جَيْعَانُ: ذَلِكَ لَيْسَ مَا يُوَسِّعُ الْخَاصَّ بِنَا؛ مَا يُوَسِّعُ الَّذِي نَعْرِفُهُ
لَهُ خُطُواتٌ طَوِيلَةٌ، طُبُولٌ وَدُخَانٌ وَأَعْلَامٌ،

الثالثة: وَالدَّمُ اسْوَادٌ فِي الظَّلَالِ الَّتِي تَرْمِيهَا الْأَعْلَامِ-

الرَّابِعَةُ: شَرَابِينُ حَيَّةٍ تَتَفَرَّغُ مُبْنَيَّةً عَلَى الْأَعْلَامِ- جَسَدُ هَائِلٍ
فَوْقَ ظِلِّ الْمَوْتِ- لَهُ شَكْلُ السَّفِينَةِ

الخامسة: وَهِيَ تُبْحِرُ فِي الْأَثَيْرِ- الصَّارِي بِالْيَمِينِ الْمُطْلُولِ-

الْأُولَى: وَسُلْمٌ الْحِبَالِ مُعْلَقٌ فِي الشَّمْسِ-

الثانية: رَائِحَةُ بَحْرِيَّةٍ- جِيرَانِيُّومٌ مِنَ الْمَلْحِ وَالْمِسْكِ- أَلَا تُحِسِّنُ
إِلَوَّخَرِ فِي مِنْخَرِيْكِ- شِبَهُ دَائِرَتَيْنِ مِنْ مِلْحٍ؟

جَيْعَانُ: تِلْكَ رَائِحَةُ الْعَالَمِ- الدَّائِرَةُ الْعَظِيمَةُ، الدَّائِرَةُ الَّتِي لَا يُمْكِنُ
الإِحْاطَةُ بِهَا-

الرَّابِعَةُ: الْوَخْرُ، حَقًّا، فِي مِنْخَرِيْكِ كَأَنَّكَ

عَلَى وَشِكٍ أَنْ تَعْطَسَنِ، فِيمَا تَنْظُرُ مُبَاشِرَةً إِلَى الشَّمْسِ- أَلَا تُحِسِّنُ

إِلَيْهِ؟

الْأُولَى: إِنَّهَا الْأَعْلَامُ- تَصْطَفِقُ فِي الْأَثَيْرِ كَمَصَارِيعِ أَبْوَابِ صَخْمَةٍ تَنْفَتِحُ
عَنْ آخِرِهَا-

الثالثة: بَيْنَمَا تَجْلِسُ هُنَا، وَرَاءَ الْجُدْرَانِ، بِلَا أَعْلَامَ،

جَيْعَانُ: نَحْنُ مَعَ وَاجِبَاتِنَا، وَرَاءَ الْجُدْرَانِ،

لُشَكُلُ الشَّجَرَةُ السَّاكِنَةُ إِلَى آلَافِ الْأَوْرَاقِ الْمُرَفَّفَةِ،
لُشَكُلُ الْحَرَكَاتِ الْمُنْفَصِلَةِ إِلَى بَسَاطَةِ لَا تَتَجَزَّأُ،
تَقْرِيبًا إِلَى أَبْدِيَّةِ.

الأُولى: انظُرنَ، هِيلِين

جَالِسَةٌ فِي التَّأْفِذَةِ، تَتَطَلَّعُ إِلَى الْبَعِيدِ،
تَتَطَلَّعُ إِلَى الضَّبَابِ الشَّفِيفِ الْمُتَصَاعِدِ مِنْ أَحْجَارِ الْحَدِيقَةِ،
تَنْفُرُ بِإِصْبَعِهَا بِرِقَّةٍ عَلَى قُضْبَانِ التَّأْفِذَةِ-
صَوْتٌ عَمِيقٌ، صَامِتٌ- إِيقَاعٌ صَغِيرٌ، إِيقَاعُنَا-
جَمِيعًا: ذَلِكَ هُوَ الْطَّرْقُ الَّذِي تَسْمَعُهُ- أَنْصِتْ، أَنْصِتْ؛
الأُولى: يَخْتَرِقُ الصَّوْتُ الْحَدِيدَ، وَالْحَجَرُ،

الثَّانِيَةُ: تَبُضُّ رَبِيعٌ فِي شُرَيَّانِ مِنْ حَدِيدٍ، شُرَيَّانٌ مِنْ حَجَرٍ،
الخَامِسَةُ: چَهَارٌ لَأَسْلَكِيٌّ صَغِيرٌ، تَخْفِيٌّ بَعِيدًا، يَعْطِي الإِشَارَةَ-
الثَّالِثَةُ: وَنَحْنُ، نَتَخَبَطُ وَسْطَ أَغْصَانِ الظَّلَامِ، مُلْتَصِقِينَ بِمَرَاقِفِنَا
إِلَى أَجْنَابِ الصَّمْتِ، فِي كَآبَةِ اللَّيلِ،
فِي انتِظَارِ الإِجَابَةِ- أَيْتَهُ إِجَابَةً؟- مُنْتَظِرِينَ

جَمِيعًا: وَتَأْتِي الإِجَابَةُ

الثَّانِيَةُ: أَحْيَانًا مِنَ الطَّائِرِ الْأَخِيرِ لِلْغَسَقِ،
الخَامِسَةُ: أَحْيَانًا مِنَ الْجَدْجُدِ الَّذِي يَنْشُرُ اللَّيلِ،
الأُولى: أَحْيَانًا مِنْ تَجْمَةٍ ثُرَدَّ "أَنَا قَادِمَة، أَنَا قَادِمَة، أَنَا قَادِمَة"،
الثَّالِثَةُ: أَحْيَانًا مِنْ رِسَالَةٍ حُبٍّ مُمَرَّقَةٍ تَسْقَادُهَا الرَّيْحُ فَجَاءَ فِي الشَّارِعِ-

الرَّابِعَةُ: وَنَحْنُ نَسْمَعُ فِي الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ - ذَلِكَ عَامٌ آخَرُ نَحْنُ فِيهِ مَعَامٌ
الْعَامِ،

مَعَ الْأَبْوَابِ وَالنَّوَافِذِ الْمُزَدَّوْجَةِ،

الثَّالِثَةُ: وَمَعَ الْجُدْرَانِ الْمُزَدَّوْجَةِ،

الرَّابِعَةُ: نَعَمْ، وَمَعَ الْجُدْرَانِ - لَمْ لَأْ - مَعَ نَوَافِذَ كَثِيرَةِ،

الْأُولَى: وَفَجَاءَ يَلْتَمِعُ مِقْبَضُ الْبَابِ كَقَطْرَةَ مَاءٍ كَبِيرَةِ،

الثَّانِيَةُ: وَيَلْتَمِعُ مَشَهُدُ طَبِيعَيٍّ مُقَوَّسٌ فِي قَطْرَةِ الْمَاءِ،

الثَّالِثَةُ: وَتَلْتَمِعُ فِيهَا عَظَمَةُ فَكَ عَارِيَةُ لِحِصَانِ.

جَمِيعًا: فَلَتَهَدَّأْنَ، بِلَا حِرَاكٍ. انْظُرُنَّ. ظَهَرُ هِيلِينِ

الْمُوَاجِهُ لَنَا رَبِّةُ يَاشْجَارِ سَرِّ صَغِيرَةِ،

الخَامِسَةُ: هُنَاكَ يَصْعَدُ قَطِيعُ أَغْنَامِ بَيْضَاءِ - يُصْبِحُ اللَّيْلُ أَيْضُ،

الْأُولَى: ذَلِكَ يُسَبِّبُ ظُهُورِ النُّجُومِ،

الثَّانِيَةُ: ذَلِكَ يُسَبِّبُ انتِظَارِنَا،

الثَّالِثَةُ: ذَلِكَ يُسَبِّبُ مَجِيَّءِ الرَّبِيعِ مِنْ جَدِيدٍ - لِمَاذَا يَجِيءُ؟ عِنْدَمَا يُشْرِقُ

النَّهَارُ

نَقْفُ مُصْطَفَفِينَ مِنْ جَدِيدٍ، وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ، أَمَامَ الرُّبَيعِ الْمُضَاءِ مِنْ

الْجُدْرَانِ،

الرَّابِعَةُ: صَابِرِينَ، صَامِتِينَ، بِطَرِيقَةٍ نِظَامِيَّةِ،

الثَّالِثَةُ: وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ، كُلُّ وَاحِدَةٍ فِي دُورِهَا - كُلُّ وَاحِدَةٍ وَحْدَهَا،

الرَّابِعَةُ: وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ، وَجَمِيعًا مَعًا، نَغْتَرِفُ قَلِيلًا مِنْ شُرُوقِ الشَّمْسِ

جَيْعًا: وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ، بِخُصُوصَعِ، رَغْمَ أَنْ ظَلَّاً نَا جَيْعًا
تَنَدَّا خَلَ، الْوَاحِدُ فِي الْآخَرِ، وَتَنَقَّاطُعُ عَلَى الْأَرْضِ
فِي مُعَيْنَاتٍ مِنَ الضَّوءِ وَالظَّلَامِ، إِلَى أَنْ تَمَرِّجَ
إِلَى نَبْعَ وَاحِدٍ. فِي مُوَاجَهَةِ النَّبَعِ،
تَظَلُّ الشَّجَرَةُ وَاقِفَةً، مُنْتَصِبَةً مِنْ جَدِيدٍ، بَدَلًا مِنَّا.

الْأُولَى: وَنَخْلُدُ إِلَى الصَّمْتِ وَنَسْمَعُ وَرَقَةً وَرَقَةً، إِلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، بَلْ أَبْعَدَ،
الثَّانِيَةُ: وَفِي شَعْرِ مَارِيِّ، تَبُرُّزُ أَوْرَاقُ خَضْرَاءٍ - إِلَى أَنْ نَخْشَى
أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلخِيَانَةِ، مِنَ الْمَقَاتِيْعِ الْمُصَلِّصَلَةِ فِي خَصِّ حَارِسِ
السَّجْنِ،

مِنْ كُوبِ مَاءٍ يَسْقُطُ مِنْ أَعْلَى وَيَتَهَشَّمُ عَلَى الْقِرْمِيدِ،
جَيْعًا: مِنْ كَلِمَاتٍ سَمِعَتْ مَا كَبَتَنَا- رُبَّمَا ذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ
فِي أَنَّ الْعَصَافِيرَ تَمَشِي بِخَرَاقَةٍ عِنْدَمَا تَهِبُّ أَحْيَانًا إِلَى الْأَرْضِ.

(ذهبت النساء إلى الأسرة. فيما وراء الجدران وفي السجن ثمة نجوم
كثيرة، نجوم كثيرة فوق الوصف، كعجلات مُسَنَّة، كنجوم
خمسية، كعربات، كحيوانات هادئة، كطيور، كأوراق شجر
عربيضة- وكلها مشرقة لأن هيلين عاجزة عن النوم. تغطي وجهها
آنذ بشعرها الأسود الطويل، فيما- في مواجهتها- تلك الشجرة
المنعزلة، وامضأ بكل أوراقها، في منتصف العالم، وظلها يصعد

جدار السجن كسلٌّ هائل. يمكن لأي واحد أن يصعد
و بالطبع، كان الربيع).

براغ، سبتمبر 1962



شہادات

(1963 – 1957)

1 - خطر داهم

كثيراً ما يهوي نجم أو صوت
إلى عمق هائل حتى أنه يتشتت
بسياج الشرفة أو ينبع
(لو كان ممكناً وجود يد) خشية أن يغوص في نفسه.

اليد الأكثر موثوقية له هي يده الأخرى،
لكن يديه تحيطانه هكذا داخل دائرة.
فلا يمكنه احتمال ذلك، لهذا يمدد يديه
كأنما ليُعاني شخصاً ما، أو ليوازن نفسه.

وهكذا، كمن يمشي على حبل مشدود، وينظر باستقامة أمامه،
يُشد نفسه مُنتصباً فوق عمقه.

أثنينا، سبتمبر 1956

2 - انتصارٌ جديد

مَعَارِكٌ كَثِيرَةٌ ، جِرَاحٌ كَثِيرَةٌ ، هَرَائِمُ وَانْتِصَارَاتٌ مُشَرِّفَةٌ كَثِيرَةٌ ،
أُوسِمَةٌ كَثِيرَةٌ - عَطَّلَتْ صَدَرَهُ ، أَنْفَلَتْ عَلَيْهِ بِصُورَةٍ وَبِيَلَةٍ ،
آذَتْ عَيْنَيْهِ بِوَمِيَضِهَا . أَصْبَحَ مَرْغُوبًا
خَشِيَّةً أَنْ يَكُونَ ذَلِكُ هُوَ الصَّوْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي قَدْ يَضْيِءُ
الدَّرَجَ الْخَشِيَّ فِي اللَّيلِ حِينَ يَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ . خَلَعَ ثِيَابَهُ ،
وَضَعَ زِيَّهُ الرَّئِسِيِّ فِي الْخَرَانَةِ ، وَالْأُوسِمَةَ فِي صَنَادِيقِهَا ،
وَذَهَبَ لِيُسَجِّلَ نَفْسَهُ كَمُتَطَوِّعٍ - كَجُنْدِيٍّ بَسِيطٍ .
لَمْ يَتَعَرَّفْ عَلَيْهِ أَحَدٌ . رُبَّمَا كَانَتْ تِلْكَ الْإِبْتِسَامَةُ الْجَدِيدَةُ لَهُ
هِيَ الَّتِي تُدْرِجُهُ فِي مُسْتَوَى الْعُمُرِ الْعَامِ لِلْمُتَطَوِّعِينَ الْآخَرِينَ .

1963-1957

3 - ذكرى

ظللت رائحةً دافئةً باقيةً في إبكي معطفها ،
ومعطفها في مشجب الصالة ، يُشيه ستارةً مسدلة .
أياً كانَ مَا يحدُثُ الآن فقد حَدَثَ في زَمِنٍ آخر . الضوءُ يُغيِّرُ الوجوه ،
كُلُّها غير مألوفة . ولو حَوَلَ أحدُّ أن يدخلَ المنزل ،
لرَفَعَ هَذَا المعطفُ الخاويِّ ذِرَاعِيهِ بِبُطْءٍ وَمَرَازَةٍ
ولأَغْلَقَ الْبَابَ مِنْ جَدِيدٍ .

أثنينا ، ديسمبر 1958

٤ - بناؤون

أَرَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْنُونَ بِالْغَرِيزَةِ
وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَبْنُونَ بِالْحِتْرَافِ
وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَبْنُونَ لِيَنْتَقِمُوا لِأَنفُسِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ ؛

هَؤُلَاءِ جَمِيعًا يَتَوَقَّفُونَ مِنْ حِينِ لَاَخَرِ ،
يَمْسَحُونَ أَيْدِيهِمُ الْمَلَطَخَةَ بِالْجِبِسِ فِي بَنَطْلُونَاتِهِمُ الْجِبِزِ ،
يَمْسَحُونَ عَرَقَهُمْ ، وَيَبْكُونَ .
لَا يَمْسَحُونَ عُيُونَهُمْ .

عَلَى هَذَا التَّحْوُ ، فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ ، يَتَمَاسَكُ الْأَسْمَنَتُ بِصُورَةٍ أَفْضَلَ .
وَذَلِكَ مَا يَكْتَمِلُ لِأَبَعَدِ مِمَّا يُرِيدُونَ .

يُسَبِّبُ ذَلِكَ ، يَحْلُمُ جَمِيعُ الْبَنَائِينَ فِي الْلَّيْلِ
بِذَلِكَ "الْأَبَعَدَ" الْمَجْهُولِ ، الْلَّامِرِيِّ ،
وَكُلَّ صَبَاحٍ يَبْنُونَ إِلَى "هُنَا" أَفْضَلَ قَلِيلًا .

أَنَّا ، 1958

5 - المسْمُوْعُ وغَيْرِ المُسْمُوْعَ

حَرَكَةٌ مُفَاجِيَّةٌ ، غَيْرُ مُنْتَظَرَةٌ ؛ قَبَضَتْ يَدُهُ
عَلَى الْجُرْحِ ، لُثُوقَفَ تَزِيفُ الدَّمِ ،
بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّنَا لَمْ نَسْمَعْ طَلْقَةً وَاحِدَةً
وَلَا صَفِيرَ رَصَاصَةً . بَعْدَ بُرْهَةٍ
أَسْقَطَتْ يَدَهُ وَابْتَسَمَ ؛
لَكِنَّهُ مَرَّةً أُخْرَى وَضَعَ رَاحَتَهُ بِبُطْءٍ
عَلَى الْمَوْضِعِ نَفْسِهِ . ثُمَّ أَخْرَجَ مَحْفَظَتَهُ ،
دَفَعَ لِلنَّادِلِ بِأَدَبٍ ، وَرَحَّلَ .
أَنْيَدَ تَهْشِمَ كُوبُ الْقَهْوَةِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ .
ذَلِكَ عَلَى الْأَقْلَى سَمِعَنَا بِوُضُوحٍ .

أَئِنَا ، مَايُو 1960

6 - مواجهة أمينة

طَوَّالَ اللَّيْلِ كُلَّهُ تَحَدَّثُوا، غَضِبُوا، تَسَاحَّثُوا،
سَعَوا بِحَمِيَّةٍ وَإِخْلَاصٍ لِلْعُنُورِ عَلَى تَوَافُقٍ
أَوْ فَصْلٍ بَيْنَهُمْ؛ اخْتَدَلُوا وَكَانُوا مَخْدُولِينَ؛ نَدِمُوا
عَلَى الْوَقْتِ الضَّائِعِ - الْحَمْقِي؛ فِي التَّهَايَا خَلَعُوا مَلَابِسَهُمْ
وَوَقَفُوا هُنَاكَ، جَمِيلِينَ، عَرَابِيَا، مَخْدُولِينَ، بِلَا حِيلَةَ. كَانَ الْفَجْرُ يُشْرِقُ .
مِنَ السَّطْحِ الْمُقَابِلِ، انْطَلَقَ سِرْبٌ طَيْورٌ
كَانَ مُقَامِرًا مَا أَطَاحَ فِي الْهَوَاءِ فِي التَّهَايَا بِحِزْمَةٍ أَوْ رَاقِ لَعِبِ ذَاتِ
عَلَامَاتِ.
هَكَدَا، بِلَا جِدَالٍ، وَتَبَرِيرَاتٍ، أَوْ تَأْكِيدَاتٍ،
هَبَطَ النَّهَارُ مِنَ التَّلَالِ مَعَ الْكِبْرِيَاءِ الْقَاسِيِّ لِلْفَعْلِ .

أثنينا، مايو 1960

7 - امْتِشَال

لِهَذَا التَّمَثالِ الْبُرُونْزِي مَكَانُهُ فِي مُنْتَصِفِ الشَّتَاءِ؛
هَذِهِ الْخُطُوَّةُ الْبُطُولِيَّةُ لِلْحَصَانِ كَأَنَّمَا كَانَ يَقْفِرُ
عَلَى رِيَاحٍ قَوِيَّةٍ، عَكْسِيَّةٍ؛ حَتَّى السَّيْمَاءُ الْأَبِيَّةُ
الْفَخِيمَةُ إِلَى حَدٍّ مَا مُتَوَافِقَةُ تَمَامًا
مَعَ الْأَمْطَارِ، وَالرِّيَاحِ الْقَاصِفَةِ، وَالْعَوَاصِفِ
جِينَ حَوَّلَتْ وَمَضَاتُ الْبَرْقِ الْعَنَانَ إِلَى شُعَلَتَيْنِ نَحِيلَتَيْنِ، ثَابِتَتَيْنِ
إِلَى حَدٍّ أَلَا يُمْكِنُكَ تَحْدِيدُ مَا إِنْ كَانَ الْعَوَاءُ قَدْ صَدَرَ عَنِ الرِّيحِ عَلَى
امْتِدَادِ الْطُّرْقَاتِ الْمَهْجُورَةِ،
أَمْ عَنْ قَمَ الْتَّمَثالِ الْمَفْغُورِ. لَكِنَّهُ الْآنَ
مَعَ هَذَا الرَّبِيعِ، الْمَسْتَرِخِيِّ، الْمَذْعِنِ الْيَسِيرِ،
مَعَ هَذَا النَّاسِيِّ، هَذَا الْصَّوْءُ الْلَّطِيفِ (رُبَّمَا يَفْعُلُ الْخَجَلَ فِعْلًا
أَوْ مُنْهَكًا مِنَ الْحَرَارَةِ) مَعَ أَشِعَّةِ شَمَسِينِ مُرْتَجَلَةٍ
يَرِيُظُ وَرَقَةَ شَجَرٍ بِأُخْرَى،
شَجَرَةَ بِأُخْرَى أَوْ بِالْمَنَازِلِ،
نَظَرَةَ بِأُخْرَى أَوْ بِالْأَفْوَاهِ - لِيُصْبِحُ

وَضَعُ التَّمَثالِ الْآنَ فَوْقَ الطَّاَفَةَ ، مُسْتَفِرًا ، عَيْرَ لَا يُقْنَى تَقْرِيبًا ،
إِلَى حَدٍّ أَنَّ الْفَارِسَ الْبُرُونِزِيَّ ذَاهِهٌ قَدْ تَرَجَّلَ ،
وَنَادَى عَلَى ثَلَاثَةِ عَاطِلِينَ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ بِالْمَنْزَهِ بِالْمَعَوْلِ ،
وَبَدَأُوا ، فِي كَدْ وَرِضَى ، فِي تَحْطِيمِ تِمَثَالِهِ .

أَنِينَا ، مَايُو 1960

8 - مِنْ أَجْلِ دِقَّةِ أَكْبَر

كَانَ دَائِمًا مَا يَعُودُ إِلَى الْمَوْضُوعَاتِ نَفْسِهَا . وَاحِدٌ وَوَاحِدٌ - ظَلَّ يُرَدِّدُ
بِسَاطَةً ، حَتَّى يُقْنِعَ نَفْسَهُ - يُشَكَّلُانِ اثْنَيْنِ . اثْنَانْ وَاثْنَانْ : أَرْبَعَةَ . لَكِنْ
آتَيْنِي ،

قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنِ الْجَمْعِ ، يَتَدَخَّلُ أَوْهَى تَوْقُّفٍ ،
أَوْهَى نَفْسٍ ، وَآتَيْنِي يُحِسِّنُ بِالْحَاجَةِ
إِلَى أَنْ يُضِيفَ هَذَا ، مِنْ أَجْلِ دِقَّةِ أَكْبَرِ - نَفْسٍ ،
وَفِيمَا وَرَاءِ بُخَارِهِ يُمْكِنُ تَمْيِيزُ الرَّقَمِ ذَاتِهِ
كَانَهُ مَكْتُوبٌ عَلَى بَابٍ أَوْ عَلَى أَجْنَابِ سَفِينَةِ ،
أَوْ كَنْجَمَةٌ فِيمَا وَرَاءِ وَشَاجَ شَفِيفٌ مِنْ ضَبَابٍ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الْمَرْتَعِشَةِ ،
الْفَاتِنَةِ ، فِيمَا بَيْنَ الْفَسْقِ وَاللَّيلِ .

أثينا، مايو 1960

9 - منظور

بُنيَتْ مَنَازِلُنَا فَوْقَ مَنَازِلَ أُخْرَى، مَصْفُوفَةٌ بِاسْتِقَامَةٍ، مِنْ رُخَامٍ،
وَتِلْكَ فَوْقَ مَنَازِلَ أُخْرَى. أَسَاسَهَا
تَسْتَنِدُ إِلَى رُؤُوسِ تَمَاثِيلِ مُنْتَصِبَةٍ بِلَا أَذْرُعٍ.
وَهَكَذَا، فَلَا يَهُمْ مَدِي الْخِفَاضِ أَكْوَاحِنَا فِي الْحَقُولِ تَحْتَ أَشْجَارِ الزَّيْتُونِ،
صَغِيرَةٌ، وَسَخَّةٌ بِالدُّخَانِ، لَيْسَ بِهَا سَوَى جَرَةٍ مَاءٍ عِنْدَ الْبَابِ،
وَأَحِيَانًا مَا تَتَخَيَّلُ أَنَّكَ تَعِيشُ فِي الْأَعْالَى، وَأَنَّ كُلَّ مَا يُحِيطُ بِكَ يَسْطُعُ
بِالْهَوَاءِ،
أَوْ أَحِيَانًا مَا تَتَخَيَّلُ أَنَّكَ خَارِجُ الْمَنِزِلِ، أَنَّكَ
بِلَا مَنِزِلٍ أَبَدًا، وَأَنَّكَ تَمَشِي عَارِيًّا،
وَحِيدًا، تَحْتَ سَمَاءٍ لَأَرَوَدِيَّةٍ أَوْ بَيْضَاءِ بِصُورَةِ مُذْهِلَةٍ،
وَتِمَالٌ، بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ، يَضْغَطُ بِخَفَقَةٍ بِيَدِهِ عَلَى كَتِفِكِهِ.

أُنِيبَا، يَنَاءِيرِ 1962

10-الأبله

توقفت العَرَبَةُ ، في مُواجهَةِ الْبَحْرِ ،
مُحَمَّلَةً بِسَتَّةِ بَرَامِيلَ حَدِيدِيَّةٍ ، حَمَراءً ،
وَآخَرِيلَوْنِ أَخْضَرَ مُدْهِشٍ . كَانَ الْحَصَانُ
يَرْعَى فِي الْمَرْجِ . وَقَائِدُ الْعَرَبَةِ
كَانَ يَشَرِّبُ فِي الْخَانَةِ . أَبْلَهُ الْجَزِيرَةِ
وَقَفَ عِنْدَ حَاجِزِ الْأَمْوَاجِ ، وَصَاحَ :
"مَعَ هَذَا الْأَخْضَرِ سَاقِهِ رُوكٌ" !
وَأَشَارَ إِلَى الْبَرَامِيلِ السَّابِعِ ، دُونَ أَنْ يَدْرِي
مَاذَا يَحْتَوِيُّ أَوْ مَنْ يَمْتَلِكُهُ .

ساموس ، يناير 1962

11 – اتفاق صامت

كَانَ اثْنَانِهِمْ يَنْظَرُانِ إِلَى خَرِيطَةِ الْحَائِطِ الْكَبِيرَةِ .
وَالثَّالِثُ كَانَ يَنْظُرُ مِنَ التَّأْفِدَةِ .
فِيمَا بَعْدَ أَخَذَ الْاثْنَانِ التَّأْفِدَةَ
وَضَبَطَاهَا فَوْقَ الْخَرِيطَةِ .
وَظَلَّ الثَّالِثُ عِنْدَ فَرَاغِ التَّأْفِدَةِ .

وَجِينَ حَدَثَ أَنْ اسْتَدَارَ الْاثْنَانِ تَحْوِيَ الثَّالِثَ ،
كَانَ الْآنَ خَرِيطَةً مُعَلَّقَةً
فِي السَّمَاءِ . كَانَتِ الرِّيحُ تَهُبُّ عَلَيْهِ
وَبَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ تُخْسِخُ الْوَرَقَةَ عِنْدَ الْخَوَافِ .

أَنْتِيْدِ اتَّفَقَ الْثَّلَاثَةُ بِلَا أَيَّةً مُنَاقَشَةً
عَلَى أَهْمَيَّةِ الْمُوْسِيقِيِّ وَالْتَّنَاسُخَاتِ .

ساموس ، يناير 1962

12 - نهاية نهار

أَعْلَى النَّهَارِ الْمَنَقَّصِي لَمْ يَبْقَ سِوَى هَذِهِ النَّجْمَةِ ،
كَعْقَدَةٌ فِي خَيْطٍ مَرْبُوطٍ حَوْلَ كِيسٍ
عَمِيقٍ ، نَاعِمٍ ، ذِي حَجْمٍ غَيْرِ مُؤْكَدٍ . فَمَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَكُونُ
فِي ذَلِكَ الْكِيسِ ؟ أَيْهُ مَادَّةٌ مُخْتَارَةٌ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ ؟ سَيَكُونُ عَلَيْكَ أَنْ

تَقْطَعُ

الْعُقْدَةُ بِأَسْنَانِكَ أَوْ أَظَافِرِكَ . وَأَظَافِرُكَ الْعَشْرَةُ
تُصْبِحُ فِضَّيَّةً ، ذَهَبِيَّةً تَقْرِيبًا . أَذْلِكَ هُوَ ، إِذَنَ ، مَا بِدَاخِلِ الْكِيسِ ؟

أثينا ، فبراير 1962

13 - معرفة الغامض

حين دقت ساعةُ الحَائِطَ عن بُعدٍ مُنَاسِبٍ من التَّافِذَةِ ،
أدرَكَ أَنَّ اللَّيْلَ قَدْ حَلَّ - لَا مِنْ عَدَدِ المَرَاتِ الَّتِي دَقَّتْهَا -
فَهُوَ حَتَّى لَمْ يُحْصِهَا - بَلْ مِنْ خُصُوصِيَّةِ الصَّوْتِ . أَدْرَكَ
مِنْ الرَّائِحَةِ الرَّطْبَةِ إِلَى حَدَّ مَا لِلْمَلَائِكَاتِ ، أَنَّهُ الرَّبِيعَ .
بَلْ إِنَّهُ أَدْرَكَ ، مِنْ الطَّرِيقَةِ الَّتِي خَلَعَتْ بِهَا الْمَرْأَةُ حِذَاءَهَا
تَحْتَ الْمَائِدَةِ يَا كَوَابِهَا الْخَمْسَةَ ، أَنَّهَا كَانَتْ مُرْهَقَةً .
هَذَا مَا أَدْرَكَهُ بِشَكْلٍ خَاصٍ مِنْ اتِّجَاهِ الْكُوبِ الْخَامِسِ ،
مِنْ وَهْجِهِ الرَّهِيفِ - إِرْهَاقٌ بِالْغُ ، مُدْهِشٌ ، فَخُورٌ ، أَبْدِيٌّ .

أثنينا ، فبراير 1962

14- اللّص

لِصٌ - لِصٌ بِالْفِعْلِ ، رَجُلٌ تَافِهٌ ، مَعْرُوفٌ بِتَرَبِّصِ
بِالنِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ، وَالعَجَائِزِ ، وَالْأَطْفَالِ ، وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ ، وَالثَّوَافِذِ ،
وَالْمَصَابِيحِ ،
وَالْجِيَّارَاتِ الْقَدِيمَةِ ، وَمَا كِنَّاتِ الْخِيَاطَةِ ، وَالْأَغْصَانِ الْجَافَةِ ، وَهُوَ
نَفْسُهُ . كَانَ دَائِمًا مَا يَسْرِقُ مِنْهُمْ
أَوْضَاعًا مَا ، تَعْبِيرًا مَا ، أَعْقَابَ السَّجَاجِيرِ الَّتِي يَرْمُونَهَا فِي الشَّارِعِ ،
مَلَابِسَهُمْ حِينَ يَتَعَرَّفُونَ لِيُمَارِسُوا الْجِنْسَ ، أَفْكَارَهُمْ ،
أَشْكَالَهُمُ الْمَجْهُولَةُ ، مَا يَخْصُصُهُمْ ، وَيَصْنَعُ
بَاقَاتٍ كَبِيرَةً مِنَ الرُّهُورِ ، أَوْ يَغْرِسُهَا فِي إِصْبِصِ . وَالآنِ ،
فِي مَحَلِّ الزَّهُورِ بِالْمَنْطِقَةِ ، مِنْ وَرَاءِ الثَّوَافِذِ ، نَرَاهُ
يَرْثِشُ الْوُرُودَ الْكَبِيرَةَ ، وَالدَّالِيَا ، وَالْقَرْنُفُلُ ،
مِنْ دُونِ أَنْ يَبِعَهَا أَوْ حَتَّى يَتَخَلَّ عَنْهَا - لِصٌ غَرِيبُ الْأَطْوَارِ ،
أَمِيرُ الْخِطَاطِيِّ فِي مَسْتَلِهِ . وَجْهُهُ فَخَسِبٌ
شَاحِبٌ ، يُمْكِنُ تَمْيِيزُهُ وَسَطْ الزَّنَابِقِ الشَّاهِقَةِ ،
كَرْجُلٌ مَيِّتٌ فِي تَابُوِهِ الرُّجَاجِيِّ . بِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكِ ،

لَا يَنْهَاكُو، كُلَّ مُكْرَرٍ لَّا يُنْهَاكُو، هُنَّا بِرَبِّنَا الَّذِي لَا يَنْتَعِي
إِلَّا مَا أَنْهَاكُو إِلَّا مُكْرَرٍ لَّا يُنْهَاكُو، يَرْجِعُ أَنْتَمْنَا، يَرْجِعُ أَنْتَ عَلِيْنَا فِيمَا بَعْدَ
أَوْ هَذِهِ الْأَيْنَدَرِ، كُلَّ مُكْرَرٍ مُصْبِيَّةَ مِنْ قَدْرٍ، مَدْعُونَ
بِطَلَّهِ أَمْرِي وَيَنْهَاكُو - تَرْجِعُهُ أَخْرِي - بِلِسْتَابِ مُسْتَوْعَةٍ.

1963-1957

15- في النّسيان

الشَّيْءُ الْمَادِيُّ الْوَحِيدُ الَّذِي تَبَقَّى مِنْهُ كَانَ مِعْظَمَهُ .
عَلَقُوهُ هُنَاكُ ، فِي خِزَانَةِ الْمَلَابِسِ الْكَبِيرَةِ . وَتُسِيَّ ،
انْكَمَشَ فِي الْوَرَاءِ بِسَبَبِ مَلَابِسِنَا الصَّيفِيَّةِ وَالشَّتوَيَّةِ ،
الْمَلَابِسِ الْجَدِيدَةِ كُلَّ عَامٍ لِاِحْتِيَاجَاتِنَا الْجَدِيدَةِ . إِلَى أَنْ لَفَتَ اِنْتِبَاهَنَا ،
ذَاتَ يَوْمٍ - رُبَّمَا بِسَبَبِ لَوْنِهِ الْغَرِيبِ ،
رُبَّمَا بِسَبَبِ تَفَصِيلِهِ الْعَتِيقَةِ . عَلَى أَزْرَارِهِ
كَانَتْ هُنَاكُ ثَلَاثَةُ مَنَاظِرٍ طَبِيعِيَّةٍ مُسْتَدِيرَةٍ ، مُتَمَاثِلَةٌ :
حَائِظٌ الْإِعْدَامِ بِهِ أَرْبَعَةُ ثُقُوبٍ رَصَاصِ ، وَنَدَمْنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ .

أُثِينا ، فِي رَأْيِر 1962

16- تفسيرات خاطئة

قطرات المطر الأولى ضربت البحر. ولأنهم شبان، فلم يبالوا
وبالرغم من ابتلال شعيرهم وملابسهم، ضاحكوا. وفي النهاية،
فتحوا مظلاتهم - غابة كاملة من المظلات،
زرقاء، صفراء، بنفسجية، لكن قبل كل شيء سوداء،
والبحر هو الحليفية، وقارب على البعد
يتقادر بخفة من مظلة إلى أخرى. استمتع بذلك كثيراً،
كأنما المظلات لم تُصنع من أجل المطر
بل المطر من أجل المظلات. منذ أعوام كثيرة - كم؟
كيف يمكن له بساطة أن يكون شاهداً وهو لا يزال صغيراً،
شاهدًا دائمًا، مراقبًا لنفسه، و دائمًا صغيرًا -
يلا مظلة، في المطر، بعيدًا بضعة أقدام،
مغيرًا بعده حسب الحاجة إلى المنظور،
مسافته المادية، وحيدًا في سعادته البعيدة هذه؟

أثنينا، مارس 1962

17 - معرفة

الماء ، والملح ، والشمس ، يلتهمون المنازل قضمة قضمة .
وحيث كان الناس والتوافد لا يزالون موجودين ، ذات يوم ، لا يبقى الآن
سوى الأحجار المبلولة
وتمثال وجهه في الطين . الأبواب ، وحدها ،
تسافر في البحر ، يائسة ، جاهلة ، وخرقاء . وفي الأوقات السابقة على
الغروب ،
يمكنك أن تراها ملائمة على المياه ، أفقية ، موضدة أبدا . والصيادون
لا ينظرون إليها . يجلسون في الفجر الباكر في بيروتهم أمام المصايبع
يسمعون الأسماك تنزلق في شقوق أجسادهم ،
يسمعون البحر يطرق عليهم بآلف يد (مجهولة تماماً) ،
آنئذ يسقطون في النوم بالأصداف المشبكة في شعرهم .
فجأة ، يسمعون طرقا على هذه الأبواب ، ويستيقظون .

ساموس 1962

18 - مُدَرَّج قديم

حين وَقَفَ شَابٌ يُونَانِي - قُرْبَ الظَّهِيرَةِ - فِي وَسْطِ
مُدَرَّجٍ قَدِيمٍ، يُثْقَّةُ، وَمَعَ ذَلِكَ وَسِيمَا مِثْلَمَا كَافُوا،
أَطْلَقَ صَيْحَةً (لَا صَيْحَةً إِعْجَابٌ؛ لَأَنَّهُ لَمْ يُجِسْ
يَإِعْجَابَ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَحَتَّى لَوْ أَحَسَّ بِهِ،
فَيَا تَأْكِيدَ لَمْ يَكُنْ لَيُظْهِرَهُ)، صَيْحَةً بَسِيَطَةً،
رَيْئَماً مِنْ فَرْجٍ لَمْ يُرَوِّضْ بِشَبَابِهِ
أَوْ بِبَسَاطَةِ لِيُجَرِّبَ الْخَصَائِصَ الصَّوْتِيَّةَ لِلْمَكَانِ. وَفِي الْجِهَةِ الْمُقَابِلَةِ،
عَالِيَا فَوْقَ الْجَبَلِ الْمُنْهَدِرِ، رَدَ الصَّدَى -
الصَّدَى الْيُونَانِيُّ، الَّذِي لَا يَعْرِفُ التَّقْلِيدَ أَوِ التَّكْرَارَ
بَلْ يَتَوَاصُلُ بِبَسَاطَةٍ إِلَى ارْتِفَاعٍ بِلَا حُدُودٍ،
الصَّيْحَةُ الْأَبْدِيَّةُ لِلْقَصِيدَةِ الْحَمَاسِيَّةِ.

دلفي، مارس 1962

19- حَتَّى الْفَجْر

كَانَتْ تَرْكُضُ فِي الْخَلِيلِ مَعَ الْقُرَاقِصِ الطَّوِيلِ ،
وَرَاءَهَا ، كَانَتْ سَاعَاتٌ حَائِطٌ وَأَجَرَاسٌ تَصْبِحُ ،
ثُمَّ طَبَلَةً ، وَبَعْدَهَا أُخْرَى - وَاصْلَتِ الْجَرِيَّ ،
طُبُولٌ كَثِيرٌ فِي مُنْتَصِفِ اللَّيْلِ ؛ تَدَقَّقَ دَمْهَا مِنْ يَدِهَا وَقَدَمِهَا ؛
لَهَتْ ؛ تَعَرَّتْ فِي مَكَانٍ مَا وَسَقَطَتْ ؛ تَوَقَّفَ اندِفَاعُهَا ،
وَأَيْضًا خَوْفُهَا ؛ لَيْسَ سِوَى الْانِدِهَاشِ الْهَادِيُّ ؛
مَاذَا كَانَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْعَقَبَةُ ؟ ... غَالِبًا الْفُضُولُ .

هَكَذَا سَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ ، تَحَسَّسَتْ بِكُلِّ أَعْصَائِهَا
ثُمَّ رَفَعَتِ الرَّأْسَ الْمَقْطُوْعَةَ لِتِمْثَالِ .
مَسَحَتِ عَيْنَيْهِ ؛ تَوَقَّفَتْ سَاعَاتُ الْحَائِطِ ؛
تَوَقَّفَتِ الْأَجَرَاسُ وَالْطُبُولُ . كَانَ النَّهَارُ يُشْرِقُ .
هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي تَحْمِلُهُ كَرَضِيعٌ فِي يَدِهَا
كَانَ وَجْهَهَا . مِنْ بَيْنِ شَفَتَيْهِ اَنْسَابٌ
خَيْطٌ لَبَنٌ مُتَوَهَّجٌ كَمَا يَنْبَغِي فِي الْفَجْرِ .

20 - شجرة

هَذِهِ الشَّجَرَةُ مَدَّتْ جُذُورَهَا فِي الْجَانِبِ الْبَعِيدِ مِنَ الْحَدِيقَةِ ،
سَامِقَةً ، نَحِيلَةً ، مَعْزُولَةً - رَبِّيَا حَانَ ارْتِفَاعُهَا
فِكْرَةً خَفِيَّةً عَنِ التَّطَفُّلِ . لَمْ تُنْتَجْ قَطْ
ثَمَرَةً وَلَا زَهْرَةً ، لَا سَوَى ظِلَّ طَوِيلٍ يَقْسِمُ الْحَدِيقَةَ نِصْفَيْنِ ،
وَمِعِيَارٍ لَا يَنْطَبِقُ عَلَى الْأَشْجَارِ الْمُنْخَنِيَّةِ ، الْمُثْمِرَةِ .
كُلُّ مَسَاءً ، عِنْدَمَا كَانَ يَذْرُو الْغُرُوبُ الرَّائِعُ ،
كَانَ طَائِرٌ غَرِيبٌ ، بُرْثَقَالِيٌّ ، يَحْكُطُ فِي صَمْتٍ فِي أَوْرَاقِهَا
كَأَنَّهُ ثَمَرَتْهَا الْوَحِيدَةُ - كَجَرَّسِ ذَهَبٍ صَغِيرٍ
فِي بُرْجِ كَنِيسَةٍ ضَخِيمٍ ، أَخْضَرٍ . وَعِنْدَمَا قُطِعَتِ الشَّجَرَةُ ،
حَلَقَ هَذَا الطَّائِرُ فَوْقَهَا ، بِصَرَخَاتٍ صَغِيرَةٍ ، وَحَشِيشَةٍ ،
وَهُوَ يَرْسُمُ دَوَائِرَ فِي الْهَوَاءِ ، يَرْسُمُ فِي الْغُرُوبِ
الشَّكَلَ الَّذِي لَا يَنْفَدِدُ لِلشَّجَرَةِ ، وَهَذَا الْجَرْسُ الصَّغِيرِ
رَنَّ فِي الْأَعْالَى خَفِيَّةً ، بَلْ أَعْلَى مِنْ ارْتِفَاعِ الشَّجَرَةِ الْأَصْلِيِّ .

ساموس، يناير 1963

21- عملية

يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، كَانَ يُجَرِّدُ نَفْسَهُ . فِي الْبِدَائِيَّةِ خَلَعَ مَلَابِسَهُ الْخَارِجِيَّةَ ،
بَعْدَهَا يُقْلِيلُ مَلَابِسَهُ الدَّاخِلِيَّةَ ، ثُمَّ فِيمَا بَعْدِ جِلْدِهِ ،
وَفِي النَّهَايَةِ لَحَمَهُ وَعِظَامَهُ ، إِلَى أَنْ لَمْ يَتَّبَقُ فِي النَّهَايَةِ
سِوَى هَذَا الْجُوَهِرِ الْبَسيِطِ ، الدَّافِعِ ، الشَّفِيفِ
الَّذِي شَكَلَهُ بِصُورَةِ مَجْهُولَةٍ وَبِلَا يَدَيْنِ
جَرَارًا ، وَقَصَائِدَ ، وَنَاسًا صِفَارًا .
وَالْأَرجُحُ أَنَّهُ كَانَ أَحَدَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ .

1963-1957

22- صُعُود

جَلَسَ لِأَيَّامٍ فِي حَقْلٍ شَخِصٌ غَرِيبٌ، وَهُوَ يُخَطِّطُ دَائِمًا
لِيَتَسْلُقَ شَجَرَةَ التَّينِ فِي الْحَقَاءِ ذَاتَ يَوْمٍ، وَيَنْظُرُ
إِلَى الْعَالَمِ مِنَ الْأَعْلَى، يَأْحَسَّا يَسِيرُ وَرَقَةً شَجَرَةَ
أَوْ يَأْحَسَّا يَسِيرَ طَائِرًا، لَكِنَّ دَائِمًا مَا گَانَ شَخِصٌ مَا يَمْرُ،
وَبِذَلِكَ گَانَ دَائِمًا مَا يَتَخَلَّ عَنْ ذَلِكَ .
وَذَاتَ غَسَقٍ،
نَظَرَ بِعِنَاءٍ حَوْلَهُ - لَا أَحَدَ - وَتَسْلُقَ صَاعِدًا
إِلَى الْغُصْنِ الْأَعْلَى. آتَيْنَاهُ
جَاءَتْهُ أَصْوَاتٌ مِنْ وَسْطِ الْأَجْمَةِ: "مَا الَّذِي تَفْعَلُهُ عَالِيًا هُنَاكَ؟"
أَصْوَاتٌ عَالِيَّةٌ، وَأَجَابَ: "تَيَّنَةٌ،
كَانَتْ هُنَاكَ تَيَّنَةٌ أَخِيرَةٌ". وَانْكَسَرَ الْغُصْنُ .
أَنْهَضُوهُ. كَانَتْ يَدُهُ الْيُمْنَى مَضْمُوَّةً يَأْلَمُهُمْ.
جَيَّنَمَا أَجْبَرُوا أَصَابِعَهُ عَلَى الْانْفِتَاحِ، لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا .

ساموس، أغسطس 1963

23- أحجار

تأتي الأيام وتمضي بلا استعجال ، بلا مفاجآت .
ال أحجار تصبح مغمورةً بالضوء والذكرى .
شخصٌ ما يستخدم حجرًا وسادة .
وآخر ، قبل العوم ، يترك ملابسه تحت حجر
حتى لا تأخذها الرّيح . وآخر يستخدم حجرًا كمقدّع
أو كعلامة حدود ليراعته ، أو للمقبرة ، أو الحظيرة ، أو الغابة .

فيما بعد ، بعد الغروب ، عندما تكون قد عدت إلى البيت ،
فأي حجر من الشاطئ تضعه على منضدتك
يُصبح تمثالاً صغيراً - نايكى صغيرة أو كلب أرتيميس ،
وهذا الحجر ، الذي ارتكز عليه شابٌ يُقدميه في الظّهيرة ،
هو باتروكوس^[١] ، برموش مطبقة ، ظليلة .

ساموس ، أغسطس 1963

[١] نايكى: ربة "الانتصار" ، في الأساطير الإغريقية؛ أرتيميس: ربة الصيد والحيوانات البرية، لدى الإغريق؛ باتروكوس: حسب "إلياذة" هوميروس: رفيق أخيل في المعركة.

24- مَكَانٌ خَاصٌ

أَخَذَ الصَّيَادُ أَدَوَاتِهِ وَرَحَلَ .
وَقَفَتِ الْمَرْأَةُ عِنْدَ الْبَابِ .
حَدَّقَتِ فِي الْفَجْرِ الصَّبَابِيِّ .
لَسَّةُ وَرَدِيَّةُ فِي الْأَفْقِ مُؤْلِمَةً .
وَرَاءَ ظَهِيرَهَا سَمِعَتْ أَنْفَاسَ
الْمَنْزِلِ الْمُظْلِمِ مَعَ الْطَّشْتِ وَالْمَكْنَسَةِ .
سَمِعَتِ الْعَجَلَاتِ الصَّغِيرَةِ لِلْأَطْبَاقِ
تَنَدَّحَرَجُ فِي الْهَوَاءِ . اسْتَدَارَتِ إِلَى الدَّاخِلِ ،
أَخَذَتِ الْمَقْصَ الْكَبِيرَ مِنْ فَوْقِ الْمَنْصَدَةِ
وَأَخَذَتِ تَقْصُّ أَظَافِرَهَا بِاحْتِرَاسِ .
ثُمَّ لَمَّا مَتَ أَظَافِرَهَا إِلَى تَلٌّ صَغِيرٌ
وَبَحَثَتِ عَنْ مَكَانٍ مَا لِتُخْبِئَهَا ، لَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْ .
فَمَاذَا لَوْ أَنْ زَوْجَهَا أَوْ أَطْفَالَهَا عَرَرُوا عَلَيْهَا ذَاتَ يَوْمٍ ؟

ساموس، أغسطس 1963

25 - نَدَم

فِي الظَّهِيرَةِ، فَرَدُوا غَدَاءَهُمْ عَلَى أُورَاقِ كُرُومٍ نَاضِرَةِ -
رَبِيُّونُ، خُبْزٌ، طَمَاطِمٌ، مِلْحٌ - جَائِعِينَ،
لَمْ يَسْمَعُوا أَوْ يَرَوْا أَيِّ شَيْءٍ، كَانُوا يَمْضِعُونَ . وَحْدَهُ الْغَرِيبُ
لَمْ يَكُنْ جَائِعًا، وَلَمْ يَأْكُلْ، بَلْ كَانَ يُحْدِقُ
فِي الْحَقْلِ الَّذِي يَنْفُثُ الْبُخَارُ تَحْتَ الشَّمْسِ، مَرْوِرًا
لَاَنَّهُ لَمْ يَكُنْ جَائِعًا . آتَيْنِي أَخْرَاجٌ مِطْوَاهَهُ الصَّغِيرَةَ الَّتِي لَمْ تَقْطَعْ الْخُبْزَ
أَبَدًا،
وَعَلَى لِحَاءِ شَجَرَةِ تِينٍ تَحْتَ يَدِيَا كَبِيرَةً .

رَبَّمَا سَتَّكُونُ هَذِهِ الْيَدُ الْخَلَاوِيَّةُ قَادِرَةٌ فِيمَا بَعْدِ عَلَى الإِمسَاكِ
بِبُسْتَانِ الْكُرُومِ لَهُ، بِجَامِيعِ كُرُومِهِ وَقُبَّعَاتِهِمُ الْقَشِ .

ساموس، أغسطس 1963

26- نُمُوجُ مِنَ الْجِبْسِ

جِينَ أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ تَذَكُّرِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ الصَّيفِ ،
سِوَى ضَبَابِ ذَهَبِيِّ وَخَاتِمِهِ الدَّفِيءِ فِي إِصْبَاعِهِ ،
لَكِنَّ الْأَكْثَرُ هُوَ الْأَكْتَافُ الْعَارِيَّةُ ، الْعَرِيشَةُ ، الْمَسْفُوعَةُ لِفَلَاجِ شَابٍ
اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَاهُ جُزِئِيًّا وَرَاءَ الصَّفَصَافِ - فِي الثَّانِيَةِ مِنْ بَعْدِ الظَّهِيرَةِ -
وَهُوَ عَائِدٌ مِنَ الْبَحْرِ - وَرَائِحَةُ عُشْبٍ مَحْرُوقٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ .
فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ذَاتِهَا ، صَاحَتْ صَرَاصِيرُ اللَّيلِ ، وَدَوَّتْ صُفَارَةُ سَفِينَةِ .
السَّمَائِيلُ ، بِالثَّأْكِيدِ ، صُنِعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ .

ساموس، أغسطس 1963

27- لحظة أَسَى

نَخْلُوا رَمْلَ الشَّاطِئِ، وَحَمَّلُوا الْعَرَبَاتِ الْكَارُو،
وَهُمْ يَقْطُرُونَ بِالْعَرَقِ فِي الْحَرِّ الْخَارِقِ. بَعْدَ الظَّهِيرَةِ،
خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ، امْتَظَوا أَحْصِنَتَهُمْ، وَخَاصُوا فِي الْبَحْرِ،
مُسْوَدَّينَ يُشَعِّرُ أَجْسَادِهِمْ، مُذَهَّبِينَ فِي الشَّمْسِ الْخَارِقَةِ. أَطْلَقَ شَابٌ

وَسِيم

صَيْحَةً وَأَسْقَطَ يَدَهُ عَلَى حِقوِهِ. أَسْرَعَ الْآخْرُونَ
إِلَيْهِ، حَمَّلُوهُ عَلَى أَذْرِعِهِمْ، وَمَدَّوْهُ عَلَى الرَّمْلِ،
تَظَلَّلُوا إِلَيْهِ فِي صَمَتٍ، فِي ارْتِيَاعٍ، إِلَى أَنْ أَبْعَدَ
أَحَدُهُمْ بِوَقَارِيَّدَهُ عَنْ حِقوِهِ،
آنِيَّدِ رَسَمَ الْجَمِيعِ وَهُمْ مُتَحَلَّقُونَ حَوْلَهُ شَارَةَ الصَّلِيبِ.
وَالْأَحْصِنَةُ، الْمَبْلُوَّةُ، الدَّهْبِيَّةُ كُلُّهَا، تَنَشَّقَتِ الْأُفُقُ الْبَعِيدُ.

ساموس، أغسطس 1963

28- صَبَاح

فَتَحَتْ مَصَارِيعَ النَّافِذَةِ، نَسَرَتْ الْمَلَائِكَةَ عَلَى عَتَبَتِهَا، وَرَأَتِ النَّهَارَ.
حَدَّقَ طَائِرٌ فِي عَيْنِيهَا. هَمَسَتْ : "أَنَا وَحِيدَةٌ".
"أَنَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ". عَادَتِ إِلَى الْغُرْفَةِ. الْمَرْأَةُ أَيْضًا نَافِذَةٌ.
وَلَوْ قَفَرْتُ مِنْ هُنَّا، فَسَأَهُوِي بَيْنَ يَدَيِّي.

ساموس، أغسطس 1963

تَمَشَّى مِنْ طَرِفِ الشَّاطِئِ إِلَى الطَّرِفِ الْآخَرِ، وَجَسَدُهُ كُلُّهُ يُومِضُ
فِي رَوْعَةِ الشَّمْسِ وَشَبَابِهِ. بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ، يَغُوصُ فِي الْبَحْرِ
إِلَى أَنْ التَّمَعَتْ بَشَرَتُهُ بِالْأَحْمَرِ الدَّاكِنِ وَالْدَّهِيِّ. لَا حَقَّتْهُ هَمَسَاتُ
الْإِعْجَابِ فِي كُلِّ مَكَانٍ

مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ. وَرَأَاهُ يَيْضُعُهُ أَقْدَامُ كَانَتْ تُلَاحِقُهُ فَتَاهُ صَغِيرًا مِنْ
الْقَرِيبَةِ، حَامِلًا مَلَابِسَهُ يَأْخُلَاصُ،

لَكِنْ دَائِمًا عَنْ مَسَافَةِ مِنْهُ - لَمْ تَكُنْ لَتَرَفَعْ عَيْنِيهَا لِتَبَطَّلُ إِلَيْهِ -
غَاضِبَةً نَوْعًا مَا،

لَكِنَّهَا سَعِيدَةً فِي إِخْلَاصِهَا. ذَاتَ مَرَّةَ، تَسَاجَرَّا،
آتَيْنِي مَنَعَهَا مِنْ حَمْلِ مَلَابِسِهِ. رَمَتْهَا
عَلَى الرَّمْلِ، وَإِذْ لَمْ تَسْتَبِقْ سَوَى صَنْدَلِهِ،
دَسَّتْهُ تَحْتَ إِيْطِهَا، جَرَّتْ وَأَخْتَفَتْ،
تَارِكَةً فِي الشَّمْسِ الْلَّاهِبَةِ الْغَيْمَةِ الصَّغِيرَةِ الْخَرْقَاءِ مِنْ قَدَمِيهَا الْخَافِيَتِينَ.

ساموس، أغسطس 1963

30- تَدْقِيق

امْرَأَةٌ عَجُورٌ عَمِيَاءُ كَانَتْ تَجْلِسُ عَلَى عَتَّبَةِ بَابِهَا عَلَى الشَّارِعِ. فِي الْأَصْبَلِ،
إِلَى يَمِينِهَا، الْمَرْأَةُ الْأُخْرَى، الْأَصْغَرُ، جَالِسَةٌ فِي كُرْسِيٍّ عَنْ بُعْدٍ قَلِيلٍ،
كَانَتْ تُحِسِّنُ أَنَّهَا حُرَّةٌ؛
يُمْكِنُهَا التَّحْدِيقُ فِي الْمَارَةِ بِخَصَانَةِ مَا،
أَوْلَادُ وَبَنَاتُ عَائِدِينَ شَبَهُ عَرَابِيَّاً مِنَ الشَّاطِئِ،
وَيُمْكِنُهَا تَثْبِيتُ نَظَرِهَا عَلَى أَيِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْسَادِهِمْ كَمَا يَحْلُولُ لَهَا. وَفَجَأَةً،
أَحْسَتْ بِشُقُبٍ فِي كَتْفِهَا الْأَيْسَرِ
مِنْ خِلَالِهِ كَانْ يُرَى كُلُّ مَا يُدَاخِلُهَا. أَلَيْسَتْ
الْمَرْأَةُ الْعَجُورُ عَمِيَاءُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ؟

ساموس، أغسطس 1963

31- تقريرًا ساحر

عَنْ بُعْدِ، يُطْفِئُ الْمُصَبَّاحَ، يُحَرِّكُ الْكَرَاسِيَّ
مِنْ دُونِ أَنْ يَلْمَسَهَا . حِينَ يَتَعَبُ، يَخْلُعُ قُبَّعَتَهُ وَيُرْقِعُ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ .
آتَيْدُ، يُحَرِّكُ مُنْزَلَقَةً، يَسْتَخْرُجُ ثَلَاثَةَ أُورَاقٍ كُوْتِشِينَةَ
مِنْ جَانِبِ أَذْنِهِ . يُذْبِبُ نَجْمَةً خَضْرَاءً، مُسَكِّنَةً لِلَّأَلَمِ
فِي كُوبِ مَاءٍ، وَهُوَ يُقْلِبُهَا بِمِلْعَقَةٍ صَغِيرَةٍ فِضَّيَّةً .
يَشَرِّبُ المَاءَ، وَتُصْبِحُ الْمِلْعَقَةُ شَفَافَةً .
يُمْكِنُ رُؤْيَةُ سَمَكَةٍ ذَهَبِيَّةٍ تَسْبُحُ فِي صَدْرِهِ .
آتَيْدُ، مُسْتَنْزَفًا، يَتَمَدَّدُ عَلَى الْأَرِيكَةِ، وَيُغَمْضُ عَيْنَيْهِ .
"هُنَاكَ طَائِرٌ فِي رَأْسِيِّ" ، يَقُولُ، "لَا يُمْكِنُنِي إِخْرَاجُهُ" .
وَيَمْلأُ الْغُرْفَةَ ظِلًا جَنَاحَيْنِ شَاسِعَيْنِ .

ساموس، أغسطس 1963

32- احْتِيَاجٌ إِلَى بُرْهَان

عَلَى مَعْظَمِهِ عَلَى مِشْجَبِ الْمَلَابِسِ فِي الرُّوَاقِ .
كَانَ الْمَنْزِلُ لَطِيفًا ، نَظِيفًا ، دَافِئًا ،
كَأَنَّهُ قَدْ اتَّهَلَ إِلَى زَمْنٍ آخَرَ . وَالْأَشْيَاءُ الصَّامِتَةُ ،
الْكَرَاسِيُّ ، الْأَرَائِكُ ، إِطَارَاتُ الصُّورِ ، فَنَاجِيُّ الشَّايِ ،
كَانَتْ تُلَاحِظُ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ سَلَاسَةً حَرْكَتِهِ ، لَكِنْ يَأْمُعَانُ
إِلَى حَدَّ أَنَّهُ - هُوَ نَفْسُهُ - افْتَبَاهُ إِلَى ذَلِكَ . آتَيْدُ ،
تَحْتَ الْحَسَابَاتِ الْمُلْغَاهِ فِي دَفْتَرِ مَصْرُوفَاتِهِ ،
خَاوَلَ رَسَمَ الْمَلَاهَةِ الزُّجَاجِيَّةِ ،
سَاعِيًّا لِلتِّقَاطِ تَمْثِيلِ مَا لِشَفَافِيَّتِهَا - بُرْهَان
عَلَى الْأَقْلَى فِي رَسِيمِ مَا ، عَلَى لَا جَدَوِيِّ حُرِّيَّتِهِ .

1963-1957

33- إِزَاحَة

لَا يَهُمْ كَمْ اعْتَبَرُهُمْ "مُسَالِمِينَ" ، فَقَدْ كَانَ هُنَاكَ ذَائِمًا حَظَرُ مَا
يَكْمُنُ فِي لَوْنِ مَا ، أَوْ حَرَكَةٍ مَا ، حِينَ يَنْفَتِحُ
البَابُ إِلَى الدَّاخِلِ أَوِ الْخَارِجِ ، حِينَ يُفْرِغُ
مِطْفَأَةَ السَّجَاجِيرِ الزُّجَاجِيَّةَ خَارِجَ النَّافِذَةِ ، لِأَنَّ الرَّبَحَ أَحَيَانًا
مَا تُطِيعُ بِأَعْقَابِ السَّجَاجِيرِ إِلَى دَاخِلِ الْغُرْفَةِ ، وَبِالرَّمَادِ إِلَى عَيْنِيهِ ،
وَأَنَّهُ يَكُونُ مُجَبِّرًا عَلَى لَمَمَّتِهَا وَاحِدًا وَهُوَ عَلَى رُكْبَتِهِ .
فِي هَذَا الْوَضِيعِ بِالْتَّحْدِيدِ وَجَدَنَاهُ ، كَأَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي ،
وَرُبَّمَا كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ كَذَلِكَ . "لَا ، لَا" ، قَالَ ،
وَفَتَحَ رَاحِتَهُ كُبْرَاهُانَ ، وَأَعْقَابُ السَّجَاجِيرِ

مُرْتَبَةٌ فِي صُفُوفِ كَجُنُودِ مِنْ رَصَادِنِ ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ نَقُولُ
إِنَّهُمْ لَمْ يُشَارِكُوا فِي أَيَّةٍ مَعْرَكَةٍ . وَمَعَ ذَلِكَ ، اسْتَطَعْنَا أَنْ نَرَى فِي وَجْهِهِ
الْانْتِصَارَ الْخَيْرَ الْأَقْصَى لِلْمَهْزُومِ تَمَامًا .

ساموس، يناير 1965

34- يَوْمَ شَخْصٍ عَلِيل

مُطَوَّلَ النَّهَارِ رَائِحَةُ الْوَاحِدِ أَرْضِيَّةٌ رَطِيَّةٌ، عَطِينَةٌ،
جَحْفٌ وَتَنَفُّثُ الْبُخَارِ فِي الشَّمْسِ. الْطَّيُورُ
تُحَدَّقُ لِوَهْلَةٍ مِنَ السُّطُوحِ، ثُمَّ تَرَحَّلُ.
فِي الْحَائِنَةِ الْقَرِيبَةِ فِي اللَّيْلِ، يَجْلِسُ حَفَارُو الْقُبُورِ
وَيَأْكُلُونَ سَمَكَ الْمَنَوِ الْمَقْلِيِّ، وَيَشَرِّبُونَ، وَيُغَنِّونَ
أُغْنِيَّةً حَافِلَةً بِشُقُوبٍ كَثِيرَةٍ مُظْلِمَةً -
مِنْهَا تَبَدَّأُ فِي الْهَبُوبِ رِيحُ هَادِيَةٍ،
وَأَوْرَاقُ الشَّجَرِ، وَالْأَضْوَاءِ، وَأَوْرَاقُ الرُّفُوفِ تَرَعِيشُ.

أَثْبَانَا، يُونِيُو 1961

35- المشبوه

أغلقَ الباب ، تَظَلَّعَ ورَاءَهِ بِاسْتِرَابَةٍ ،
وَدَفَعَ بِالْمَفْتَاحِ إِلَى جَيْبِهِ . آتَيْنِيْ اعْتَقَلُوهُ .
أَنْهَكُوهُ لِشَهُورٍ . إِلَى أَنْ اعْتَرَفَ ، ذَاتَ مَسَاءٍ ،
(وَذَلِكَ مَا أُثِبَتَ) أَنَّ الْمَفْتَاحَ وَالْمَنْزِلَ
كَانَا مِلْكَهُ . لَكِنْ أَحَدًا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ
لِمَادِيَا أَخْفَى الْمَفْتَاحَ . وَهَكَذَا ،
بِرُغْمِ أَنَّهُ ثَبَّتَ بِرَاءَتُهُ ، إِلَّا أَنَّهُ ظَلَّ - بِالنِّسْبَةِ لِلْجَمِيع - مَشْبُوهًا .

1965-1964

36- جَسَدُ الرِّيحِ

لَقَدْ رَأَيْتُ الْجَسَدَ الْكَامِلَ لِلرِّيحِ، قَالَ، جَسَدُهَا الْكَامِلُ...
لَقَدْ صَفَعَتْ خَدَّيِّ، أَمْسَكَتْ
بِصَدْرِي وَحْقَوِي، وَرُكْبَهَا
خَبَطَتْ رُكْبَتِي؛ دَهَسَتْ
أَصَابِعَ قَدَمِي - رَأَيْتُهَا، أَقُولُ لَكُمْ،
هُنَا، جَسَدًا لِجَسَدِ، مُنْتَصِبَيْنِ كِلَانًا. وَالآنِ،
لَدَيِّ فِي فَيِّ أَسَى عَظِيمٍ
وَتَسْعَهُ أَوْرَاقِ شَجَرٍ حَوْلَ رَقَبَتِيِّ.

ساموس، ديسمبر 1964

37- اعتراف صغير

أَوْدَ أَنْ أَكُونَ مَرِحَاً ، قَالَ . مُطْوَلُ النَّهَارِ
أَسْعَى لِلْعُثُورِ عَلَى شَيْءٍ مَا أَبْتَهِجُ بِهِ . وَكَثِيرًا مَا لَا أَعْتَرُ عَلَى شَيْءٍ ،
وَآنِيَذِ سَقْطٌ عَنِي مَلَابِسِي ؛ وَأَبْقَى
مُعَلَّقًا فِي رِقَّةٍ بِالْفَرَاغِ ، مُنْتَظِرًا
شَخْصًا مَا لِيُحِبِّنِي حَتَّى أَحْيَا . وَقَبْلَ حَتَّى
أَنْ تَهُبَ أَوْهَى نَسْمَةٍ ، أُحِسِّنْ بِهَا تَرَّعِشٌ
عَلَى أَظَافِرِ أَقْدَامِي . آنِيَذِ فَجَاءَ
ثُمَّرُ شَبَكَةُ عَنْكُبُوتٍ مُتَدَلِّلَةٍ
خَدَّيِ مِنْ أَعْلَاهُ لِأَسْفِلِهِ .

ساموس، 20 أغسطس 1964

38- بلا ترويض

لَيْسَتْ زَرَقَاءَ - تَقُولُ - السَّمَاءُ حَمَراءَ
بِيَقْعَ صَفَرَاءَ . ذَلِكَ مَا تَقُولُهُ . تَرْفَعُ يَدَهَا ،
تَأْخُذُ التَّفَاحَةَ الْحَمَراءَ مِنَ الرَّفِّ ، تَقْطَعُ التَّفَاحَةَ ،
تَرْبِي بِالْطَّبِيقِ وَالْتَّفَاحَةِ مِنَ النَّافِذَةِ ،
تَقِفُّ أَمَامَ الْمَرْأَةِ وَتُمْسِطُ شَعْرَهَا ،
يَحْذَائِهَا الْأَحْمَرَ ، وَشَعْرِهَا الْأَخْضَرَ ، وَثَدِيهَا الزَّرَقَائِينَ ،
بِالسَّكِينِ بَيْنَ أَسْنَانِهَا كُلِّجَامَ ،
مُتَاهِبَةً لِلْقَفْزِ عَلَى صُورَتِهَا بِحِصْنَانِهَا الْأَحْمَرَ -
وَعُرْفُهُ يُوَمِّضُ فِي اِنْطِلَاقَةٍ مُفَاجِيَةٍ فِي عُمْقِ الْمَرْأَةِ .

ساموس، أغسطس 1964

39- أصيل

سَقَتِ الزُّهُورُ، وَسَمِعَتِ المَيَاهُ تَقْطُرُ مِنِ الشُّرْفَةِ.
الْأَلَوَاحُ عَرِقَتْ بِالْمَاءِ وَاهْتَرَأَتْ. بَعْدَ الدَّدِ،
حِينَ سَتَهُوِيِ الشُّرْفَةُ، سَتَبْقَى هِيَ فِي الْهَوَاءِ،
هَادِئَةً، جَمِيلَةً، مُمْسَكَةً فِي يَدِهَا
يُؤْصِيَ الزُّهُورُ الْكَبِيرَيْنِ، وَزُهُورُ الْجَارِدِينِيَا، وَابْتِسَامَتِهَا.

ساموس، أغسطس 1964

40 - رُسُول

صَنَدَلُهُ ، الْمُتَرُوكُ عَلَى الرَّمْلِ ، يَلْتَوِي تَحْتَ الشَّمْسِ .
وَهُوَ لَا يُمْكِنُ رُؤْيَتَهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ . رُبَّمَا نَسِيَ نَفْسَهُ
هُنَاكَ فِي الْأَسْفَلِ ، مَعَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ السَّبَّاحِينَ . وَشَكْلُ الصَّنَدَلِ
يَفْضَحُ وَضْعَ قَدْمٍ شَابٍ . وَأَضِحَّهُ بَصَمَةُ
أَصَابِعِ الْقَدْمِ الْقَوِيَّةِ ، ذَاتِ الإِيقَاعِ . لَكِنْ ، كَمْ هُوَ غَرِيبُ ،
أَنَّ الْجَنَاحَيْنِ الْعَادِيَيْنِ ، الْمَمِيرَيْنِ لِلْكَعْبَيْنِ ، مَفْقُودَانِ .

1965-1964

41- الوجه العَكْسِي

قال : " حتى العزلة هي علاقة " .

توقف . فَكَر . " بِمَاذَا ؟ "

قَرَر ، خسارة جَيْلَة ، استِرَاف ،
أَيْتَهَا الْعَمَلَةُ الْقَدِيمَةُ ، سَأَقْلِبُكِ عَلَى وَجْهِكِ الْآخَرِ
لِأَرَى الْوَجْهَ الْمَنْحُوتَ لِشَابٍ
يُظَلَّلُهُ ذَيْلُ حِصَانٍ وَخَوْذَةً .

ساموس، أغسطس 1964

42- بعد الاحتفال

مَعَ الصَّيَاحِ، وَالضَّوْضَاءِ، وَالْمَلَائِكَةِ الْجَمِيلَةِ،
نَسِينَا أَنفُسَنَا تَمَامًا، وَلَا رَفَعْنَا أَعْيُنَنَا
نَحْنُ قَوَاصِرُ الْمَعْبُدِ الْعَالِيَّةِ الَّتِي نُظْفَتْ مُنْذُ شَهِيرٍ فَحَسِبَ
عَلَى يَدِ عُمَالٍ عَلَى سَقَالَاتٍ مَنْصُوبَةٍ. عَلَى أَيَّتِهِ حَالٌ، فَعِنْدَمَا حَلَ الظَّلَامُ
وَهَذَا الصَّحَبُ، ابْتَعَدَ عَنَّا أَصْغَرُ مَنْ فِي مَجْمُوعَتِنَا،
صَعَدَ السَّلَالِمُ الرُّحَامِيَّةُ، وَوَقَفَ
وَجِيدًا فِي تِلْكَ الْمَسَاحَةِ الْخَاوِيَّةِ الَّتِي عُقِدَتْ فِيهَا احْتِفَالَاتُ الصَّبَاحِ. وَإِذْ
وَقَفَ هُنَاكَ
(وَنَحْنُ وَرَاءِهِ بِقَلِيلٍ حَتَّى لَا نَبُدُ أَقْلَ شَانًا)، بِرَأْسِهِ الْجَمِيلَةِ
مَرْفُوعَةٌ قَلِيلًا، مُسْتَغْرِقًا، مَغْمُورًا
بِضَوْءِ قَمَرِ يُونِيُّو، فَمَنَحَنَا الْأَنْطِبَاعَ بِأَنَّهُ جُزُءٌ مِنَ الْقَوْصَرَةِ.
اقْتَرَبَنَا مِنْهُ، لِهَذَا، أَمْسَكَ كُلُّ مِنَّا بِالْآخَرِ مِنْ كَتِفِهِ، وَمَرَّةً أُخْرَى هَبَطَنَا
الدَّرَجَاتِ الْكَثِيرَةِ. وَمَعَ ذَلِكَ، كَانَ كَأَنَّهُ
قَدْ بَقَى هُنَاكَ، غَارِيًّا، رُخَامِيًّا، مُنْسَحِبًا،
وَسَطِ الْأَلْهَمَةِ الشَّابَّةِ وَالْخُيُولِ.

٤٤- طَوَّرَسِ بِيرِيلَامِيس^٢

لِمَا أَرَادَ بِيرِيلَامِيسُ، ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمَرَاقَةُ، أَنْ يَنْقُلَ
هَذِهِ الْطَّوَّارِسَ مِنْ قَصْرِ الْمَلِكِ الْفَارِسِيِّ؟
عِنْ مُتَابِسِينَ لِلْقُرْبَةِ الْإِغْرِيقِيَّةِ، مُخْتَالِينَ
يُعَاطِفُهُمُ الْفَجْعَةُ مُتَعَدِّدَةُ الْأَلْوَانِ عَلَى سَلَالِمِ
بِيرِيكَتُيُونَ الرُّخَامِيَّةِ شَاهِقَةُ الْبَيَاضِ. بِالْطَّبِيعِ، أَعْجَبَتْ
بِهِمُ الْحُشُودُ بِصُورَةِ زَانِةٍ. وَرَتَّمَا جَاءَ بِهِمْ بِيرِيلَامِيسُ
إِلَى أَثْيَنَا لَا مِنْ أَجْلِ رِيشِهِمْ
بَلْ مِنْ أَجْلِ تَعْبِيهِمُ الْفَرِيدُ. بِالْتَّأْكِيدِ كَانَ أَفْلَاطُونُ
يَعْرِفُ السَّبَبَ. فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ، حَتَّى آثِينَيْ، أَلَمْ يُلَوِّنُ الْقُدَمَاءُ
خُطْبَهُمْ وَجَرَارَهُمْ وَرُوجُوهُهُمْ وَتَمَاثِيلُهُمْ؟
بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ كُلَّ ذَلِكَ يَبْدُو الْيَوْمَ أَبْيَضَ بَاهِرًا؟

ساموس، أغسطس 1964

^٢ بِيرِيلَامِيس *Pyrilampes*: سِيَاسِيُّ أَثِيَقٌ قَدِيمٌ، وَزُوْجُ أَمْ أَفْلَاطُونَ.

44- اللّذة الحِسْيَةُ الأوَّلِيَّةُ

جِبالٌ شَامِخَةٌ ، كَالْيَدُرُومُونْ ، أُوْيَتا ، أُوْثِرِيس ،
صُخُورٌ مُهَيْمَنَةٌ ، بَسَاتِينُ كُرُومْ ، حُقُولٌ قَمِعٌ وَبَسَاتِينُ زَيْتُونْ ؛
هَا هُنَا حَفَرُوا الْمَحَاجِرْ ، وَالْبَحْرُ تَرَاجِعْ ؛
الرَّائِحَةُ الْكَثِيفَةُ لِأَشْجَارِ الْمُسْتِكَةِ الَّتِي أَحْرَقَتْهَا الشَّمْسُ ،
وَالصَّمْعُ يَقْطُرُ فِي عَنَاقِيدِ . مَسَاءٌ
شَاسِعٌ يَهِيطْ . هُنَاكْ ، عِنْدَ الشَّاطِئِ ، أَخِيلْ ،
الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ الْمَرَاهِقَةَ بَعْدَ ، وَهُوَ يُمْسِكُ بِكَعِبِهِ
يُجَرِّبُ صَنْدَلَهُ ، أَحَسَّ بِتِلْكَ اللّذَةِ الحِسْيَةِ الْبَعِيْدَةِ . وَلِلْحَظَةِ
هَامَ عَقْلُهُ فِيمَا كَانَ يُحَدِّقُ فِي انْعِكَاسَاتِ بِالْمَاءِ . آنِيْذِ
ذَهَبَ إِلَى ذَكَانِ الْحِدَادَةِ وَأَمْرَ بِدِرِعِهِ -
كَانَ يَعْرِفُ الْآنَ شَكْلَهِ بِالْتَّحْدِيدِ ، وَمَكَانَهُ ، وَحَجْمَهُ .

ستيليس، يونيو 1964

45- اختيار

غَطَّ رِفَاقُهُ فِي النَّوْمِ عَلَى الْحِبَالِ فِي الْمُؤْخَرَةِ ؛
آنِيذِ جَاءَتْ ، أَخَذَتْهُ مِنْ يَدِهِ وَذَهَبَتْ بِهِ
فِي طَرِيقٍ صَاعِدٍ قَلِيلًا مِنَ الشَّاطِئِ ؛ اسْتَلَقَتْ بِجُوَارِهِ
وَأَخْبَرَتْهُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، كَامِرَةً فَانِيَّةً لِزَوْجِهَا ؛ لَمْ تُخْفِ شَيْئًا عَنْهُ -
أَيَّهُ مَصَاعِبَ سَتُواجِهُهَا ، أَيَّهُ تَحْذِيرَاتٍ سَيَتَلَقَّاها . مَعَ ذَلِكَ ،
فِي النُّقْطَةِ الْفَاصِلَةِ ، لَمْ تُقْدِمْ لَهُ أَيَّهُ نَصِيحةً ،
وَلَا مَعْلُومَةً تَقْرِيبًا . كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُقْرَرَ - كَمَا قَالَتْ -
بِنَفْسِهِ ، وَبِنَفْسِهِ وَحْدَهَا ، أَنْ يَخْتَار . (فَأَيُّ اخْتِيَارٍ كَانَ مُمْكِنًا
بَيْنَ الشَّرَّيْنِ الْأَسْوَأِ؟) حَقًا ، بِنَفْسِهِ ،
تَمَامًا مِثْلَمَا كَانَ قَدْ ظَلَّ فِي شَجَرَةِ التَّيْنِ الْبَرَّيَّةِ ، مُعَلَّقًا كُخْفَافِشِ
فَوْقَ الْأَحْشَاءِ السَّوْدَاءِ لِلْأَعْمَاقِ الْفَاغِرَةِ ، مُنْتَظِرًا
الْانِدِفَاعَةِ الْوَشِيكَةِ التَّالِيَّةِ لِلْبَحْرِ ،
بِنَفْسِهِ ، فِي قَفْرَتِهِ الْأَخِيرَةِ إِلَى الْمَحِيطِ ، وَبِنَفْسِهِ فِيمَا بَعْدِ
عَلَى الصَّارِيِّ المَصْعُوقِ . هَذَا الْمَجْدُ ،
عَلَى الْأَقْلِ ، كَانَ مَجْدَهُ عَلَى وَجْهِ الْخَصْرِ - وَرُبَّمَا مَجْدَهُ الْوَحِيدِ .

46- في منزل ناويسيكا^١

حين عادت- في المساء - من شاطئ التهر إلى المدينة البحريّة
حيث تتخيّب الصواري بالشرفات وأشجار الكروم ،
خرج من القصر أشقاوها ، وفكوا سروج البغال ،
ثم أخذوا من عربات الكارو الملابس المغسولة وحملوها إلى الداخل ،
جاءة عيقة من الشمس ، والغار والصابون ، ساعة
أن تضيء الخادمات مصابيح الزيت ، وتعود المائدة للعشاء . الليلة
كانت الفتاة تُشرق بجمالي مغاير ، مرتّعة ، مهتاجة في المكان ،
خشية أن يُحسّ أشقاوها من ثقل الملابس المغسولة
أن هناك قطعة ملابس مفقودة . لا أحد بالطبع يمكنه تحديدها .
والغريب

ظلّ خارج الحديقة المرويّة ، وحيداً . وحين ظهر ،
لم تُعرّف إلا آرتي على قطعة الملابس التي تخص ابنها لا وداماس
ويرتديها الغريب ، حين جئا على ركبتيه أمامها ،

^١ ناويسيكا Nausicaa: إحدى شخصيات "الأوديسه"؛ ابنة الملك ألكينوس، واسمها يعني- في اليونانية- "محرقة السفن".

وَفِي الْخَالِ أَحْسَتْ تِجَاهَهُ مِثْلَمَا تُحِسْ تِجَاهَ ابْنِهَا . "انهض" - قَالَتْ -
وَأَجْلَسَتْهُ فِي أَفْضَلِ مِقْدَدٍ
تَحْتَ التَّعْرِيشَةِ ، حَيْثُ كَانَ چِيتَارُ دِيمُودُوكُوس مُعَلَّقًا .

1965-1964

47- تدرجات

أهاجت كلمات إيوريالوس الفظة ظلماً أوديسيوس .
أرادها فظة ، وهكذا نطق بها . قال : " تاجر
من لا يهتم إلا بتجارته وبالمكاسب غير المشروعة ،
لَا بالمنافسات التئيلة . هكذا تكلم ، وفاز هو والأخر
حين رفع أوديسيوس عاليًا القرض الكبير
وقذف به إلى ما وراء كل العلامات الأخرى ، مع ذلك الصفير
حيث فشل الفينيقيون ذوو المجاذيف الطويلة (دون اعتبار
لأن الريبة الحقيقة قد حصرت العلامة أبعد قليلاً) .
وهكذا ، كم من البداءات الأخرى لم تكن موجودة هناك ،
يصرف النظر عن التوابيا التئيلة لأي إيوريالوس ،
بداءات صريحة لم يحدث أبداً أن نجحت في حفظ
قوتنا ؟ ولابد للمرء من الشعور بالأسف
على كل هذه القوة الثانية ، لا على البداءات أبداً .
وأسوأ ما في الأمر أن المرأة لا يحسن بالأسف إلا على ذلك .

أثنينا، يناير 1965

48 - تفاصيل عاديّة

حين نهض إيماؤس، مُرئيُّ الحنازير، ليُعنَى بالغريب،
الذِي كَانَتْ كَلَابُ الرَّاعِي تَنَبَّخُ عَلَيْهِ،
سَقَطَتْ مِنْ رُكْبَتِيهِ قِطْعَةُ الْجِلْدِ الْجَمِيلَةِ، المُشْغُولَةُ بِعِنَاءِهِ،
الَّتِي كَانَ يُجْهَزُهَا لِصَنْدَلِهِ. فِيمَا بَعْدِهِ،
جِينَ انْطَلَقَ لِيَذْبَحَ الْخِنْزِيرَيْنِ
لِضِيَافَةِ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ، أَحْكَمَ حِزَامَهُ.
هَذِهِ الْأَشْيَاءُ - الْجِلْدُ، صَنْدَلُهُ، إِحْكَامُ الْحِزَامِ -
لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحْسَسَ بِمَعْنَاهُ (فِيمَا وَرَاءِ الْأَرْبَابِ وَالْأَسَاطِيرِ،
فِيمَا وَرَاءِ الرُّمُوزِ وَالْأَفْكَارِ) إِلَّا الشُّعَرَاءُ.

1965-1964

49- شهر التنظيف

شُرُوقُ شَمْسِ يَنَاءِرْ ؛ شَفَافِيَّةُ ثَلْجِيَّةٌ ، مُعَرَّيَةٌ .
تَلَاشَتِ الْغَيْوُمُ كُلُّهَا فَجَاءَ . عَلَى التَّلَالِ الْمَشَجَرَةِ ،
الَّتِي لَا تَرَأَلُ مُظْلِمَةً مِنَ التَّدَادَةِ الطَّوِيلَةِ ، يَرْتَفِعُ
إِلَى السَّمَاءِ الْزَّرَقَاءِ دُخَانُ الرُّعَاةِ . وَذُرَى الْجَبَلِ بَعِيدًا إِلَى الْوَرَاءِ ،
سَمَاءُ زَرَقَاءِ بِصُورَةِ مُطْلَقَةٍ - هَذِهِ السَّمَاءُ الرَّائِعَةُ . لَا لَوْنَ آخَرَ ،
يَقُولُ - يُمْكِنُ أَنْ يَكُونُ مُنَاسِبًا فِي هَذَا الْمَشَهِدِ الْطَّبِيعِيِّ الْعَظِيمِ ،

الشَّفِيف

سِوَى نُقْطَةٍ حَمَرَاءٍ مِنَ الدَّلِيلِ الَّذِي ذَبَحُوهُ
عَلَى حَجَرِ الْأَسَاسِ . هَكَذَا تَكَلَّمُ . وَكَانَ يَقْصُدُ بِذَلِكَ
حَرَكَةٌ إِصْبَاعَيْنِ تَكْشِفَانِ
كَيْفَا ، جُرْحَا ، نَبَعا ، حُلْمَا عَارِيَا .

1965-1964



اثنتا عَشْرَةَ قَصِيدَةً إِلَى گَفَافِيس

(1963)



I مكان الشّاعر

المَكْتُبُ الْأَسْوَدُ الْمَنْقُوشُ، وَالشَّمْعَادَانُ الْفِضْيَانُ،
وَغُلْيُونُهُ الْأَحْمَرُ. يَجْلِسُ، غَيْرَ مَرِئٍ تَقْرِيبًا، فِي مِقْعِدِهِ،
جَاعِلًا التَّأْفِدَةَ دَائِمًا وَرَاءَ ظَهِيرَةِ وَمِنْ وَرَاءِ نَظَارَتِهِ،
الْكَبِيرَةِ الْحَذِيرَةِ، يَتَأَمَّلُ أَيَّ شَابٍ يَتَحَدَّثُ مَعَهُ
وَمَنْ يَنْعِمُ فِي الصَّوْءِ، فِيمَا يَظْلِلُ هُوَ نَفْسُهُ مُخْتَبِثًا وَرَاءَ كَلْمَاتِهِ،
وَرَاءَ التَّارِيخِ، وَرَاءَ شُخُوصِ مِنْ إِبْدَاعِهِ، بَعِيدَةً وَمَنِيَّةً،
مُجْتَذِبًا اِنْتِبَاهَ الْآخَرِينَ بِالْانْعِكَاسَاتِ الرَّهِيفَةِ
لِلْلِيَاقُوتَةِ الَّتِي يَضَعُهَا فِي إِصْبَعِهِ وَيَتَدَوَّقُ - عِنْ اسْتِعْدَادِ كَامِلٍ -
تَعَبِيرَاتِ الْمُرَاهِقِينَ الْبُلَهَاءِ
لَحْظَةَ أَنْ يُبَلِّلُوا شِفَاهُمْ بِالسَّيْتِهِمْ فِي إِعْجَابٍ. وَهُوَ،
الْمَاكِرُ، الشَّرِّ، الشَّهْوَانِيُّ، الْبَرِيءُ الْأَكْبَرُ،
يَتَرَاقُحُ بِكَيْنُونَتِهِ كُلُّهَا بَيْنَ الْأَلَا وَالْأَنْعَمِ، بَيْنَ الرَّغْبَةِ وَالنَّدَمِ،
كَمِيزَانٍ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ،
فِيمَا الصَّوْءُ مِنَ التَّأْفِدَةِ وَرَاءَهُ

يَضْعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا مِنْ غُفْرَانٍ وَقَدَاسَةٍ.
يَهِمُّ لِنَفْسِهِ: "لَوْلَمْ يَغْفِرِ الشَّعْرُ لَنَا،
فَلَا انتِظَارَ لِرَحْمَةٍ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ".

II المصباح

المصباح هادئ ومرير؛ إنه يفضل
على أشكال الإضاءة الأخرى. فضوءه يمكن أن يتكيّف
حسب احتياجات اللحظة،
حسب الرغبة الأبديّة، السريرية.
ودائماً رائحة الكيروسين، حضور رهيف
كتوم للغاية في الليل عندما يعود وحيداً
 بذلك التعب في أعضائه، ذلك العبث
في قماش سترته، وغرز جيوبه،
 تلك اللحظة بالذات تبدو زائدةً وغير محتملةً -
المصباح شيءٌ ما يشغل مرةً أخرى - الذبالة،
الكريث، اللهب الخطر
(بظلاله على السرير، والمكتب، والحوائط)،
وقبل كل شيء
الرّجاج نفسه -

شَفَاقِيَّتُهُ الْهَمَّةُ
الَّتِي تُجْبِرُكَ، مُنْدُ الْبِدَائِيَّةِ، بِإِيمَاعِهِ بَسِيَطَةٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ،
عَلَى حِمَاءَيْهِ نَفْسِكَ وَحِمَاءَيْهِ الْآخَرِينَ.

III مصباحُه قُربَ الفجر

حَسَنًا، مَسَاءَ الْخَيْر؛ الْاثْنَانِ مِنْ جَدِيدِ، وَجْهًا لِوَجْهِه،
هُوَ وَمَصْبَاحُه - فَهُوَ يُحِبُّهُ، رَغْمَ أَنَّهُ يَبْدُو
لِأَمْبَالِيَا وَرَاضِيَا عَنْ نَفْسِه؛ لَا لِمُجَرَّدِ
أَنَّهُ يَخْدِمُهُ، بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، خَاصَّةً
لِأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ عِنَائِتَه - الْبَقَاءُ الْهَشُّ
لِلْمَصَابِيحِ الْيُونَانِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، يُجْمَعُ حَوْلَهُ
ذِكْرَيَاتٍ وَهَوَامَّ مُرْهَفَةً فِي الْلَّيلِ، تُلَطَّفُ
تَجَاعِيدَ الْعَجَائِزِ، تَبْسِطُ الْجِبَاهِ،
تُمَجَّدُ ظِلَالَ الْأَجْسَادِ الْمُرَاهِقَةِ،
تُغَطَّي بِوَهْجِ رَقِيقِ بَيَاضِ الصَّفَحَاتِ الْحَالِيَّةِ
أَوْ أَرْجُوانَ الْقَصَائِدِ الْخَفِيِّ؛ وَعِنْدَمَا
يُصْبِحُ ضَوءُ الْفَجْرِ بَاهِتًا
وَيَنْدَمِجُ فِي وَرْدَيِّ النَّهَارِ، فِي الْأَصْوَاتِ الْأُولَى
لِتَصَارِيعِ الْمَحَلَّاتِ الْحَدِيدِ، وَعَرَبَاتِ الْيَدِ، وَبَاعَةِ الْفَاكِهَةِ الْجَاهِلِينِ،

يُصْبِحُ صُورَةً مَلْمُوسَةً لِسَهْرِهِ، بَلْ حَتَّى
جِسْرًا مِنْ رُجَاحٍ يَعْبُرُ مِنْ نَظَارَتِهِ إِلَى رُجَاحِ الْمِصْبَاحِ،
وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى رُجَاحِ التَّافِذَةِ، فَأَبْعَدَ إِلَى الْخَارِجِ، ثُمَّ أَبْعَدَ-
جِسْرُ مِنْ رُجَاحٍ يَصْبَعُهُ فَوْقَ الْمَدِينَةِ، دَاخِلَ الْمَدِينَةِ،
فِي اسْكَنْدَرِيَّةِ، مُوحَّدًا- يَارَادَتِهِ الْآنَ- اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

IV إطفاء المصباح

أحياناً ما يحُلُّ وقتُ إعياءٍ كَبِيرٍ.
صَبَاحٌ مُبِهِرٌ، غَادِرٌ-
يُحَدِّدُ نِهَايَةَ إِحْدَى لَيَالِيهِ
يَهْزِمُ نَدَمَ الْمِرَآةِ الْأَمْلَسِ،
فِيمَا يَحْفُرُ فِي حِقْدِ التَّجَاعِيدِ حَوْلَ شِفَاهِهِ وَعَيْنَيهِ.
الآن، لَا دَمَائِهُ الْمِصْبَاجُ وَلَا السَّتَّائِرُ الْمُسَدَّلَةُ يُمْكِنُهَا الْمُسَاعَدَةُ؛
حَيْثُ التَّقْسُّ التَّدَافِعُ لِلْلَّيْلَةِ صَيفٌ يَغْدُو قُشْعَرِيَّةً، وَلَا يَقْنَى سَوَى بِضَعْفِ
شَعَرَاتِ مُجَعَّدَةٍ-
سَقَطَتْ مِنْ شَعَرِ شَابٍ-
سِلْسِلَةُ قَاسِيَّةٍ-
نَفْسُ تِلْكَ السَّلْسِلَةِ- مَنْ صَنَعَهَا؟ لَا،
لَا الْذَّكْرَى وَلَا حَتَّى الشِّعْرُ يُمْكِنُهُ الْمُسَاعَدَةُ. وَمَعَ ذَلِكَ،
فِي الْلَّحْظَةِ الْأُخِيرَةِ، قَبْلَ النَّوْمِ، وُهُوَ مُنْحَنٌ عَلَى رُجَاجِ الْمِصْبَاجِ
لِيُطْفِئَ شُعلَتَهُ، الَّتِي لَا يُدْرِكُ لَهَا فِي النِّهَايَةِ مِنَ الْانْطِفَاءِ،

يُدِرِكُ أَنَّهُ يَنْفُحُ فِي الْأَذْنِ الزُّجَاجِيَّةِ لِلْأَبْدِيَّةِ،
كُلِّمَةٌ لَا تَمُوتُ هِيَ كُلِّمَتَهُ هُوَ، نَفْسُهُ الْحَمِيمُ - آهَةُ الْجَوَهَرِ.
كَمْ يُعَظِّرُ دُخَانُ مِصْبَاحِهِ يَفْتَنُهُ عُرْفَتَهُ فِي الْفَجْرِ.

٧ نظارته

دائماً ما كانت تقف بين عينيه والأشياء
نظارته المنيعة، الحذرة، الشاردة،
المتمعة والانتقامية - حصن بلا عاطفة، من رجاح،
كل من سور وبرج المراقبة - خندقان ممتلئان بالماء
حول نظرته الحقيقة، المعرفية، أو بالأصح
كفتا ميزان ينتصب - للعجب - لا عمودياً
بل أفقياً. وهكذا، في النهاية، فما الذي يمكن لميزان أفقى
أن يحمله غير الحواء،
غير معرفة الحواء، العارية، الشفافة، الوامضة،
حيث ينعكس على سطحه الصقيل موكب
من رؤاه الداخلية والخارجية في وحدة متوازنة
مادية بلا شائبة، إلى حد أن تنفي الحواء الثام.

أماكنُ المَلَاز VI

"الشَّعِيرُ" ، يَقُولُ ، "لَا يَعْنِي أَنْ تَقُولَ شَيْئًا مَا ،
بَلْ أَنْ تَتَحَدَّثَ بِسَاطَةً ؛ وَأَنْ تَتَحَدَّثَ
يَعْنِي أَنْ تَكْشِفَ نَفْسَكَ - وَبِالثَّالِي فَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ تَتَحَدَّثَ ؟"
بَعْدَهَا أَصْبَحَ صَمْتُهُ شَفَافًا
إِلَى حَدِّ أَخْفَى نَفْسَهِ تَمَامًا خَلْفَ السَّتَّارَةِ ،
مُتَظَاهِرًا بِالنَّظَرِ خَارِجَ النَّافِذَةِ .
لَكِنَّهُ إِذَا حَسَّ بِنَظَرِنَا عَلَى ظَهِيرَهِ ،
اسْتَدَارَ وَأَظَلَّ بِرَأْسِهِ مِنَ السَّتَّارَةِ
كَأَنَّهُ يَرْتَدِي "خِيَتون" [+] طَوِيلًا ، أَيْضًا ،
مُضْحِكًا نَوْعًا مَا ، غَرِيبًا نَوْعًا مَا عَنِ الزَّمَنِ ؛
وَذَلِكَ مَا أَرَادَهُ (أَوْ فَضَلَهُ) ،
مُعْتَقِدًا رَبِّيَا
أَنَّهُ ، عَلَى هَذَا النَّحْوِ ، يُشَتَّتُ شَكْنَا ، وَعَدَاءَنَا أَوْ شَفَقَتَنَا ،

[+] خيتون Chiton: ثوب إغريقي قديم للرجال والنساء.

أَوْ يَمْنَحُنَا مُبَرِّرًا مِنْ نَوْعِ مَا
(عَلَى نَحْنِ مَا تَوَقَّعُ) لِإعْجَابِنَا الْقَادِمِ.

VII عن الشّكل

قال: "لا يُمكِّن للشَّكل أن يُخترع أو يُفرض؛
إنه كامنٌ في مادته وأحياناً ما يتجلّ
في حركاتها الخارجِية". "تفاهاتٌ، قلنا،
كلامٌ عامِض - فَأَيَّهُ مُفاجَاتٌ الْآن؟"؛ لم يُقل شيئاً،
لكنه احتضنَ ذقنه بِكَفِيهِ كَلِمَةٌ
بيَنَ قَوْسَيْنِ. ظلَّت سِيجارَتُه مُترَدِّدةٌ
بيَنَ شَفَتَيِهِ المَضْمُومَتَيْنِ - شَرَطةٌ بِيَضَاءِ، مُتَوَهَّجَةٌ
في مَوْضِعِ الْفَرَاغَاتِ الَّتِي دَائِمًا مَا كَانَ يَتَرُكُها عنْ قَصْدِ
(أَوْ رُبَّما بِلَا وَعِيٍ)، مُتَجَاهِلًا بِذَلِكَ صَمْتَهِ.

في هَذَا الْوَضِيعِ، الَّذِي بَدَا لَنَا عامِضًا، ظلَّ يَقْظًا طُولَ اللَّيْلِ
في مَحَظَّةٍ صَغِيرَةٍ لِلْقِطَارَاتِ، تَحْتَ الْجُزْءِ النَّاتِئِ
حَيْثُ يَلْتَقِي الْمُسَافِرُونَ الْوَحِيدُونَ فِي لَيْلَةٍ شَتَاءٍ
لِبُرْهَةٍ، بِمَدَاقِ الْفَحْمِ ذَاكِ

مِنْ اسْتِحَالَةِ الرُّحْلَةِ وَمِنْ الْأَنْهَائِيَّةِ الْمُشَرَّكَةِ
لَصَدَاقَتِهِمُ الْحَقِيقَةُ، الْعَجُوزُ. دُخَانُ الْقِطَارِ
مُعْلَقٌ سَاكِنًا فَوْقَ الْمَخْرُوطَيْنِ الْأُفْقَيْنِ
لِمَصَابِيعِ الْمُقَدَّمَةِ، رَاسِخًا، مُهِبِّا، بَيْنَ فَجَوَيْنِ.
سَحْقٌ سِيْجَارَتَهُ وَمَضِيٌّ.

VIII سوء فهم

التباساته تلك، لا تحتمل؛ ترهقنا؛
وهو نفسه أيضاً مرهق؛ من الواضح أنَّ عمومه انقضَّ،
وتردّداته، وجمله، وجنبه،
وافتقاره إلى مبادئ صارمة. لا بدَّ أنَّه يُحاول توريطنا
في تعقيداته. وظلَّ يُحدِّث في مكانٍ ما أبعدَ مِنَّا،
كأنَّه كانَ كريماً، على نحوِ ما، ومتسلِّحاً (كهؤلاء الذين يحتاجونَ إلى
التسامُح معهم)،
مرتدِياً قميصاً ناصِحَّ البياض، وبذلةٍ بلونِ الأردوازِ بلا شائبة، بأقحوانةٍ في
عروته. ومع ذلك،
فِعْنَدَمَا غَادَرَنَا، تَفَحَّصَنا الأرضيَّة، في المَوضعِ الَّذِي كَانَ يَقْفُزُ فِيهِ،
كَانَتْ بُخَيْرَةً صَغِيرَةً بِالْغَةِ الْحِمَارِ، مُتَشَكَّلَةً فِي جَمَالٍ،
تَقْرِيبًا كَخَارِطةِ اليُونَانِ،
كُكْرَةً أَرْضِيَّةً مُصَغَّرَةً لِلْعَالَمِ
يُكْثِيرُ مِنَ الْحَدُوقَاتِ وَأَخْطَاءِ كُبَرَى فِي الْحَدُودِ،

يُحُدُّد مَطْمُوسَةٌ تَقْرِيبًا بِتَمَاثِيلِ تَلُوِينَهَا -
كُرَّةٌ أَرْضِيَّةٌ فِي مَدْرَسَةٍ بَيْضَاءَ، مُوَضَّدَةٌ بِإِحْكَامٍ، فِي يُولُو،
جِينَ غَادَرَ التَّلَامِيدُ إِلَى قَرَيَّةٍ بَاهِرَةٍ عَلَى الْبَحْرِ.

IX الفَسق

تَعْرِفُ لَحْظَةَ الْفَسقِ تِلْكَ فِي الصَّيفِ
دَاخِلَ عُرْفَةَ مُغْلَقَةٍ؛ اِنْعِكَاسُ وَرَدِيٌّ طَفِيفٌ
مُنْحَدِرٌ عَلَى الْوَاحِ السَّقْفِ؛ وَالْقَصِيدَةُ
نِصْفُ مُكْتَمِلَةٍ عَلَى الْمِنْضَدَةِ - بَيْتَانِ هُمَا كُلُّ شَيْءٍ،
الْوَعْدُ الْمَكْسُورُ بِرِحْلَةِ رَائِعَةٍ،
يُحْرِيَّةُ مَا، يُإِشَبَاعُ ذَائِيَّةَ مَا،
يُخْلُودُ مَا (نِسِيٌّ، بِالْتَّلْبِعِ).

فِي الشَّارِعِ بِالْخَارِجِ، كَانَ هُنَالِكَ بِتَهَالِ الْمَسَاءِ،
وَالظَّلَالُ عَدِيمَةُ الْوَزْنِ لِلْأَلْهِيَّةِ، وَالثَّايسِ، وَالدَّرَاجَاتِ،
عِنْدَمَا تَوَقَّفُ الْعَمَلُ فِي مَوَاقِعِ الْبَنَاءِ وَالْعَمَالِ الشُّبَانِ
بِالْأَتِيَّهِمْ، يُشَعِّرُهُمْ الْمَبْلُولُ، الْقَوِيُّ،
يُبَعِّضُ الْبَقْعَ مِنَ الظَّلَاءِ عَلَى ثَيَابِهِمُ الرَّثَّةَ،
يَتَلَّاَشُونَ فِي تَمْجِيدِ سَدِيمِ الْمَسَاءِ.

ثَمَانِي دَقَّاتٍ حَادَّةٍ مِنْ سَاعَةِ الْجَدِّ الْخَانِطِيَّةِ فِي قِمَّةِ الدَّرَجِ
سُمِعَتْ أَسْفَلَ امْتِدَادِ الْمَمَرِ - الدَّقَّاتُ الْعَيْنِيَّةُ
لِمَطْرَقَةِ آمِرَةِ الْخَفْيَّةِ خَلْفَ الرِّجَاجِ الْمُعْتَمِ،
وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ الصَّوْتُ الْعَجُوزُ
لِيُلْكَ الْمَقَاتِيْعِ الَّتِي لَا يُمْكِنُهُ أَبَدًا أَنْ يَقُولَ عَنْهَا
مَا إِذَا كَانَتْ لِلْإِغْلَاقِ أَوِ الْفَتْحِ.

X السّاعة الأخيرة

غَيْرُ مَا تَبَقَّى فِي غُرْفَتِهِ، رُبَّمَا
مُجَرَّدُ ذِكْرٍ، رُبَّمَا حَتَّى مِنَ التَّأْفِذَةِ
يُصْفِي الْمَفْتُوحَةِ فِي الْلَّيْلَةِ الرَّبِيعِيَّةِ.
فَرَزَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي سَيَأْخُذُهَا مَعَهُ.

غَطَّى الْمِرَآةُ الْكَبِيرَةُ بِمُلَائَةِ وَمَا يَزَالُ
عَلَى أَصَابِعِهِ الَّتِي تُحِسُّ بِالْأَجْسَادِ الْمُتَنَاسِقَةِ فِي جَمَالِ
وَالْإِحْسَاسِ الْفَرِيدِ يُقْلِمُهُ - لَا تَنَاقِضُ،
الْوِحْدَةُ الْأَسْمَى لِلشِّعْرِ. لَمْ يَشَأْ أَبَدًا
أَنْ يُضَلِّلَ أَحَدًا. كَانَتِ النَّهَايَةُ تَدْنُو.
سَأَلَ مَرَّةً أُخْرَى: "الْعِرْفَانُ، رُبَّمَا، أَمِ الرَّغْبَةُ فَحَسْبُ
فِي أَنْ يَكُونَ مُقِرًّا بِالْجَمِيلِ؟".

مِنْ تَحْتِ سَرِيرِهِ
يَبْرُزُ خُفَّهُ الْبَالِي. لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ رَغْبَةٌ
فِي تَعْطِيَّتِهِ (آه، فِي وَقْتٍ آخَرَ، بِالظَّبْعِ).

لَكِنَّهُ عِنْدَمَا وَضَعَ الْمِفْتَاحَ الصَّغِيرَ فِي جَيْبِ سُرْتَهِ
جَلَسَ عَلَى حَقِيقَةِ السَّفَرِ، وَسَطَ الْغُرْفَةِ، وَجِيدًا، وَرَاحَ يَبْكِي،
مُدْرِكًا بَرَاءَتَهُ لِلْمَرْأَةِ الْأُولَى يُمْثِلُ هَذَا الْيَقِينِ.

كَثِيرُونَ طَالَبُوا بِهِ، تَسَاجَرُوا عَلَيْهِ،
رُبَّمَا يُسَبِّبُ مَلَبِسِهِ - رِدَاءُ غَرِيبٍ،
رَسِيءٍ، مَهِيبٍ، لَكِنْ دُونَ افْتِقَارٍ لِسُحْرِهِ،
بِسِيمَاءَ مُعَيْنَةَ لَهُ، كَتِلَكَ الْأَرْدِيَّةُ الْخَيَالِيَّةُ الَّتِي كَانَتِ الْأَلَهَةُ تَرْتَدِيهَا
عِنْدَمَا كَانُوا يُعَاشِرُونَ الْبَشَرَ - مُتَنَكِّرِينَ -
لَكِنْهُمْ إِذْ تَحَدَّثُوا عَنْ أُمُورٍ عَامَّةٍ يُلْغِيَنَّ بِسِيمَاءَ
فَجَاهَةً تَنْتَفِخُ طَيْهَةً مِنْ ثِيَابِهِمْ بِنَسَمَةٍ
اللَّأْنَهَائِيَّةِ أَوِ الْمَاوَرَاءِ - أَوْ هَكَذَا يَقُولُونَ.

حَسَنَا إِذْنَنَا، تَسَاجَرُوا. فَمَاذَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلُوا؟
شَقُّوا ثِيَابَهُ وَمَلَأُسَهُ الدَّاخِلِيَّةَ؛ بَلْ كَسَرُوا حِزَامَهُ.
أَصْبَحَ لَا أَكْثَرَ مِنْ إِنْسَانٍ عَادِيَّ، عَارِ، يَقْفُ في خَرْبَةٍ.
هَجَرَهُ الْجَمِيعُ.
وَهُنَّاكَ بِالْتَّحْدِيدِ تَحَوَّلُ إِلَى رُخَامٍ.

وَبَعْدَ أَعْوَامٍ، فِي نَفْسِ الْمَكَانِ اكْتَشَفُوا تِمَالًا رَائِعًا،
غَارِيًّا، مُتَبَاهِيًّا، طَوِيلًا، مِنْ رُخَامٍ بِيَتِيلٍ،
الشَّبَابُ الْأَبَدِيُّ لِلِّعْقَابِ الدَّائِيِّ - ذَلِكَ مَا أَسْمُوهُ،
غَطْوَهُ بِنَوْبِ طَوِيلٍ مِنْ كِتَانٍ،
وَأَعْدُوا احْتِفَالَيَّةَ بِلَا نَظِيرٍ لِكَشْفِ النَّقَابِ عَنْهُ لِلْجُمُورِ.

XII تَقْيِيم

مَنْ مَاتَ كَانَ، فِي الْحَقِيقَةِ، رَائِعًا
فَرِيدًا؛ تَرَكَ لَنَا مِعِيَارًا رَفِيعًا
يُهِنِّقِيسُ أَنفُسَنَا، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ،
تَقِيسُ جَارَنَا - لَا أَحَدَ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ،
قَصِيرٌ جِدًّا؛ وَآخَرُ تَحِيفٌ؛
وَثَالِثٌ طَوِيلٌ كَرْجُلٌ عَلَى سَاقَيْنِ خَشِيبَتَيْنِ؛
لَا أَحَدٌ بِأَيَّةٍ قِيمَة، أَيَّةٌ قِيمَةٌ أَبَدًا.
يُمْكِنُنَا فَحَسْبٌ أَنْ تُحَقَّقَ فَائِدَةٌ كُبَرَى
مِنْ هَذَا الْمِعِيَارِ - لَكِنَّ أَيَّ مِعِيَارٍ تَعْنِي؟ -
مِنْ إِلَهِ الانتِقامِ هَذَا، مِنْ سَيِّفِ الْمَلَائِكِ ذَاكُ
الَّذِي أَرْهَفَنَا، وَيُمْكِنُ الْآنَ
أَنْ نَضَعُهُمْ جَمِيعًا فِي صَفَّ وَنَقْطَعَ رُؤُوسَهُمْ.



فِيلُوكِتِيت

القِنَاعُ الْأَقْصَى

(1965-1963)

فِيلُوكِتِيت: بطل إغريقي مشهور كرام للسهام، شارك في حرب طروادة. كان موضوع مسرحيتين لسوفوكليس، وثلاثة لأيسخيلوس ورابعة لايروبيديس، فيما يرد ذكره بالإلإيادة، لهوميروس. وكان من بين المتنافسين على "هيلين"، أميرة طروادة الفاتنة. وقد تركه اليونانيون - لعشر سنوات - يأحدى الجزر في طريقهم إلى طروادة، بسبب إصابته (أكثر الروايات ترجيحاً). وقد اضطُر اليونانيون إلى العودة لاصطحابه إلى أرض المعركة وعلاجه. وفي إحدى الروايات أنه هو من قتل باريس، ابن بريام، ملك طروادة. وكان من بين من اختيروا للختباء في "حصان طروادة"، وخلال الاستيلاء على المدينة قتل الكثيرين من مشاهير الطرواديين.

[المترجم]

(أيام صيف على شاطئ مهجور لجزيرة ما- ربما ليموس. بداية مساء، والألوان بدأت في التلاشي. قارب مثبت في خليج صخري صغير. الطاقم، قريباً في الأسفل، يغتسل، يقوم بتمرينات، يتصارع، وصيحاته وضحكه يبلغون السمع. هنا في الأعلى، رجلان جالسان أمام تجويف أعد كمكمن. أحدهما وسيم، له لحية، ناضج، بوجه رجولي، روحاني؛ الآخر شابٌ نحيلٌ بعيدين متقدتين، فضوليتيين. له بعض ملامح أخيه، لكنها أكثر روحانية بصورة طفيفة، كأنه ابنه نيوبيتوليموس. في مكان ما، قمرٌ بالي يتغدر تمييزه يتحرك ببطء، في غموض، عبر السماء، فضياً وسط البنفسجي المتأخر والانعكاسات القرنفلية للغروب. فيما يبدو، كان الرجل الأكبر سنّاً، بعد أعوام من الوحدة والصمت، يتحدث بالتفصيل إلى الشاب، ذلك الزائر غير المنتظر الذي وصل بصعوبة قبل ساعتين. لكنه الآن، وقد حل الصمت من جديد، غامضٌ ومتخم، مرهقٌ لكن بحزن مرهق آخر- إرهاق بلا فائدة أكبر من الأول، لكنه بصورة مفهومة إنساني. ندمٌ غائمٌ يغشى جبينه العريض؛ ومع ذلك، فهو يواصل ملاحظة الوجه الرائع للشاب، كأنه ينتظر شيئاً ما. انعكاسات أسلحته تومض من وقت إلى آخر على ظهر التجويف الصخري: درعه الضخم، جيد الصنع، مع رسم أعمال هرقل، ورماحة ثلاثة

الشهيرة، بلا نظير. يبدو الشاب كأنه يتخد قراراً صعباً. يبدأ في
(الكلام):

كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ ، يَا صَاحِبِي ، أَنَّكَ سَتُدْرِكُ بِعُقْدٍ . فَتَحْنُ أَبْنَاءَ الْجِيلِ
الْأَصْغَرِ ،

قَدْ اسْتَدِعَنَا فِي الْلَّهْظَةِ الْأُخِيرَةِ ، كَمَا يَقُولُونَ ، لِنَحْصُدْ - فِيمَا يُزَعَمْ -
الْمَجْدَ الَّذِي أَعْدَدْتُمُوهُ جَمِيعًا لَنَا
بِأَسْلِحَتِكُمْ ، بِحِرَاجِكُمْ ، بِمِيتَاتِكُمْ :
نَحْنُ أَيْضًا نُدْرِكُ وَنَعْرِفْ - نَعَمْ ، فَنَحْنُ أَيْضًا لَدَنَا جِرَاحُنَا
فِي مَكَانٍ مَا بِالْجَسَدِ ، جِرَاحٌ لَا مَرِيثَةَ ،
لَا يُعَوِّضُهَا الْكِبْرِيَاءُ وَلَا الدَّمُ الْجَدِيرُ بِالاحْتِرَامِ

الَّذِي سُفِّكَ بِصُورَةٍ وَاضْحَى فِي الْمَعَارِكِ الْوَاضِحةِ ، وَالْمُنَافَسَاتِ الْوَاضِحةِ .

كَانَ يُمَقْدُرُنَا الْحَيَاةُ بِدُونِ مِثْلِ هَذَا الْمَجْدِ ! فَهَلْ طَالَبَنَا يِهْ ذَاتَ مَرَّةَ ؟

يَتَحَقِّيقِ وَأَجْبَاتِ الْآخَرِينَ وَدَفَعَ
دُيُونِهِمْ ، لَمْ يَكُنْ لَدَنَا دِقْيَةٌ لَأَنْفُسِنَا ، لَا وَقْتٌ
حَتَّى لِتُلَاحِظَ يَدًا هَادِيَةً تَفْتَحُ نَافِذَةً فِي مُقَابِلَنَا فِي الْفَجْرِ
وَتُعْلِقُ قَفْصَ كَنَارِيٍّ مِنْ مَشْبَكِهِ عَلَى الْخَاطِطِ فِي الْخَارِجِ
مَعَ هَيَّةٍ إِيمَاءَةٍ زَائِدَةً لَكِنَّهَا ضَرُورِيَّةً .

كَيْبَارُنَا لَمْ يَتَحَدَّثُوا بِسَوَى عَنِ الْمَوْتِ وَالْأَبْطَالِ .

تَعَقَّبَتْنَا كَلِمَاتٌ غَرِيبَةٌ حَتَّى إِلَى النَّوْمِ ، كَلِمَاتٌ فَظِيْعَةٌ
 كَانَتْ تَنْزَلُقُ تَحْتَ الْأَبْوَابِ الْمُوصَدَةِ ، خَارِجَةٌ مِنْ قَاعَةِ الطَّعَامِ
 حَيْثُ وَمَضَتِ الصَّيْحَاتُ وَالْكُؤُوسُ ، وَرَفِفَ
 وِشَاحٌ رَاقِصَةٌ لَا مَرِئَةٌ بِلَا صَوْتٍ
 كَحَاجِزِ شَفَافٍ يَدْوِرُ
 بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ . لَقَدْ هَدَّاَتْ
 لَيَالِيَنَا الطَّفُولِيَّةَ عَلَى نَحْوِ مَا ، تِلْكَ السَّفَافِيَّةَ
 الْمُوَقَّعَةُ ، النَّابِضَةُ لِلْوِسَاحَ ، مُبَدَّدَةً ظَلَالَ الدُّرُوعِ
 الْمَنْقُوشَةُ عَلَى حَوَائِطِ بَيْضَاءِ بِفَعْلِ ضَوْءِ الْقَمَرِ الْمُتَلَكِّمِ .

كَانُوا يُعِدُّونَ الطَّعَامَ لِلْمَوْتِ
 مَعَ طَعَامِنَا . جَرَارُ الْعَسْلِ وَالْزَّيْتِ كَانَتْ تُؤْخَذُ مِنَ الْمَائِدَةِ وَقَتَ الطَّعَامِ
 وَتُحْمَلُ إِلَى مَقْبَرَةِ مَجْهُولَةِ . وَلَمْ نَعْرِفِ التَّمْيِيزَ أَبْدًا
 بَيْنَ قَوَارِيرِ الدَّفْنِ وَقَوَارِيرِ الْخَمْرِ ، لَمْ نَعْرِفِ أَبْدًا
 مَا يَخْصُّنَا وَمَا يَخْصُّ الْمَوْتِ .
 نَقْرَةٌ مِلْعَقَةٌ عَلَى طَبَقٍ أَصْبَحَتْ إِصْبَعًا عَيْرَ مُنْتَظَرٍ
 يَنْقُرُ كَتِفَنَا فِي تَوْبِيخٍ . وَكُنَّا نَسْتَدِيرُ لِنَزَى . لَا شَيْءٌ .

طَبُولٌ وَأَبْوَاقٌ خَارِجٌ نَوَافِذِ غُرْفَةِ نَوْمِنَا :
 شَرَرٌ أَحْمَرٌ وَطَرَقَاتٌ مِطَرَقَةٌ خَرَسَاءٌ فِي دَكَّاكِينٍ جَدَادِيَّةٍ خَفِيَّةٌ
 حَيْثُ كَانَتِ الدُّرُوعُ وَالرِّمَاحُ تُصْنَعُ لَيْلَ نَهَارٍ ;

الْطَّرْقُ أَيْضًا فِي وِرْشِ الْطَّوَابِقِ الْأَرْضِيَّةِ
 لِلتَّمَاثِيلِ وَرُؤُوسِ الرَّجَالِ الْمُحَارِبِينَ وَالْأَلَهَةِ الْمُحَارِبَةِ (لَا شُعَرَاءَ
 أَوْ رِيَاضِيَّينَ أَبَدًا)؛ أَيْضًا شَوَاهِدُ الْقُبُورِ بِالْمِنَاتِ
 مَعَ شُبَانِ وَسِيمِينَ، عَرَائِيَا يَقْفُونَ فِي اِنْتِصَابٍ ثَابِتٍ،
 يَضَعُونَ، فِي وَقْفِهِمُ الْعَمُودِيَّةِ،
 قِنَاعَ الْمَوْتِ الْأَفْقِيِّ الْلَّانِهَائِيِّ. وَأَحِيَا، لَنْكُونَ عَلَى يَقِينِ،
 كَانُوا يُطَاطِلُونَ رُؤُسَهُمْ وَيَحْنُونَ بِرِفْقَةِ رِقَابِهِمْ
 كَالْزُهُورِ عَلَى حَافَّةِ الْهَوَةِ، لَكِنَّ الْحَافَّةَ لَا تَبِينُ أَبَدًا، فَالْفَنَاثُونَ
 تَعْلَمُوا (مُجَبِّرِينَ، رَبَّنَا؟)
 أَنْ يَحْذِفُوا الْهَوَةَ وَكُلَّ شَيْءٍ مُشَابِهٍ.

كَانَ لَدِينَا مَرْءُ طَوِيلٌ، أَبِيَضُ (وَظَلَّ هَكَذَا).
 وَشَوَاهِدُ الْقُبُورِ كَانَتْ مَصْفُوفَةً فِيهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَكِنَّ أَنْ تُرِيعَ نَظَرَنَا
 عَلَى أَعْضَاءِ الشُّبَانِ الْمَنْحُوَتِيَّةِ بِدِقَّةٍ وَلَوْ حَتَّى لِذِقْيَّةٍ كَانَ تَمْنُوعًا،
 أَوْ عَلَى الْخُصُلَاتِ الْمُجَعَّدَةِ الرُّخَامِيَّةِ الَّتِي تَسْقُطُ عَلَى حَوَاجِهِمْ أَحِيَا،
 كَانَهَا مُشَعَّثَةٌ يَفْعُلُ شَفَاهِ رِيحِ مُفَاجِيَّةِ حَامِلَةِ لِلْبَخْرُورِ
 فِي ظَهِيرَةِ صَيْفِ ذَهَبِيِّ - أَظُنُّ أَنَّ صَفَصَافَا أَدْفَاتِهِ الشَّمْسِ
 قَدْ عَطَّرَ الْمَكَانَ، نَعَمْ، وَبَرَاعِمَ الْلَّيْمُونَ. لَقَدْ أُورَثُونَا
 نَمَادِيجَ عَظِيمَةً أَفَهَلْ طَلَبَنَا أَبَدًا مِنْهُمْ؟ فَلَيَتَنَا تُرِكَنَا فَخَسِبَ
 لِضَالِّتَنَا، لِدَوَاتَنَا الْقَاصِرَةَ أَمَا كَانَ لَنَا
 أَنْ نَتَنَافَسَ مَعَ نَمَادِيجَ . وَكُلُّكُمْ، فَضْلًا عَنِ ذَلِكَ : مَاذَا كَسِبْتُمْ؟ وَمَاذَا

كَيْبِنَا نَحْنُ ؟

أَيْهَا الْأَصْدِقَاءُ الْأَجَلَاءُ، أَتَقْهَمُ اسْبَاحَكُمُ الشَّرِيفَ.
وَعُذْرُكُمُ (الْمَقْبُولُ مِنَ الْجَمِيعِ) : مِنْتَكُمُ الْجَسَدِيَّةُ،
لَا الْأَلَمُ الْدَّهْنِيُّ وَلَا الرُّوْحِيُّ. عُذْرٌ جَيْلِ
عَضَّةُ الْأَفْعَى تِلْكَ (أَرَبَّمَا أَفْعَى الْحِكْمَةُ؟) بِالنِّسْبَةِ لَكُمْ
أَنْ تَبَقُوا وَحْيَدِينَ، مُوْجُودِينَ - أَنْتُمْ، لَا أَحَدُ آخَرَ،
حَتَّى لَوْ كُنْتُمْ غَيْرَ مُوْجُودِينَ - .. مَوْجُودُونَ كَأَفْعَى
مُلْتَفَةً كُجْرَةً، تَعْصُّ ذِيلَهَا (كَمْ تَلَهَّفْتُ أَنَا نَفْسِي كَثِيرًا عَلَى ذَلِكَ!)

رَبِّمَا دَرَسْتُمُ الْإِنْتِقَامَ فِي عُزَلَتِكُمْ،
الْعِرْفَانَ لِأَنْفُسِكُمْ أَوْ - عَلَى الْأَقْلَ - لِأَهْمَمَيْهِ
أَسْلِحَتِكُمْ. وَالآنَ، انْظُرُوا تَبَرِيرَكُمْ.
لَقَدْ چَنْتُ إِلَيْهِمْ (لِمَاذَا لَا نَعْرِفُ صَرَاحَةً بِذَلِكَ؟) تَمَامًا كَمَا تَنَبَّأْتُمْ.
فَسَوْفَ يَحْيَيُونَ بِالْتَّصْرِيرِ إِلَى الْمُؤْنَانِيَّنَ فِي النَّهَايَةِ
(النُّبُوَّةُ وَاضِحَّهُ عَنْ ذَلِكَ) : أَسْلِحَتِكُمْ، بَيْنَ يَدَيْنِ.

لَكِنِّي قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ چَنْتُ إِلَيْكُمْ. وَلَا أَقْبِلُ أَبَدًا أَسْلِحَتِكُمْ
مُمْقَابِلًا تَقْدِيرِي لِنَفْسِي، أَوْ "الْخَلَاصُ"
الَّذِي أَقْدَمْتُهُ لَكُمْ. فَأَيُّ خَلَاصٍ فِي أَنْ أَخْذَكُمْ مَعِي فِي سُفْنِي
بِكُلِّ جَرَاجِهِمُ الْعَصِيَّةِ وَكُلِّ عُزَلَتِكُمْ؟

مِثْلُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ هِي الرَّائِحَةُ الْآنَ تَمَامًا . وَقَدْ تَعْلَمْنَا هَا -
فَمَاذَا يُمْكِنُ أَنْ نُضِيفُ؟ لَا فُرْصَةَ لِلرُّؤْيَةِ أَوِ الْكَلَامِ .

السُّعَادُ يُسْرِعُونَ خِلَالَ اللَّيْلِ ؛ مَشَاعِلُهُمْ تُبَرِّقُ شَوَارِعَ .
وَتَمَاثِيلُ الْآلَهَةِ تُوْمِضُ لِبُرْهَةٍ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ بَيَاضًا
كَبَوَابَاتِ مَفْتُوحَةٍ فِي حَوَائِطٍ عِمَلاَقَةٍ ؛
ثُمَّ تَحْلُّ الظَّلَالُ مِنْ جَدِيدٍ مِنْ أَيْدِيهَا الْحَجَرِيَّةِ وَتُعْتَمِمُ الظَّرِيقُ .
لَا أَحَدَ يُمْكِنُهُ التَّمْيِيزُ بِوُضُوحٍ بَعْدَ ذَلِكَ . شَهِدَتْ
حَشْدًا مُهْتَاجًا ذَاتَ لَيْلَةٍ يَرْفَعُ شَخْصًا عَلَى الْأَكْتَافِ
فِي تَهْلِيلٍ . فَسَقَطَتْ شُعلَةٌ عَلَيْهِ .
اَحْتَرَقَ شَعْرُهُ . وَلَمْ يَصُحْ .
لَقَدْ كَانَ مَيْتًا مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ . تَبَعَّرَ الْحَسْدُ . وَاللَّيْلَةُ
ثَرَكَتْ وَحِيدَةً ، مُتَوَجَّهَةً بِالْأَوْرَاقِ الْدَّهْنِيَّةِ لِلنُّجُومِ .

الْأَخْتِيَارُ مُسْتَحِيلُ ، فِيمَا أَظُنُّ . وَأَيَّةَ بَدَائِلَ قُدِّمَتْ لَنَا ؟
أَتَذَكَّرُ طُفُولَتِي : مِنْ غُرَفِ الْرَّائِيْرِيْنِ يَمْنَزِلُنَا ،
كَانَتْ تَصِلُ إِلَيَّ أَصْوَاتُ ضُيُوفِنَا الرُّجُولِيَّةُ ، الرَّثَانَةُ
قَبْلَ وَقْتِ النَّوْمِ تَمَامًا . وَالْأَرْجُحُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَخْلُعُونَ ثِيَابَهُمْ آتِيَّةً ،
وَبِالْتَّأْكِيدِ
كَانُوا قَدْ نَسَوا لِوَقْتِ مَا الصَّرَاعَاتِ ، وَخُطُوطَ الْحَرَبِ ، وَالْطُّمُوحَاتِ -
مُثِيرِيْنَ فِي غُرِيْبِهِمْ ؛ مُسْتَهَارِيْنَ وَأَبْرِيَاءَ ؛

فيما (على الأرجح) يربّون على صدورهم كأنما بالصادقة،
ويتكلّلون على جوانب الأسرّة وأفخاذهم مفتوحة على انساعها،
والرّكب منسيّة تحت الكفوف المهاجّة،
إلى أن ينتهوا من حكایة قصيرة، سعيدة
موشأة بالضحك وقرقة الأسرّة.

كُنْتُ أَسْمَعُ ذَلِكَ مِنَ الْمَرْ وَأَنَا أَتَمَّنُ
خِلْسَةً فِي سُيُوفِهِمْ وَدَرُوعِهِم الصَّقِيلَةِ
الَّتِي، وَهِيَ مُسْتَنِدَةٌ إِلَى الْخَاطِطِ، كَانَتْ تَعْكِسُ بِصُورَةٍ غَامِضَةٍ ضَوْءَ الْقَمَرِ
الَّذِي يَسَاقِطُ عَلَيْهَا
عَبْرَ أَبْوَابِ زُجَاجَيَّةٍ. آتَيْتُ كُنْتَ أَحْسَنُ بِالْوِحْدَةِ الْعَيْقَةَ، بِالْحِيرَةِ الْعَيْقَةَ،
كَأَنِّي فِي تِلْكَ الْلَّحْظَةِ كُنْتُ مُجْبِرًا عَلَى الْاِخْتِيَارِ إِلَى الْأَبْدِ
بَيْنَ ضَحِكِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ. (الْأَمْرَانِ يَتَعَلَّقُانِ بِهِمْ). وَأَيِّ
دَفَعَنِي إِلَى الْإِرْتِعَادِ أَكْثَرَ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَصْحُو وَيَجِدَنِي فِي الرُّوَاقِ
أُلَامِسُ تِلْكَ الْأَسْلِحَةِ الْمُثِيرَةِ لِلْفُضُولِ، لَكِنَّ الْأَهْمَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُدْرِكَ
أَنِّي سَمِعْتُ ضَحِكَهُمْ وَيَعِي
مَتَاهَيِّ السَّرَّيَّةِ. لَمْ أَجْرُؤْ أَبْدًا عَلَى الْاقْتِرَابِ مِنْ تَجَالِ الزَّائِرِينِ
لَكِيَّيْ سَمِعْتُ فَحَسِبَ أَصْوَاتَهُمْ عَبْرَ الْأَرْوَقَةِ الْمُتَتَالِيَّةِ
- أَوْ هَكَذَا بَدَالِي - الْمُتَرَاوِحَةَ بَيْنَ الضَّوْءِ
وَالْعَنْمَةِ. صَخْبُ وَقْعِ سَنَابِكِ الْحَيْوَلِ، فِي الْفِنَاءِ الْخَارِجِيِّ،
كَثِيرًا مَا كَانَ يَطْغِي عَلَيْهَا؛ وَذَاتَ مَرَّةٍ فِعْلًا، سَقَطَ

ظلٌّ عِلْمَأُقْ أَمَامَ قَدَمَيْ وَأَرْعَبَنِي - عِنْدَ الْأَبْوَابِ الْزُّجَاجِيَّةِ
كَانَ ثَمَّةَ حِصَانٌ يَقْفُ وَيَنْظُرُ عَبْرَهَا، مُعْتَمِّاً بِظِلِّهِ
الصُّورَ الْمُتَكَرِّرَةَ عَلَى الدُّرُوعِ .

كَانَ ظَلٌّ أَبِي كَبِيرًا تَمَامًا . كَانَ يَرْمِي بِكَآبَتِهِ
خِلَالَ الْمَنْزِلِ، مُوْصِدًا الْأَبْوَابَ وَالنَّوَافِذَ مِنَ أَعْلَى لِأَسْفَلِ .
كُنْتُ أُحِسَّ كَأَنِّي مُجْبَرٌ أَحْيَا نَا عَلَى أَنْ أَضْعَ رَأْسِي
بَيْنَ سَاقِيْهِ إِذَا مَا أَرَدْتُ رُؤْيَةَ الشَّمْسِ .
وَذَلِكَ كَانَ أَكْثَرَ مَا يُفْرِغُنِي : الْإِحْسَاسُ بِفَحْذِيْهِ عَلَى رَقْبَتِيِّ .
كُنْتُ أَفْضُلُ الْبَقَاءِ فِي الْمَنْزِلِ فِي الظَّلِّ الرَّحِيمِ لِلْغُرْفَ،
مَعَ الْأَثَاثِ الْمُسْتَكِينِ الْمُحِيطِ بِي وَالسَّتَّائِرِ الْمُسْتَسِلَّمَةِ لِلْمَنْسِ،
أَوْ حَتَّى فِي قَاعَةِ النَّحْتِ الْمَهْجُورَةِ . كُنْتُ أُحِبُّ تَمَاثِيلَ "الْكُورُوا" [٣] .

مَحْبُوسًا تَمَامًا هُنَاكَ فِي الدَّاخِلِ، وَالْبُرُودَةِ، فِيمَا فِي الْخَارِجِ
فِي بُسْتَانِ الرَّيْتُونِ وَالْكُرُومِ كَانَ الْجَدْجُدُ مُهْتَاجًا
فِي الْقَيْظِ الْذَّهَبِيِّ لِلظَّاهِرَةِ . وَظِلَالُ الْأَشْكَالِ الْمَنْحُوَةِ
كَانَتْ تَتَقَاطُعُ مُتَنَاغِمَةً فِي سَكِينَتِهِ عَلَى الْقِرْمِيدِ،
مُشَكَّلَةً مُتَوَازِيَّاتٍ أَضْلَاعِ مِنَ الرُّرْقَةِ الشَّفِيقَةِ . مُتَشَجِّعًا بِفَعْلِ الْهُدُوِّ،
كَانَ فَأْرُ صَغِيرٌ يَتَمَشَّى فِي تَكَاسِلِ
هُنَا وَهُنَاكَ عَبْرَ أَقْدَامِ أَحَدِ التَّمَاثِيلِ، وَتَرَدَّدَ مَعَ الشَّكِّ

[٣] نَمْطٌ مِنِ التَّمَاثِيلِ الْيُونَانِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، يَمْثُلُ شَابًا يَقْفُ عَارِيًّا.

في تأمل التوافذ المستطيلة بعينيه الريتين،
وباسم جميع الكائنات الرخامية - كشريك ضليل لهم -
ثبت خطمه المدبب - كسهيم رخ - على المطلق.

لم يكن أبي مهتماً بالثمانين، لم أره أبداً
يقف أمام أحد ها: ربما التقى
حقاً إلى تمثاله - تمثال برونزي
لفارس متعطريين عصي المثال.
دفعته صداقتُه لياترولوس وحدها
إلى الاقتراب مني إلى حد ما، كأنما يخطواتِ عملاقة
خطا خارجاً من قاعده
واختفى تحت الأشجار. وكم هو غريب
الآن نسمع فرقعة
من مفاصيل ركبته البرونزية.

أبي - ظيف آخر، شفاف أيضاً،
بلا وزن وبعيد: ثمة حنان موجود
في غيابها المستديم. قبل وصولهم مباشرةً إلى المنزل،
عائدين من الصيد، كان الرجال يرمون
الثافية الغربية وراء الأشجار، المعلقة
وحيدة تماماً في الهواء أحد الأغصان، فيما يبدوا،

وَأَنْتَيْ أَيْضًا مُعَلَّقَةً
دَاخِلَ إِطَارِهَا الْكَالِبِ (فِيمَا يَبْدُو) وَقَدْ رَسَتْ بِعْبَارِ الدَّهَبِ كُلَّ شَيْءٍ،
وَهِيَ تَلُوْخُ بَعِيدًا فِي الْغُرُوبِ. كَانُوا يَظُنُّونَ
أَنَّهَا كَانَتْ تَنْتَظِرُهُمْ، فِيمَا تَلَتَّهُمُ الظَّرِيقَ بِالثَّرْقِ.
أَدْرَكَنَا بَعْدَ وَقْتٍ طَوِيلٍ: لَمْ تَكُنْ أَبْدًا هُنَاكَ، لَكِنَّهَا بِالْفَعْلِ شُنِّقَتْ.

فَضَحَّ وَجْهُهَا ظَلَّ الْأَنْشُوَةَ بِصُورَةٍ لَا مَحْسُوسَةٍ عِنْدَمَا صَحَّحَتْ
تَعْبِيرَهَا، وَقَتَمَا كَانَ مُمْكِنًا سَمَاعُ الصَّيَادِينَ
عَلَى طُولِ الظَّرِيقِ. وَفِيمَا كَانَتْ تُزِيجُ بِيَدِهَا
خُصْلَةً فَاجِمَةً السَّوَادِ بِدَعْوَى أَنَّهَا حَجَبَتْ رُؤْيَتَهَا،
فَقَدْ كَانَ ظَلُّ الْأَنْشُوَةِ هُوَ مَا أَبْعَدَهُ جَانِبًا. عَلِمْنَا ذَلِكَ فِيمَا بَعْدَ،
جِينَ دَوَّتِ الْأَبْوَاقِ مَرَّتَهَا الْأَخِيرَةَ فَوْقَ الْبُحَرَةِ فِي الْعَسْقِ،
وَتَقَشَّرَ الْجُصُّ عَنْ وَاجِهَاتِ بُيُوتِنَا فِي شَطَاطِيَا بِلَا صَوْتِ،
جِينَ امْتَرَجَتِ الْأَشْبَابُ الرَّرْقَاءُ لِلْأَشْجَارِ بِالصَّبَابِ الْقُرْنُفِيِّ وَالْوَرْدِيِّ
الْمُتَصَاعِدِ فِي كُلِّ مَكَانٍ
فَوْقَ السَّهْلِ، وَالْكِلَابِ الْمُنْهَكَةِ، الَّتِي كَانَتْ تَتَمَسَّى بِنَحْفَةِ،
رَغْمَ أَسْنَتِهَا الْمُتَدَلِّيَةِ، كَانَهَا تَصْعَدُ فِي نَشْوَةٍ إِلَى السَّمَاءِ.

مَلَأَ الْمَسَاءَ رِيشُ طَيْورِ زَاوِي؛ رِيشُ مُلَوَّنٍ
لِطَيْورِ مَذْبُوْحَةِ مَطْرُوْحَةِ هُنَاكَ فَوْقَ سَطْحِ الصُّخُورِ، فِي الْخَارِجِ،
مَعَ أَعْنَابِ أَرْجُوْانِيَّةِ، حَمَّرَاءَ وَكَهْرَمَانِيَّةَ عَلَى أَطْبَاقِ كَبِيرَةِ ضَافِيَّةِ،

وَمَاءٌ مُنْسَابٌ مِنَ الْبَئْرِ . كَانَتْ أُنْيَى تَبَسِّمُ دَائِمًا يَأْسِي آنَذَكَ ؛
 "وَتَظُنُّ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ طَائِرًا" ، تَقُولُ لِي ،
 وَهِيَ تَأْمُرُ الْحَادِيمَاتِ بِنَتْفِ الدَّجَاجِ لِلْعَشَاءِ
 فِي الْبَاحَةِ خَلْفَ الْمَنْزِلِ ، حَيْثُ سَقَطَ ظِلُّ الْجَبَلِ
 كَحَدِيدٍ مَصْهُورٍ يُطْلِقُ الشَّرَّ ، وَأَشْجَارُ سَرِيرٍ عَمَلَقَةٌ ،
 كَالْحَكْمَةِ ، مُنْعَزِلَةٌ ، قَاتِمَةٌ ،
 تَقُومُ بِمُبَادَرَةٍ صَامِيَةٍ ، بِلَا تَفْسِيرٍ .

وَالرِّجَالُ ، كُلُّ هَذَا الْوَقْتِ - وَسِخِينٌ وَمُتَعَرِّقِينَ مِنَ الصَّيْدِ ،
 وَأَشْوَاكُ شَعْنَاءٍ فِي شَعْرِهِمْ ،
 وَأَكْنَافُهُمْ مُلَطَّخَةٌ بِلِقَاجٍ مِنْ أَشْجَارِ الصُّنُورِ -
 كَانُوا فِي الْحَمَامَاتِ . صَوْتُ

الْمَاءِ الْمُتَسَاقِطِ كَانَ يَصْلُ إِلَى الْخَارِجِ ، وَرَائِحَةُ الصَّابُونِ
 نَمَرِزِجَةٌ بِأَرِيقِ الْحَدِيقَةِ : جِيرَانِيُومٌ وَرَاتِينِجٌ لِلْأَذْعِ ، إِكْلِيلُ الْجَبَلِ وَالثَّعَانِ -
 نَفَاثَاتٌ كَامِلَةٌ ، مُنْعِشَةٌ . وَإِذْ وَضَعَ رِعَاءُ السَّفُيِّ الْمُتَسِّعِ
 عَلَى الْأَرِيَكَةِ الْحَجَرِيَّةِ ، كَانَ لِلْبُسْتَانِيِّ أَنْ يَنْتَهِيَ الْفُرَصَةُ
 لِيَقُولَ "صَبَاحُ الْخَيْرِ" الْمُتَوَاضِعَةُ الْمُشْرِقَةُ إِلَى سَيِّدَتِهِ الْمَهِيَّةِ ،
 نَمَرِزِجَةٌ بِأَسْمَاءِ الزُّهُورِ ، وَدَأْبِ الْبُدُورِ ، وَشَيءٌ مَا آخَرٌ
 يَتَعَلَّقُ بِالْعَزِقِ وَالْجَرَارَاتِ ، وَآفَاتِ الْأَوْرَاقِ وَالْقَمَارِ .

آلَافُ مِنَ الطَّيُورِ الْمُغَرَّدَةِ فَوْقَ أَشْجَارِ الْأُوكَالِبْتُوسِ أَجْهَدَتْ حُلُوقَهَا

كالباعية الجائلين

في سُوقٍ موسيَّةٍ، يَقْوِمُونَ بِالْمَدِيجِ فِي جُنُونٍ فِيمَا الْحَدَمُ أَسْفَلَ مِنْهُمْ
يَنْتِفُونَ تِلْكَ الْطُّيُورِ الْأُخْرَىٰ . حَلَّ اللَّيلُ ،
هَادِيَّا ، بَطِيَّا ، مُضطَرِّدا ، مُفْعَمًا بِالْزَّغْبِ الْأَخْضَرِ وَالْأَنْهَىٰ فِي الْأَسْفَلِ .
كُلُّ رِيشَةٍ كَانَتْ تَحْمِلُ عِنْدَ چَدْرِهَا بُقْعَةً حَمَّراً غَيْرَ مَحْسُوْسَةٍ .
رِيشَةٌ كَهَنِيَّةٌ اسْتَقَرَّتْ ذَاتَ مَرَّةٍ عَلَى شِعْرِ أُمِّيٍّ ;
فَظَلَّلَتْهَا كُلُّهَا . اقْتَرَبَتْ مِنْهَا آنِيَّةٌ لَّحْظَةٌ ، خِلْسَةٌ ،
وَأَرَحَتْهَا - فَلَمْ تَرَاهَا مُظْلَلَةٌ يَفْعُلِ آثَامَ الْأَخْرَيْنِ
كَانَ أَكْثَرَ مِنْهَا أَحْتَمِلِ . وَرَغْمًا عَنْهَا أَصْدَرَتْ
صَيْحَةً صَغِيرَةً : وَقَدْ تَظَنَّ أَنْ خِنْجَرًا قَدْ انْتَزَعَ مِنْ صَدْرِهَا .

فِي أُمْسِيَّةٍ أُخْرَىٰ ، أَذْكُرُ ، لَفَتْ كَفَيْهَا حَوْلَ الْمِصَبَّاحِ
لِتَحْمِي الشُّعْلَةَ مِنَ الرِّيحِ . أَصْبَحَتْ
يَدَاهَا شَفَافَتَيْنِ وَقَرْنَفُلَيْتَيْنِ ، كَبَتَلَتِي وَرَدَةً ضَخْمَتَيْنِ -
وَرَدَةً فَرِيدَةً ، مَعَ شُعْلَةَ الْمِصَبَّاحِ
عُضُوًّا تَأْنِيَّثَ عَرِيبَ . رَأَيْتَ
مَفَاتِيْخَهَا مَطْرُوْحَةً آنِدَكَ عَلَى الدَّرَجَاتِ الْجَبَرِيَّةِ ،
يَجَانِبُ حَقَائِبِ الصَّيَادِيْنِ وَأَقْوَاسِهِمْ . فَهِمْتَ :
هَاتَانِ الْيَدَانِ - الْمُتَبَايِدَتَانِ ، الْمَرْئَيَّتَانِ مِنْ كُلِّ نُقْطَةٍ مُّوَاتِيَّةٍ ،
الْخِيَسَتَانِ أَبْدَا فِي شَفَافِيَّتِهِمَا الْحَمِيمَةَ -
لَا يُمْكِنُهُمَا أَنْ يُحْرِرَا أَيِّ شَيْءَ مَرَّةً أُخْرَىٰ . وَعِنْدَمَا كَانَ تَتَكَلَّمُ ،

كَانَتْ تَبْدُو دَائِمًا كَأَنَّهَا تَكْبُحُ الْمَسْأَلَةَ الْمَصِيرِيَّةَ ، وَقَدْ بَرَزَتْ شَفَّاتَهَا خِفْيَةً فِيمَا وَرَاءِ الظَّلْلِ الْطَّوِيلِ لِرُمُوشِهَا .

أَتَذَكَّرُ أَيْضًا مَا بَعْدَ ظَهِيرَةِ مُعَيْنٍ . كَانَتْ تَشَرِّبُ مَاءً تَحْتَ الْأَشْجَارِ ؛ لَا حَظِّتْ يَدِيهَا مِنْ جَدِيدٍ - أَكْثَرَ شَفَافِيَّةً مِنَ الْكُوبِ الَّذِي تَحْمِلُهُ . ظَلَلَ الزَّجَاجُ هَذَا ضَرَبَ الْمَرْجَ - دَائِرَةً مِنْ ضَوءٍ ، مَرَثِيَّةً بِالْكَادِ . آتَيْتُهُ حَطَّتْ نَحْلَةً عَلَى مَرْكَزِ هَذِهِ الدَّائِرَةِ وَظَلَّتْ بِأَجْنِحَتِهَا مُسْتَضِيَّةً بِصُورَةِ وَاهِيَّةٍ - مُطْوَقَةً - هَكَذَا بَدَتْ - بِأَحَاسِيسِ سَعَادَةٍ بِلَا تَفْسِيرٍ . كَانَ ذَلِكَ هُوَ الصَّيفُ الْأَخِيرُ ، قَبْلَ أَنْ يَتَمَّ اسْتِدْعَائِي أَيْضًا ، بَدَوْرِي .

أَخْبَرْتُكَ بِالكَثِيرِ عَنْ أُتْيٍ . رُبَّمَا تَبَيَّنَتْ ، يَا صَدِيقِي ، فِي يَدِيكَ بَعْضًا مِنْ بَهَاءِ يَدِيهَا . فَكُلُّ مَا كَانَتْ تَلْمَسْتُ كَانَ يَتَحَوَّلُ فَجَاءَ إِلَيْكَ مُوْسِيقِي بَعِيدَةٍ ؛ وَلَا يُمْكِنُ لَمْسُهُ فِيمَا بَعْدَ بَلْ يُسْمَعُ فَحَسْبٌ - وَلَا حَقَّ يُسْمَعٌ . لَا شَيْءٌ كَانَ يَقِنُّ : صَوْتٌ لَا تَعْيِيْهُ الدَّاِكْرَةُ ، إِحْسَاسٌ غَائِمٌ... ؛ لَا مَعْرِفَةٌ .

بَعْدَ ذَلِكَ تَغَيِّرَتِ الإِضَاءَةُ : نِيرَانٌ فِي الْمَعْسَكَرِ ، أَجْسَادٌ غَارِيَّةٌ مُتَوَرِّدَةٌ وَقُرْمُزِيَّةٌ يَفْعِلُ الشُّعَلَاتُ : مُلَظَّخِينَ بِالدَّمِ ، هَكَذَا تَظُنُّ ، أَوْ مَخْدُوشِينَ بِامْتِدَادِ الْجَسَدِ ؛ أَكْثَرُ حِسَيَّةٍ وَحَيْوَانِيَّةً ، أَكْثَرُ شَهْوَانِيَّةً بِلَا حَيَاةٍ ، كَمَجْزَرٍ هَائِلٍ

مَعَ أَحْشَاءِ وَخُصَّيْ مُعْلَقَةً فِي اللَّيْلِ يُكَلَّبَاتِ اللَّحْمِ
 بَيْنَ النُّجُومِ الْكَابِيَّةِ يَفْعُلُ نِيرَانِا
 فِيمَا الْبُولُ، وَالْعَنْيَّ، وَالْغَائِطُ، وَالْأَوْحَالُ وَالَّدَمُ
 كَانَ يَنْدَفِعُ فِي قَنَوَاتِ الْقُرْبِ مِنَّا،
 وَالظَّلَالُ تَرْكُضُ بَعِيدًا فِي حُمَرَةِ سَاطِعَةِ
 إِلَى أَنْ يَظْهَرَ الْقَمَرُ، نَاعِمًا وَمَبْلُولًا كَفَرْجَ،
 وَيَبْدَا النَّدَمُ، وَالْأَسَى، أَيْضًا، وَالْإِبْدَاعُ.

صَبِيجُ النَّهَرِ تَحْتَ الْأَشْجَارِ أَنْعَشَ
 سَمِعَنَا آتِيَّذِ، رَغْمَ أَنْ أَحَدًا لَمْ يَسْأَلْ عَنْ وِجْهِهِ.

مَاتَتِ بِبُطْءِ نِيرَانُ الْمُعَسْكَرِ إِلَى جَمَرٍ؛ وَطَيْبُورُ كَبِيرَةٌ، نَائِمَةٌ
 عَلَى الْأَغْصَانِ، كَانَتْ تُوَارِبُ عُيُونَهَا مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرٍ؛
 وَوَمِيسُ وَاهِ يَنْسَلُ بَيْنَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ.

كَانَ الرِّجَالُ يُزِيلُونَ الْقَمَلَ مِنْ صُدُورِهِمْ وَبَاطِنِ أَفْخَادِهِمْ؛
 وَالصَّبَيَّانُ، وَقَدْ نَمَّا شَعْرُهُمْ بِالْكَادِ عَلَى صُدُورِهِمْ، مُنْزَوْنُونَ إِلَى حَدَّ أَنْ
 تَظْلَمَ أَنَّهُمْ مُسْتَأْوُنُونَ،

وَكَثِيرًا مَا يُحِسِّنُونَ بِوَخْرَتِينِ فِي حَلَمَتِي صَدْرِهِمْ
 كَانَ زَوْجًا مِنْ سِهَامِ الْحَبَّ قَدْ سُمِّرَ فِيهِمَا فِي مُنْتَصِفِ اللَّيْلِ.

وَعَضَلَاتُ بُطْوَنِهِمْ مَشْدُودَةٌ آتِيَّذِ حَوْلَ حُصُورِهِمْ، كَجِبَالٍ. وَكَانَ الْحُرَّاسُ،
 وَهُمْ يَخْلُلُونَ صَنَادِلَهُمْ، يَجْتَحُونَ إِصْبَاعَيْنِ فِيمَا بَيْنَ أَصَابِعِ أَقْدَامِهِمْ

لِيَصْنَعُوا كُتْلَيْ طِينٍ لَرِجَاتِينَ، مُسَوَّدَتِينَ. كُتْلَتَانٌ تُعْجَنَانٌ بِلَا اِنْتِهَاءٍ
كَتَمَائِيلٌ صَغِيرَةٌ غَامِضَةٌ، طَبِيعَةٌ، مُوَاسِيَةٌ،
ثُمَّ تَتَمَّ الْإِطَاحَةُ بِهَا بِلَا صَوْتٍ إِلَى اللَّيلِ. فِيمَا بَعْدِ
كَانُوا - فِي وَسَامَةٍ، وَفَظَاظَةٍ، وَبَلَادَةٍ - يَتَسَمَّمُونَ أَصَابِعُهُمْ،
يَتَنَسَّقُونَهَا لِسَاعَاتٍ، إِلَى أَنْ يَسْقُطُوا فِي التَّوْمِ.

وَعَلَى الْأَرْضِ حَيْثُ ثَرِكُوا، كَانَتِ الدُّرُوعُ الصَّخْمَةُ
تُصْدِرُ قَعْقَعَةً مَعْدَنِيَّةً، بَلِيدَةً، كُلَّمَا قَصَفْتُهُمْ
رِمَاحُ الثَّجُومِ الْبَعِيدَةِ. وَالْوِحْدَاتُ الْعَسْكَرِيَّةُ
تَسْتَلِقِي مُخْتَبِئَةً وَمُتَجَمِّدَةً فِي حُقْرِهَا. وَكَانَتْ عَظَمَةُ السَّمَكَةِ الْعَارِيَّةِ
الْهَائِلَةُ

لِدَرِبِ الْبَيْانِ تُوْمِضُ فَوْقَ الْخَيَامِ. وَمَرَّةً أُخْرَى،
كَمَا فِي فُصُولِ الصَّيفِ الْمَاضِيَّةِ تَقْرِيبًا، كُلَّمَا تَخْشَى
لِصَّا مَا غَيْرَ مَرَئِيٍّ وَلَا مُحَدَّدٍ، إِنْ لَمْ يَكُنْ الْلُّصُوصُ الْمُعْتَادِينَ
الَّذِينَ قَدْ يَقْفِرُونَ إِلَى غُرْفَتِنَا مِنَ الشُّرَفَاتِ أَوِ التَّوَافِذِ الْمَفْتُوحةِ.
لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ شَيْئًا آنِيَّدَ (وَلَا الْآنَ) عَنْ حِيَاةِ النَّفْسِ. كَانَ طَنِينُ
بَعْوَضَةٍ

يُشَوِّشُنَا، كَمَا فَعَلَتْ هَمَمَةُ ضَوْءِ الْقَمَرِ
أَوْ قُبُلَاتُ مَسْرُوقَةٍ مُدَوِّيَّةٍ فِي الْأَرْوَقَةِ الْمُقْنَطَرَةِ -
وَامْرَأَةٌ مَا، مَنْدُورَةٌ لِلْعُزْلَةِ، كَانَتْ تَتَبَرَّزُ فِي سَكِينَةِ الْمَرْجِ،
وَهِيَ تُحِسُّ بِوَحْزَاتٍ حَادَّةٍ فِي رِدَفِيهَا مِنَ الْعُشِّ وَالثَّجُومِ.

أهـ دلائل الإحسان بالآخذِ بِهِ الْبِرِّيـةـ - بِالْأَخْرِيـ بِالسُّلْبـ :

سَاهَـ بِهِـيـ، صَامَـتـ وَـدَاسَـخـ اـوـسطـ الـحـزـارـةـ

كـالـتـ سـتـارـةـ نـحـرـفـةـ الـكـوـمـ تـقـيـزـ قـعـاءـ فـيـ خـطـرـةـ مـتـرـاقـصـةـ، ثـلـاثـ،

مـنـقـوـثـةـ بـوـضـوجـ أـدـ تـلـفـيـتـ اـنـتـيـاهـنـاـ

إـلـىـ الـأـهـدـابـ الـلـهـقـيـةـ فـيـ تـوـبـ اـمـرـأـةـ مـاـ . ثـمـ اـنـتـصـبـتـ سـاـكـنـةـ؛

زـرـقـةـ شـاحـيـةـ فـيـ السـكـونـ التـيـتـ، وـغـطـتـ تـمـثـالـاـ مـاـ

- تـمـثـالـاـ مـنـ جـزـانـيـتـ رـئـيـاـ لـلـلـيلـ، أـوـ وـاجـدـاـ يـمـثـلـ السـرـقـةـ مـنـ حـجـرـ

أـخـرـ -

وـمـنـ جـدـيـدـ سـيـعـنـاـ ذـلـكـ النـشـرـ الـمـغـوـيـ لـلـجـدـاـجـدـ

وـذـلـكـ التـقـيـقـ الـمـلـمـيـنـ لـلـضـفـادـعـ

أـوـ ظـفـطـقـةـ حـادـةـ مـنـ صـرـصـورـ يـدـوـرـ دـاـخـلـ خـوـدـةـ.

كـنـاـ بـحـاجـةـ إـلـىـ الـوقـتـ لـلـتـحـقـقـ : قـبـلـ أـنـ نـحـصـيـ

الـكـوـاـكـبـ وـلـوـ لـمـرـأـةـ وـاحـدـةـ، سـقـطـنـاـ فـيـ النـوـمـ . فـيـ الـفـجـرـ

كـانـتـ جـدـاءـ تـقـيـشـ بـصـورـةـ عـمـيـاءـ، حـينـ سـقـطـتـ فـيـ الشـجـيـرـاتـ

فـيـمـاـ كـانـتـ عـيـنـاـهـ الـلـبـنـيـتـاـنـ تـبـحـثـانـ عـنـ مـكـانـ آـخـرـ؛

وـظـلـ جـبـلـ "أـوـتـاـ" اـنـسـحـبـ مـنـ السـهـلـ

كـسـلـحـفـةـ خـرـافـيـةـ تـجـرـجـرـ أـرـجـلـهـاـ .

دـوـتـ الشـمـسـ آـنـيـذـ فـيـ الـأـفـقـ . وـالـحـوـافـ الـأـرـبـعـةـ وـالـسـتـوـنـ

لِلأَحْصِنَةِ وَمَضَتْ عَالِيَاً فِي الْأَثِيرِ
فِيمَا عَرَبَاتُ الشَّيْرَانِ تَعْكِسُ الْأَشِعَةَ فِي الْأَسْفَلِ . انْفَتَحَتِ الْبَوَابَاتِ .
صَخْبُ فِي السُّوقِ - بَاعَةُ الْفَاكِهَةِ ، تَجَارُ ،
جِبَالُ مِنْ لَيْمُونَ ، خُضْرٌ ؛ مُزَارِعُونَ مَعَ حَمِيرِهِمْ .

مُسْتَيْقِظًا قَبْلَ الْمَوْعِدِ، كَانَ فَيْلُسُوفٌ يَتَمَسَّى الْهُوَيَّنِي فِي صَمْتِ
بَيْنَ صَفَّيْنِ مِنَ التَّاשِيَّةِ الْمَذْبُوَّةِ . وَالْخَرَافُ
كَانَ قَدْ صَفَّ أَبَارِيقَهُ فِي صُفُوفٍ عَلَى امْتِدَادِ الْطَّرِيقِ
كَفَوَاتٍ خَرَفِيَّةٍ مِنْ كَوَكِبٍ آخَرِ . وَفِي قَاعَةِ الْأَلْعَابِ ،
الْمُبَرِّدَةِ مَا تَرَالُ بِفَعْلِ رُطُوبَةِ الصَّبَاجِ وَالْمُضَاءِ بِالْأَشِعَةِ التَّائِلَةِ ،
كَانَ الْعَدَاؤُونَ الْأَوَّلُونَ يَنْبَثِقُونَ مِنْ عَرْفِ الْمَلَابِسِ وَيَجْرِيُونَ
الْعَدُوَّ لِمَسَافَاتٍ قَصِيرَةٍ - تَقْرِيبًا كَالْطَّيْوِرِ فِي الْهَوَاءِ . وَالْجُنُودُ
فِي أَفْنِيَّةِ الشُّكَنَاتِ كَانُوا يُنَظَّفُونَ مَرَاجِلَ ضَخْمَةِ .

فِي نَوَافِذِهِنَّ ، كَانَتْ نِسْوَةٌ شَعَثَاوَاتٌ يَنْفُضُنَّ
مَلَأَهُاتِ ذَاتِ بَيَاضٍ مُرْقَعٍ . وَوَاجِهَاتُ الْمَعَابِدِ وَالْطَّبَقَاتِ
الْعُلَيَا مِنَ الْمَلَاعِبِ كَانَتْ تَلْتَمِعُ . هَذَا الْبَرِيقُ الْأَعْمَى وَالْمُعْيِ
كَانَ يَبْدُو - فِي تَفَارِخِهِ بِالْتَّحْدِيدِ -
كَأَنَّهُ يَكْبَحُ فِينَا شَيْئًا مَا (وَهُوَ مَا كَانَ صَحِيْحًا).
أَرَيْئَا تِلْكَ الْلُّصُوصِيَّةَ ؟ كَانَتْ الْجِرَارُ الضَّخْمَةُ
مَا تَرَالُ فِي الْخَدَائِقِ وَالْأَقْبِيَّةِ ،

شأن الأقنيعة الذهبية يعيونها الخاوية ، النافذة .
لحظة صمت ؛ نفس الدلالة المشوقة ؛ تواطؤ عام .

أصبحت اللحي ، والشعر ، والأظافر وقضبان الرجال أكبر .
والأخبار : دائمًا تتعلق بالأبطال والموتى ، ثم تظل تتعلق أكثر بالأبطال .
عظام حصان كبيرة على جانب التل مع التوجّهات الجافة .
ورائحة نتن متزايدة من الأجساد غير المغسلة . بعيدًا ، كانت امرأة
تمر من وقت إلى آخر في نهاية النهار ، وأباريق ماء على كتفها ؛
كان النسيم يفعم المكان الذي تحلى به . وغروب الشمس
كان منطويًا في رأس علم . ونجمة ما تصرخ
"لا" بلا تفسير - فجأة - فيما
تلأشى عدو الخيوط على طول الليل ،
تاركًا التّجوم أكثر صمتًا فوق النهر .

لم يفلح أحد في تذكر ما هو أكثر ، في التفكير أو السؤال .
تغير متواصل . وكل شيء مبتور ، مجاهض ، ناقص .
العويل والهتاف كانا يستلزمان نبرة تزداد تشابها .
وأيضا وجوه الأصدقاء والأعداء غير قابلة للتمايز .
فقط في الليل حين توقفت المعركة ، حين حل الصمت ممدا ،
كانت أناث الحرجي المديدة مسموعة وسط الصخور
وكان القمر يشيه عينين واسعتين لمهرة ذبيحة :

آنذاك فحسب ندرك أننا لم نمت .

المكيدة الثالثية قدحت عيونها بلا حصر في كل ركن من الليل :
أيّاً ما كانَ مَا سرقوه مِنَّا فلابدَّ لَنَا مِنْ استرجاعه - حتى الاغتصاب !
في الأسفل

على الشاطئ المُشرِق ، سُفُننا - مُظلمة ،
ساكِنَة ، وقد تحولت إلى حجر - كانت تحظى مع ذلك لِرحلة أخرى ،
وإذا ما وَمَضَ بِجَدَافٍ مَبْلُولٍ بِشَكْلِ خَاطِفٍ مِنْ آنِ لَآخَر ، فَإِنَّ نَبْضَ
مَعَاصِنَا

كانَ يَنْبِضُ عَلَى غَيْرِ انتِظارٍ في استِجابة . المَبْعُوثُونَ الْيَقِظُونَ
يَنْدِفُونَ أَمَامًا وَخَلْفًا كَخَفَافِيشِ مُرَاوِيَة ، وَحِينَ كَانَ يَبْقَى بِالصُّدْفَةِ
أَثْرٌ مَشْبُوٌّ عَلَى الْحَصْنِ الْأَبِيَضِ كَالْخَلِيلِ أوْ وَسْطَ الأَشْوَاكِ
رِيشَةُ سَوَادِهِ ، قِطْعَةٌ مِنْ سَيرِ الصَّنَدِلِ ، إِبْرِيمٌ فِضِّيٌّ -
نَكُونُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهَا اخْتَفَتَ فِي الْفَجْرِ .

بَدَا لَنَا أَنَّنَا نَسْمَعُ الْفُؤُوسَ السَّرِيَّةَ فِي الْغَابَةِ
تَقْطَعُ الْأَخْشَابِ . سَمِعْنَا الإِبْهَامِ الْعِمَلَاقِ عِنْدَمَا اسْتَلَقَتْ
شَجَرَةٌ عَلَى الْأَرْضِ ؛ سَمِعْنَا الصَّمَتِ
يَخْتَبِئُ فِي رُعْبِ خَلْفِ ظُهُورِنَا . بَدَا لِي فِعْلًا أَنِّي شَهِدتْ
جَصَانَ طَرَوَادَةٍ يَلْتَمِعُ فِي ضَوْءِ النَّجْوَمِ - أَجَوْفَ وَضَخْمًا ،
خَطِيرًا وَتَقْرِيبًا ذَا حُضُورٍ دِينِي - فِيمَا ظِلُّهُ

يَنْتَشِرُ كَخُرَافَةٍ عَبَرَ الْجَدَرَانَ . أَحْسَسْتُ حَقًّا
 يَنْفِسِي دَاخِلَ تَجْوِيفِ الْحِصَانِ مَعَ الْآخَرِينَ ،
 جَائِنِمًا بِأَرْتَبَاكِ فِي عُنْقِهِ ، وَجِيدًا ،
 أَشَاهِدُ مِنْ خَلَالِ عَيْنَيْهِ الْخَاوِيَّتَيْنِ اللَّيْلَ الْكَرِيسْتَالِيِّ
 كَأَنِّي مُعَلَّقٌ فَوْقَ السَّدِيمِ ، مُدْرِكًا
 أَنَّ الْعُرْفَ الَّذِي مَاجَ عَلَى قَفَائِي
 لَمْ يَكُنْ عُرْفًا - وَلَا عُرْفَ النَّصْرِ ، بِالظَّبْعِ . مَعَ ذَلِكَ ، فَقَدْ أَعْدَدْتُ نَفِسي
 لِلْقَفْزَةِ الْهَايْلَةِ ، الْعَبَيْثَيَّةِ إِلَى الْمَجْهُولِ .

فِي الْأَعْلَى ، فِي هَذَا الْمَوْقِعِ دَاخِلَ حَلْقِ الْحِصَانِ الْمَرْصُوفِ بِالْأَلْوَاحِ ،
 لَا بُدَّ أَنِّي أَحْسَسْتُ بِأَبْتِلَاعِي ؛ بِأَبْتِلَاعِي حَيَا ، مَعَ ذَلِكَ ، لَا رُقْبَ
 مُعْسَكَرُ الْأَعْدَاءِ ، وَالنَّيْرَانَ ، وَالسُّفَنَ وَالثُّجُومَ ،
 الْمُعْجِزَةِ الْكَاملَةِ (كَمَا سُمِّيَتْ) ، الْمُعْجِزَةِ الْمُعَتَادَةِ ، الرَّهِيبَةِ ، غَيْرِ
 الْمُنْتَظَرَةِ لِلْعَالَمِ ،
 كَأَنِّي كُنْتُ لُقْمَةَ التَّصْقَتِ فِي حِنْجَرَةِ الْمُطْلَقِ ، وَجِسْرًا
 فَوْقَ سَدَّيْنِ فِي نَفِيسِ الْوَقْتِ ، مُنْحَدِرَيْنَ وَمَجْهُولَيْنَ عَلَى السَّوَاءِ -
 جِسْرُ بِلَا مَتَانَةٍ ، بِالثَّاكِيدِ ، مِنْ خَشْبٍ وَتَخْطِيطٍ مَرِيرٍ .
 (مِنْ هُنَاكَ فِي الْأَعْلَى ، أَظُنُّ ، فِي مِثْلِ هَذَا الْكَابُوسِ ،
 لَمَحْتُ فِي الْبِدَايَةِ التَّالِقَ الْمُهَدِّئَ لِأَسْلِحَتِكُمْ) .

فِي أَوْقَاتٍ أُخْرَى مُخْتَلِفَةٍ - خِلَالَ مُنْتَصِفِ النَّهَارَاتِ الطَّوِيلَةِ ، فِي فُسْحَةٍ

مِنَ الْقِتَالِ ،

خِلَالَ الْمَسِيرِ ، أَوِ التَّوْقِفِ لِلرَّاحَةِ - كُنَّا نُحِسْ فَجَأَهُ بِأَنَّنَا عَطَشَى .
لَا أَكْثَرَ - : عَطَشَى فَحَسِبَ . لَمْ يَخْتُرْ بِبَالِهَا الْمَاءُ أَوْ عَطَشُنَا بِالْتَّحْدِيدِ ،
بَلْ اخْتَنَنَا فَحَسِبَ فِي قَوْضَى ، مُتَظَاهِرِينَ بِرَبْطِ سُيُورٍ صَنَادِلَنَا .
فِي هَذَا الْوَضْعِ ، الْأَنْجَنَاءُ ، حَدَّقَنَا فِي الْبَعْدِ وَاحْتَفَظَنَا بِرُؤْيَةِ الْمَشَهِدِ

الْطَّبِيعِي

مَقْلُوبًا رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ ، وَالثَّالِسِ وَأَنْفِسِنَا ،
مَشَهِدٌ مُضَلِّلٌ ، غَفُورٌ ، شَفَافٌ ، مُنْحَرِفٌ ،
كَأَنَّهُ مَعْكُوسٌ فِي مَاءٍ مَا . وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَاء . كُنَّا عَطَشَى .

كَانَ الظَّرِيقُ خَرِبًا عَلَى امْتِدَادِهِ كُلُّهُ . آبَارُهُ عَلَى كُلَّ الْجَانِبَيْنِ
كَانَتْ مَرْدُومَةً ، مُلَوَّثَةً بِالْجَبَثِ . وَكَانَ الْحَصَى يَنْشُقُ
مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْحَرَارَةِ الْعَالِيَّةِ ، وَالْجَدَاجِدُ تَصْبِحُ . جِبْرُ يَغْلِي
فِي الْأَفْقِ ؛ أَلْسِنَةُ نَارٍ . وَأَعْلَى إِفْرِيزِ الْجَدَرَانِ
كَانَتْ شَظَايَا زُجَاجٌ مُهْشَمٌ تَنْتَصِبُ وَأَمْضَهُ فِي ضَوْءِ شَمَسٍ لَا يَلِينَ وَهِيَ

تَقْسِيمُ

الرَّفَاقُ ، وَالْأَصْدِيقَةُ وَالْمُقَاتِلِينَ الزَّمَلَاءِ .
وَرَغْمَ الْأَلْقِي الْمَجِيدِ ، النَّافِذِ ، لَمْ يَخْفَ شَيْءٌ : رَأَيْتُ رِجَالًا بَوَاسِلَ
يَرْمُونَ بِالرَّمَادِ فِي شَعْرِهِمْ وَرَأَيْتُ الرَّمَادَ
يَمْتَزِجُ بِدُمُوعِهِمْ . تَجَاعِيدُ سَوَادَاءِ
خَفْرَةٌ فِي لِحَاظِهِمْ ، مُنْحَدِرَةٌ إِلَى الدَّقَنِ .

هؤلاء ، العرايا على الشاطئ ، اعتادوا تحببم أحستهم
 وذهبن أعراضها بزبب أصفر ، الرجال والأحصنة على السواء متألقون
 في صباحات وضاءة ، هؤلاء أنفسهم
 الذين رقصوا في الليل فوق لهب نار المعسكر ، وأقدامهم الخافية
 ثم مض قرمذية - ينكشون الآن
 وسط المنحدرات ، يبعسون ويئتون ، يضعون كفوفهم
 أمام أفخاذهم ، يختبئون في خزي كانوا ارتكبوا جرما ما
 ضد آخرين وارتكب الآخرون جميعا جرما ما ضد هم . قد يحسدون
 أيضا

المجندين الشبان على الغياب الجميل للشك لذتهم ، وشجاعتهم ،
 وحاستهم ، ورطائهم المحفوظة ، وقبل كل شيء ربما
 شعريهم بالغ الكثافة والمعنى ، مفعما بالعافية والشهوة .

لكن هؤلاء أيضا انطلقوا ذات يوم لإصلاح العالم :
 ساذجين في فتن ، مختالين في سرية ، انطلقوا معا ،
 كل واحد بصورة فردية ، رأوا وتكلعوا ، كل منهم
 لسبب خاص ، يستظلون بظموح مستقل
 تحت فكرة واحدة عظيمة ، غاية مشتركة جعلت شفافية
 الذات المتشظية لكل واحد أكثر وضوحا ،
 مع تعاسة وضاعة القدر . فكيف ، يا صديقي ، يمكنك

إضفاء بعض النظام على هذه الفوضى؟ كيف يمكننا الوقوف إلى
جوارهم. الآن أعرف.

خلال الليل على القوارب، حين نام الجنود العاديون، منهكين،
على السطح كأجولة مكونة معاً،
في غاية الروعة لأخلاقهم الفتى الجميل،
نائمين في جهلهم، في براءتهم الحيوانية وجمالهم الجسدي،
أشداء من مواصلة العمل التافع في الخنول، في الورش، على الطرق،
خاضعين للضرورة والآمال السهلة،
يعممون بلا عناء سذاجتهم، كأغنام
سيقت إلى المذبح لصالح آخرين، لكن
مبتسئين في نومهم ويهذون، يسخرون،
لأعينين بقرأة من بنات الخلق، أو - شبة عرايا، بانتصارات ليلية -
يهمسون مراراً وتكراراً باسم امرأة
فيما يغتسلون في الأبدية الحفيدة لضوء نجوم المحيط - خلال تلك الليل،
كنت أسمع، وسط رذاذ المجاذيف، صيحات
قادتنا والشجارات على غنائم ما تزال في الغيب، وألقاب
لم تعتمد بعد. وفي عيونهم، رأيت
الكراهية للجميع، الشهوة الوحشية للتتفوق،
وفي عمق الأعماق، كحشرة حباجب هشة في الطرف الأقصى من كهف
مظلم،

رَأَيْتُ وَحْدَتَهُمْ أَيْضًا . فِيمَا وَرَأَةٌ لِخَاهُمْ
 كَانَ قَدْرُهُمْ يَتَلَالَأُ فِي عُرْيَهُ ، مِثْلَ سَهْلٍ قَاجِلٍ ، وَرَأَةٌ الْغُصُونَ الْجَرَادَهُ
 لِغَابَةٍ مَا ،
 مَبْدُورٍ بِعِظَامٍ بَيْضَاءٍ ثُومِضُّ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ .

كَانَتْ هَذِهِ الْمَعْرِفَهُ نَوْعًا مِنَ السَّعَادَهُ : خَلَاصٌ ،
 قَبُولٌ مُهَدَّهٌ ، بَهْجَهُ خَامِلَهُ
 مِنْ لَمْسَهُ الْأَبْدِيهِ وَالْعَدَمِ . وَرَغْمَ كُلِّ ذَلِكَ ،
 كُنْتُ لَا أَزَالَ قَادِرًا - بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ - عَلَى نَيْلِ امْتِيَازِ
 أَنْ أَتَبَيَّنَ وَرَأَهُ الدُّرُوعُ وَالرَّمَاحُ ، أَوْ فِيمَا يَبْنَهَا ،
 قِطْعَهُ صَغِيرَهُ مِنَ الْبَحْرِ ، شَفَقَهُ صَغِيرَهُ ، رُكْبَهُ جَمِيلَهُ الشَّكْلُ ،
 وَأَنْ أُحِبَّ ذَلِكَ - نَعَمْ ، رَغْمَ كُلِّ الْبَاقِي . عُفْرَانُ ، رَغْمَ ضَالَّتِهِ ؛
 وَكُلُّ الْمَخَاوِفُ الْمَجْهُولَهُ ، الَّتِي لَا تُحْصَى ، تَبَدَّدَتِ فِي الْبَعْدِ :
 غَيْمَهُ كَثِيفَهُ وَمُبْهَجَهُ فِي لَا يَهَايَهُ خُرَافَيهُ .

أَتَذَكَّرُ ذَاتَ لَيْلَهُ حِينَ أَبْحَرَنَا تَحْتَ قَمَرٍ مُكْتَمِلٍ . فِي كُلِّ وَجْهٍ
 ثَبَّتَ ضَوْءُ الْقَمَرِ قِنَاعَ مَوْتٍ مِنْ ذَهَبٍ .
 وَقَفَ الْجُنُودُ فِي الْمَكَانِ الْمُلَائِمِ لِحَظَهُ وَتَبَادَلُوا النَّظَرَ
 كَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ بَعْضَهُمُ الْبَعْضَ أَوْ يَتَلَاقُونَ
 لِلْمَرَهُ الْأُولَى ، ثُمَّ اسْتَدَارُوا فَجَاهُهُ
 وَحَدَّقُوا عَالِيَا فِي الْقَمَرِ ،

الثَّاَيِّت وَهُمْ جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ الْمَائِجِ أَبْدًا ،
إِلَّا كَلَام ، فَتَرَة ، كَانُهُمْ مَوْتٌ بِالْفِعْلِ وَخَالِدُون .

فِيمَا بَعْد ، كَانُهُمْ أَجَسِّسُوا بِصُورَةٍ غَائِمَةٍ بِالذَّنْبِ وَلَا يَحْتَمِلُون
ذَلِكَ الْعِبْنَةَ الْضَّخْمَ ، إِلَّا تَقْدِيرٍ ، بَدَأُوا فِي الصَّيَّاحِ ،
فِي الْبَرَاجِ ، فِي الْإِيمَاءِ ، فِي مُقَارَنَةٍ أَعْضَائِهِمُ الْجِنِّيَّةِ ،
فِي تَغْطِيَةٍ أَنْفُسِهِم بِالْعَرَقِ مِنَ الشَّوَاءِ ، فِي الْقَفْرِ ، وَالرَّقْصِ ، وَالْمُصَارَعَةِ ،
مُتَظَاهِرِين يَأْنَهُمْ يَقْرَأُونَ حُظُوظًا مُضْحِكَةً وَجِكَائِيَّاتٍ إِبَاجِيَّةً عَلَى الْوَاجِهَةِ -
الْكَتِيفُ الْمَكْشُوفَةُ لِلْسُّفُنِ الْخَرِيَّةِ -
حَتَّى يَنْسَوْا ، رُبَّمَا ، تِلْكَ الْلَّحْظَةُ ، تِلْكَ الْمَعْرِفَةُ ، ذَلِكَ الْغِيَابُ .

وَرُبَّمَا أَنْتُمْ أَيْضًا ، فِي لَيْلَةٍ كَهْدِنِ ، قَدْ سَمِعْتُم بِوُضُوحٍ
فِي غَمَرَةِ الْأَصْوَاتِ الْمُوازِيَّةِ لِزُمَلَائِكُمُ الْمُقَاتِلِينِ
غِيَابَ صَوْتِكُمْ - تَمَامًا مِثْلَمَا حَدَثَ لِي آنَذَكَ ، تَحْتَ الْقَمَرِ الْمُكْتَبِلِ .
نَعَمْ ، سَمِعْتُ نَفْسِي لَا أَصْبِحُ ، وَظَلَّلْتُ
مُسْمَرًا هُنَاكَ وَسَطَّهُمْ جَمِيعًا ، إِلَّا رَفِيقٌ
حَتَّى وَسْطَ أَقْرَبِ الْأَصْدِقَاءِ ، إِلَّا رَفِيقٌ
فِي دَائِرَةِ هَائِلَةٍ مِنَ الْعُزْلَةِ ، فِي طَابِقِ دَرَائِسِ شَاهِقٍ ،
أَسْمَعْ مُصَادَفَةً أَصْوَاتَ الْآخَرِينِ بِوُضُوحٍ مُخِيفٍ وَبِالْتَّرَازُونِ
أَسْمَعْ صَيْقِي الْحَمِيمِ . مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَعْلَى
تَبَيَّنَتْ مَرَّةً أُخْرَى التِّمَاعَ أَسْلِحَتِكُمْ . وَأَدْرَكْتَ .

رِبَّمَا أَنْتُمْ أَيْضًا ، يَا أَصْدِقَائِي الْأَعِزَّاء ، قَرَرْتُمْ فِي لَحْظَةٍ مُّقَابِلَةً
أَنْ تَنْسَجِبُوا . أَتَخَيَّلُ أَنَّكُمْ لَا بُدَّ قَدْ سَمَحْتُمْ بِأَنْ تَعْضَّكُمْ آتَيْدُ
الْأَفَقَ فِي الضَّرِيجِ الْمُقَدَّسِ . وَفَضْلًا عَنْ ذَلِك ، أَدْرَكُتُمْ أَنْ أَسْلِحَتَنَا
وَحْدَهَا

هِيَ الْضَّرُورِيَّةُ وَلَسْنَا نَحْنُ أَنفُسُنَا (كَمَا قُلْتُمْ) .
أَنْتُمْ، مَعَ ذَلِك، أَسْلِحَتَكُمْ . وَإِذَا كُثُّبْتُ بِشَرْفِ
مِنْ خَلَالِ الْعَمَلِ ، وَالْتَّضْرِبِيَّةِ وَالصَّدَائِقِ ، فَقَدْ مُنِحْتُ لَكُمْ بِالْيَدِ
الَّتِي قَطَعَتِ الرُّؤُوسَ السَّبْعَ لِلْهِيْدَرَا ، وَالَّتِي قَتَلَتِ
حَارِسَ هَادِيْسِ . بِعِيْنِيْكُمُ الْاثْنَتَيْنِ
رَأَيْتُمْ ، وَجَرَّبْتُمْ : ذَلِكَ هُوَ مِيرَاثُكُمْ
وَسِلَاحُكُمُ الْأَوَّلِ . ذَلِكَ الَّذِي يُحِرِّزُ وَحْدَهُ الْاِنْتِصَارَاتِ .
الآنَ أَرُونِي لَوْ سَمَحْتُمْ كَيْفَ تَسْتَخِدُمُونَهَا . لَقَدْ آنَ الْأَوَانِ .

رِبَّمَا سَيُقَالُ إِنَّ النَّصَرَ لِي وَحْدِي ؛ سَيَنْسَى النَّاسُ ، رُبَّمَا ،
مَنْ امْتَلَكَ الْأَسْلِحَةَ وَمَنْ صَنَعَهَا فِي الْبِدَائِيَّةِ . فَلَا أَحَدَ سَيُرِيدُ .
وَلَكِنْ مَا أَهَمِيَّةُ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لَكُمْ ؟ فَسَيَظْلُلُ مَحْفُوظًا بِاسْمِيْكُمْ
النَّصَرُ الْوَحِيدُ وَالْأَخِيرِ (كَمَا قُلْتُمْ) :
هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ - بِالْغَةِ الْعُدُوَيَّةِ ، بِالْغَةِ الْفَظَاعَةِ - يَأْنَ الْاِنْتِصَارَاتِ بِلَا
وُجُودِ .

أَنْتُمْ ، وَلَا أَحَدَ سِوَاكُمْ ، مَنْ عَلَقْتُمْ قُمَصَانَكُمُ الْخَاوِيَّةَ عَلَى شَجَرَةِ
 لِتَضْلِيلِ الْعَابِرِينَ ، لِيَقُولُوا "إِنَّهُ مَيْتٌ"
 مِنْ أَجْلِ أَنْ تُجَرِّبُوا - وَأَنْتُمْ مُخْتَفُونَ وَرَاءَ الْأَجْمَاتِ ،
 تَسْمَعُونَ أَنَّكُمْ تُعْتَبِرُونَ مَيْتَيْنَ -
 كَمَالَ حَسَاسِيَّتِكُمْ ، وَفِيمَا بَعْدِ
 تَتَقَمَّصُونَ قَمِيصَ الْمَوْتِ الزَّائِفِ
 إِلَى أَنْ أَصْبَحُتُمْ (كَمَا تُصِّبُّونَ) الصَّسَّاتِ الْعَظِيمَ لِكَيْنُونَتِكُمْ .

رُمْحٌ قَدِيمٌ مُلَطَّخٌ بِاللَّدَمِ - مُعَزِّلًا الْمَعْرَكَةَ ،
 يَنْتَصِبُ وَحِيدًا مَهْجُورًا ، هَادِيًّا ، بِلَا جَدَوِيَّ ،
 مُسْتَنِدًا إِلَى صَخْرَةٍ ضَخْمَةٍ بِرَأْسِهِ الْبُرُونِيَّةِ
 مَطْبُوعًا عَلَى الْقَمَرِ وَمُنْحَرِفًا فِي الْأَشْعَةِ -
 سَيُحِينِي نَفْسِهِ بِبُطْءٍ كَإِصْبَعِ مُذْعِنٍ
 عَلَى قِيَارَةِ الْأَبْدِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَتَهَا . الْآنِ
 يُمْكِنِي الإِحْسَاسُ ، فِيمَا أَظُنُّ ، يَإِلَى أَينِ يَتَوَجَّهُ بِالْتَّحْدِيدِ عِرْقَانَكُمْ .

لَقَدْ تَذَكَّرْتُ لِلْتَّوْ غَسِقًا مَحِيدًا عَلَى الْبَحْرِ الْمَفْتُوحِ ، سَكِينَةُ مَيْتَةِ مُذْهَلَةِ
 كُنْتُ قَدْ تَسْيَّتُهَا : الْأَثَاهِيَّةِ الْمَرِئِيِّةِ
 لِلْسَّمَاءِ وَالْمَاءِ ؛ لَا جَزِيرَةَ صَغِيرَةَ أَوْ لِسَانًا صَخْرِيًّا ؛
 السُّفُنُ السُّبْهَمَةُ ثَلَاثِيَّةُ الْمَجَازِيفِ فَحَسْبُ ، مُحَلَّقَةً أَوْ مُنْسَابَةً
 فِي حَدِيقَةٍ وَرَدِ كَيْفَيَّةٍ وَخَيَالِيَّةٍ ، وَالْمَجَازِيفُ الصَّامِمَةُ

مُتَمَاثِلَةٌ فِي الشَّكْلِ ، عَرِيضَةٌ ، مَائِلَةٌ ، كَأْشَعَةٌ شَمْسِيَّةٌ مُنَدَّدَةٌ .
 حَوَّلَ بَحَارُ الْغَنَاءِ ؛ ظَلَّ عَلَى هَذَا التَّحْوِ ،
 قَمَهُ مَفْتُوحٌ عَنْ آخِرِهِ كَحُفَّةٍ
 فِيهَا تَبَدَّى مِنْ جَدِيدٍ وَمِيَضُ الْمُحِيطِ .

وَأَنَا، بِدَوْرِي ، خَلَعْتُ حِزَامِي آنِيَّةً ؛ أَحْسَسْتُ
 بِحَرَكَتِي هَادِيَّةً ، لَا مَفَرَّ مِنْهَا ، بِلَا تَفْسِيرَ ،
 مُمْتَلِّكًا يَقِينَ الْمِيَاتِافِيْزِيَّيَّاتِ - كَأَنِّي كُنْتُ أَخْلَعَ
 أَنْشُوَطَةً بِدَائِيَّةً مِنْ حَوْلِ رَقْبَتِي . أَمْسَكْتُ بِحِزَامِي قَلِيلًا ،
 ثُمَّ وَضَعْتُ أَحَدَ طَرَفَيْهِ عَلَى الْمَاءِ وَرَأَقْبَتِهِ يَرْسُمُ
 خَطًّا هَادِيًّا فِي الْلَّاِنْهَايِّيِّ ، فِيمَا بِالْتَّرَامِنِ مَعَهُ
 رَنَّ فِي أَصَابِعِي نَبْضُ سَاكِنٌ لَا بِتَهَاجٍ غَيْرِ مَعْهُودٍ .
 فِيمَا بَعْدٌ ، سَحَبْتُ حِزَامِي مِنَ الْمَاءِ وَأَحْكَمْتُ رَبْطَهِ
 مِنْ جَدِيدٍ ، مَبْلُوْلًا كَمَا هُوَ ، حَوْلَ خَصْرِيِّ .

بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ ، يُنِيرُ ضَوْءُ الْغَسَقِ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ -
 مُنْعَكِسًا بِصُورَةٍ مُبَهِّرَةٍ فِي الْمَاءِ ، مُتَوَحِّدًا
 بِصُورَتِهِ ، مُسْتَقِلًّا بِذَاتِهِ
 عَنِ الْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، تَوْلِيفَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ تَمَامًا
 لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ . هَذَا الْوَمِيَضُ
 الْخَاطِفُ وَالْأَبْدِيِّ مَعَ ذَلِكَ هُوَ دِرْعٌ مِنَ الْدَّهَبِ الْخَالِصِ

مُحَكَّمٌ حَوْلَ صُدُورِنَا ، وَالْأَهَمُ
 أَنَّهُ الطَّبَقَةُ الْأَرْهَفُ مِنَ الْأَثْيَرِ الْمَنِيعِ ،
 بَيْنَ الدَّرَعِ وَأَجْسَادِنَا ، الَّتِي تُوجَّهُ إِلَى دَوَالِخِلَانَا مِنْ جَدِيدٍ
 الْحَرَكَةُ الْخَارِجِيَّةُ لَتَنَفَّسِنَا . أَحِيَانًا ،
 بَلَالَ الشَّهِيقِ الْأَعْقَمِ ، تُحِسُّ بِأَطْرَافِ صُدُورِنَا
 تَقْضِمُ فِي الْخَفَاءِ مَعْدَنَ الدَّرَعِ الْبَارِدِ فِي الْمَسَاءِ ، تُحِسُّ بِهَا
 ثُلَامِسُ الْأَوْجُودِ بِالْبَهْجَةِ الْقُصُوِّيِّةِ الْمَلْمُوسَةِ .

يُمْكِنُنِي أَنْ أُرِيَكُمْ عَلَامَةَ الْحِزَامِ عَلَى جَسَدِي ،
 عَجَلَةً صَغِيرَةً مَطْبُوعَةً فِيهِ ، وَنَقْشُ الْمِشْبَكِ . . .
 الْحَرَيَّةُ - آهُ، حَقًا - هِيَ دَائِمًا مَشْدُودَةً وَمُحَكَّمَةً
 حَوْلَ الْجَسَدِ الْكُلِّيِّ ، وَصُولًا بِالثَّائِكِيدِ إِلَى الْكَعْبِ .
 وَالْعِنَاقُ الْمُحَكَّمُ لِلْحِزَامِ ، فَضْلًا عَنْ ذَلِكِ ، يُجْبِرُ الصَّدَرَ عَلَى الْاِتْسَاعِ .
 إِنَّهُ ذَلِكَ الْإِقْصَاءُ الْعَمِيقُ وَالْأَلِيمُ الَّذِي يُصْبِحُ طَيِّعًا مَعَ الزَّمَنِ .

فَلَعِلَّ الْأَلَهَةَ ، مَعَ ذَلِكَ ، تَحْفَظُنَا مِنَ السُّقُوطِ أَسْرَى
 حَتَّى لِأَجْمَلِ الْإِلَهَامَاتِ ، خَشِيَّةً أَنْ نَفْقَدَ إِلَى الأَبَدِ
 السَّذَاجَةُ الْمُرْهَفَةُ الَّتِي تُشَكِّلُ الْحَقِيقَةَ ،
 وَالْفِعْلُ النَّهَائِيُّ : الْكَلَامُ . رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ وَحْدَهُ قَدْ أَرْعَبَكُمْ
 فِي عُزَلَيْكُمُ الْمُطْلَقَةُ ؛ أَيْضًا ، أَوْدُ الْقَوْلُ ، الْافْتِقَارُ إِلَى دَوَافِعِ ،
 لَا مِنْ أَجْلِ اسْتِخْدَامِكُمْ ، بَلْ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ التَّوَاضُلِ ؛ مِنْ أَجْلِ

المُقارَناتِ وَالشَّمَيْلَاتِ؛
مِنْ أَجْلِ الصُّورِ الْأَخْوَيَّةِ لِلْأَخْدُودِ وَجِسَابَاتِ الْعَصِيِّ عَلَى الْحِسَابِ.

فَلَتَعُودُوا مَعَنَا ، حَتَّى لَوْ كَانَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَحْدَهُ . سَأَخُونُ - لَا مِنْ أَجْلِ
أَحَدٍ -

الْعَذَابَاتِ الْجَلِيلَةِ لِطَهَارَةِ بِلَأَ نَظِيرٍ .
لَا أَحَدٌ سَيَفِهِمُ الْبَهْجَةَ الْخَالِصَةَ لِجَرِيَّتِكَ
أَوْ يَرَتَعِبُ مِنْهَا أَبْدًا . قِنَاعُ الْفِعْلِ ،
الَّذِي جِئْتُ بِهِ إِلَيْكَ مُخْبَأً فِي صُرَّتِي ، سَيُخْفِي
وَجْهَكَ الْبَعِيدَ ، الشَّفَافَ . فَلَتَضْعُهُ . وَلَنَمْضِ .

وَعِنْدَمَا نَصِلُ إِلَى طَرْوَادَةِ ، سَيَكُونُ جَاهِزًا لِلْحَصَانُ الْحَشَيِّيُّ
الَّذِي وَصَفْتُهُ لَكَ . سَأَخْتَبِيُّ فِيهِ ، مَعَ أَسْلِحَتِكَ . ذَلِكَ سَيَكُونُ
شَنَّجِرِي ، قِنَاعِي ، وَقِنَاعُ أَسْلِحَتِكَ أَيْضًا . عَلَى هَذَا التَّحْوِي فَقْطُ
سُنْحَقُ النَّصْرِ . سَتَكُونُ هَذِهِ الْحِيلَةُ
انتِصَارِي - انتِصَارَكَ أَيْضًا ، ذَلِكَ مَا أَعْنِيهِ . سَتَكُونُ انتِصَارَ
جَمِيعِ الْيُونَانِيِّينَ وَالْهَتِّيِّمِ . مَا الَّذِي تَوَقَّعَتِهِ ؟
فَمِثْلُ هَذِهِ الانتِصَاراتِ هِيَ الانتِصَاراتُ الْوَحِيدَةِ . فَلَنَمْضِ فِي طَرِيقَنَا .

انْتَهَتِ السَّنَوَاتُ الْعَشْرُ الْآنِ . النَّهَايَةُ قَرِيبَةٌ .
فَلَتَأْتِ لِتَرَى مَا تَنَبَّأَتِ بِهِ . لِتَرَى أَيَّةً تَشْكِيلَةً مِنَ الْقَنَائِمِ

قَائِضِنَاهَا بِالْكَثِيرِينَ مِنْ قَتْلَانَا ، أَيَّةً أَحْقَادِ دَاخِلِيَّةٍ
 قَائِضِنَاهَا بِأَعْدَائِنَا السَّابِقِينَ . وَسَطِ الْأَنْقَاضِ
 الَّتِي سَيَصَاعِدُ دُخَانُهَا فِي أَعْيُدَةٍ مُسْتَقِيمَةٍ نَحْوِ الشَّمْسِ ،
 وَسَطِ الْمَذْبُوحِينَ ، وَالثُّرُوعِ الْعَرَمِيَّةِ ، وَعَجَالَاتِ الْمَرَكَبَاتِ ،
 وَسَطِ أَنَّاتِ الْغَالِبِ وَالْمَغْلُوبِ ،
 سَتَكُونُ ابْتِسَامَتُكَ الدَّمِثَةُ ، الْمُتَوَقَّدَةُ ، ضَوْءًا لَنَا ،
 وَرَحْمَتُكَ وَصَمْتُكَ بَوْصَلَةً .

هَيَّا . فَنَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَيْكَ لَا مِنْ أَجْلِ النَّصْرِ ، بَلْ خَاصَّةً لِمَا بَعْدَهُ ،
 عِنْدَمَا صَعَدْنَا إِلَى السُّفُنِ مِنْ جَدِيدٍ (أُولَئِكَ الَّذِينَ نَجَوا) لِنَعُودَ
 مَعَ هِيلِين - هِيلِين أَكْبَرٌ بِعَشْرِ سَنَوَاتِ ،
 تَغَيَّرَتْ نَبَرَتُهَا ، وَمَسَاهِدُهُ مُخْتَلِفَةٌ فِي رُؤْيَتِهَا ،
 مُخْفِيَّةً ابْتِعَادَهَا عَنِ الْوَطَنِ وَكِبْرِ السَّنَّ وَرَاءَ
 أَوْشَحَّةِ طَوِيلَةِ ، مُطَرَّزَةِ بِالْذَّهَبِ ، مُخْفِيَّةً
 ابْتِعَادَنَا أَيْضًا عَنِ الْوَطَنِ وَرَاءَ أَوْشَحَتَهَا ، وَنَدَمَنَا ، وَتَأَسَّنَا ،
 وَالْحَوْفَ الْهَائِلَ الَّذِي لَا مَقْرَرٌ مِنْهُ مِنَ السُّؤَالِ
 عَنْ سَبَبِ ذِهَابِنَا ، وَسَبَبِ قِتَالِنَا ، وَسَبَبِ عَوْدَتِنَا إِلَى الْوَطَنِ - وَأَيْنَ .
 حَتَّى أَجْلَ النِّسَاءِ يُصْبِحَنَ إِلَى حَدٍّ مَا شَيْهَاتِ بِالْأَمْهَاتِ ، فِيمَا أَظْنَنَ ،
 حِينَ يَكُبُّنَ ، مُفْعَمَاتِ بِالْأَنْجَادِ وَالْمُنَابِرَةِ الْخَزِينَةِ ،
 مُفْعَمَاتِ بِالْخَنَانِ وَالْمَحَبَّةِ الْأُمُومِيَّةِ - ذَلِكَ مَا تَحَوَّلُ
 إِلَى الْعَدَالَةِ الْقَاطِعَةِ الْمُفْتَرَضَةِ لِلْخَطْلَ الَّذِي لَا مَفْرَرٌ مِنْهُ ،

الخسارة التي لا مفر منها، السنوات العشر التي لا مفر منها.

تتشبّث النساء بحفلة المفتاح في أحزمتيهن بكلتا اليدين آثيذ
إيماءة عاديّة تماماً، كأنهن يتقدّبن بالأم مفاجئة في البطن -

النساء الجميلات كُن، أمّهاتُ أسطوريّات
ذوات إيماءة نهائّية لظهورها بلا شائبة ،
خشية أن ندرك أن تلك المفاتيح لا يمكن أبداً أن تفتح أي شيء من
جديد.

نظرة هيلين : كيف سيمكن أن تحتملها
وراء أشحّتها الداكنة ، المتألقة ،
ووسط الإشراق الشهي للنجوم في ليلة بلا أغوار ،
فيما المُجذّبون يحملون صمتهم والمجاذيف تضرب
دُوف العودة السرية الصغيرة للمحيط في سرعة كلّ الأشياء التي لا تعود؟

فلتبق معنا ، على الأقلّ الآن . ذلك ما تحتاجه
أكثر حتى من حاجتنا لأسلحتك - كما تعرف جيداً .
ها هو الفناء الذي جئت به لك . ضعه على وجهك . فنحن راحلون .

(يأخذ الرجل الساكن الملتحي القناع ويضعه على الأرض. لا
يضعه على وجهه. شيئاً فشيئاً يتحول وجهه، يصبح أصغر، أكثر

إيجابية، أكثر حضوراً- يبدو كأنه يضاعف القناع. وقفه طويلة. توقعات عظيمة. نجمة تطلق عبر السماء. يحس الشاب بنسمة واهية على وجهه، وشعره مقسوم بأناقة في المنتصف، بصورة عفوية، كأنما بمشط ذهبي رهيف. غناء الطاقم مسموع من الشاطئ في الأسفل: أغنية شعبية متواضعة تحتوي الحبال، والصواري، والمجاذيف، والنجوم، والأسى الكثير، البسالة والثابرة، والبحر الضبابي الوامض كلها، واللانهائية كلها، في الأبعاد الإنسانية. ربما هي نفس الأغنية التي عرفها الزاهد بطرائق أخرى. وربما كان ذلك سبب اتخاذه لقراره. ينهض بهدوء، يأخذ أسلحته من القبو، يسلّمها إلى الشاب، يسمح له بالخروج أمامه، ويتبعه نحو الشاطئ. فيما يتقدمان بين الصخور والأشواك، يرى أسلحته توّمض في ضوء النجوم وهي تتقادمه، ويسمع أغنية الطاقم الشعبية يتّردد صداتها على معدنها. هكذا يبدو أنه لا يتبع الشاب بل أسلحته نفسها، متّخذًا الاتجاه الذي تشير إليه دائمًا أطرافها اللامعة، المشحودة جيدًا: ضد الموت. بقي القناع فوق الصخور، خارج القبو. هو أيضًا يومض في غبطة ليلية غامضة- يقين غريب عصي على الفهم).

أثينا، ساموس، مايو 1963- أكتوبر 1965

أحجار

(1968)

1- انحصار

الأشكالُ ابْخَلَتْ ، انْظَلَقَتْ – فِي ضَيْقٍ وَتَيَارَاتٍ غَادِرَةٍ – صَوْتُ
الْمَاءِ يَلْحَقُ بِكَ ،
عَصِيًّا ، مُسْتَعِصِيًّا ، عَمِيقًا ؛ أَنْتَ أَيْضًا مُسْتَعِصِي ، حُرْ تَقْرِيبًا .
قَبْلَ قَلِيلٍ ، وَصَلَتْ نِسَاءٌ فَضُولِيَّاتٍ ،
وَبِالثَّأْكِيدِ رِجَالٌ عَجَائِزٌ أَيْضًا ، يَأْبِرِيقُ ، وَعُلَمٌ صَفِيفُ ، وَآنِيَة
لِيَأْخُذُوا الْمَاءَ لِاِحْتِيَاجَاتِهِمُ الْمُنْزَلِيَّةَ . اَتَخَذَ الْمَاءُ شَكْلًا .
هَذَا النَّهَرُ وَهُوَ يَنْسَابُ بَعِيدًا . حَلَّ اللَّيْلُ . أُغْلِقَتِ الْأَبْوَابُ .
امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ ظَلَّتْ بِالْخَارِجِ فِي الْحَدِيقَةِ ، وَحِيدَةٌ ، يَلَا يَأْبِرِيقُ ،
مَاءٌ مُقِيمٌ ، شَفَافٌ ، وَوَرَدَةٌ فِي شَعْرِهَا .

15 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

2- لا تُثُون

غَيْوُمٌ عَلَى الْجَبَلِ . مَنْ أَوْمَا الْمُلُومَ ؟ صَامِتًا وَمُتَعَبًا ،
يَنْظُرُ إِلَى الْأَمَامِ ، يَسْتَدِيرُ لِلْوَرَاءِ ، يَخْطُو ، يَنْحَنِي .
الْأَحْجَارُ تَكُونُ فِي الْأَسْفَلِ ، الطُّيُورُ فِي الْأَعْلَى . جَرَّةٌ مُنْتَصِبَةٌ
فِي النَّافِذَةِ . أَشْوَاكٌ فِي الْأَيْدِي الْمُفْتُوْحَةِ . أَيْدِي فِي الْجِيُوبِ .
تَتَوَسَّلُ وَتَتَوَسَّلُ . الْقَصِيْدَةُ لَا تَجِيءُ . رَحَلَتْ .
وَالْكَلِيْنَةُ الضروريَّةُ لِوَصِيفِ ذَلِكَ لَا بُدَّ أَنْ تَحْتَوِي بَعْضَ الْخَوَاءِ .

15 مايُو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

3- فَأَل

سَرَعَانَ مَا اخْتَفَتِ التَّمَاثِيلُ فِي الْأَعْشَابِ . لَمْ نَعْرِفْ
مَا إِذَا كَانَتِ التَّمَاثِيلُ قَدْ تَقْلَصَتْ ، أَمْ إِنَّ الْأَعْشَابَ قَدْ كَبَرَتْ .
لَمْ يَبْقَ مَرِثِيَا سَوَى يَدِ ضَخْمَةِ مِنْ نُحَاسٍ ، مِثْلَ مَنْجِ بَرَكَةٍ فَظِيْعَةٍ ،
فَوْقَ تَشَابُكِ الْأَشْكَالِ الْبَشِّعَةِ . مَرَّ الْحَطَابُونَ
عَلَى الْطَّرِيقِ السُّفْلِيِّ – لَمْ يَلْتَفِتُوا أَبَدًا .
لَمْ تَعُدِ النِّسْوَةُ يَرْقَدُنَّ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ . وَكُنَّا نَسْتَطِيعُ سَمَاعَ اللَّيْلِ
يُسَاقِطُ تُفَاحَاتِهِ فِي النَّهَرِ – وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ ؛ وَفِيمَا بَعْدِ
الثُّجُومِ وَهِيَ تَقْطَعُ بِمَنْشَارٍ يَهُدُوِّهِ تِلْكَ الْبَيْدَ التَّحَاسِيَّةَ الْمَرْفُوعَةِ .

16 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

4- بَلَاغَات

وُجُوهٌ غَائِمَةٌ ، يُضِيئُهَا انعِكَاسُ مِنْ مِرَآةٍ كَبِيرَةٍ .

سَمِعَ صَوْتٌ مِطْرَقَةٌ الْبَابِ . لَمْ يَتَحَرَّكْ أَحَدٌ لِلرَّدِّ . غَادَ الصَّوْتُ خَارِجَ النَّوَافِذِ إِلَى اللَّيلِ ، إِلَى أَنَّ التَّقَىْ بِالشَّخْصِ الَّذِي يَطْرُقُ الْبَابِ . آتَيْتُهُ ، كَأَنَّمَا حَقَّقَ مُهْمَّتَهُ ، هَذَا هَذَا الرَّجُلُ وَتَحَرَّكَ نَحْوَ الْبَوَابَةِ ، وَهُوَ يَقْطُرُ بِالنَّدَى .

قَطَفَ وَرْدَةً ، وَشَبَكَهَا فِي صَدْرِهِ .

"لِجِسْنِ الْحَظْ" ، قَالَ ،

"لِجِسْنِ الْحَظْ أَنَّهُمْ لَمْ يَرْدُوا عَلَىْ طَرْقِ الْبَابِ" . فَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَبْحَثُ عَنْ أَحَدٍ ،

وَمَا مِنْ أَحَدٍ أَرْسَلَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَا يُبَلِّغُهُ ؛ سَوَىْ تِلْكَ الْطَّرَقَاتِ الْعَمِيقَةِ عَلَىِ الْبَابِ ، لِكُلِّ مَنْ بِالدَّاخِلِ وَلِنَفْسِهِ .

16 ماي 1968

معسكر اعتقال بارثيفي

5- لا، لا

هَذِهِ الْأَحْجَارُ الْجَيْلَةُ الْبُطْلِيَّةُ (الِّيَدَائِيَّةُ إِلَى حَدٍّ مَا ، ذَلِكَ صَحِيحٌ -
بِرَغْمِ أَنَّهَا تَظَلُّ جَيْلَةً)

الْهَائِلَةُ الْبَيْضَاءُ وَالشَّوَّاكيْشُ ، وَهَذِهِ الْكَائِنَاتُ الْعَارِيَّةُ
فِي وِرَيشِ الْعَمَلِ (غَالِبًا مُصَارِعُونَ ، وَمُلَّاكِمُونَ أَشَدَّاءُ) تَقْلِيْدًا لِأَفْعَالِ
أَشْخَاصٍ آخَرِينَ ، - ذِرَاعٌ مَرْفُوعَةٌ بِقُوَّةِ ،
وَالْقَدَمَانِ مُنْفَرِجَتَانِ فِي تَوازِينٍ زَائِدٍ . لَا ، لَا - قَالَ -
فَذَلِكَ لَيْسَ مَوْضِعٌ سُخْرِيَّةٌ ، وَهُوَ أَبْعَدُ عَنِ الْأَسَىِ ؛
ذَلِكَ الْكَلْبُ الْأَجْرَبُ ، الْمَغْطَى بِالْقُرَادِ وَالْبُشُورِ ،
الَّذِي يَشَرَّبُ مَاءً قَذِيرًا مِنْ دَلْوِ الْأَغْتِسَالِ
عِنْدَ قَاعِدَةِ تَمَاثِيلَ غَيْرِ مُكْتَمِلَةٍ لِأَبْطَالِ رَاجِلِينَ .

17 مايُو 1968

معسكر اعتقال بارثيفي

6- حصار

بَحْرٌ مُسَالِمٌ بِلَا هَبَّةٍ رِيحٌ تَقْرِيبًا : ضَوءٌ زَانِفٌ
يُلَوِّنُ الْغَيْوَمَ الْخَفِيَّةَ . لَوْلَمْ تَتَذَكَّرْ ،
فَلَنْ تَنْسَى . الْحَاضِرُ - يَقُولُ - لَكِنْ مَا الْحَاضِرُ ؟ لَقَدْ أَتَى هُنَالِكَ ،
فِي الْلَّيْلِ ، مَنْدُوبُونَ صَامِمُونَ جَلَسُوا عَلَى الدَّرَجَاتِ الْحَجَرِيَّةِ ،
أَخْرَجُوا مَنَادِيلَ قُمَاشٍ ، وَفَرَدُوهَا عَلَى رُكَّبِهِمْ ،
وَبَعْدَ قَلِيلٍ ، أَعَادُوا ظِيَّهَا وَنَهَضُوا وَرَحَلُوا . كَانَتْ يَأْخُدُهُمْ نُدْبَةٌ تَمَدَّدَ مِنْ
صِدْغِهِ إِلَى ذَقْنِهِ . نَهَضَ
وَأَشَارَ نَاحِيَةَ الْبَحْرِ ، ثُمَّ أَحْكَمَ حِرَامَهُ .
خَفَضَنَا مَصَابِيحَنَا إِلَى الْأَرْضِ وَشَاهَدَنَا ظِلَالَنَا
تَتَدَافَعُ عَلَى الْجِدَارِ الْأَبِيَضِ - ضَخْمَةً ، مُشِيرَةً ، بِلَا عِظَامٍ .

18 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيفي

7- طمأنينة

لَيْسَ الْأَمْرُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَكَانَةِ، بِالْإِطْرَاءِ، بِالْفُدُوَّةِ -
صَوْتٌ مُفْتَاحٌ فِي الْقُفلِ - تَمَامًا ذَلِكَ الصَّوْتُ فِي اللَّيلِ، فِكْرَةٌ مَا عَنْ شَكِّ
الْمُفْتَاحِ، عَنْ آلِيَّتِهِ الْبَيْسِيَّةِ ،
وَذَلِكَ التَّنَاغُمُ وَالظَّاعِنَةُ السَّرِيَّانِ . وَاضِعُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَعَلَّقُ بِالْمَكَانَةِ : وَلَوْ
لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ ، فَمَاذَا إِذَنْ؟ فَأَيَّةُ سِمَّةٍ يَنْبَغِي تَمْيِيزُهَا مِنْ أَجْلِ
الْمَدِيجِ؟ -
إِنَّهُ الشَّخْصُ الْمَجْهُولُ الَّذِي يُمْسِكُ بِالْمَفَاتِيحِ وَالْبَابِ الْمَجْهُولِ .
رَبِّيْماً ذَاتُ وَحِيدَةٍ : فَجِينُ تُمْسِكُ بِذَلِكَ الصَّوْتِ ، لِيُرْهِهِ ، فِي الْطَّرِفِ الْبَعِيدِ
مِنَ الشَّارِعِ ، يَقُولُ الْبَوَابُ الْعَجُوزُ يَجْوَلُهُ عَارِيًّا تَمَامًا وَقَدْ غَطَّى
رَأْسَهُ بِيُنْشَفَةٍ بَيْضَاءَ .

18 مايُونِيَّه 1968

معسكر اعتقال بارثيفي

8 - بِلَا جَوَابٍ

إِلَى أَين تَأْخُذُنِي؟ إِلَى أَين يُؤَدِّي هَذَا الطَّرِيق؟ قُلْ لِي.
لَا يُمْكِنُنِي رُؤْيَةُ أَيِّ شَيْءٍ. فَلَيْسَ ذَلِكَ طَرِيقًا إِطْلَاقًا. فَلَيْسَ سَيِّدِي
أَحْجَارَ.

عَوَارِضُ حَشَبِيَّةٍ سَوَادَاءٌ. مِصَبَّاحٌ شَارِعٌ. لَيْتَ كَانَ عِنْدِي فَخَسْبٌ
ذَلِكَ الْقَفْصُ - لَيْسَ مِنْ نَوْعِ أَقْفَاصِ الْعَصَافِيرِ، بَلْ ذَلِكَ النَّوْعُ
بِقُضَبَانِ أَثْقَلٍ، مَعَ ثَمَاثِيلَ عَارِيَّةٍ. وَعِنْدَمَا
يَرْمُونَ إِلَى أَسْفَلٍ بِمَا يُمُوتُ مِنْ ذَلِكَ السَّطْحِ الْمَسَطَّحِ، لَمْ أَقْلِ أَيِّ شَيْءٍ،
لَمَّا مُتْ تِلْكَ الثَّمَاثِيلَ - أَحْسَسْتُ بِالْحُزْنِ عَلَيْهَا.
الآن أَعْرِفُ :

إِنَّ آخِرَ مَا يُمُوتُ هُوَ الْجَسَدُ. لِهَذَا تَكَلَّمُ مَعِيْ.
فَإِلَى أَين تَأْخُذُنِي؟ لَا يُمْكِنُنِي رُؤْيَةُ شَيْءٍ. وَمِنْ الْأَفْضَلِ أَلَا أَرَى.
فَالْعَاقِنُ الْأَكْبَرُ لِلتَّفْكِيرِ فِي النَّهَايَةِ، هُوَ الْمَجْدُ.

19 مايُو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

٩ - اختناق

عَلَى الْمَنْصَدَةِ الْمَجَاوِرَةِ، كَانَ بَائِعُ الْطَّبَاقِ يَتَكَلَّمُ -
يَدَانِ كَيْفَيَّتَهُ الشَّعْرِ، كُوُّوسُ شُرْبِ مُغَبَّشَةٍ. دُبَابٌ
يَتَلَاصِقُ فِي مَجْمُوعَاتٍ عَلَى الصَّحِيفَةِ. تَحْتُ نَافِذَةِ تَوْصِيلِ الطَّعَامِ
قِطْعَةُ قُمَّاишٍ مَعْ خُصْلَةٍ شَعْرٍ. وَفِي النَّافِذَةِ
قِطْعَةُ مُلَطَّخَةٍ مِنْ سَمَاءٍ، غَيْمَةٌ
مُعَلَّقَةٌ فِي مَكَانِهَا بِخَمْسَةِ مَسَامِيرٍ صَدِّيَّةٍ.
"طِفْلِيٌّ، طِفْلِيٌّ" ، (لَمْ يَكُنْ حَقِّي صَوْتَهُ). كَانَتْ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ
تَعْرُجُ فِي الْبَابِ؛ غَمَّزَتْ بِعَيْنِهَا عَنْ عَمْدٍ -
فِي فَكَّهَا الْأَسْفَلِ، سِنَّةٌ كَبِيرَةٌ عَطِينَةٌ.
آتَيْنِي سَمِعَنَا صَوْتَ الْبَابِ يَتَسَمَّرُ مِنَ الْخَارِجِ .

19 ماي 1968

معسكر اعتقال بارثيفي

مُلَتَّيسٌ - يَقُولُ - غَائِمٌ ، مُبَهَّمٌ ؛ لَا أُسْتَطِيعُ اسْتِخْلَاصَ الْمَعْنَى .
الْعُشْبُ يُصِدِّرُ حَفِيقَنَا . نِسَاءٌ عَجَائِزٌ ، فِي النَّوَافِذِ ، يَنْفُضُنَّ
مَلَاءَاتٍ كَبِيرَةً سَوَادَاءً . يَائِعُ اللَّبَنِ يَبُولُ عَلَى الْعَتَبَةِ الْحَجَرِيَّةِ .
الْمَشْلُولُ يَشَحُّدُ سِكِّينًا . وَفَجَاءَ ثُنَكُّسُ الْأَعْلَامِ
عَلَى السَّفِينَةِ الْحَرَبِيَّةِ . طُبُولُ ضَخْمَةُ جَهِيرَةٌ تَتَعَثَّرُ
وَتَنَدَّحُرُجُ إِلَى أَسْقَلِ التَّلِّ . الْحَرَاسُ يَتَسَابَقُونَ
وَرَاءَ رَجُلٍ عَارِيِّاً حَلِيقَةً . "مَجْنُونٌ" ، يَصِيْحُونَ .
"لَا تَسْتَمِعُوا إِلَيْهِ ! فَهُوَ مَجْنُونٌ". الرَّجُلُ يَجْرِي . يُظَارِدُونَهُ .
"إِنَّهُ يَطْرُقُ آنِيَةً تُحَاسِيَّةً طَوَالَ اللَّيْلِ". الْحِرَابُ ثُوِّمِضَ .
النِّسَاءُ يَرْفَعُنَ أَرْدِيَّتِهِنَ لِيُغَطِّيَنَ عُيُونَهُنَّ .
"لَا تَسْتَمِعُوا إِلَيْهِ ! وَلَا تَدْرِي مَا إِذَا كَانَ لَكَ أَنْ تَضْحَكُ أَمْ تَبْكِي .

19 مايُو 1968

معسكر اعتقال بارثيفي

11 - إدراكٌ متأخّر

لَا لَوْمَ عَلَى أَحَدٍ ، قُلْنَا ، فِي الظَّرِيقَةِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ بِهَا الْأَشْيَاءُ . وَاحِدٌ بَقَى ،
وَآخَرُ قُتِلَ ؛ وَالآخَرُونَ - كَيْفَ لَكَ الآنَ أَنْ تُعَوِّلَ عَلَيْهِمْ ؟
تَمْضِي الْفُصُولُ فِي أَشْغَالِهَا كَالْمُعْتَادِ . الدَّفْلَى تُزَهِّرُ .
الظَّلُّ يَدْوِرُ وَيَدْوِرُ حَوْلَ الشَّجَرَةِ . الْجَرَّةُ ، الْمَتْرُوكَةُ ،
بِلَا حِرَالِكِ فِي الشَّمْسِ الْخَارِقَةِ ، انسَقَعَتْ بِرَغْمِ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِي الْمَاءَ .
رَغْمَ ذَلِكَ ، قَالَ ، كَانَ يُمْكِنُنَا تَحْرِيكُ الْجَرَّةِ كُلَّ سَاعَةٍ ،
لِتَشْتَوِّكَ بَعْدَ الظَّلِّ ، حَوْلَ الشَّجَرَةِ وَحَوْلَهَا ،
فَنَدُورُ إِلَى أَنْ نُمْسِكَ بِالْإِيقَاعِ ، رَأْقِصِينِ ، نَاسِينِ
الْجَرَّةَ ، وَالْمَاءَ ، وَحَتَّى عَظَشَنَا - لَمْ نَعُدْ عَظَاشِي ، نَرْقُصُ فَحَسْبَ .

20 مايو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

12 - عُزْيٰ

سَحَالِي ، كَبِيرَةٌ وَصَغِيرَةٌ ، فِي شُقُوقِ الْجِدَارِ . عَنَّاكِبُ ،
أَكْوَامٌ مِنْ عَنَّاكِبٍ فِي سِلَالِ الصَّيفِ الْفَائِتِ .
كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَكُونَ أَقْلَى اهْتِمَامًا بِالثَّمَائِيلِ - دُونَ أَنْ يَكُونَ أَحَدَهَا .
يَدَاهُ مَهْجُورَتَانِ عَلَى رُكْبَتَيْنِ عَارِيَتَيْنِ . أَظَافِرُ ،
شَعْرُ ، الْخَاتَمُ (أَيْ نَوْعٌ مِنْ الْخَاتَمِ؟) ، كُلُّ ذَلِكَ بَدَا بِالْغَرَابَةِ .
وَلَاَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدِيهِ مَا يُخْفِيهُ ، فَلَمْ يَكُنْ لَدِيهِ مَا يَكْشِفُهُ .

1968 مايُو 22

معسكر اعتقال بارثيني

13 - فِلَاحَة

هَوَلَاءُ الْأَشْخَاصِ الْمُبَرَّقُشُونَ بِالشَّمْسِ تَحْتَ الْأَشْجَارِ، فِي غَايَةِ الْجَمَالِ،
جَالِسِينَ عَلَى أَثَاثٍ مُغَطَّى، عَلَى مَقَاعِدٍ عَالِيَّةٍ، عَلَى كَرَاسِيٍّ، أَمَامَ السَّيَاجِ
السُّلْكِيِّ،
كَأَنَّمَا مِنْ أَجْلِ اسْتِعْرَاضِنَّ مَا، مَعَ أَنَّكَ يُفَرَّضُ أَنَّ تَرْسُمُهُمْ - يَلْعَبُونَ
"الْطَّاولَةَ"، يَقْرَأُونَ وَهُمْ هَادِئُونَ - لَا يَسْمَعُونَ؛
وَيِتَلِكُ الرُّقْعَةَ مِنْ بَحْرِ أَزْرَقَ فِضَّيِّ كَحْلَفَيَّةَ، فَهُمْ فَاتِنُونَ
وَلَا حَاجَةَ لِإِطْرَاحِ أَسْتِلَةَ مَا، لِمَعْرِفَةِ مَا . وَفِي الْطَّرَفِ الْأَقْصَى مِنَ الظَّرِيقِ
الْمَحْفُوفِ بِالْأَشْجَارِ،
يَظْهَرُ وَلَكَ تَحِيلُ، وَمِنْشَفَةُ قَدِيرَةٍ عَلَى كَتِفِهِ،
وَهُوَ يَنْحَنِي، يُلْمِلِمُ رُجَاحَاتٍ لَيْمُونَ فَارِغَةَ، مُغَبَّشَةً وَسَاخِنَةً فِي الشَّمْسِ .

1968 ماي 22

معسكر اعتقال بارثيفي

14 - غَير المُقْبُول

شَيْئاً فَشَيْئاً، أَصْبَحَ بَعِيداً عَنَّا، كَأَنَّهُ حَزِينٌ بَعْضَ الشَّيءِ،
وَهَادِيٌ بِغَرَابَةٍ، كَأَنَّهُ اكْتَشَفَ
شَيْئاً مَا كَبِيرًا وَعَصِيًّا عَلَى الْبَوْجِ يِهٌ - تِمَالًا بِلَا رَأْسٍ، نَجْمَةً مَا، حَقِيقَةً
مَا،
الْحَقِيقَةَ الْوَحِيدَةَ. سَأَلْنَاهُ عَمَّا كَانَ.
لَمْ يَكُنْ لَيَتَكَلَّمُ. كَأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّنَا لَا قَادِرِينَ
وَلَا رَاغِبِينَ فِي الْمَعْرِفَةِ. وَنَحْنُ، أَصْدِقَاءُهُ،
رَمَيْنَا بِالْأَحْجَارِ الْأُولَىٰ. وَمَا كَانَ لِأَعْدَائِهِ أَنْ يَكُونُوا أَسْعَدَ حَالاً. عِنْدَ
الْمَحَاوَلَةِ
سَأَلْوَهُ وَاسْتَجَوْبُوهُ ثَانِيَّةً. وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا كَلْمَةٌ. وَالرَّئِيسُ
دَقَّ بِمِطْرَقِتِهِ، صَاحَ، وَهُوَ يَسْتَحِيلُ أَكْثَرَ غَصْبًا فَأَكْثَرَ - "هُدُوءًا! هُدُوءًا!
لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الصَّوتِ مِنَ الْمَتَّهُمْ". كَانَ الْحُكْمُ بِالْإِجْمَاعِ.
اسْتَدَرَنَا وَاحِدًا وَاحِدًا وَرَوَضَنَا جِبَاهَنَا عَلَى الْخَاطِطِ.

24 مايو 1968، معسكر اعتقال بارثيفي

15 - نَحْوَ مَاذَا؟

مَعَ الْكِبَرِ بَدَأْتِ فِي الْكَلَامِ بِمَرَارَةٍ (وَهُوَ أَمْرٌ غَرِيبٌ - فَلَكَ أَنْ تَنْتَظِرَ
الْأَفْضَلَ مِنْ شَخْصٍ بِالْعُلُوِّ الْمُقْرَنِيِّ، وَالْإِخْلَاصِ، وَالْإِلْتِزَامِ) دُونَ تَأْكِيدٍ أَبَدًا
مِنَ الْوُجُوهِ وَالْأَحْدَاثِ - كَلَامٌ عَامٌ وَغَائِيْمٌ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَأَخْرَقَ فِي جَمِيعِ
الْأَحْوَالِ،

رُبَّمَا حَقِّيْ خَائِفٌ عَلَى نَحْوِيْ مَا يَدَاهُ
مُلْتَوِيَّاً، كَجُذُورِ شَجَرَةٍ فِي مَغَارَةٍ غَرِيبَةٍ،
فِي مَكَانٍ مَا عَمِيقٌ، بِلَا شَبَهٍ بِأَيْدِيْنَا. لَا أَحَدٌ
يُصَدِّقُهُ بَعْدَ الْآنِ؛ لَا يَنْتَظِرُونَ إِلَيْهِ فِي عَيْنَيْهِ -
يَنْتَرُ كُونَهُ يَقُولُ أَيْمًا مَا يُرِيدُ.

لَيْسَ الْأَمْرُ أَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ مَا يَخْشَاهُ - إِطْلَاقًا. رُجَاجٌ نَافِذَةٌ
عَالِيَّاً، فِي الطَّابِقِ الْخَامِسِ، يُصِدِّرُ الْقَارِيقَيْنِ،
يُضِيءُ وَجْهَهُ كَأَنَّهُ يَضْعُفُ قِنَاعًا مِنْ رُجَاجٍ. وَتَحْنَ
تَرْفَعُ أَيْدِيْنَا إِلَى رُجُوهِنَا كَأَنَّهَا يُمْكِنُ أَنْ تُخْفِيْنَا
أَوْ تُصْبِحَ جُزْءًا مِنْ جِدَارٍ. كِسَرٌ مِنْ جِبَسٍ،

أَحْجَارُ، قَادُورَاتُ، عُمَلَاتٌ تُخَاصِّيَّةٌ صَغِيرَةٌ تَهُوي مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِنَا؛
نَنْخَنِي لِتُلْمِمَهَا - لَا تَرْكَعُ أَمَامَهُ.

وَفِي الْمَرْأَةِ، الْمَقَابِلَةُ، شَيْءٌ مَا أَبَيَضُ، أَبَيَضُ بِلَا حُدُودٍ -
مِشْطٌ عَاجٌ قَدِيمٌ فِي كُوبِ مَاءِ،
وَالْأَلْتِمَاعَةُ الْهَادِيَّةُ لِلْمَاءِ فِي الْكُوبِ، فِي الْمَرْأَةِ، فِي الْهَوَاءِ.

1968 مایو 24

معسکر اعتقال بارثینی

16 - غريرة

طريحاً - وجهه في الأسفل ، فَكَهُ إِلَى الْأَرْضِ ، وَرَقَبَتِهِ
مُشَبَّثَةٌ بِقُوَّةٍ بَيْنَ رُكْبَيِّ الْآخَرِ - يَتَحَوَّلُ وَجْهُهُ إِلَى الزُّرْقَةِ ، وَتَنَفَّخُ شَرَابِيْنِهِ
فِي صِدْعَيْهِ . لَا حَرَكَةً .

ثُمَّ انتِفَاضَةً - أَهِيَ تَشْنُجُ أَخِيرٍ ؟ أَغْيِضُ عَيْنَيْكِ . لَا ، لَا .
هُوَ بِسَاطَةٍ اسْتِسْلَامٌ جَمِيلٌ . الْجَسَدُ يَرْتَحِي . شَيْئاً فَشَيْئاً
تَنَشِّرُ ابْتِسَامَةٌ عَلَى الْوَجْهِ ، مِثْلَ شَخْصٍ مَا يَنْظُرُ إِلَى الْبَحْرِ
مِنْ نَافِذَةٍ (نَافِذَةٌ ضَيِّقَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ ، حَفَّاً) أَوْ مِثْلَ
رَأْيِنْ مَقْطُوعَةٍ ، جَلِيلَةٍ - مَا تَرَالَ تَحْتَ تَأْثِيرِ تَعْبِيرِهَا ؛
نَعَمْ ، نَعَمْ ، تَنَشِّرُ ابْتِسَامَةٌ مَا . وَالسَّكِينُ الْحَمَراءُ فِي الصَّيْنِيَّةِ .
وَعَلَى كُلِّ جَانِبٍ إِصْبِصُ زُهُورَ .
نَابِهُ الْعُلُوِّيُّ يُوْمِضُ فِي الشَّمْسِ - ذَهَبِيًّا ، طَوِيلًا ،
وَحَرَبَتَانِ صَغِيرَتَانِ تَحْرُسَانِ الْبَقَائِيَا الْفَائِيَّةِ
عَلَى بَوَابَةِ الْخُلُودِ ، الْعَتِيقَةِ ، الْمَاكِرَةِ .

1968 مايُو 25

معسكر اعتقال بارثيفي

17 - بَسِيطٌ وَعَصِي

لَا جَدِيدٌ - يَقُولُ . فَالنَّاسُ يَقْتَلُونَ أَوْ يَمُوتُونَ بِبَسَاطَةٍ .
أَسْنَانٌ ، شَعْرٌ ، أَيْدٍ ، مَرَايَا - يَشِيقُونَ .
مِدْخَنَةُ الْمَصَبَّاجِ الْزُّجَاجِيَّةِ انْكَسَرَتْ - الْصَّقَنَاهَا بِجَرِيَّةٍ .
وَالْأَسْوَاءُ ، أَنْكَثَ فِيمَا تَتَعَلَّمُ شَيْئاً ذَا بَالَ ، يَكُونُ الْأَوَانُ قَدْ فَاتَ فَعْلًا . أَنْثَى
ضَمَّتْ هَائِلٌ . يَجِيلُ الصَّيفَ . وَالْأَشْجَار
تُصْبِحُ طَوِيلَةً وَخَضْرَاءَ - آءٌ اسْتِفْرَازِيَّةٌ لِلْغَایَةِ . وَزِيزُ الْحَصَادِ يَصْرُخُ .
فِي الْمَسَاءِ ، تُصْبِحُ الْجِبَالُ زَرَقاءَ . وَمِنْهَا ،
يَهِبِطُ رِجَالُ الظَّلِّ ، يَتَرَحَّبُونَ وَهُمْ يَشْقُونَ طَرِيقَهُمْ لِلأَسْفَلِ (فِي الْحَقِيقَةِ ،
يَتَظَاهِرُونَ بِأَنَّهُمْ يَتَرَحَّبُونَ) .
يَرْمُونَ فِي النَّهَرِ بِكِلَابِ مَيِّتَةٍ . فِيمَا بَعْدَ ، مُفَعَّمِينَ بِالْحُزْنِ وَالْغَضَبِ
الْمَبَرَّ ، يَلْمُونَ أَكْيَاسَهُمُ الْخِيشَ ،
يَهُرُشُونَ تَحْاَصِيْهُمْ ، وَيَتَأَمَّلُونَ ضَوْءَ الْقَمَرِ فِي الْمَيَاهِ . وَهُنَّاكَ فَحَسْبٌ
ذَلِكَ الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الْعَصِيُّ عَلَى التَّفْسِيرِ ؛ الْتَّظَاهُرُ بِأَنَّهُمْ عُرَجُ ،
دُونَ أَنْ يَكُونُ هُنَّاكَ مَنْ يَرَاهُمْ .

18 - منهج التفاؤل

انتقامية - كُل الشائعات السوداء المثار - منحها التأكيد،
نشرها، جاعلا منها اعتباطية وقاطعة في نفس الوقت - منهج
غميق، ملتبس، ولا شك أنه كان موضع إمعان تفكير. كُل شيء قائم،
تقريباً أسود -

الأثاث، الوجوه، التوافد، الزمان. ومع ذلك ظل وجهه
مشرقاً، مبرقشاً بسعادة ما سرية - ربما من موهيبته
لرؤيتها في الظلام، لاختراق الظلام نفسه، لرؤيتها
أغليفة الرصاص التحاسية الأربع وامضه بعيداً في الأسفل على السرير
الكبير

حيث يرقد جثمانان جيلان كأنهما يتناكحان.

1968 مايو 26

معسكر اعتقال بارثيفي

ط

19 - تأجيلات

مضت الأيام . شرائع السفينة تمرق في الريح .
الحبل تهراً تماماً . استسلمنا ونحن نروي الأشجار . ذبلت في الحال ، دون
أن تختلف ثمرة ولا ورقة .

شاخت النسوة . وحلزو نات صغيراً
انخذلت طريقها على الحائط . وحين هبطنا في النهاية
لتنظيف البئر - لم يكن هناك
سوى رطوبة عفنة وكومة من دلاء صدئه .
أزلناها . لكن الماء كان قد جف .

1968 مايو 29

معسكر اعتقال بارثيني

20 - بهذه الأحجار

هَبَّتْ رِيحٌ قَوِيَّةٌ . قَرَقَعَتْ المَصَارِيعُ التَّقِيلَةُ .
تَطَابَرَتْ أَوْرَاقُ الشَّجَرِ مِنَ الْأَرْضِ . ظَارَتْ بَعِيدًا ، بَعِيدًا .
لَمْ يَبْقَ سَوْيَ الْأَحْجَارِ . لَمْ يَعُدْ لَدَنِنَا إِلَّا أَنْ نَسْتَخْدِمَهَا الْآنَ -
ظَلَّ يُرَدَّدُ - نَسْتَخْدِمَهَا ، نَسْتَخْدِمَهَا . حِينَ هَبَطَ اللَّيلُ
مِنَ الْجَبَلِ الْكَبِيرِ ، الْقَاتِمُ ، رَمَى بِمَفَاتِيحِنَا فِي الْبَرِّ -
آهُ ، أَيْتُهَا الْأَحْجَارُ - قَالَ - يَا أَحْجَارِي ، وَاحِدًا وَاحِدًا سَوْفَ أَنْتَ
الْوُجُوهُ الْمَجْهُولَةُ الْأَثِيرَةُ وَجَسَدِي ، يَوْحَدَى يَدَيَ
وَهِيَ مُطْبَقَةٌ يَاحَكَامُ ، مَرْفُوعَةٌ عَالِيَّاً أَعْلَى الْجَدَارِ .

1968 مايو 30

معسكر اعتقال بارثيفي

21 - شيخوخة

السبت ، الأحد ، السبت من جديد - وقبل أن تعرفه ، الاثنين .
غسق هادي بلا لون ، أو أشجار ، أو كراسи .
ليس لدينا ما ننفقه . الإبريق القديم على مائدة الغداء ؛
الأطباق ، الأكواب ، الأيدي الخزينة ، المهجورة -
الملعقة ترتفع ؛ فم آخر يجدها - لكن أي فم ؟
من يأكل ؟ من الذي يصبح ساكنا ؟ في النافذة المفتوحة
قمر صغير ، منسي ، يبتلي لعابه .
ليس الأمر أثنا لم نعد نسمن ، بل إثنا لم نعد نجوع .

4 يونيو 1968

معسكر اعتقال بارثيني

22 - توسيع

كَانَ عَلَيْنَا أَنْ تَبَقَّى هُنَّا - مَنْ يَدْرِي إِلَى مَتَى . شَيْئًا فَشَيْئًا
نَسَيْنَا الزَّمْنَ ، وَفَقَدْنَا مَسَارَ التَّمَايُزَ بَيْنَ الشُّهُورِ ، وَالْأَسَابِيعِ ،
وَالْأَيَّامِ ، وَالسَّاعَاتِ . رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلُ . كَانَتْ هُنَّا كَنْبَاثَ دِفْلَى
بَعِيدًا فِي الْأَسْفَلِ ، وَأَشْجَارُ سَرِّي فِي الْأَعْلَى ، وَأَحْجَارٌ فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ .
أَسْرَابُ طَيُورٍ مَرَّتْ فَوْقَنَا ؛ طَلَالُهَا جَعَلَتِ الْأَرْضَ دَاكِنَةً .

فِي شَبَابِي ، قَالَ الْعَجُوزُ ، حَدَّثَ مَا يُشِّبِهُ ذَلِكَ تَمَامًا . فَالْقُضَبَانُ الْمُحْدِيدِيَّةُ
كَانَتْ حَقًّا فِي التَّوَافِذِ ؛ اسْتَطَعْتُ رُؤْيَتَهَا طَوِيلَةً قَبْلَ تَرْكِيَّبِهَا . وَالآنِ ،
إِذَا رَأَاهَا كُلُّ يَوْمٍ ، أَبْدَأْ فِي التَّفْكِيرِ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ هُنَّا كَمْ أَعْدَ أَرَاهَا .
أَسْأَلُ مَا إِنْ كُنْتَ تَرَاهَا ؟ - آنِيَّذِ ، صَاحَ الْحَرَاسُ وَفَتَحُوا الْبَابَ .
أَدْخَلُوا عَرَبَيِّي يَدِ مُحَمَّلَتَيْنِ بِالْبَطْيَخِ . أَكَمَلَ الْعَجُوزَ :
أَوْ ، وَلَوْ بَقِيَ الْبَصَرُ ، فَلَنْ يُمْكِنْكَ رُؤْيَةُ شَيْءٍ .

تُخَدَّقُ فِي الْفَرَاغِ ، كَمَا يَقُولُونَ - طَلَاءُ ، شَمْسُ ، رِيحُ ، مِلْحُ -
تَدْخُلُ الْمَنِزِلَ - بِلَا مِقْعَدٍ أَوْ سَرِيرٍ - تَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ ؛
عَنَا كِبُّ صَغِيرَةٌ تَمْشِي عَبَرَ شَعِيرَكَ ، عَبَرَ مَلَابِسِكَ ، إِلَى فَمِكَ .

5 يونيو 1968 ؛ معسكر اعتقال بارثيني

23 - بلا ثقلٍ مُوازن

خَرَاء ! - قَال - مُتَقَرِّزاً . أَغْلَقَ أَذْنَيهِ ، وَمِنْخَارِيهِ ، وَعَيْنَيهِ .
مَاذَا ؟ مَاذَا تَسْمَع ؟ مَاذَا تَرَى ؟ سَبْعُ رَصَاصَاتٍ ، ثَمَانِي رَصَاصَاتٍ .
حَتَّى الْقَتَلَةُ قُتِلُوا ، وَأَشْيَاءٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ
هُنَا وَهُنَاكَ . نَحْنُ مَاذَا تَلَقَّفْتِ ؟ مَا الَّذِي سَتُقْدِمُهُ بَدِيلًا لِذَلِكِ ؟
كُلُّ الْأَعْلَامِ تَمَرَّقَتْ مِزْقًا خِلَالَ الزَّمَنِ
وَمَا مِنْ وَاحِدٍ فِي شُرْفَةٍ فِي الْأَعْلَى سَيَتَمْ حَفْضُهُ إِلَى نِصْفِ الصَّارِيِّ .
وَالْجَرَائِدُ الْقَدِيمَةُ تَنْجَرِفُ عَلَى الْمَيَاهِ ، يَحْوَارُ الصَّحِيَّةُ الغَرِيقَ .

5 يونيو 1968

معسكر اعتقال بارثيفي

24- فُوْتُوغرافِيَا

الجَمِيعُ دَاخِلْ جَرَارٍ أَرْضِيَّةَ ضَخْمَةَ - كُلُّ وَاحِدٍ فِي جَرَرِهِ .
يَأْكُلُونَ ، يَنَامُونَ ، يَتَبَرَّزُونَ ، يُنْجِبُونَ ، يَمُوتُونَ فِي الْجَرَارِ .
أَحِيَاًنَا يَقْرَأُونَ جَرِيدَةَ قَدِيمَةَ - فَلَا تَصِلُّ أَبَدًا جَرِيدَةً جَدِيدَةً .
قَتِيلٌ ، قَتِيلٌ - كَمَا تَعْرِفُونَ - تَوَدُّونَ لَوْ تَقْتُلُوا الْجَرَارَ . وَلَيْسَ سَوَى
سُوتَيَانَ كَبِيرٌ ، وَرَدِيَّ اللَّوْنَ ، يَمْتَصُّ الشَّمْسَ عَلَى السَّلْكِ الشَّائِكَ .
وَدُبَابٌ كَبِيرٌ يَتَجَوَّلُ مِرَارًا عَلَى جَرَّةٍ "بِيْكِيْتَ" .

1968 يُونِيُوْن 5

معسَكِر اعْتِقَال بارثيني

25- إدانة مزدوجة

أهكذا إذن؟ أهوا كذلك - قال - فهل يقُوم فخرنا
على أخطاء الآخرين؟ وليس على فضائلنا؟ أي فخر؟ وما المثير؟
أو معلمي العزيز، كم رأينا جيداً
في إيماءاتك: العدل، الحرية؛ وابتسمتُك -
السماوية (كما أسميناها) - حين فتحت الأبواب، وفاض الحشد إلى
الخارج،

جرروا وراءك متهللين، تاركين منازلهم مفتوحة
للسما، والريح، واللصوص. وحيينا، في الليلة التالية،
رفع الرجل الثالث عشر كأسه، أدركنا في النهاية
أن كل شيء كان سابق التجهيز. كان الموتى يرقدون في أسرتهم،
ونتح الأسرة، أحذيتُم الكرتونية طويلة الرقبة،
خمراء، مهيبة، بمراتي صغيرة ملتصقة بها من كل ناحية.

6 يونيو 1968

معسكر اعتقال بارثيفي

26 - الجَرَس

مَنْ الْذِي عَلَقَ هَذَا الْجَرْسَ الْأَسْوَدَ (وَمَنْ؟) فَوَقَ الْمَنْصَدَةِ مُبَاشِرَةً
مِنْ مُنْتَصَفِ السَّقْفِ - أَكَانَ مُنْدُ شَهْرٍ مَضِيَّ؟ - مُنْدُ أَعْوَامَ؟
وَنَحْنُ مُنْهَنُونَ عَلَى أَطْبَاقِنَا لَمْ نَلْهَظْ . لَمْ نَرْفَعْ أَبْدَا رُؤُوسَنَا ، وَلَوْ قَلِيلًا -
فَلِمَّا دَرَأْنَا نَرْفَعُهَا؟ لَكِنَّ الْآنَ
نَحْنُ نَعْرِفُ - إِنَّهُ هُنَاكَ ، ثَابِتٌ . فَمَنْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ رَأَاهُ؟ مَنْ أَخْبَرَنَا بِوُجُودِهِ ،
ظَالِلًا أَنَّنَا لَمْ نَتَحَدَّثْ أَبْدَا عَنْهُ؟ رُبَّمَا ، ذَاتَ لَيْلَةٍ ،
إِذْ شَرِبَنَا آخِرَ قَطْرَةَ نَبِيِّدٍ مِنْ گُوبِنَا ، التَّقَطَّتْ عَيْنُنَا لَحْةً خِلَالَ الْكُوبِ
الْغَائِمِ . وَعَلَى الْفَوْرِ
أَحْنَيْنَا رُؤُوسَنَا مِنْ جَدِيدٍ لِأَسْفَلَ ، أَبَعَدْ مِنْ ذِي قَبْلِ . جَائِعِينَ أَوْ لَا ،
أَكَلَنَا ، مُتَوَقِّعِينَ
أَنْ يُقْرَعَ الْجَرْسُ فِي أَيَّةٍ لَحْظَةٍ بِيَدِ مَا عِمْلَاقَةٍ وَخَفِيَّةٍ -
تِسْعَ مَرَّاتٍ أَوْ اثْنَيْ عَشَرَةَ ، رُبَّمَا مَرَّةً وَاحِدَةً فَخَسِبَ ، لَكِنْ بِلَا اِنْتِهَاءٍ
وَبِهِمَجِيَّةٍ ،
وَظَلَلَنَا لَحْصِيَ عَدَدَهَا ، خَشِيَّةً أَنْ تُصْبِحَ مُغَرِّمِينَ بِإِفْرَاطٍ بِرَبِّيْنِهِ .

14 يونيو 1968 - معسكر اعتقال بارثيفي

27 - مَصِيرُ عَادِي

مِنْ غُرْفَةٍ مُسْتَأْجَرَةٍ إِلَى أُخْرَى - حَقِيقَةُ سَفَرٍ ،
مِنْضَدَّةٍ ، سَرِيرٌ بِالْعُلُوِّ الْقِدَمُ ، كُرْسِيٌّ ،
الْمَرْتَبَةُ الْقَشُ الْمِلَّظَخَةُ بِبَقِّ الْفِرَاشِ وَالْمَنِيِّ .
لَا أَحَدٌ لَدِيهِ مَنْزِلٌ خَاصٌّ بِهِ - كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَتَنَقَّلُ دَائِمًا .
مَصِيرُنَا الْعَادِي - يَقُولُ - إِنَّهُ مُطْمِئِنٌ . تَمَامًا مِثْلَمَا هَذِهِ الشَّجَرَةُ ،
ثَابِتَةُ ، هَادِيَةُ ، مُزْهِرَةُ ، فِي عَالَمٍ خَاصٍّ بِهَا ؛
مَشْغُولَةُ تَمَامًا بِإِذْهَارِهَا - لَا تَتَنَطَّلُ إِلَى شَيْءٍ -
وَمُنْعَكِسَةُ فِي الْبَابِ الْزُّجَاجِيِّ الْكَبِيرِ ، الْعَصِيِّ عَلَى التَّفْسِيرِ .

14 يونيو 1968

معسكر اعتقال بارئيني

28 - مُنْتَصَفُ اللَّيْلِ

فِيَمَا تَرَقَّى الْأَسْوَدُ وَالْأَثْيَرِيُّ - كَانَتْ خُطْوَاتُهَا غَيْرَ مَسْمُوعَةً .
كَانَتْ تَمْشِي فِي الرُّوْاقِ ذِي الْأَعْمِدَةِ . لَا أَصْوَاءَ مُشْتَعِلَةَ . وَإِذْ صَعَدَتْ
الدَّرَجَاتِ الْحَجَرِيَّةِ ، صَاحُوا : "تَوَقَّفِي ! وَجْهُهَا
غَشَاؤُهُ بَيْضَاءُ فِي الظَّلَامِ . تَحْتَ مِثْرَرِهَا ،
كَانَتْ تُخْفِي آلَةَ كَمَانَ . "مَنْ هُنَاكَ !" لَمْ تَتَكَلَّمْ .
هَوْتَ مَيْتَةٌ ؛ يَدَاهَا مَرْفُوعَتَانِ ، وَذَلِكَ الْكَمَانِ
تَتَشَبَّثُ بِهِ بَيْنَ رُكْبَيْهَا . وَكَانَتْ تَبَتَّسِمْ .

15 يونيو 1968

معكسر اعتقال بارثيني

29 - سرطان البحر

وَفِي الْحَالِ تَمَامًا تَلَاشَى كُلُّ شَيْءٍ - الْأَشْكَالُ، الْأَشْجَارُ، الْبَحْرُ،
الْأَحَدَادُ، الْوَقَائِعُ، الشِّعْرُ - بَعِيدًا، بَعِيدًا لِلْغَایَةِ،
إِلَى شَاطِئِ بَعْدَ - كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَرَاهُمْ وَأَلَا يَرَاهُمْ . فَهَلْ
سَيَرَحُلُونَ وَيَهْجُرُونَهُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ؟ سَاكِنًا، يُرَافِقُهُ الْمَوْتُ،
حَتَّى حَافَّةَ أَظْفَارِهِ . فِي الْلَّيلِ
سَمِعَ الْكَائِنَ الْهَائِلَ، السَّاكِنَ بِدَاخِلِهِ . دَائِمًا هُنَاكَ،
قَبْلَ النَّوْمِ وَبَعْدَ الْيَقْظَةِ، كَانَ يَقْوُمُ
بِدَعْلِ أَسْنَانِهِ بِالْفُرْشَاءِ الْعَتِيقَةِ، الْمُتَهَالِكَةِ،
كَاسِفَةَ الْابْتِسَامَةِ الْأُخِيرَةِ - هَادِيَةً، يَيْضَاءً، وَإِنْقَاءً .

1968 يوليو 27

معسكر اعتقال بارثيفي

30 - خاتمة

الحياة؟ - جُرُح في العَدَم.

1968 يوليو 27

معسكر اعتقال بارثيني

جَسَدٌ آخَرُ دَاخِلُ جَسَدِهِ، كَبِيرٌ، غَامِضٌ،
أَبْكَمْ - بُكْمٌ شُمُولٌ الْمَقْدِرَةِ . فِي الظَّهِيرَةِ
أَوِ الْمَسَاءَتِ، إِلَى الْمَائِدَةِ، مَعَ الْمَصَبَاجِ الْهَادِيِّ، فِيمَا يَرْفَعُ بِطْءَ
وَيَحْرِصُ الشَّوَّكَةَ إِلَى فِيهِ، يَعْرِفُ
أَنَّهُ يُطْعِمُ الْآخَرَ، ذَلِكَ الْفَمُ الْمَجْهُولُ، الشَّرِهِ .

1968 يوليو 27

أشجارٌ كيَنَا طُولَةٌ وَقَمَرٌ كَبِيرٌ .
نَجْمَةٌ ثُوِّمَضَ عَلَى الْمَاءِ .
السَّمَاوَاتُ بَيْضَاءُ ، فِضَّيَّةٌ .
أَحْجَارٌ ، أَحْجَارٌ مُهَشَّمَةٌ ، عَلَى طُولِ الصُّعُودِ .
بِالْجِوَارِ ، فِي الْمَيَاهِ الضَّحْلَةِ ، سَمَكَةٌ
تُسْمَعُ مُتَقَافِرَةً ، وَقَانِيَّةً ، وَثَالِثَةً ...
ذَارٌ أَيْتَامٌ مُنْتَشِيَّةٌ - حُرَيْةٌ .

1968 أكتوبر 21
معسكر اعتقال بارثيني



أَجَامِنُون

(1970-1966)

أجامنون: في الأساطير الإغريقية، هو ابن الملك أتريوس، ملك ميسيناي، والملكة أيروب؛ وشقيق مينيلاوس، وزوج كليمنسترا. عندما اختطفت هيلين - زوجة مينيلاوس - على يد باريس الطروادي، كان أجامنون قائد الآخرين في حرب طروادة. لدى عودته من طروادة، قُتل - وفقاً لأوديسيأ هوميروس - على يد أيجيسيوس، عشيق زوجته كليمنسترا. ووفقاً للوصف الذي أورده "بندار" وكتاب التراجيديا، فقد قُتل أجامنون على يد زوجته وحدها في الحمام، بأن أُلقت عليه بطانية من القماش أو شبكة لمنعه من المقاومة. وقد قُتلت أيضاً كاساندرا، محظية أجامنون. وبعد قتل أجامنون، قامت - مع أيجيسيوس - بحكم مملكة أجامنون. وقام بالانتقام منها - بالقتل أيضاً - أورست ابن أجامنون بتشجيع من شقيقته إليكترا.

[المترجم]

(مرة أخرى، من أعلى السُّلُم الحجري، المُغْطَى كُلَّه بسجَادٍ أرجواني، يُحيي القائد العسكري، بحركة قلق تقرِيباً، الحشد الذي يصبح، في ضوء شمس الشتاء الصافي، تُسمع طبولٌ في الميدان البعيد في الأسفل، مع صخب سنابك الأحصنة، ورفقة الأعلام وصيحات العبيد الذين يُنزلون الغنائم من المركبات. في الأروقة، يظل الحراس وحدهم بلا حراك، كأنهم ينتمون إلى عالم آخر. تموح رائحة لاذعة من الأكاليل المهرولة في الهواء. وكثيراً ما تبرز الصيحات النبوية العالية لأمرأة هاذية ترقد على كومة أسفل السُّلُم وسط التصفيق والهدير العام - صيحات بلا تفسير، بلغة أجنبية. انسحب القائد العسكري وزوجته. مرّاً خلال الرواق الطويل. عبرا القاعة حيث أعدت المائدة للإفطار. يخلع ملابسه العسكرية. يضع خوذته الضخمة ذات المخلة من ذيل الحصان على الخزانة، أمام المرأة. فتعكس المرأة الخوذة، وكأنهما جمجمتان من معدن فارغتان، ومشوختان تحافظ كل منهما على صحبة الأخرى. يمشي متراخياً إلى أريكة. يغمض عينيه. في الخارج، لا يزال مكناً ساع تصفيق الحشد وصيحات المرأة الأجنبية. يغطي أذنيه بكفٍ يديه. وزوجته، الجميلة، الصارمة، المهيبة، تتحفي بتواضع لا يتوافق مع سلوكها، لترتبط صندلها. يضع يده اليسرى على شعرها، حريراً على

ألا يفسد تسرّجتها الجميلة. تنسحب بعيداً. تقف متنصبة، عن
بعد قليل. تبدو ابتسامته بعيدة، مرهقة. يتكلّم إليها. لا تدري ما
إذا كانت تنصت).

اطلّي منهم الهدوء ، أرجوك . لماذا لا يزالون يصيحون؟
لماذا يصفقون؟ ما الذي يبتغيون له؟ أو ربما يجلّونهم؟ يموّلهم؟
أو ليتأكّدوا أنّ لذيهم كفوفاً ويمكّن أن يصفقوا بها ،
أنّ لهم أصواتاً ويمكّن أن يصيّحوا ليسمعوا أصواتهم؟

فلتدفعهم إلى الهدوء . انظري ، نملة تهبط الحائط -
كم تمشي بثقة وسأطّة على هذا العمودي ،
بلا شبهة غطّسة ، كأنّها تؤدي عملاً ما - ربما لأنّها وحيدة ،
ربما لأنّها بلا أهميّة ، بلا وزن ، بلا وجود تقريباً ؛ إنّي أحسدها .

فلتدعيها وحيدة ؛ لا تطريدها ؛ إنّها تصعد المائدة ؛ تأخذ كسرة ؛
حولّتها أكبر منها ؛ انظري إليها ، - ذلك صحيح ،
العبء الذي تحمله أكبر دائمًا منا .

لن يهدّوا أبداً . والثيران في المذايّع - هذا الدخان
ورائحة الشواء ؛ دوار البحر ، لا ، ليس أبداً من عواصف البحر -
شيءٌ ما مريء في الفم ، خوف

في الأناملِ، على الجلد؛ مثل تلك المرأة ذات ليلة خلال الصيف
حين أوقظت من النوم - كان شيء ما دبق يزحف على كل جسدي؛
لم أستطع العثور على القات؛ تخبطت؛ أشعّلت الثور الوايمض؛
على الحيمة، على الأرض، على الملاءات، على الدرع، على خوذتي،
آلاف اليرقات؛ بقدميه الخافيتين خطوت عليها؛ ذهبت إلى الخارج -
كان ثمة صوة قمر واهن،

جند عراة كانوا يمثّلون الحرب، يضحكون، يمرّون
بهذه الزواحف المفترزة - كان الجنود أنفسهم قبيحين؛ وأيُّورُهم
مُهتاجة كاليرقات. ارتميت في البحر؛ لم تغسلني المياه؛
جرجر القمر نفسه على امتداد خدي الأيسر كالمحاط، أيضًا،
أصفر، أصفر، كييفا. والآن تلك الهبات -

حمام ساخن جاهز لي، ساخن جدًا؛ هل أعدّته حقًا؟
ياوراق الآيس والمشملة؟ أثذّك رأيّجها،
منشط، مقوّ - يصفى الذهن؛ كانك التقطت الرائحة ذات مرأة أخرى
في الطفولة، مع الأشجار، مع الأنهاير، مع الجداجذ. وبناتنا
بدون لي ككائنات ضالة؟ - لا أحظت؟ - إحداهن
أمّسكت بذقني خلال لحيتي كأنها عمياء. لقد فعلت خيرًا
يلرساليهن بعيدًا إلى غرفهن - لم أستطع احتمال روائحهن.
أمّا الغنائم، فلتتحفظي بها جمیعاً أو اقتسميها - لا أريد شيئاً.
أمّا تلك المرأة التي تنبّح في السّلّم، فلتجعليها خادمة لك

أَوْ مُرَبِّيَّةَ لابنَنَا (- أَيْنَ هُوَ ، حَقًا ؟ - إِنِّي لَمْ أَرَهُ) - وَلَيْسَتْ لِإِعْدَادِ
سَرِيرِي ، لَا ،

الآن أَنَا بِحَاجَةٍ إِلَى سَرِيرٍ فَارِغٍ تَمَامًا لِأَغْوَصَ فِيهِ ، لَأَفِقدَ نَفْسِي ، لَا كُونُ ،
لَا نَامٌ بِلَا مُرَاقِبَةٍ عَلَى الْأَقْلَ ، أَلَا أَبَالِي ،
بِمَا إِذَا كَانَ وَجْهِي صَارِمًا كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُ ،
أَوْ أَنْ عَضَلَاتِ بَطْنِي وَذِرَاعَيَّ قَدْ ارْتَخَتْ . الآن
لَيْسَ سَوَى ذَاكِرَةِ الْحُبُّ هِيَ مَا تَعْمَلُ بِصُورَةِ شَهْوَانِيَّةَ ، مُلْفِغَيَّةَ
ذَلِكَ الَّلَّا تَنَاسُبُ الْكَبِيرَ (وَهُوَ مَا لَيْسَ مَوْضِعَ إِطْرَاءِ) بَيْنَ
ذُبُولِ الْجَسَدِ وَعِنَادِ الشَّهْوَةِ .

وَحَقًا ، أَتُرُكُ سَرِيرَنَا لَكَ . لَا أُرِيدُ أَبَدًا
أَنْ أَشْهَدَ التَّغَيِّرَاتِ الَّتِي يُحْدِثُهَا الزَّمْنُ فِي قَوَامِكِ الْجَمِيلِ ،
فِي فَخْذِكِ وَثَدِيَّكِ . لَا كَرَاهِيَّةَ عِنْدِي لِأَنْ أَقْتَاتَ
مِنْ مِثْلِ هَذَا الْعَرْضِ . عَلَى الْعَكْسِ ، حَتَّى الْآن ، أَوْدَ
(مِنْ أَجْلِي ، لَا مِنْ أَجْلِكَ) أَنْ يَظْلِمَ
قَوَامِكِ الشَّهْوَانِيِّ بِلَا مَسَاسٍ ، فِيمَا وَرَاءَ الزَّمْنِ ، كَيْمَثَالِ جَمِيلٍ
يَحْتَفِظُ بِطَرِيقَةِ مَا بِالْقِبَلِ وَرَوْعَةِ شَبَابِيِّ .

لَا أُرِيدُ سَوَى تِلْكَ الْمِنْفَضَةِ ذَاتِ الْقَاعِدَةِ الْمَنْحُوَةِ ثُلَاثِيَّةِ الْقَوَافِلِ (إِنْ
كَانَتْ لَا تَزَالُ قَرِيبَةً) ،
حَيْثُ أَتُرُكُ أَحْيَانًا ، فِي الْلَّيلِ ، سِيجَارَتِي وَحْدَهَا لِتَحْرِقِ

كِيدْخَنَةٌ بَعِيْدَةٌ عَلَى إِيْشَاكَ الْمُصَرَّعِ، أَوْ
كَنْجَمَةٌ خَاصَّةٌ تَمَامًا بِي، وَأَنْتِ نَائِمَةٌ بِحَوَارِيْ.

احْتَفِظِي بِالبَاقِي؛ حَتَّى الصَّوْلَجَانُ التَّقِيلُ الْمُرْصَعُ بِالْمَاسِ-
هُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ - لَا أَحْتَاجُهُ - فَهُوَ غَيْرُ مُحْتَمَلٍ. أَحْسَنُ الْيَوْمِ
بِالْغَضَبِ مِنْ أَخِيلٍ؛ لَا بِسَبِّ التَّرَاعِ بَيْنَنَا أَبَدًا - بَلْ كَانَ التَّعَبُ،
تَعَبُ نُبُوْيِيْ، تَعَبُ يُسَاوِيْ بَيْنَ التَّصْرِيْرِ وَالْهَزِيْمَةِ،
بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ. وَجِيدًا تَمَامًا عَلَى الشَّاطِيْعِ فِي الْأَسْفَلِ،
مَعَ رَفِيقِهِ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ الَّذِي أَصْقَنَ نَفْسَهُ بِهِ بِلَا تَفْسِيرٍ
ذَاتَ مَسَاءٍ خَرِيفِيِّ بِقَمَرٍ مُكْتَمِلٍ (هَكَذَا يَقُولُونَ) [١].

رَبِّيْمَا كَانَ بِحَاجَةٍ إِلَى ذَلِكَ الْخَضُورِ الْكَثِيْبِ
ذَلِكَ الَّذِي لَا يَسْأَلُ، لَا يَرْفُضُ، لَكِنَّهُ دَائِمًا يُصَدِّقُ وَيُوَافِقُ
بِهِزَّ ذَيْلِهِ، بِغَمْزَةٍ مِنْ عَيْنِيْهِ،
أَوْ أَحْيَانًا بِوَضِعِ خَطْمِيِّ فِي عِرْفَانِ
عَلَى صَنْدَلِ سَيِّدِهِ، بِالاِنْتِظَارِ بِنَفْسِ السَّعَادَةِ
لِلْفَتَةِ تَافِهَةَ أَوْ سِبَابَ؛ وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى، بِاللَّهَاثِ، لَا بِفَعْلِ الْمُطَارَدَةِ،
بَلْ مِنَ الْإِخْلَاصِ، مُدَلِّيًّا لِسَانَهُ
كَأَنَّهُ يَحْمِلُ بَيْنَ أَسْنَانِهِ قِطْعَةً دَامِيَّةً مِنْ رُوْجِهِ
وَيُرِيدُ أَنْ يَهْبِهَا. هَذَا الْإِخْلَاصُ بِلَا حُدُودٍ، أَنْتَخَيْلُ،

[١] المقصود: باتروكوس، رفيق أخيل.

يُمْكِنُ أَنْ يُنْقِدَ إِنْسَانًا أَوْ حَتَّى إِلَهًا . كَانَ بَاتُرُوكُوسْ غَيْرًا ؛

وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ السَّبَبُ فِي حَتَّى أَخِيلٍ عَلَى الْعَوْدَةِ إِلَى الْمَعْرَكَةِ
وَرُبَّمَا كَانَ السَّبَبُ فِي قَتْلِهِ . كَمْ مِنَ الدَّمَاءِ أَهْرَقَ -
لَمْ أَعْرِفْ أَبَدًا السَّبَبَ - لَا أَدْرِي ؛ - كَانَ ثَمَّةَ أَوْقَاتٍ لَمْ أَجْرُؤْ فِيهَا
عَلَى لَمِسِّ الْخَبْزِ - كَانَ الْخَبْزُ أَحْمَرَ . وَذَلِكَ الْكَلْبُ
كَانَ يَهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ وَجِيدًا عَلَى الشَّاطِئِ حِينَ قُتِلَ أَخِيلُ ،
يَنْظُرُ إِلَى السُّفُنِ ، وَالْغَيْوُمِ ، يَتَسَقَّمُ الصُّخُورُ
حَيْثُ خَطَّتْ قَدَمًا سَيِّدِهِ ، يَتَسَقَّمُ مَلَائِسِهِ فِي الْخَيْمَةِ ،
يَأْكُلُ ، يَجْوِعُ - فَمَنِ الَّذِي سَيَرَ عَاهُ ؟ - اتَّخَذَ الظَّرِيقَ ،
مُتَخَبِّطًا فِي أَقْدَامِنَا ؛ الْكَثِيرُونَ مِنَّا رَكَلُوهُ ؛ جَلَسَ
وَرَأَى الْجُنُودَ فِي سَاعَةِ غَدَائِهِ ؛ لَمْ يَتَذَمَّرْ .

ذَاتَ يَوْمٍ ، رَأَى أَخِيلُهُمْ عَظِيمَةَ لَهُ ؛ لَمْ يَأْكُلُهَا ؛
قَبَضَ عَلَيْهَا بِإِسْنَانِهِ وَأَخْتَفَى . بَعْدَ مُدَّةٍ لَيْسَتْ طَوِيلَةً ، وَجَدُوهُ
عِنْدَ قَبْرِ أَخِيلِ ، - تَرَكَ الْعَظِيمَةَ هُنَاكَ
كُفُرْبَانٍ صَغِيرٍ ؛ كَانَ يَبْكِي بِدُمُوعٍ كَبِيرَةٍ ،
رُبَّمَا لِأَنَّهُ فَقَدَ سَيِّدَهُ ، أَوْ رُبَّمَا كَانَ يَشْعُرُ بِالْخَزِيرِي مِنْ جُوعِهِ .
فِيمَا بَعْدَ ، أَخَذَ الْعَظِيمَةَ مِنْ جَدِيدٍ ، وَأَخْتَبَأَ خَلْفَ الصُّخُورِ
وَبَدَا فِي الْقَضِيمِ . وَعَلَى طُولِ الْقَضِيمِ كُنَّا نَسْمَعَ
أَنْتِحَابَهُ ، - يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ تَأْوِهَاتِ الْجَنُودِ الْأَبْدِيِّ .

كُمْ هُنَا غَرِيبَانَ عَيْنَاكِ ؛ وَصَوْتُكِ كَانَ غَرِيبًا ، عِنْدَمَا قُلْتِ :
 "أَيُّهَا الْخَدَم ، لِمَاذَا تَقْفُونَ هُنَا هَكَذَا ؟ لَقَدْ سَيِّسْتُ تَعْلِيمَاتِي ، إِذْنَ ؟
 أَخْبَرْتُكُمْ بِفَرِشِ السَّجَاجِيدِ مِنَ الْمَرْكَبَةِ إِلَى الْمَنْزِل ، وَأَنْ تَحْوِلُوا الظَّرِيقَ
 إِلَى أَحْمَرَ تَمَامًا لِيَمْرُرَ سَيِّدِي ". فِي صَوْتِكِ
 كَانَ يَنْسَابُ نَهْرٌ عَمِيقٌ ، وَأَحْسَسْتُ أَنِّي أَطْفُو فِيهِ . عِنْدَمَا حَطَطْتُ
 عَلَى السَّجَاجِيدِ الْأَرْجُوَانِيَّةِ ، التَّوَتُ رُكْبَتَاهِ . اسْتَدَرَثُ
 وَرَأَيْتُ الْأَثْرَ الرَّاهِيَّ لِصَنْدَلِيِّ عَلَى الْأَرْجُوَانِ الْعَظِيمِ
 كَقِطْعٍ فِلَّيْنِ الصَّيَادِينِ الظَّافِيَّةِ
 فَوْقَ الشَّبَكَةِ الْحَقِيقَةِ ، الْمَغْمُورَةِ . أَمَّا مِي ، رَأَيْتُ الْخَدَمِ
 يَفْرِشُونَ الْمَزِيدَ مِنَ السَّجَادِ الْأَحْمَرِ ، كَأَنَّهُمْ يَدْفَعُونَ
 عَجَلَاتِ الْقَدَرِ الْحَمْرَاءِ . انْسَابَتْ رِعْدَةُ
 فِي عَمُودِيِّ الْفِقْرِيِّ . ذَلِكَ هُوَ سَبَبُ ظَلَّيِّ مِنِّي
 أَنْ تُعِدَّيْ لِي حَمَّامًا سَاخِنًا . هَذِهِ الرِّعْدَةُ - الزُّجَاجِيَّةُ ، الزُّجَاجِيَّةُ - تَعْرِفُينَ،
 فَلَا أَحَدَ يُرِيدُ الْمَوْتَ ، مَهْمَا كَانَ مُرْهَقًا .

هَذَا التَّعَبُ هُوَ مَكَانِي الْآن ، هُوَ كَيْانِي ؛ كَأَيِّ كُنْتُ أَتَسْلَقُ عَالِيَا
 بِلَا مَجْهُودٍ ، تَقْرِيبًا بِلَا اسْتِخْدَامٍ لِيَقْدَمِي ، الْجَبَلُ ذَا الْزُّرْقَةِ السَّمَاوِيَّةِ
 حَيْثُ سَأَحْدَقُ (أَرَاهَا بِالْفِعْلِ) فِي
 الْتَّلَالِ ، وَالْمُرْوِجِ ، وَالْمُدْنِ فِي الْأَسْفَلِ هُنَاكَ - دُخَانٌ ظَفِيفٌ يَتَحَوَّلُ إِلَى
 الْذَّهَبِيِّ فِي الشَّمْسِ - الْمَوَانِعِ
 وَقَوَارِبُ عَوْدَتِنَا الْمَرِيرَةِ فِي الشَّاطِئِ الْمَهْجُورِ

شِبَهِ الدَّائِرَةِ - قَوَارِبُ بَيْضَاءِ ، بَعِيْدَةُ ، صَغِيرَةُ
كَفَلَامَاتِ أَظْفَارِ أَطْفَالٍ - مِثْلُ أَظْفَارِ أُخْتِنَا الْأُخْرَى - أَتَذَكَّرُونَ ؟ -
كُنْتِ تُقْلِمِنِهَا لَهَا عِنْدَ بَابِ الْحَمَامِ ؛ وَلَمْ تَكُنْ تُرِيدُ ذَلِكَ ؛ فَكَانَتْ
تَبَكِي ؛ - مُنْذُ أَعْوَامٍ بَعِيْدَةٍ .

كَيْفَ تَرَكَنَا الزَّمْنَ يَنْزَلِقُ بَعِيْدًا ، مَحَاوِلِينَ بِبَلَاهَةٍ تَأْمِينَ مَكَانَةَ
فِي عُيُونِ الْآخِرِينَ . مَا مِنْ لَحْظَةٍ
وَاحِدَةٍ لَأَنْفُسِنَا ، فِي مِثْلِ تِلْكَ الأَوْقَاتِ الصَّيفِيَّةِ الْفَسِيْحَةِ ، لِيَنْزَرِ
ظِلَّ طَائِرٍ عَلَى حُقُولِ الْقَمْحِ - قَارِبًا صَغِيرًا بِمَجَادِيْفِ ثَلَاثَةَ
فِي بَحْرٍ ذَهَبِيٍّ تَمَامًا ؛ كَانَ يَمْقُدُورِنَا إِلَيْجَهَارٍ هُنَاكَ
مِنْ أَجْلِ مُكَافَآتِ مُجَزِّيَّةٍ ، وَمَزِيدٌ مِنَ الْغَرَوَاتِ الْمَجِيَّدَةِ . لَكِنَّنَا لَمْ تُبَحِّرْ .

مِنْ وَقْتٍ لَآخَرَ ، أَعْتَقِدُ أَنِّي رَجُلُ مَيِّتٍ أَرَى بِهُدُوءٍ
وُجُودِيِّ الْحَمِيمِ ؛ بِعَيْنَيِّهِ الْخَاوِيْتَيْنِ ، يَتَبَعَ
حَرَكَاتِي ، وَإِيمَاءَاتِي ؛ - تَمَامًا مِثْلَمَا فِي تِلْكَ الْلَّيْلَةِ الشَّتَائِيَّةِ
فِي الْأَسْفَلِ هُنَاكَ ، خَارِجَ الْجُدْرَانِ ، فِي ضَوْءِ قَمَرٍ بَارِدٍ فَوْقَ الْوَصْفِ
حِينَ بَدَا كُلُّ شَيْءٍ رُخَامِيًّا ، تَجْبُولًا مِنْ قَمَرٍ وَمَاءٍ كِلْسِيِّيًّا .

شَهَدْتُ كُلَّ شَيْءٍ حَوْلِيِّ بِانْفِصَالِ شَخْصٍ خَالِدٍ
بِالْكَادِ يَخْشَى الْمَوْتَ أَوْ يُقْلِقُ نَفْسَهُ بِخُلُودِهِ . حَقًّا ،
كَمَيِّتٍ وَسَيِّمٍ يَتَمَسَّى فِي الضَّوْءِ الْأَبْيَضِ لِلَّيْلِ وَيَنْظُرُ

إِلَى التُّقْوِيشِ الْجِبْسِيَّةِ عَلَى الْمَنَازِلِ . فِي تِلْكَ الْلَّحْظَةِ بِاللَّذَّاتِ ،
صَفَرَ سَهْمٌ بِجِوَارِ أُذْنِي ، وَانْغَرَسَ فِي الْجِدَارِ وَتَذَبَّبَ
كَوَافِرِ وَجِيدِ فِي آلَةِ مَجْهُولَةِ ، كَعَصَبٍ
فِي جَسَدِ الْفَرَاغِ ، يَرِيُّ بِيَهْجَةٍ غَيْرِ مُدْرَكَةِ .

كَذَلِكَ تَمَامًا ، أَحِيَانًا ، كَانَ يَسْتَوْقِفُنَا شَيْءٌ مَا ، هُنَاكَ - لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مَا
كَانَ يَجْرِي -

انْعَكَسُ مِنْ شُرُوقِ الشَّمْسِ عَلَى سَيْفِ ، صُورَةُ الْمُرَأَةِ الْمُصَغَّرَةِ
لِغَيْمَةِ سَاكِنَةِ عَلَى حُوَذَةِ ،
لِعَادَةِ بَاتِرُوكُلُوسِ لَمْسِ ظَرْفِ أُذْنِي
يُأْصِبَعِيهِ وَقَتَمَا يَكُونُ هَادِيًّا وَيُغْرِقُ نَفْسَهُ فِي حُلْمٍ يَقْلَةَ
شَبَقِيَّ ، وَجِيدًا . ذَاتَ يَوْمٍ ، أَخَذَ أَخِيلُ يَدِهِ ، نَظَرَ
إِلَى أَصَابِعِهِ كَعَرَافٍ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أُذْنِهِ . "الْخَرِيفُ قَادِمٌ" ، قَالَ ،
"سَيَكُونُ عَلَيْنَا تَحْسِينٌ قُوَّانًا" . وَذَلِكَ "الْتَّحْسِينُ"
كَانَتْ لَهُ عِلْقَةٌ غَرِيبَةٌ بِالْحَرْكَةِ الْوَسِيمَةِ لِبَاتِرُوكُلُوسِ .

آنَيْذَ خَرَجَ بَاتِرُوكُلُوسُ مِنَ الْحَيْمَةِ ، ذَهَبَ إِلَى جِصَانِي صَدِيقِهِ ،
"فَالِّيُو" وَ"رَانُتو" ، وَقَفَ بَيْنَهُمَا ، وَمَرَرَ كِلَّا ذِرَاعَيْهِ
حَوْلَ رَقَبَتِهِمَا الرَّهِيفَتَيْنِ ، وَهَكَدَا وَقَفَ ثُلَاثَتُهُمْ ،
سَاكِنَيْنَ تَمَامًا ، وَجَهَاهُ لِوَجْهِهِ ، يُشَاهِدُونَ الْفُرُوبَ . أَظَلَّ أَنِّي رَأَيْتُ
هَذِهِ الصُّورَةَ كَحَفِيرٍ بَارِزٍ عَلَى قَوْصَرَةِ مَا ، وَفَجَاءَهُ أَدْرَكَتْ

كَيْفَ يُمْكِنُ التَّضْجِيَّةُ بِشَخْصٍ مَا مِنْ أَجْلِ رِيحِ مُوَاتِيَّةٍ نَوْعًا مَا .

شَيْئًا فَشَيْئًا ، تَعَرَّى كُلُّ شَيْءٍ وَأَصْبَحَ هَادِيًّا ، شِبَّةٌ رُّجَاحِيٌّ ؛
الْجَدَرَانُ ، الْأَبْوَابُ ، شَعْرُكِ ، يَدَكِ -

شَفَاقِيَّةٌ رُّجَاحِيَّةٌ ، رَهِيفَةٌ - لَا تُعَكِّرُهَا وَلَا حَتَّى أَنفَاسُ الْمَوْتِ ؛ وَيُمْكِنُ

تَسْبِيْز

الْعَدَمُ الْلَا مَرْئِيٌّ وَرَاءَ الزُّجَاجِ - شَيْءٌ مَا كُلُّيٌّ ، فِي النَّهَايَا -
تِلْكَ الْوِحْدَةُ الْأَصْلِيَّةُ ، الْمَنِيْعَةُ ، كَعَدَمِ الْوُجُودِ .

قَبْلَ أَنْ أَضْعَفَ يَدِي عَلَى مِقْبَضِ الْبَابِ ، قَبْلَ أَنْ أَفْتَحَ الْبَابِ ،
قَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ الْقَاعَةَ ، رَأَيْتُ فِعْلًا الْفِرَاشَ وَالْمَقَاعِدَ
وَالْبَيْرَأَةَ الَّتِي تَعْكِسُ الْحَائِطَ الْمُقَابِلَ مَعَ لَوْحَةَ
إِحْدَى الْمَعَارِكِ الْبَهْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ . قَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ الْحَمَامَ
أَرَى أُورَاقَ الْأَيْسِ طَافِيَّةً عَلَى النَّاءِ وَالْوُجُوهِ الْمُنْتَفِخَةِ
لِلْبُخَارِ الْمُنْتَصَاعِدِ إِلَى السَّقْفِ ، الْمُحْتَشِدَةُ أَمَامَ ضَوءِ السَّمَاءِ .
عَلَى نَحِوِّ مَا ، يُمْكِنُنِي أَنْ أَرَى حَتَّى سَاعَةَ مَوْتِي .

فَلَتَغْفِرِي هَذِهِ الرُّؤْيَا ، ذَلِكَ الاعْتِرَافُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ -
إِنَّهَا طَرِيقَةٌ لِيُجْعِلَكِ كُلُّكَ تَرَيْنِي ، لِيُمْكِنَ لَنَا أَنْ تَسَاوِيَ فِي الْفُؤَادِ - كَنَا
نَحْنُ الْآنَ فِعْلًا -

كُلُّنَا عُرَّلُ ، بِمَعْنَى آخَرِ . وَمَعَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي أَسْأَلُ نَفْسِي مِنْ جَدِيدٍ

مَا الْذِي يُمْكِنُ لِي أَنْ أَجْنِيهِ، أَوْ أَتَفَادَاهُ، أَوْ أَخْفِيهِ
يَا عَتَّافِي هَذَا؟ - أَيُّ قِنَاعٍ جَدِيدٍ مُحْتَمِلٍ
مِنْ رُجَاجٍ لَا يَنْكِسُرُ عَلَى وَجْهِي الرُّجَاجِيِّ، الْهَشِّ -
قِنَاعٌ كَبِيرٌ، أَجْوَفُ، گَامِتَادِ لِمَلَامِحِي، لِتَعْبِيرِيِّ،
مُعْلَقٌ عَالِيَاً، أَمَامَ الْقُصُورِ، عَلَى إِفْرِيزِ الْبَوَابَاتِ،
شِعَارَ نَبَالِيِّ الشَّخْصِيِّ، بِلَا عِلْقَةٍ بِالسُّلَالَةِ الْحَاكِمَةِ. أَحِيَّنَا مَا أَعْتَقِدُ
أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَمْ يَحْدُثْ إِلَّا لِأَتَذَكَّرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ
أَوْ، بِالْأَحْرَى، رَبَّمَا لِيُمْكِنِنِي اكْتِشَافُ بُطْلَانِهِ الْأَبْدِيِّ.

وَقْتُ أَثِيرِ - أَحْتَفِي بِهِ. أَنْظُرُ إِلَى يَدِيِّ -
إِنَّهَا لَيْسَتْ لِلْسَّيْفِ أَوِ الْمُدَاعَبَةِ؛ - مَوْهُوبَةُ، فَخَسِبَ
- مَوْهُوبَةُ أَينِ؟ - لَا وَتَارِ مَا لَا مَرْئَةَ، كَيْدِ
الْمُنْشِدِ عَلَى الْقِيَمَارَةِ - وَإِذَا مَا أَمْسَكَتْ بِيَدِهِ
لِلْحَظَةِ فَخَسِبَ، فَسَتَتَوَقَّفُ الْمُوْسِيَقِيُّ، مُرْتَبِكَةُ، - وَالصَّوْتُ
يُصْفِي الْمُكْتَمِلِ لَا يَصْفَحُ عَنِ الْآخَرِ؛ كَخَاتَمِ
فِضَّيِّ مُعْلَقٌ يَنْجِيْطُ فِي الْهَوَاءِ، يَضْرِبُ كَيْفَكَ بِلَا تَفْسِيرِ.

يَسْقُطُ الْآخَرُونِ - شُبَانُ شُجَاعَانُ حَقًا (لَكِنْ مَنْ يَدْرِي
كَمْ مِنَ الْعَرَارَةِ، كَمْ مِنَ الْخَوْفِ حَتَّى أَحْسُوا بِهِ). لَا أَحِسْدُ مِيَتَاتِهِمْ.
وَإِذَا مَا امْتَدَحْتُ بُطْلَتِهِمْ، فَذَلِكَ لِأَخْفِيِ
عِرْفَانِيِّ السُّرِّيِّ بِأَنِّي عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ - لَسْتُ بَطَلًا أَبَدًا.

هَا أَنَّا هُنَا ، إِذَن ، وَلَمْ أَمْنَحِكِ حَتَّى تِلْكَ الْمُتَعَة - مَجْدَ الْقَابِ كَثِيرَة ،
كَمَا يُسَمُّونَهَا ،
الَّتِي رُبَّمَا حَوَّلَتْ ، لِلأَسْف !
عِقْدَنَا الصَّامِتُ الْخَالِصُ إِلَى صِيَاغَةِ عَاصِفَةٍ وَكَادِبَة ،
إِلَى آلَافِ حَالَاتِ الْقَتْلِ ، سَوَاءَ الْعَلَيْنِيَّةُ أَوِ الْمَخْفَيَّةُ ، آلَافِ الْأَخْطَاءِ
وَالْقُبُورِ .

يُمْكِنُنِي الْحَيَاةُ بِدُونِ هَذِهِ الْبُطُولِيَّةِ ؛ - ثَمَّةَ شَخْصٌ مَا آخَرُ ،
يُوْمَيُّ لِي الْآن ، بِصُورَةِ حَفِيَّةٍ ، بِلَا صَوْتٍ . ذَاتَ مَرَّةٍ ، فِي الغَسَقِ ،
رَأَيْتُ وَرَقَةَ الشَّجَرِ الْذَّهَبِيَّةِ الْأُخِيرَةِ عَلَى شَجَرَةِ سَوْدَاءِ تَمَامًا
وَكَانَتِ الْكَتِفُ الْعَارِيَّةُ لِعَدَاءٍ وَسِيمٍ ، هَادِيٌّ ،
رَفَعَ - مُنْحَنِيًا - عِبَثَنَا جَمِيعًا ، لِيُنْزَلَةٌ بِرِفْقِيِّ إِلَى الْأَرْضِ . فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ
جَعَلَ جُوعٌ جَدِيدٌ ، شَهِيَّةً أُخْرَى ، رِيقِيِّ يَجْرِي
وَمِنْ أَرْكَانِ فَمِي أَحْسَسْتُ
بِاللَّبَنِ الْمُهَدَّدِيِّ ، الْعَذْبِ لِلْعِرْفَانِ يَنْسَابُ . بِلَا إِرَادَةٍ
رَفَعْتُ يَدِي إِلَى الْبُقْعَةِ لِأَمْسَحَهُ ،
قَبْلَ أَنْ أَفْضَحَ نَفْسِي ، قَبْلَ أَنْ يُمْكِنَ لِرِجَالِيِّ أَنْ يَرَوَا ظُفُولِيِّ الثَّانِيَّةِ ،
رِضَايَتِي الْجَدِيدَةِ لِلْحَلْمَةِ الْأُولَى لِلْخَلْقِ .

أَنْيَدِي كَانَ لَهُمْ أَنْ يُدْرِكُوا كَمْ أَنَّنِي قَوِيٌّ ، كَمْ أَنَّنِي عَاجِزٌ -

شيءٌ مُثيرٌ في الحالتين . وذاتٌ أصيلٌ متأخرٌ كُنْتُ أَتَمَّى عَلَى امتدادِ
السَّاطِعِ ؛

بَحْرٌ ذَهَبِيٌّ هَادِئٌ ؛ وَرَدِيٌّ اللَّوْنُ ؛ وَمَضَ مِجَادِفُ مَا . عَلَى صَخْرَةٍ ضَخْمَةٍ
وَنَسَرُوا شِرَاعًا كَبِيرًا أَحْمَر . مِنَ الْمُخَيمِ ، فِي الْأَعْالَى ،
بَلَغَتِنِي أُغْنِيَّةُ حَزِينَةٍ ، مَعْزُولَةٌ ،
ذَافِنَةٌ وَمَشْحُونَةٌ بِالْعَاطِفَةِ كَفُوبٌ خَلَعَهُ فِي التَّوْ جَسْدٌ رَائِعٌ -
أُغْنِيَّةُ حَرْب . كُنْتُ مُمْسِكًا بِهَا فِي يَدِيٍّ وَأَنَا أَتَمَّى
فِي بُرُودَةِ الْمَسَاءِ ، قُرْبَ السُّفُنِ . وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ،
رَائِحَةُ تُشِيهُ الدُّرَّةَ الْمَشْوِيَّةَ وَالظَّحَالِبِ .
لَا بُدَّ أَنْ مَاءَ مَغْلِيَّا قَدْ سَقَطَ عَلَى قِطْعَةِ خَشِبٍ تَحْرِقُ . خَارِجَ الْخَيَامِ ،
نِيرَانٌ كَبِيرَةٌ أَشْعَلَتْ لِطَعَامِ الْمَسَاءِ .

بَدَا الْمَوْتُ بِالْعَيْنِ السُّهُولَةِ . تَذَكَّرَتْ فِيلِيمُونُ الْهَادِئُ ؛ فَذَاتَ لَيْلَةٍ ،
جِينَ كَانَ جَمِيعُ الْمَخْمُورِينَ يُرْثِرُونَ فِي الْحَيَّةِ وَيَهْذِرُونَ
عَنِ الْأَلْعَابِ ، وَالنِّسَاءِ ، وَالْأَحْصَنَةِ ، اسْتَثَارَ أَنْتِيلُوْخُوسَ
سَكِينَةَ فِيلِيمُونَ وَرَصَانَتَهُ بِخُبُثٍ . أَمَّا فِيلِيمُونَ فَقَالَ: "إِنِّي أَعِدُّ نَفْسِي" ؛
لَا أَكْثَرَ ؛

وَبَقَيَ هَكَذَا ، مَحْنِيًّا ، بِلَا شُرُبٍ ، وَمِرْفَقَاهُ عَلَى التَّائِدَةِ ،
مُمْسِكًا بِوَجْهِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَرَأَةُ أَصَابِعِهِ
وَمَضَتْ بَسْمَةُ غَرِيبَةٍ ، "إِنِّي أَعِدُّ نَفْسِي" . عِنْدَ الشُّرُوقِ ،
غَادَرَ أَنْتِيلُوْخُوسَ الْحَيَّةَ ، اسْتَدَارَ نَاحِيَةَ الشَّرْقِ ، وَتَلَّا صَلَاتَهُ

إِلَى الشَّمْسِ بِرَوْعَةٍ مُمْثَلٍ وَعُقُوقِيَ فَتَيْ.

لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ كَانَ لِي أَنْ أَتَذَكَّرَ كُلِّمَاتِهِ الْأُخْيَرَةِ . "أَيْتُهَا الشَّمْسُ" ،
قَالَ ،

"أَنْتِ الَّتِي تَفْتَحِينَ يَأْصِبَعُكَ فَجْوَةً ذَهَبِيَّةً فِي الْجَدَارِ الْأَسْوَدِ
وَمِنْهَا يَنْتَلِقُ طَائِرَانِ ، أَحَدُهُمَا أَحْمَرُ ، وَالْآخَرُ أَزْرَقُ -
الْأَحْمَرُ يَمْحُطُ عَلَى رُكْبَتِيْ ، وَالْأَزْرَقُ عَلَى كَتْفِيْ - " . وَفِي الْحَقِيقَةِ -
فِي تِلْكَ الْلَّحْظَةِ ، انْطَلَقَ نَحْوَهُ طَائِرَانِ كَبِيرَانِ -
كَانَا عَرَابِيْنِ . وَلَمْ يَعُدْ هُوَ وَلَا فِيلِيْمُونِ .
وَعَلَى جَرَّةِ بَيْضَاءِ نَقَشَنَا طَائِرَيْنِ جَمِيلَيْنِ - الْأَحْمَرُ وَالْأَزْرَقُ .

آه لَا بُدَّ أَنْ حَيَاتِنَا مَعًا سَتَكُونُ صَعْبَةً بِالْتَّأْكِيدِ . فِي الصَّبَاحِ
سَأُغُودُ إِلَى (وَضِيعِي - أَرْضِي - مُقَاطِعِي) . لَا تَهْتَمِي بِذَلِكِ . أَعْرِفُ :
رِبَّمَا ذَاتَ يَوْمَ سَيَغْفِرُونَ لَنَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَمَعَ ذَلِكِ
فَلَوْ عَرِفُوا أَنَّكَ تَرَيْنَهُمْ وَأَنَّكَ تَرَيْنَ نَفْسَكَ ،
فَلَا أَحَدٌ - لَا عَدُوٌّ وَلَا حَتَّى صَدِيقٌ - يُمْكِنُ أَنْ يَغْفِرَ ذَلِكَ .
وَلَا يُمْكِنُ لَكِ أَنْ تُخْفِي نَفْسَكِ ، أَيْضًا : فَيَقِي مُنْتَصِفَ جَيْبِنِكَ تَكُونُ
تِلْكَ الْعَيْنُ الْقَالِقَةُ
الَّتِي ، أَيْاً مَا كَانَ مَدَى خَفَائِهَا أَوْ إِغْمَاضِهَا ، تَسْمِيكِ بِالْقِ
الْوِحْدَةِ وَالْفَرَادَةِ - الغَطَرَسَةُ الْفُصُوَى وَالْوَضَاعَةُ .

الأعوام تمضي . نحن راحلون . نشيخ ؛- لا أنت . تعرفين ، عندما سقطت
المدينة ،

جلست هيلين لساعات بلا انقطاع أمام المرأة الكبيرة
التي دفعتهم للإتيان بها خصيصا لها إلى السفينة ؛- مرأة غريبة :
كويبيدان خيبان ذهيبان ، منقوشان على جانبي الإطار ،
عارين ، بلا جعبتين ، بلا سهام ، ينظران بشك
إلى أي شخص ينظر في المرأة . حسنا إذن ،

فهيلاين تزيّن وجهها الآن وفقا للنموذج المحفوظ في الذاكرة - بل ربما
بصورة أجمل
بالذاكرة ، والمعرفة والرغبة (والعناد أيضا)
بالصبغة الظاهرة - كيماء كاملة - بالأحمر ، والوردي ، والبنفسجي ،
والفضي ،
بالأسود الذاكرين حول عينيها الرماديتين ،
بمحمة التوت الذاكنة على شفتيها الناعمتين ، الشهوانيتين .

إنها تجعل فمها ، بالصبغة ، أكبر الآن ؛ كأنها على وشك الصياح
بـ "لا" غير مفهومة من الشرفة ، أو تقيل إليه ما . لكن لا يهم من
يكون ، فوجهها
لم يعد الوجه الذي خرجنا من أجله ، الوجه الذي قاتلنا من أجله ،
ونحن نبدُّ البحر والسهل بالخطام ، بالعجلات والجهاجم .

إِنَّهُ وَجْهٌ أَخْرٌ فِعْلًا - رُبَّمَا يَنْتَجِي إِلَيْهَا أَكْثَرُ - أَخْرُ، عَلَى أَيَّهُ حَالٌ .
إِنَّهَا، تَحْتَ الْلَّمْسَاتِ الرَّهِيفَةِ لِبَرَاعَتِهَا الْأَنْثُوَيَّةُ،
كَانَهَا تُخْفِي أَوْ تَنَاهَّبُ بِمَرَارَةِ الْمَوْتِ . وَهِيَ تَعْرِفُ ذَلِكَ .

ذَاتَ يَوْمٍ، فِي وَلِيمَةِ الْأَنْتِصَارِ، عِنْدَ الشَّاطِئِ فِي الْأَسْفَلِ،
بَعْدَ أَنْ دَفَنَا الْقَتْلَى، وَمِنْ طَرِفِ إِلَى آخَرِ كَانَتِ الْمَدِينَةُ
لَا تَرَأَلْ تَنْفُثُ الدُّخَانَ فِي غَسْقِي خَرِيفِي هَادِئٍ،
صَاحَتْ هِيلِينْ، وَهِيَ تُمْسِكُ بِالْكَأْسِ إِلَى شَفَتِيهَا :
"فَلَتَسْمَعُوا صَوْتَ قَلَائِدِي؛ فَأَنَا مَيْتَةٌ" -
وَمِنْ أَسْنَانِهَا سَقَطَ ضَوءٌ أَبْيَضُ صَافِ، وَفَجَاءَ
أَصْبَعَ كُلُّ شَيْءٍ رُخَامًا وَعِظَامًا . تَسْمَرَتِ الْأَيْدِي وَالْأَصْوَاتُ فِي الْهَوَاءِ .

كُلُّ شَيْءٍ أَبْيَضُ، أَبْيَضُ صَافِ - حَتَّى الصَّوَارِي وَالْبَحْرُ؛
هَوَى نَوْرُسُ بِلَا صَوْتٍ، كَانَهُ ضُرِبَ بِسَهْمٍ لَا مَرْئَى،
فِي مُنْتَصِفِ الْمَايِدَةِ، قُرْبَ قَوَارِيرِ الْخَمْرِ .
أَخْذَتْهُ هِيلِينْ فِي يَدِيهَا، نَظَرَتْ إِلَيْهِ دُونَ أَنْ تَنْطِقَ بِكَلِمَةٍ،
بَلَّكَتْ إِصْبَعَهَا الْأَصْغَرِ بِدَمِهِ وَرَسَّمَتْ
دَائِرَةً مُكْتَمِلَةً عَلَى مَفَرِشِ الْمَايِدَةِ - رُبَّمَا كَانَ صِفْرًا، رُبَّمَا أَيَّ شَيْءٍ . فِيمَا
بَعْدَ،

وَهِيَ تَنْتَزِعُ بِمَحْرَكَةٍ فَاتِنَةً لَا تُصَدِّقُ خُصْلَةَ رِيشِ
مِنْ صَدْرِ الطَّائِرِ وَتَضَخَّكُ، نَتَرَّتْهَا فِي شَعْرِنَا . نَسِينَا .

لَمْ يَبْقَ سَوْيَ مَذَاقِ الْبَيَاضِ وَتِلْكَ الدَّائِرَةُ الْغَامِضَةُ .

أَنْتَاءَ عَوْدَتِنَا ، فِي بَحْرِ إِيمَجِه ، لَيْلَةَ عَاصِفَةَ بَحْرِيَّةَ هَائِلَةَ ،
انْكَسَرَتِ الدَّفَّةُ . آنَذَكَ تَمَامًا أَصْبَحَتُ وَاعِيًّا بَحْرِيَّةَ مُرْعِبَةَ
وَسَطَ هَذِهِ الْحَالَةِ بِلَا اِنْجَاهٍ . كُنْتُ أَبْحَثُ
فِي الظَّلَامِ بِرُؤْيَةٍ ثَاقِبَةٍ بِصُورَةٍ لَا تُصَدِّقُ . اكْتَشَفْتُ طَوقَ النَّجَاهِ مَرْمِيًّا فِي
الْأَمْوَاجِ .

بَلْ كَانَ يِسْقَدُورِي تَمِيزَ كُلَّمَةً "لَاخِيَسِيسَ" ^[٣] فِي الضَّوءِ الْكَابِيِّ لِلْمَشَاعِلِ .

وَطَوقُ النَّجَاهِ هَذَا ، وَذَلِكَ الْإِسْمُ ، وَحَقِيقَةُ أَنِّي رَأَيْتُهُمْ
مَنْحُونِي فُؤَّةَ وَسَكِينَةَ غَرِيبَتَيْنِ ؛ وَقُلْتُ لِتَفْسِيِّي :
"لَوْلَمْ يَتِمْ إِنْقَادُ سَوْيَ طَوقِ النَّجَاهِ هَذَا ، فَلَنْ يَكُونَ شَيْءٌ قَدْ ضَاعَ" .

فِي الْيَوْمِ الثَّالِي ، أَصْبَحَ بَحْرُ إِيمَجِه هَادِيًّا . رَأَيْتُ طَوقَ النَّجَاهِ يَطْفُو
وَسَطَ الْوَاجِهِ الْخَشِبِ الْمَكْسُورَةِ وَالْمَرْمِيَّةِ . التَّقْطُطُهُ .
وَلَا يَرَأُ بَحْرَهُ فِي حَقِيقَتِي ، كَطَوقِ النَّجَاهِ سَرِّي . إِنْ أَرَدْتُ ،
يُمْكِنُكَ أَنْ تُعْلَقِيَه كَعِذَارٍ فِي غُرْفَةِ مَا
أَوْ أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْهُ - فَلَمْ أَعُدْ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ - إِنَّهُ يَقُولُ "لَاخِيَسِيسَ" .

^[٣] لَاخِيَسِيسَ: إِحْدَى رِبَاتِ الْأَقْدَارِ الْثَلَاثِ فِي الْأَسَاطِيرِ الْإِغْرِيَقِيَّةِ: كُلُوثُ، لَاخِيَسِيسَ، أَنْتُرُوبُوسَ.

مُثُلُ الأَشْيَاءِ لَا تُصَدِّقُ ، خَادِعَةٌ ؛ ذَلِكَ الْحِصَانُ الْخَشِيُّ ، الْعَنِيدُ
أَمَامَ الْحَوَائِطِ ؛ يَعْيُونَهُ تِلْكَ الرُّجَاجِيَّةُ الصَّخْمَةُ الَّتِي تَعْكِسُ الْبَحْرَ -
حِصَانٌ مِنْ خَشْبٍ ، يَعْيَنِينَ زَرْقَاوِينَ إِلَى الْحَيَاةِ . وَكَانَ لَكَ أَنْ تَظْنَى
أَنَّ الْبَحْرَ نَفْسَهُ كَانَ يُشَاهِدُ نَفْسَهُ بَعْيَنِي الْحِصَانِ ،
كَانَ يُشَاهِدُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ حَتَّى دَوَالِلَ الْحِصَانِ ، فَاجْمَعَةُ السَّوَادِ ، الْجَوَافِ ،
إِلَى الْمُقَاتِلِينَ ، الْمُدَجَّجِينَ إِلَى السَّلَاجِ ، الْمَحْبُوسِينَ إِلَى الدَّاخِلِ . عَلَى أَيَّةِ حَالٍ ،
فَقَدْ احْتَفَظْتُ

بِتِلْكَ الصُّورَةِ الْزَّرَقَاءِ لِلْبَحْرِ ، الْأَنْهَائِيِّ ،
الرَّجِيمِ ، الْمُنْهَكِ . بِلَا شُبَهَةٍ اسْتِيَاءِ مِنَ الْقَدْرِ :
لَيْسَ سَوَى الْإِحْسَاسِينَ يَقَاتُونَ غَيْرِ رَادِعٍ تَحْمَى
الْأَخْطَاءَ وَالذُّنُوبَ لِكُلِّ مِنَا وَاحِدًا وَاحِدًا وَمَسْؤُلَيَّتَنَا جَمِيعًا .
أَحْيَانًا مَا يُؤَدِّي بِكِ التَّعَبُ إِلَى الْحَدِيثِ بِمَا هُوَ خَالِدٌ - أَلِيَسْ كَذَلِكَ؟

فِي حَفْلٍ شَرَابٍ ، هُنَاكَ فِي الْأَسْفَلِ ، خِلَالَ هُدْنَةٍ لِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ،
حِينَ كَانَ كُلُّ الْمَخْمُورِينَ (لَا مِنَ الْخَمْرِ يَقْدِرُ مَا هُوَ مِنَ الْمَوْتِ)
يُطِيْحُونَ بِكُؤُوسِهِمْ إِلَى الصُّخُورِ ، بَدَالِي كَأَنِّي أَرَى الْكُؤُوسَ الْمُهَشَّمَةَ
تَتَوَهَّجُ ، جَمِيعًا مَرَّةً أُخْرَى ، بِلَا أَيَّ خَدِيشٍ ، فِي صَفَّ مُسْتَقِيمٍ إِلَى حَوَافِ
الْأَفْقَ

وَامْضَأَهُ فِي لَهِيْبِ الْمَسَايِلِ ؛ وَفِي النَّهَايَةِ الْقُصُورِيِّ
تَوَهَّجَ الْهِلَالُ - كَوْبِ فِضَّيِّ ، يَنْفُثُ الْبُخَارُ فِي سَلَامٍ
مُتَرَعِّعًا بِلَبَنِ فَاتِرٍ .

وَأَنْثَيْ رَمَيْ إِيُونْ ، دُوْ العِشْرِينَ عَامًا ،
رِدَاءَهُ ، عَارِيَا تَمَامًا كَلَّهُ ، وَقَفَزَ عَلَى الْمَائِدَةِ ،
رَكَّلَ الْأَطْبَاقَ وَالْقَوَارِيرَ ، وَصَبَ جَرَّةَ حَمِيرٍ عَلَى شَعْرِهِ الْمُجَعَّدِ ،
مُبَلَّلًا نَفْسَهُ مِنَ الرَّأْسِ إِلَى الْقَدْمَ ، وَكَانَ يَقْطُرُ ، كَانَ يَتَوَهَّجُ . "مَا يَسْتَعِصِي
عَلَى التَّحْطِيمِ مَوْجُودٌ ،
مَا يَسْتَعِصِي عَلَى التَّحْطِيمِ مَوْجُودٌ" ، صَاحَ . رَمَيْ بِكَاسِهِ إِلَى الْأَرْضِ - فَلَمْ
تَنْكِسْرٌ ؛

أَعَادُوهَا إِلَيْهِ ؛ صَوْبَ إِلَى هِلْبٍ ؛ رَمَاهَا مِنْ جَدِيدٍ ؛
مَرَّةً رَابِعَةً ، خَامِسَةً ، عَاشِرَةً ، لَمْ تَنْكِسْرٌ ؛ (رُبَّمَا صُنِعَتْ مِنْ
مَادَّةٍ أُخْرَى - زَانِقَةً - مَنْ يَدْرِي ؟ أَوْ رُبَّمَا مَرَّةً أُخْرَى
أَقْحَمَنَا سُكْرُنَا فِي مَا لَا يُمْكِنُ تَحْقِيقُهُ) . وَفِي الْيَوْمِ الْثَالِي
فُتِلَّ إِيُونَ فِي مَعْرَكَةٍ . بَحَثَتْ عَنْ كَاسِهِ فِي الْحَيْمَةِ ، فِي مَخْلَاتِهِ ؛
بَحَثَتْ فِي كُلِّ مَكَانٍ . لَمْ أَجِدْهَا . لَكِنِي أَتَذَكَّرُ كُلِّمَاتِهِ .

لَا أَظُنُّ أَنِّي تُصْغِيْنِ ؛ - تَبَدِّيْنِ كَأَنِّي مُتَعَجِّلَةِ . لَكِنَّنَا ، بِالظَّبْعِ ، جَمِيعًا عَلَى
عَجَلٍ

لَا يَتَوَقَّفُ شَخْصٌ مَا آخَرَ ، لِيُمْكِنَنَا أَنْ نَتَكَلَّمْ . وَكُلُّ مِنَّا
لَا يَسْمَعُ سَوْيَ كُلِّمَاتِهِ . فَمَا جَدُوْيِ الْكُلِّمَاتِ ؟ وَحَدَّهَا الْمَائِرُ
هِيَ الَّتِي تُرَصَّدُ وَتَرَصُّدُهَا الْآخَرُونَ - فِيمَا أَنْتِ دَائِمًا مُجَهَّدَةً .

هَلْ تَلْطِئِنِ

أَنَّ الْمَاءَ الَّذِي أَحْضَرْتِهِ لِي أَصْبَحَ بَارِدًا ؟ لَيْسَ عَلَيْكِ أَنْ تَأْتِي مَعِي :

فَيُمْكِنُنِي أَنْ أَرْحَلَ وَحْدِي - لَقَدْ اعْتَدْتُ عَلَى ذَلِكَ هُنَاكَ؛ وَرَبِّمَا كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ.

وَأَيْضًا، عَلَيَّ أَنْ أَقُولُ، أَظُنُّ أَنِّي يَنْبَغِي لِي أَنْ أُحِسَّ بِالْحِزْبِ فِي وُجُودِكَ.

أَعْوَامٌ كَثِيرَةٌ مَرَّتْ - خَارِجُ الْبَصَرِ، خَارِجُ الْعَقْلِ. وَالْجَسَدُ (لَا الرُّوحُ وَحْدَهَا) يَبْدُو أَنَّهُ فَقَدْ ذَلِكَ الْإِحْسَاسَ الْقَدِيمَ بِالْيَقِينِ: التَّلَاحُمُ بِقُوَّةٍ وَالْأَنْتِصَابُ فِي بَهْجَتِهِ الْخَمِيْمَةِ بِأَنْ يُوجَدُ وَأَنْ يُرَى. الْآنُ (بِلَا ثِقَةٍ وَعَجُوزًا) لَا يَرَى بِعُيُونٍ مُخْتَلِفَةٍ إِلَّا الْجَمَالُ التَّوَاثِيقُ الْأَبْدِيُّ لِلْعَالَمِ، الَّذِي لَمْ يَعُدْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ. لَا أَحَدٌ يَغْفِرُ هَذِهِ الرُّؤْيَا. وَهُوَ بِالْفِعْلِ مُتَّحَرٌ، عَمِيقٌ وَمُكْتَفِي بِذَاتِهِ وَلَا نَهَائِي، وَأَظُنُّ أَنَّهُ يَعْوَقُنَا نَحْنُ وَالآخَرِينَ عَلَى حَدَّ سَوَاءٍ - عَبَثٌ.

هَذِهِ الرُّعْدَةُ - غَيْرُ الزُّجَاجِيَّةِ الْآنِ،

أَسْفَلَ عَمُودِيَ الْفِقْرِيِّ هُنَا - هِيَ مُخْتَلِفَةٌ. فَمُنْذُ بُرْهَةٍ فَحَسْبٍ، كَانَ كُلُّ شَيْءٍ زُجَاجِيًّا - الْوُجُوهُ، الْأَجْسَادُ، الْأَشْيَاءُ، الْمَشَاهِدُ الْطَّبِيعِيَّةُ، أَنْتِ، أَنَا، أَطْفَالُنَا -

زُجَاجِيًّا، عَارِيًّا، مُلْتَبِعًا - مِنْ زُجَاجٍ قَوِيٍّ، صَافٍ. لَقَدْ شَهِدْتُ دَوَالِهِمْ بِإِهْتِيَامٍ،

بِبَهْجَةٍ، تَقْرِيبًا - كَحَرَّكَةٌ سَمَكَةٌ جَمِيلَةٌ، صَغِيرَةٌ، غَرِيبَةٌ فِي حَوْضِ مَاءٍ أَوْ حَقَّ سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ، قَبِيْحَةٌ، كَثِيرَةٌ وَمُتَعَطَّشَةٌ لِلَّدَمَاءِ - غَرِيبَةٌ دَائِمًا.

وَأَنْتِيْدِ ، فَجَاهَ ،
 وَكَانَ الرُّجَاحَ قَدْ لَانَ - لَا يَحْتِفِظُ بِشَكِّهِ ، يَقْنُدُ شَفَافِيَّتَهِ ،
 كَانَهُ لَمْ يَتَوَفَّرْ أَبَدًا عَلَى شَكِّ وَشَفَافِيَّةِ - يَهُوِي فِي گُومَةِ ،
 مَعَ مَا گَانَ يَحْتَوِيهِ - كُتْلَةٌ مُخْتَلِطَةٌ ، كَكِيَّسٌ قَدِيرٌ
 لَمَّمَ فِيهِ النَّاسُ بِلَا أَكْتَرَاتٍ مَلَائِسٌ دَاخِلِيَّةٌ لِغَسِيلَاهَا ذَاتَ يَوْمٍ
 وَلَا يَغْسِلُونَهَا - يَضْجَرُونَ ؛ يَنْسُونَهَا هُنَاكَ (يُرِيدُونَ نِسِيَانَهَا) ، مَرْمِيَّةٌ
 عَلَى الْأَرْضِ ، جَنْبَ الْبَابِ ؛ - يَتَعَرَّفُونَ بِهَا ، يَرْكُلُونَهَا وَهُمْ يُغَادِرُونَ
 وَمِنْ جَدِيدٍ وَهُمْ يَدْخُلُونَ الْمَنْزِلِ . لَقَدْ نَسَوْهَا فِعْلًا ،
 وَمَاذَا سَيَفْعَلُونَ لِيَتَذَكَّرُوا ؟ - لَقَدْ بَلَيْتَ الْمَلَائِسُ بِالْفِعْلِ ، مَسْجُونَةٌ
 فِي رَأْيِهِنَّا الَّتِي تَفُوحُ بِعَرَقٍ قَدِيمٍ ، وَبُولٍ وَدَمٍ . إِلَى الْحَمَامِ ،
 فَالْمَاءُ سَيُصْبِحُ بَارِدًا ، لَأَبْدَأَ أَنَّهُ أَصْبَحَ بَارِدًا . أَنَا ذَاهِبٌ . فَابْقِيْ ؛ - لَا
 ضَرُورَةٌ . أَتُصِرِّرُ ؟ - هَيَا .

(ينهض الرجل. يتقدّم - نحو الحمام بالطبع. بلا كلام، تتبعه المرأة.
 يخرجان. القاعة، الخاوية الآن، تبدو أكثر اتساعاً. الإفطار يظل على
 المائدة. الأكواب أصبحت على نحو ما كامدة. الخوذة دائماً هناك أمام
 المرأة. صمت ثقيل يمل بداخل المنزل وخارجها. نملة تقوم بجولة
 مرة أخرى على مفرش المائدة الأبيض. في أعقاب النملة، يمكنك
 ملاحظة دائرة مطرزة في منتصف المائدة - إكليل زهور حمراء.
 فجأة، يسمع صوت المرأة الأجنبية من الخارج، عند السُّلُمِ الرَّخاميِّ،
 في يونانية واضحة: "يا مواطني أرجوس، يا مواطني أرجوس، السكة

الذهبية الكبيرة في الشبكة السوداء، والسيف ارتفع. يا مواطني أرجوس، السييف ارتفع، بلسان مزدوج، يا مواطني أرجوس، يا مواطني-: طبول عالية، أبواق، ضوضاء، تغرق صوتها. رجل، وسيم، عاري الرأس، في لباس المعركة، بسيف كبير، ملطخ بالدم في يده، يدخل القاعة الخاوية. في يده اليسرى، يأخذ الخوذة من الخزانة. يضعها في الخلف. في وجهه نبات ذئب الحليل. كقناع. يرحل. صوت المرأة الهاذية: "يا مواطني أرجوس، لقد فات الأوان الآن، فات الأوان، يا مواطني أرجوس-". توقف. الطبول تعلو أكثر. تدخل المرأة الأولى إلى القاعة. شاحبة، طويلة، بالغة الفتنة. تصعد على كرسي. تعلق طوق نجاة في مسمار بالحائط. مكتوب عليه "لأخيسيس". ثم تقترب من المرأة، وتضبط شعرها).

أثنينا، سيكيون، هيرابون، ساموس

ديسمبر 1966-أكتوبر 1970



تکرارات

(1969 – 1968)

1 - قبور الأسلاف

عَلَيْنَا أَنْ تَحْرُسَ مَوْتَانَا وَقُوَّتَهُمْ ، خَشْيَةً
أَنْ يَتِيشَهَا أَعْدَاؤُنَا وَيَأْخُذُوهَا بَعِيدًا . وَآتَيْنَا ،
دُونْ حِمَائِيْهِمْ ، سَنَقْعُ فِي مُخَاطِرَةٍ مُزَدَّوَّجَةٍ . فَكَيْفَ سَنَعِيشُ بَعْدَ ذَلِكَ
دُونْ بُيُوتَنَا ، وَأَثَانِنَا ، وَحُقُولَنَا ، وَخَاصَّةً دُونْ
قُبُورِ أَسْلَافِنَا ، الْمَقَاتِلِينَ وَالْحَكَمَاءِ ؟ فَلَنَتَذَكَّرْ
كَيْفَ سَرَقَ السَّبَرَطِيُّونَ عِظَامَ "أُورِيسْت" مِنْ "تِيجِيَا" . وَلَا بُدَّ أَنْ أَعْدَاءَنَا
لَا يَعْرِفُونَ أَبَدًا أَيْنَ دَفَنَاهُمْ . لَكِنْ
كَيْفَ سَنَعْرِفُ أَصْلًا مَنْ هُمْ أَعْدَاءُنَا
أَوْ مَتَى وَمِنْ أَيْنَ سَيَظْهَرُونَ ؟ لَا ، لِهَذَا ، فَلَا نُصْبِ تِذْكَارِيَّةٌ شَاهِقَةٌ ،
لَا زِينَةٌ اسْتِعْرَاضِيَّةٌ - فَمِثْلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تَسْتَشِيرُ الْأَنْتِيَاهُ وَالْبَغْضَاءِ . وَلَا
حَاجَةٌ لِمَوْتَانَا
يُمِثِّلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ - زَاهِدِينَ ، مُتَوَاضِعِينَ ، وَالآنَ صَامِدِينَ ،
هُمُ الآنَ لَامْبَالُونَ بِالْخَمْرِ ، وَقَرَابِينَ الثُّدُورِ ، وَالثَّكَرِيمَاتِ الْفَارِغَةِ .
فَأَفْضَلُ مِنْهَا
حَجَرٌ عَارٌ ، وَإِصْبَصُ حِيرَانِيُّومْ ، شَارَهُ سِرَّيَّةٌ ،

أَوْ حَتَّى لَا شَيْء . وَمِنْ قَبِيلِ التَّأْكِيد ، يُسْكِنُنَا أَنْ تَحْبِلُهُمْ بِدَخْلِنَا ، إِنْ
اسْتَطَعْنَا ،

وَذَلِكَ أَفْضَلُ حَتَّى لَوْ كُنَّا لَا نَعْرِفُ أَيْنَ يَرْقُدُونَ .

تِلْكَ طَرِيقَةُ الْأَشْيَاءِ فِي زَمَانِنَا - مَنْ يَدْرِي -
فَقَدْ تَنِيَّشُهُمْ نَحْنُ أَنفُسُنَا ، ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ تُطْبِعُ نَحْنُ أَنفُسُنَا بِهِمْ .

20 مارس 1968

2 – بَعْدَ الْهُزِيمَةِ

فِيمَا بَعْدُ ، بَعْدَ التَّدْمِيرِ الْكَامِلِ لِلْأَثِينِيِّينَ فِي "أَيْجُوسُوْتَاي" ^[1] ، وَبَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ ،

بَعْدَ هَزِيمَتِنَا النَّهَائِيَّةِ ، آتَيْنِيْتُ تَوْقِفَتْ مُنَاقَشَاتِنَا الْحَرَّةَ ، ثُمَّ تَوْقَفَ أَيْضًا
الْمَجْدُ الْبَرِيكَلِيَّ ^[2] ،

وَازِدَهَارُ الْفُنُونِ ، وَقَاعَاتُ الرِّيَاضَةِ ، وَمُنْتَدَيَّاتُ حُكْمَائِنَا . وَالآنْ ،
ثَمَّةَ صَمَتُ وَجَهَامَةُ وَبِلَانِيْنِ فِي "الْمَلْتَقَى" ، وَفُجُورُ "الْطَّغَاءِ الْثَّلَاثِينَ" ^[3] .
وَكُلُّ شَيْءٍ (وَخَاصَّةً الْأَكْثَرَ حَمِيمِيَّةً لَنَا) يَحْدُثُ غَيْرَيَاً ،
يُدُونِيْنَ أَيَّةً إِمْكَانِيَّةً لِأَيِّ مَلَادٍ ، أَوْ حِمَايَةً ، أَوْ دِفاعً ،
نَاهِيْكُمْ عَنْ أَيِّ احْتِجاجٍ شَكِيٍّ . صُحْفُنَا وَكُتُبُنَا تُحرَقُ ،

^[1] هي المعركة البحرية التي وقعت عام 405 ق.م، وكانت آخر معركة رئيسية في حرب البيلوبونيز، وفيها دمر الأسطول السبرطي الأسطول الأثيني.

^[2] نسبة إلى بريكليس (495-429 ق.م)، رجل دولة بارز ونافذ، وخطيب وقائد عسكري لأنينا خلال عصرها الذهبي.

^[3] الطغاة الثلاثون (404-403 ق.م): هم الأقلية الحاكمة لأنينا، المفروضة من قبل سبرطة بعد انتصارها في حرب البيلوبونيز.

وَشَرَفُ أَرْضِ أَجَدَادِنَا فِي سَلَةِ الْمَهَمَّلَاتِ . وَلَوْ أَنَّهُ سُمِّحَ لَنَا فِي أَيِّ وَقْتٍ
بِالِّإِتِيَانِ بِصَدِيقٍ قَدِيمٍ لِيَمْثُلَ كَشَاهِدَ ، فَلَنْ يَقْبَلَ ،
خَوْفًا مِنْ مُعَانَةِ نَفْسِ مَصِيرِنَا - وَسَيَكُونُ حُكْمًا تَامًا . لِهَذَا السَّبَبِ ،
فَمِنْ الْأَفْضَلِ أَنْ تَكُونَ هُنَا - فَلَعِلَّنَا تَكْتَسِبُ تَوَاصُلًا جَدِيدًا مَعَ
الطَّبِيعَةِ ،
وَنَحْنُ نَتَطَلَّعُ مِنْ وَرَاءِ الْأَسْلَاكِ الشَّائِكَةِ إِلَى جُزْءٍ صَغِيرٍ مِنَ الْبَحْرِ ،
وَبَعْضِ الصُّخُورِ ، وَالثَّبَاتَاتِ ،
أَوْ غَيْمَةِ مَا فِي الْغُرُوبِ ، كَثِيفَةٌ ، بَنَفَسَجِيَّةٌ ، عَابِرَةٌ . وَرَبِّمَا
يَأْتِي "كِيمُون" جَدِيدٌ ذَاتَ يَوْمٍ ، يَقُودُهُ فِي السَّرِّ
النَّسْرُ نَفْسُهُ ، لِيَحْفَرَ وَيَعْتَرَ عَلَى الرَّأْسِ الْحَدِيدِيَّةِ لِحَرِبَتِنَا ،
صَدِيقَةٌ ، نَحِيلَةٌ بَالِيَّةٌ ، لِيَحِمِّلُهَا بِصُورَةِ احْتِفَالَةٍ
فِي مَوْكِبٍ ، جِنَانِيَّةٌ أَوْ ظَافِرٌ ، مَعَ الْمُوسِيقِيِّ وَأَكَالِيلِ الْفَارِ إِلَى أَثِينَا .

1968 مارس 21

3 – آلسِيمِين^[1]

هي ، التي رَقَدَتْ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى مَعَ إِلَهِ دُونْ أَنْ تَعْرِفَهُ ،
- بِرَاحْتِهِ الدُّنْيَا الكَبِيْرَةِ وَصَدِرِهِ الْعَرِيْضِ كَثِيفِ الشِّعْرِ ،
كَزَوْجِهَا تَقْرِيْبًا ، لَكِنْ كَمْ هُو مُخْتَلِفُ أَيْضًا ، كَانَهَا
خَمَنَتْ شَيْئًا مَا ، أَحْسَتْ بِشَيْئٍ مَا - حَسَنًا ، كَيْفَ يُمْكِنُهَا الْآنَ أَنْ تَرْقُدْ
مَعَ شَخْصٍ فَانِ؟ وَلَمَّا دَعَاهَا أَنْ تَهْتَمْ بِهَا يَا أَمْفَتِرِيُونْ ، بَلْ
وَيْمَاهَا بَيْنَهَا الْأَثْنَيْ عَشَرَةَ وَخَلُوْدَهُ ، إِلَى جَائِبِ مَا يَنْتَصِّبُهَا؟
فَهِيَ لَا تَنْذَرْ كَسَوَ لَيْلَةَ وَاحِدَةَ ، لَا تَنْتَظِرُ سَوَى لَيْلَةَ وَاحِدَةَ ، فِي وَقْتٍ
مُتَأَخِّرٍ ، فِي السَّاعَةِ

الَّتِي يَنْتَزِلُ فِيهَا ، فِي الْخَدِيقَةِ بِالْخَارِجِ ، الدُّبُّ ، وَبِجَوَارِ أُورِيُونْ^[2]
يَكْشِفُ عَنْ ظَهِيرِهِ الْفِضْيِ (أَيْهَا إِلَهُ الْعَزِيزُ ، كَمْ هِيَ عَطِيرَةُ الْوُرُودِ) -
وَهِيَ ، جَاهِزَةٌ تَمَامًا ، حِينَ كَانَ زَوْجُهَا فِي رِحْلَةِ الصَّيْدِ ، دَائِمًا جَاهِزَةً ،
مَتَحَمِّةً ،

^[1] آلسِيمِين Alcméne: زوجة أمفتريون، لكنها مشهورة بأنها أم هرقل، ابن زيوس؛ حيث زارها زيوس - في هيئة أمفتريون - وضاجعها..

^[2] أُورِيُون Orion: صياد عملاق وضعه زيوس ضمن النجوم، في كوكبة أوريون.

عَارِيَةُ ، تَضَعُ أَقْرَاطُهَا مِنْ جَدِيدٍ ، وَأَسَاوِرُهَا ، وَتَتَوَانَى أَمَامَ الْمَرْأَةِ ،
مُمْشَطَةٌ شَعْرَهَا الطَّوِيلُ ، الْكَثِيفُ لَا يَزَالُ ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ جَافٌ
وَمَصْبُوغٌ .

23 مارس 1968

٤ - تفاحات هيسبريديس I^[1]

لَمْ نُحِبْ أَبَدًا أَنْصَافَ الْأَلْهَمَ ، وَالْأَلْهَمَ ، وَالْأَبْطَالَ الْخَارِقِينَ ، وَالْأَسْطُورَةَ
الْمُبَالِغَةَ فِي تَعْقِيْدِهَا

بِالْكَثِيرِ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - لَمْ نَسْتَطِعْ التِقَاطَ مَعْنَاهَا؛
بِبَسَاطَةِ فَكْرَنَا كُمْ أَنَّ الْكَثِيرَ مِنْهَا تَافِهُ ، وَمُشَوَّشٌ؛ كَانَتْ تَفَتَّرِ
إِلَى ذَلِكَ الصَّفَاءِ الْقَاسِيِّ لِلْمَجْهُولِ وَالْعَصِيِّ عَلَى التَّفْسِيرِ. وَمَعَ ذَلِكَ
أَحَبَبْنَا الْمَكَانَ - ذَلِكَ الْمَكَانَ الَّذِي يَلْتَقِي فِيهِ النَّهَارُ بِاللَّيلِ
وَتَنْمُو أَشْجَارُ التَّفَاحِ بِيَضَاءِ الزَّهُورِ ، أَوْ تَنْحَنِي مُثْقَلَةً
بِتُفَاحِهَا الْذَّهَبِيِّ . وَأَحَبَبْنَا كَيْفَ
رَأَيْ "بَحَارَةُ أَرْجُو"^[2] مِنْ سَفِينَتِهِمْ مَا وَرَاءَ الْبُحْرَيَّةِ بِقَلِيلِ ،
أَوْ "تِرِيُونِيدَا" ، جُشَانَ التَّنَّينِ ، وَحُورِيَّاتِ الْهِيْسِبِرِيدِيسِ الْحَزِينَاتِ .
لَكِنْ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ

^[1] تفاحات هيسبريديس Hesperides: موجودة في حديقة بالحافة الشمالية من العالم، لا يحرسها فحسب تنين ذو مائة رأس، بل أيضاً الحوريات بنات أطلس، العملاق الذي يحمل السماء والأرض على كفيه.

^[2] مجموعة من البحارة الأبطال في الأساطير اليونانية.

أَحِبَّنَا تِلْكَ "الْوِسَادَةَ" الصَّغِيرَةَ الَّتِي طَلَبَهَا هِرْقَلُ لِيُرِيَحَ رَأْسَهُ عَلَيْهَا
مِنْ عِبَءِ السَّمَاءِ. وَهَذَا الدَّهَاءُ الصَّغِيرُ،
الْإِنْسَانِيُّ، الَّذِي انْتَصَرَ عَلَى الإِرَادَةِ الشَّرِيرَةِ لِأَطْلَسَ،
يَسْمَحُ لَنَا بِالِإِمْسَاكِ بِالْأَسْطُورَةِ كُلَّهَا، وَيُعِيرُهَا أَيْضًا
نَوْعًا مِنْ ضَرَوبِ ضَبَابِيَّ، مَأْلُوفِ، نَوْعًا جَمَالِيًّا مِنَ التَّالُقِ.

1968 مارس 31

٥ - تفاحات هيسبريديس II

كُل هَذِهِ الْفَوْضَى الْعَارِمَةُ ، وَالكَثِيرُ مِنَ الْقَتْلِ الْمَجَانِيِّ . أَخَذَ
بَطْلُ "تِيرِينْس" ^[١] التَّفَاحَاتِ الْدَّهْنِيَّةَ إِلَى إِيُورِيسْتِيُوسْ . أَعَادَهَا .
ثُمَّ قَدَّمَهَا إِلَى "أَثِينَا" . ثُمَّ أَعَادَتْهَا هِيَ
إِلَى حَدِيقَةِ الْهِيْسِبِرِيدِيسِ - مَصْدِرُهَا الْأَصْلِيُّ . رُبَّمَا كَانُوا يَقْصُدُونَ بِهِذِهِ
الظَّرِيقَةِ
كَمْ هِيَ عَبْيَيَّةُ الْمَكَابِدَاتِ ، الدَّائِرَةُ الْلَّانِهَائِيَّةُ - فَلِسَفَاتُ بَلِيدَةِ .
وَنَحْنُ - فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ - جِهْنَمَ لِيَتَصَوَّرَ هَذِهِ التَّفَاحَاتِ ثُومِضَ
فِي إِنَاءِ أَبِيَضِ ، عَلَى الْمَائِدَةِ الشَّاسِعَةِ ، الْمَعَدَّةِ بِحَمَالِ
بِمَفَرَّشِ مُطَرَّزِ مِنَ الْكِتَانِ - ذَاتِ ظَهِيرَةِ صَيْفِيَّةِ يُونَانِيَّةِ
جِينِ يَنْدَفِقُ الصَّوْءُ التَّالِبُ عَبْرَ النَّوَافِذِ ، وَبِالْخَارِجِ
يُسْمَعُ زِيزُ الْحَصَادِ الْمَحْمُومِ ، وَالسَّبَّاحُونَ بِالْأَسْفَلِ عَلَى الشَّاطِئِ .
وَمَعَ شَيْءٍ مَا لَا يَرَأُ مُهَمَّلًا : جَرَّاتَا "مِيدِيَا" وَ"أَخِيمُورُوسْ" .

1968 مارس 31

^[١] تِيرِينْس Tiryns: عاصمة كبرى لميسيني، وفيها التحق هرقل بخدمة الملك إيورستيوس، وقام- من أجله- بالمهام الائتمان عشرة.

6 - بعد انهيار معاهدة اللاكيدايمونيين^[٣] والاثينيين

وفقاً لـ ثيوسيديس

كُورنث، أرجوس، سبرطة، سикиون، وما أكثر "المدن-الدول" الصغرى
الأخرى -

أصبح اليونانيون ألف شظية؛ ومعاهدة الكبرى تهشمّت؛
كُلُّ واحدٍ كان غاضباً من الآخر - قناعاتٌ جُدد، ومؤذلاتٌ، ومؤتمراتٌ؛
وهؤلاء الذين كانوا بالكاد يالأمس أصدقاء ويجربان لن يقُولوا بتحمّة
بعضهم البعض في الشارع -

الضياعات القديمة أصبحت في الصدارة؛ تحالفات جديدة،
مناقضة تماماً للسابقة، تسير ألغوار بعضها البعض، وتشرع في
الاستعدادات.

المعوثون يتلقون خفيّة في منتصف الليل؛ ويغادر آخرون . وتماثيل
الأبطال

مُهمّلة في الميادين، وفي الحدائق يُعظّمها ذرّاق العصافير،

[٣] هم أهل "لاكيدايمونيا"، سبرطة القديمة.

تَجْمُوعَاتٌ هُنَا وَهُنَاكَ فِي السُّوقِ، بِرَصَانَةٍ، بِغَبَطَةٍ، بِشَغْفٍ،
 تُنَاقِشُ شُؤُونَنَا - مَنْ قَامَ بِتَرْشِيهِمْ؟ مَنْ قَامَ بِتَعْيِينِهِمْ؟
 نَحْنُ، عَلَى أَيَّةِ حَالٍ، لَمْ نَنْتَخِبْهُمْ (وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ، كَيْفَ؟ وَمَنْ؟ -)
 سَادَهُ جُدُّدُ مِنْ جَدِيدٍ؟ يُمْكِنُنَا الْاسْتِغْنَاءُ عَنْهُمْ! - لَقَدْ حَلَّ أَبْرِيلُ؛
 أَشْجَارُ الْفَلْفَلِ الصَّغِيرَةُ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ تَسْتَحِيلُ خَضَرَاءَ - خَضَرَاءَ
 لَطِيفَةً، رَقِيقَةً، طَفُولَيَّةً (أَثْرَتْ فِينَا) بِالرُّغْمِ مِنْ أَنَّهَا
 مُغَبَّرَةً نَوْعًا مَا؛ - الْإِدَارَاتُ الْبَلَدِيَّةُ فِي حَالَةٍ فَوْضَى؛
 إِنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ حَتَّى فِيمَا بَعْدَ الظَّهِيرَةِ لِيَرْسُوا الشَّوَّارِعَ. لَكِنَ الْيَوْمِ
 فِي بَهِي الْأَعْمِدَةِ بِالْفَنْصُلِيَّةِ الْمَوْصَدَةِ ظَهَرَ أَوَّلُ عَصْفُورٍ فَجَاءَهُ
 وَكُلُّ النَّاسِ صَاحُوا: "عَصْفُورٌ؛ انْظُرُوا، عَصْفُورٌ؛ انْظُرُوا، عَصْفُورٌ!" وَفَجَاءَهُ
 الْجَمِيعُ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ، حَتَّى هُؤُلَاءِ الْأَكْثَرُ مُعَارَضَةً، "عَصْفُورٌ!" وَفَجَاءَهُ
 صَمَتَ الْجَمِيعُ، وُهُمْ يُحِسِّنُونَ بِالْوَحْدَةِ، بِالْانْفِصَالِ عَنِ الْآخَرِينِ، كَرِجَالٍ
 أَحْرَارٍ،
 كَرِجَالٍ غَيْرِ مَرْبُوطِينِ بِمَدَى الزَّمَنِ، فِي عُزَلَةٍ عَامَّةٍ. وَآتَيْذِ،
 أَدْرَكُوا أَنَّ حُرْيَتَهُمُ الْوَحِيدَةُ تَكُونُ فِي عُزَلَتِهِمْ، لَكِنَ حَتَّى هَذِهِ
 (بِالرُّغْمِ مِنْ وُضُوحِهَا) بِلَا حِمَايَةَ، وَاهِيَّةَ، مُفَحَّخَةً بِأَلْفِ طَرِيقَةٍ.

4 أَبْرِيل 1968

7 - الرقصة الجديدة

ليست ادعاءات فحسب، بل دوافع حقيقية ونتائج عظيمة -
آلام، مكاسب، أخطار، مخاوف - بسيفائي، والمونيتور،
المتاهة وأرياذني بخيطها الشهوانى، الجميل^[١]
الذى تفرع كدليل في الظلام الحجري. وفيما بعد،
عوده "ثيسيوس" الطافر^[٢]. في ديلوس، توقف،
وهناك حول "الكيراثون" (المذبح الشهير المبني بـكاميله
من قرون الحيوانات - القرون اليسرى فقط)، رقص "ثيسيوس"،
مع الفتىان الأثينيين كمرافقين له،
رقصة جديدة مثيرة، يخطوات متقاطعة ربما صورت،

[١] بسيفائي: ملكة كريت، في الأساطير اليونانية. وهي أم أرياذني والمونيتور؛ المونيتور: كائن برأس ثور وجسد رجل، ويقيم وسط المتاهة؛ المتاهة: بناء صرسه وأقامه المخترع الأسطوري دايدالوس لملك كريت مينوس؛ أرياذني: ابنة مينوس، ملك كريت، وبسيفائي. وقد كلفها أبوها بالمسؤولية عن المتاهة. وخيط أرياذني ليس خيطاً مادياً، بل هو نهج منطقي للتعامل مع أية مشكلة.

[٢] الملك الأسطوري، والبطل المؤسس لأنثينا.

في ضوء الظَّهِيرَةِ الْقَوِيِّ ، الْانْعَطَافَاتِ الْمُظْلِمَةِ لِلْمَتَاهَةِ ، وَرُبَّا -
مَنْ يَدْرِي - كَانَتِ الْطُّيُورُ وَزِيَرُ الْحَصَادِ يَصْخَبُونَ مِنْ غَابَةِ الصُّنُوبِ
الصَّغِيرَةِ -

لَا تَعْرِفُ - فَالشَّمْسُ تَجْعَلُكَ مُشَوَّشًا وَالْانْعَكَاسَاتُ الْقَادِمَةُ مِنَ الْبَحْرِ ،
شَظَائِيَا زُجَاجِ دَقِيقٍ - وَالْحَرَكَاتُ الْمُشْرِقَةُ لِلْأَجْسَادِ الْعَارِيَةِ -
رَقْصَةٌ عَجِيبَةٌ ، جَدِيدَةٌ . وَفِيمَا بَعْدِ نَسِينَا تَمَامًا
الْمِنْوُثُرَاتُ ، وَالْبَاسِيفَائِيَّاتُ ، وَالْمَتَاهَاتُ ، وَحَتَّى أَرِيَادِنِي التَّعِيسَة
مَهْجُورَةً وَحِيدَةً تَمَامًا لِتُمُوتَ فِي نَاكُسُوسٍ . وَعَلَى أَيَّةِ حَالٍ ،
فَسَرَعَانَ مَا انتَشَرَتِ الرَّقْصَةُ ، وَبَقَيَتْ . وَمَا نَزَالُ نَرْقُصُهَا الْيَوْمُ . وَمُنْذُ
ذَلِكَ الْحِينِ ،
تَقَرَّرَ أَنْ تَكُونَ سَعْفَةً جَائِزَةً لِلْمُبَارَيَاتِ الرِّيَاضِيَّةِ فِي "دِبِيلِي" .

1968 أَبْرِيلُ 6

8 - فِيلُومِيل^[١]

هَكَذَا ، حَتَّى بَعْد قَطْع لِسَانِهَا ، رَوَتْ فِيلُومِيل عَذَابَاتِهَا
بِنَسِجِهَا وَاحِدًا وَاحِدًا فِي سُرْتِهَا بِصَبِّرٍ وَإِخْلَاصٍ ،
بِالْلَّوَانِ مُتَقَشَّفَةٍ - بَنَسْجِيَّةٍ ، رَمَادِيَّةٍ ، بَيْضَاءٍ ، وَسَوْدَاءٍ - كَالْعَادَةُ
فِي الْأَعْمَالِ الْفَنِيَّةِ - ثَمَّة أَسْوَد بِغَزَّارَةٍ . وَالبَاقِي كُلُّهُ -
"بُرُوسِيٌّ" وَ"تِيرِيَّاسٌ" مَعَ الْفَأْسِ وَمُظَارَدَتِهِمَا فِي "دُولِيس" ،
حَتَّى قَطْع اللَّسَانِ - نَعْتَبِرُهُ بِلَا أَهْمَيَّةٍ ، وَنَنْسَاهُ . فَسُرْتُهَا تِلْكَ
كَافِيَّةٌ ، خَفِيَّةٌ ، دَقِيقَةٌ ؛ وَتَنَاسُبُهَا
فِي الْلَّحْظَةِ الْفَاصِلَةِ إِلَى عَنْدَلِيبٍ . لَكِنَّنَا ، نَقُولُ : بِدُونِ الْبَاقِي كُلُّهُ ،
تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا أَهْمَيَّةَ لَهَا الْآنُ ، أَكَانَ يُمْكِنْ أَنْ تُوجَدَ تِلْكَ السُّرَّةُ
الرَّائِعَةُ وَالْعَنْدَلِيبُ ؟

9 أَبْرِيل 1968

[١] فِيلُومِيل ، أَوْ فِيلُومِيلَا: "أَمِيرَةُ أَثِينَا" - فِي الْأَسَاطِيرِ الْيُونَانِيَّةِ - وَالْأُبْنَةُ الصَّغِيرُ لِمَلِكِ أَثِينَا بَانْدِيُونَ الْأَوْلَى . فَبَعْدِ اغْتِصَابِهَا وَقَطْعِ لِسَانِهَا مِنْ قِبَلِ زَوْجِ شَقِيقَتِهَا ، مَلِكِ ثِيرَاسِيِّ ، "تِيرِيَّاسٌ" ، قَامَتْ بِالانتِقامِ الْبَشِّعِ مِنْهُ بِمَعْاونَةِ شَقِيقَتِهَا ، ثُمَّ تَحَوَّلَتْ إِلَى عَنْدَلِيبٍ أَخْرَسٍ .

هَذَا التَّمَثَّالُ، الْمَجْبُولُ بِبَرَاعَةِ رَفِيعَةٍ، مِنْ حَجَرٍ غَيْرِ مَعْهُودٍ،
 لَمْ يَنْحَتْهُ مَثَالٌ - بَلْ امْرَأَةً أَبِيَّةً، فَوْقَ صِفَارِهَا السَّبْعَةِ الْمَذْبُوحِينَ، وَالسَّهَامُ
 مَا تَرَالُ فِي صُدُورِهِمْ،
 وَبَنَاتِهَا السَّبْعُ الْمَذْبُوحَاتِ. هُنَا، حِينَ اسْتَنَفَدَتْ
 اسْتِغَاثَتِهَا الْأَخِيرَةُ، لَعْنَتِهَا الْأَخِيرَةُ ضِدَ الْآلِهَةِ وَالنَّاسِ،
 صَاعِدَةً مَدَارِيجَ الصَّمَتِ وَالسُّكُونِ، خُطْوَةً خُطْوَةً
 أَصْبَحَتِ التَّمَثَّالُ الْأَخِيرَ لِنَفْسِهَا - حَجَرًا حَالِكَ السَّوَادِ
 مَعَ جَدَولَيْنِ صَافِيَيْنِ يَنْحَدِرَانِ أَسْفَلَ وَجْهَهَا الْعَظِيمِ
 حَتَّى يُمْكِنَ لِلرُّعَاةِ الصَّغَارِ فِي سِيَبِيلُوسِ الْجَرَدَاءِ - فِي أَوْقَاتِ الظَّهِيرَةِ
 الصَّيفِيَّةِ - أَنْ يَجِدُوا بَعْضَ المَاءِ،
 وَخِرَافُهُمْ، وَالْمُوْسِيَقِيُّونَ الْمَحْزُونُونَ، وَالرَّحَالَةُ التَّائِهُونَ. الْيَوْمُ، بِالظَّبَابِ،
 يَزْعُمُ الْكَثِيرُونَ أَنَّ الْجَدَولَيْنِ التَّابِعَيْنِ مِنْ عَيْنِيهَا لَيْسَا أَكْثَرَ

[١] هي ابنة تانتالوس، ملك فريجيا، في الأساطير اليونانية. ووفقاً لإلياذة هوميروس، فقد عاقبتها "ليتو"- أم أبواللو- على كبرياتها، حيث أرسلت أبواللو وأرتيميس فقاماً بذبح أبنائها.

مِنْ مَاءِ الْجَدَالِ الْقَرِيبَةِ الَّذِي يَنْسَابُ ، عَبَرَ أَنَابِيبَ نَحِيلَةً ، مَخْفِيَةً ،
إِلَى عَيْنِيهَا ؛ وَهُنَاكَ آخَرُونَ يَقْتَرِحُونَ بِإِصْرَارٍ
أَنْ تُخْطَمَ السَّمَاءُ الرَّائِعُ ذَائِهِ – فَخَرَّ بِلَدِنَا الْفَقِيرُ –
مِنْ أَجْلِ مُتَعَةِ اكْتِشَافِ الْطَّرِيقَةِ الْبَارِعَةِ .

10 أَبْرِيل 1968

10 - الحِزَّةُ الْذَّهَبِيَّةُ

مَاذَا كُنَّا نُرِيدُ بِهَذِهِ الْحِزَّةِ الْذَّهَبِيَّةِ؟ - تَجْرِيَةٌ جَدِيدَةٌ - رُبَّما الأَعْظَمُ؛
مِيَّاتُ، صُخُورُ السَّمْبَلِيْجَادَ^[١]، اغْتِيَالَاتُ؛ وَهِرَقْلُ مَنْسِيٌّ فِي "مِيسِيَا"،
وَهِيلَاسَ^[٣] الْجَمِيلُ غَرِيقٌ فِي النَّمْعٍ؛ وَمَا مِنْ مِجَادِفٍ جَدِيدٍ
وَلَا أَيَّةٌ رَاحَةٌ أَبَدًا. كُلُوشِي، آپِيت، مِيدِيَا. الْتَّوْرُذُو الْخَوَافِرِ النَّحَاسِيَّةِ.
الْجُرْعَةُ وَالْمَنَافِسَاتُ الْعَبَيْتِيَّةُ. وَأَخِيرًا أَسِبِيرْتُوسُ - شَيْئًا فَشَيْئًا
يُلَمِّلُهُ أَبُوهُ مِنَ الْبَحْرِ.

وَتِلْكَ الْحِزَّةُ -

هَدْفُ اكْتَمَلَ الْآنَ - خَوْفُ آخَرٍ؛ خَشِيَّةً أَنْ يَسْرُقَهَا إِنْسَانٌ أَوْ إِلَهٌ مِنْكَ.
ذَاتٌ مَرَّةٌ، فَتُمْسِكُهَا فِي يَدِكَ، وَفِرَاؤُهَا الْذَّهَبِيُّ يُشَرِّقُ عَلَيْكَ فِي لَيَالِيكَ؛
ذَاتٌ مَرَّةٌ، عَلَى كَيْفِيْكَ، تُضِيِّعُكَ كُلَّكَ، فَتَلْفِتُ الْاِنْتِبَاهَ إِلَيْكَ - هَدْفٌ
لِهَذَا الشَّخْصِ أَوْ ذَاكَ؛ وَلَنْ تَسْمَعَ لَكَ حَتَّى بِلَحْظَةٍ فِي الظَّلِّ؛
فِي رُكْنٍ صَغِيرٍ لَكَ وَحْدَكَ لِتُخْتَبِي، لِتَتَعَرَّي، لِتَتَحَقَّقَ.

[١] صخور تطفو على سطح الماء، عند مدخل البحر الأسود، كانت تلتتصق بالسفن العابرة، وتهوي بها إلى قاع البحر (أوفيد: مسخ الكائنات، ترجمة د. ثروت عكاشة، طبعات مختلفة).

[٣] هيلاس: مراافق هرقل وخادمه.

وَمَعَ ذَلِكَ ، فَمَاذَا سَتَكُونُ حَيَاتُنَا دُونَ هَذَا الْعَذَابِ الْدَّهَرِيِّ (كَمَا نَصِفُهُ)؟

1968 مایو 5

11 - تَالُوس^[١]

تَكَرَّارَاتُ - يَقُولُ - تَكَرَّارَاتُ بِلَا اِنْتِهَاءٍ ؛ - يَا لَهُ مِنْ إِرْهَاقٍ ، يَا إِلَهِي ؛
الْتَّغْيِيرُ الْوَحِيدُ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا فِي الْأَلْوَانِ - جَاسُون ، أُودِيسِيُوس ، كُلُوشِي ،
طَرَوَادَة ،

الْمِيَنُوُّر ، تَالُوس - وَفِي هَذِهِ الْأَلْوَانِ ذَاتِهَا
يَكُمْنُ الْخِدَاعُ كُلُّهُ وَالْجَمَالُ أَيْضًا - وَهُوَ عَمَلٌ يَخْصُنَا مَحْنَ .
لَا أَزَالُ أَحْتِفَظُ بِصُورَةِ ذَلِكَ الْعِمَلَاقِ مِنْ سُلَالَةِ نَائِسِ الْبُرُونْزِ ،
وَشَرِيَانُ وَحِيدُ مِنْ حَنْجَرَتِهِ حَتَّى كَعَبِيهِ - شَرِيَانُ وَاحِدٌ فَخَسِبُ ،
مَسْدُودٌ بِمِسْمَارٍ بُرُونْزِيٍّ فِي نَهَايَتِهِ تَمَامًا . وَجِينَ اَنْتَرَعُوا
ذَلِكَ الْمَسَمَار ، فَاضَ دَمُهُ وَرُوْحُهُ إِلَى الْخَارِجِ .

وَرَبِّيَا ، أَقُولُ ،

إِنَّا جَمِيعًا لَيْسَ لَدِينَا سَوَى شَرِيَانٍ وَاحِدٍ ، مَسْدُودٌ بِمِسْمَارٍ ،
وَنَحْنُ جَمِيعًا لَدِينَا الْخُوفُ نَفْسُهُ .

[١] شخص عملاق، وفقاً للأساطير اليونانية، قام بحماية أوروبا من القرصنة والغارة في كريت، بالدوران حول شواطئ الجزيرة ثلاثة مرات يومياً، خلال حراسته لها.

في المقابل ، على الجدار الكبير المطلِي بالأبيض ،
على مسامير مدققة في صفوف (أربما من شرائين غير مسدودة؟) نعلق
معاطفنا ، قبعاتنا ، مظلاتنا ، ملائسنا الداخلية ، وأقنعتنا .

6 مايو 1968

12 - أَخِيل بَعْدَ الْمَوْتِ

كَانَ بِالدَّاخِلِ تَعَامِلاً؛ - مَا جَدَوْيِ الْأَمْجَادِ لَهُ الْآنُ؟ - كَفَى .
كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ الْأَعْدَاءَ وَالْأَصْدِيقَاءَ جَيْدًا - الْأَصْدِيقَاءُ الْمُفَرَّضِينَ؟ -
فِيمَا وَرَأَهُ الْحَبَّ وَالْإِعْجَابُ، أَخْفَوْا مَصَالِحَهُمْ،
أَحَلَامُهُمُ الْمُشْبُوَهَةُ، الشَّعَالِبُ، وَالْأَبْرَيَاءُ .

وَالآنُ،

عَلَى جَزِيرَةِ "لِيُوسْ"، وَجِيدًا فِي النَّهَايَةِ، هَادِيًّا، بِلَا اِدْعَاءَاتِ،
بِلَا مَسْؤُلِيَّاتِ وَلَا دُرُوعَ مَحْبُوكَةَ عَلَيْهِ، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، بِلَا
نِفَاقِ الْبُطُولَةِ الْخَسِيسِ، يُمْكِنُهُ، إِسَاعَاتٍ وَسَاعَاتٍ، أَنْ يَسْتَمِعَ
يَبْحِرِ الْمَسَاءَ، وَالثُّجُومَ، وَالصَّمَتِ، وَذَلِكَ الشُّعُورُ،
الرَّهِيفُ وَاللَا نِهَائِيُّ، بِلَا جَدَوْيِ الْأَشْيَاءِ عُمُومًا،
بِلَا رِفْقَةٍ مَعَهُ سِوَى الْمَاعِزِ .

لَكِنْ هُنَا، أَيْضًا، حَتَّى بَعْدَ مَوْتِهِ،

لَا حَقَّهُ مُعْجَبُونَ جُدُّدٌ - غَاصِبُونَ لِذِكْرَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةِ -
مَنْ نَصَبُوا مَذَابِحَ وَتَمَاثِيلَ لِأَجْلِهِ، صَلَّوْا، وَرَحَلُوا .

لَمْ يَقِنْ مَعَهُ سَوَى طَيْوَرِ الْبَحْرِ؛ وَكُلُّ صَبَاحٍ، يَحْكُمُونَ عَلَى الشَّاطِئِ،
 يُبَلِّلُونَ أَجْنِحَتِهِمْ وَيُسَارِعُونَ بِالْعُودَةِ لِيَغْسِلُوا
 أَرْضِيَّةَ مَعْبِدِهِ بِحَرَّكَاتِ سَلِسَةٍ، رَاقِصَةٍ. هَكَذَا،
 تَسْتَثِيرُ الْأَثِيرَ لَحَّةً مِنَ الشِّعْرِ (رُبَّمَا كَانَتْ تَبْرِيرَهُ الْوَحِيدُ)
 وَتَعْبُرُ شَفَقَتِهِ ابْتِسَامَةً مُتَنَازِلَةً، لِكُلِّ وَاحِدٍ وَكُلِّ شَيْءٍ،
 إِذْ يَنْتَظِرُ مِنْ جَدِيدٍ حُجَّاجًا جُدُّدًا (وَيَعْرِفُ أَنَّهُ يُحِبُّ ذَلِكَ)
 بِكُلِّ صَحَّيْهِمْ، وَرَأْدِهِمْ، بَيْضٍ، وَفُؤُوْغَرَافَاتٍ،
 فِيمَا يَنْتَظِرُ الْآنَ "هِيلِين" – نَعَمْ، هِيَ نَفْسُهَا الَّتِي مِنْ أَجْلِ جَمَالِ
 جَسَدِهَا وَحُلْمِهَا أُبَيَّدَ الْكَثِيرُونَ مِنَ الْآخِيَّينَ وَالْطُّرُوَادِيَّينَ (وَهُوَ نَفْسُهُ مِنْ
 بَيْنِهِمْ).

19 سبتمبر 1968

13 - يأس بِنِيلُوب^[٣]

لَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ أَنَّهَا لَمْ تَتَعْرِفْ عَلَيْهِ عَلَى صَوْهِ النَّارِ؛ وَلَا كَانَ
أَسْمَالُ الشَّحَادَزِ، كَفِنَاعُ لَهُ؛ لَا؛ كَانَ ثَمَّةَ عَلَامَاتٌ وَاضِحَّةَ -
الرُّكْبَةُ ذَاتُ التُّدَبَّةِ، مَتَانَةُ الْجَسَدِ، الْمَكْرُ في الْعَيْنَيْنِ. مَفْرُوعَةُ،
مُسِنِدَةُ ظَهَرَهَا إِلَى الْحَاطِطِ، بَحَثَتْ عَنْ تَبْرِيرٍ مَا،
تَأْجِيلٌ مَا لِضَرُورَةِ التَّجَاوِبِ، وَخِيَانَةُ نَفْسِهَا.
أَكَانَ مِنْ أَجْلِهِ إِذْنُ أَنْ أَضَاعَتْ عِشْرِينَ عَامًا؟
عِشْرِينَ عَامًا مِنْ الْحُلْمِ وَالْأَنْتِظَارِ، مِنْ أَجْلِ هَذَا الْبَأْسِ،
وَهَذِهِ الْلَّحِيَّةُ الْبَيْضَاءُ الْمَنْقُوعَةُ فِي الدَّمَاءِ؟ غَاصَتْ بَكْمَاءَ فِي الْمِقْعَدِ،
يُبْطِئُ حَدَّقَتْ فِي الْحَطَابِ الْمَذْبُوحِينَ عَلَى الْأَرْضِ، كَانَهَا تَرَى
رَغْبَاتِهَا الْمَكْبُوَّةَ. وَنَظَقَتْ. "أَهَلًا"،
مُنْتَهِيَّةً إِلَى صَوْتِهَا الْغَرِيبِ، الثَّانِي. وَفِي الرُّكْنِ،
يُغَطِّي نَوْلَهَا السَّقْفَ بِشَبَكَةٍ مِنْ ظَلَالٍ؛ وَتِلْكَ الْطَّيُورُ، الْمَنْسُوجَةُ

[٣] هي زوجة أورديسيوس، ملك إيناكا (وفقاً لأوديسة هوميروس)، نموذج الإخلاص الروحي، حيث انتظرت عودة زوجها من حرب طروادة عشرين عاماً، رافضة الخطاب الكثرين المتكلمين عليها.

عَلَى أَوْرَاقِ شَجَرٍ خَضْرَاءٍ بِخَيْرِ طِحَّاءٍ زَاهِيَّةٍ ، فَجَاءَ
اسْتَحَالَتْ سَوْدَاءَ وَرَمَادِيَّةً فِي لَيْلَةِ الْعُودَةِ إِلَى الْوَطَنِ هَذِهِ ،
مُرَفِّقَةً فِي السَّمَاءِ الْمُسْتَدِيمَةِ لِحَنْتِهَا النَّهَائِيَّةِ .

1968 سبتمبر 21

14 - اختيار ماريسا^[١]

لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبِيلِ الصُّدْفَةِ أَنْ فَضَّلَتْ مَارِيَسَا "إِيْدَا" عَلَى أَبُولَلُو،
بِالرَّغْمِ مِنْ شَغْفِهَا بِالإِلَهِ، بِالرَّغْمِ مِنْ جَمَالِهِ الْفَرِيدِ،
الَّذِي جَعَلَ الْأَسَنْ يُزَهِّرُ وَيَرْتَعِشُ لَدَى مُرُورِهِ .
لَمْ تَكُنْ لَتَجْرُؤُ أَبَدًا عَلَى رَفْعِ عَيْنِيهَا لِأَعْلَى مِنْ رُكْبَتِيهِ ؛
مِنْ أَظَافِرِ قَدَمِيهِ إِلَى رُكْبَتِهِ، يَا لَهُ مِنْ عَالَمٍ لَا يَهَانِي،
يَا لَهَا مِنْ ذُرُوبِ وَاكِتِشَافَاتِ رَائِعَةٍ - مِنْ أَظَافِرِ قَدَمِيهِ حَتَّى رُكْبَتِهِ .
لَكِنْ ،

فِي اللَّحْظَةِ الْأَخِيرَةِ لِاختِيَارِهَا ، انتَابَهَا الْهَلَعُ ؛ مَا الَّذِي سَتَفْعَلُهُ
بِكُلِّ هَذِهِ الْهِبَةِ ؟ فَهِيَ ، كَإِنْسَانَةٍ ، سَوْفَ تَشِيخُ ذَاتَ يَوْمٍ .
فَكَرَّتْ فَجَأَةً فِي مِشْطِهَا ، بِخُصْلَةٍ مِنْ شَعْرِ أَبِيَضٍ ، الْمُنْسَيِّ
عَلَى كُرْسِيٍّ مَا ، يَحْوَارِ أَرِيكَتِهَا ، حَيْثُ اسْتَرَخَ الرَّائِعُ ، الْحَالِدُ ؛
فَكَرَّتْ أَيْضًا فِي بَصَمَاتِ الزَّمْنِ عَلَى فَخْذِهَا ، وَحَلَمَتَهَا الْمَتَهَدَّلَتَينِ

[١] هي ابنة إيفينوس (الله النهر). أحببت البطل "إيدا" وأحبها، وفضلتة على الإله أبواللو، الذي كان يتودد إليها.

أمام المرأة المعدنية السوداء . آه ، لا ؛ وَكَسْخِنْ مَيْتَ مَالَتْ
عَلَى كَتِفْ "إِيْدَا" الْإِنْسَانِي . وَرَفَعَهَا بِذِرَاعِهِ مِثْلَ عَلَمْ
وَأَدَارَ ظَهَرَهُ إِلَى أَبُولُلُو . لَكِنَّهُ فِيمَا كَانَ يَرْحَلُ ، بَعْطَرَسَةٌ تَقْرِيبًا ،
سُمِعَ شَيْءٌ مَا يُشَبِّهُ فَرْقَةً ، صَوْتٌ تَمْزِيقَ الْقَوْبِ (صَوْتٌ غَرِيبٌ) -
فَحَافَّةُ الْعِلْمِ انشَبَّكَتْ ، عَلَقَتْ تَحْتَ قَدْمِ الْإِلَهِ .

1968 أكتوبر 28

15 - عازف الثنائي

كَمْ هِيَ جَيِّدَةُ ، الْقَصْبَةُ الْمَجَوَّفَةُ - وَهِيَ تَمْنَحُنَا الْأَصْوَاتَ الرَّائِعَةَ
لِلنَّافُورَةِ وَالرَّيْحِ الَّتِي تَفْتَقِدُهَا . وَتِلْكَ الـ "آاه" ! الَّتِي كَثِيرًا مَا تُلْفَظُ :
طَمَانِيَّةً وَبَهْجَةً .

لَكِنَّ الشَّخْصَ الَّذِي يَنْفُخُ فِي الْقَصْبَةِ
يُصْبِحُ قَبِيْحًا ؛ - خَدَاه يَنْتَفِخَانِ ، وَعَيْنَاه تَصْغَرَانِ
دَعْوَةً لِلْحُبِّ ؛ - يَقْبِلُهَا الْآخْرُونِ ، وَيَمْنَحُونَ
الْحُبَّ الَّذِي يَطْلُبُه عَازِفُ الثَّنَاءِ .

وَهَكَذَا

يَرِي الْقَصْبَةَ فِي الْمَاءِ ؛ يُحَمِّلُهُ حَوَالِيهِ ؛ - لَا أَحَدَ .
يُحَدِّقُ فِي وَجْهِهِ فِي الْيُنْبُوعِ ، وَجِيدًا ، يَتَنَازَعُهُ
الثَّنَاءُ الَّذِي يَتَلَلَّاً فِي الْقَاعِ ، وَأَمْضَا مِثْلَ سِكَّينِ .

1968 أكتوبر 29

16 - القضية الفعلية

لَا ، لَيْسَ الْأَمْرُ أَنْ أَبُولَلُو قَدْ نَكَّتَ بِوَعِدِهِ
وَأَنْ بُصَاقَهُ عَلَى فِيمَ كَاسَاندِرَا^(١) قَدْ أَزَالَ
كُلُّ الْإِقْنَاعَ مِنْ حَدِيثِهَا ، تُحِيلًا بِذَلِكَ
كُلُّ كَلِمَاتِهَا التُّبُوئِيَّةِ بِلَا فَاعِلِيَّةٍ لِنَفْسِهَا وَلِلآخَرِينَ - لَا . بَلْ فَخَسِبَ
إِنْ أَحَدًا لَا يُرِيدُ أَنْ يُصَدِّقَ الْحَقِيقَةَ . وَحِينَ تَرَى
الشَّبَكَةَ دَاخِلَ الْحَمَامَ ، تَظُنُّ أَنَّهَا قَدْ أُعِدَّتْ
مِنْ أَجْلِ رِحْلَةِ صَيْدِكِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي وَلَا تَسْمَعُ أَبَدًا ، بِدَاخِلِكَ وَخَارِجِكَ ،
فِيمَا تَهِيَطُ السُّلْمَاتُ الرُّخَامِيَّةُ لِلْقَصْرِ ،
الشَّدِيرُ الْأَسْوَدُ فِي التِّعَامِسِ كَاسَاندِرَا الْمَنْحُوسُ .

^(١) كاساندرا: ابنة بريام ملك طروادة، في الأساطير اليونانية. وقد منحها أبواللوا- على سبيل الإغراء- القدرة على العنبؤ. وحين رفضت الاستجابة له، بصر على فمها كلعة تمنع الجميع من تصديق نبوءاتها. وقد تنبأت بمصير حرب طروادة، وبقية التفاصيل التراجيدية الممتالية؛ لكن- بفعل لعنة أبواللوا (البصقة)- لم يصدقها أحد. أما "الشبكة"، فإشارة إلى الشبكة التي استخدمت في عملية قتل "أجاممنون"، على يد زوجته كليتنيسترا بمساعدة عشيقها إيجيسuros.

17 - حرف العطف "أو"

آنثِي هَدَرَ "آرِيس" الْوَقْتُ بِصَوْتٍ عَالٍ كَصَوْتِ تِسْعَةِ
أَوْ عَشْرَةِ آلَافِ رَجُلٍ يَصْرُخُونَ وَهُمْ يَشْتَكُونَ فِي الْمَعرَّكَةِ.
الإِيَّازَةُ

جِينَ اخْتَرَقَ سَهْمُ "دِيُومِيدِيس" ، الْمَوْجَةُ بِيَدِ الرَّبَّةِ ،
جَنْبَ الْإِلَهِ الْهَمَّجِيِّ ، آنثِي هَدَرَ "آرِيس" ذُو الْخَوْذَةِ
بِصَوْتٍ عَالٍ جِدًا إِلَى حَدَّ أَنْ ارْتَعَبَ كُلُّ مِنَ الْأَخْيَّانِ وَالْطُّرُوَادِيَّينِ ،
لَاَنَّهُ كَانَ (كَمَا يَقُولُ الشَّاعِرُ) كَانَ تِسْعَةَ أَوْ عَشْرَةَ آلَافَ
مُقَاتِلٍ مَسْعُورٍ قَدْ هَدَرُوا مَعًا .
يَا لَيْلَكَ الـ"أَوْ"-

تَعْبِيرٌ عَنْ كُلِّ مِنَ الدَّقَّةِ السَّاخِرَةِ وَالْتَّبِيَّلَةِ ،
الْابِتِسَامَةِ الْمُلْتَبِسَةِ لِحِكْمَةِ مُتَحَفَّظَةٍ وَبِلَا مُشَارِكَةِ
لَسْتَدِيرُ بِسُخْرِيَّةٍ فِي مُوَاجَهَةِ نَفْسِهَا وَالْأَخْرِينَ
مُدْرِكَةٌ تَمَامًا أَنَّ الدَّقَّةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَقَّقَ ،
أَنَّ الدَّقَّةَ بِلَا وُجُودٍ (وَذَلِكَ هُوَ سَبَبُ
أَنَّ نَبَرَةَ الْيَقِينِ الرَّثَانَةَ بِلَا غُفْرَانَ - فَلَيُعِينَنَا الرَّبُّ).

فِيَا "أَوْ" ، يَا حَرْفَ الْعَطْف ، النَّتِيْحَةُ الْمُتَوَاضِعَةُ لِلْغُرْبِ الْأَلْبَيْس ،
الْأَرْبَيْطُ الْعَيْقَنِيْعُ ضِمْنَ تَعْدِيْدِيْهِ الْمَاهِيَّاتِ وَالظَّوَاهِرِ ،
يُكَسَّرَتْ كَيْفَيْيَةُ صُعُوبَيَّاتِ الْحَيَاةِ وَالْحَلْمِ ،
مَعَ الْفَرُوقِ الْدَّقِيقَةِ وَالثَّحَوْلَاتِ الْكَثِيرَةِ فِيْمَا بَيْنَ الْأَسْوَدِ إِلَى الْأَيْضِ
الْخَفِيِّ .

18 يونيو 1969

18 - النَّمَاذِج

عَلَيْنَا أَلَا نَسْنَى أَبَدًا - قَالَ - الْدُّرُوسُ الْجَيْدَةُ الَّتِي تَعْلَمُنَا هَا
مِنْ فُنُونِ الْيُونَانِيِّينَ . فَدَائِمًا ، السَّمَاءُ وَيُ
بِحَوْارِ الْيَوْمِيِّ . بِحَوْارِ الْإِنْسَانِ : الْحَيَّانُ وَالشَّيءُ -
سَوَارُ فِي ذِرَاعِ الرَّبَّةِ الْعَارِيَةِ ؛ زَهْرَةُ
سَاقِطَةٌ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ . فَلَنْتَدَّكَرِ التَّمَثِيلَاتُ الْجَمِيلَةُ
عَلَى جَرَارِنَا الطَّلِينِيَّةِ - آلَهَةُ مَعَ طُيُورِ وَحَيَّانَاتِ ،
مَعَ الْقِبَّارَةِ ، وَشَاكُوشَ ، وَتَفَاحَةَ ، وَالصُّنْدُوقَ ، وَالكَمَاشَةِ ؛
آهِ ، وَتِلْكَ الْقَصِيْدَةُ حَيْثُ الْإِلَهُ ، لَدَى إِنْهَائِهِ لِأَشْغَالِهِ ،
يَأْخُذُ الْكِيرَ مِنَ النَّارِ ، وَيُلَمِّلُ أَدْوَاتِهِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً
وَيَضْعُهَا فِي صُنْدُوقِهِ الْفِضْيِ ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِاسْفِنْجَةٍ
وَجَهَهُ ، وَيَدِيهِ ، وَرَقْبَتِهِ الْقَوِيَّةِ ، وَصَدَرَهُ الْكَثِيفِ .
وَهَكَذَا ، نَظِيفًا مَدْعُوكًا ، يَخْرُجُ فِي الْمَسَاءِ ، كَعَادَتِهِ ، مُتَكِّنًا
عَلَى أَكْتَافِ مُرَاهِقِينَ ذَهَبِيِّينَ - نِتَاجُ يَدِيهِ
الَّذِينَ يَتَمَتَّعُونَ بِالْقُوَّةِ وَالْفِكْرِ وَالصَّوْتِ - يَخْرُجُ إِلَى الشَّارِعِ ،
الْأَكْثَرُ مَهَابَةً مِنَ الْجَمِيعِ ، إِلَهُ الْأَعْرَجِ ، إِلَهُ الْعَامِلِ .

19 - تأيin

الآلهة دائئماً منسيون؛ وإذا ما تذكّرنا الليلة بوسايدون^[٣]،
وهو يتجوّل على شواطئ "كالافريتا" الخاوية،
فذلك لأنّ هناك ، في البستان المقدس ، ذات ليلة من يوليو ،
فيما كانت المجاذيف تومض في ضوء القمر ، وجيّارات
شبان متوجّحين باللّباب تصدح من زوارق التّجاذيف ،
هناك ، في غابة الصنوبر هذه ، تحرّع ديموسيثينيس السُّم^[٤] -
هو ، المتّجلج ، الذي جاهد حتى أصبح خطيب الأول لليونانيين ،
وبعدها ، أدين من قبل المقدونيين والأثينيين ، وفي ليلة واحدة
تعلّم الفنّ الأصعب ، والأعظم : أن تصمت .

1969 يونيو 26

[٣] إله البحر والمياه ، والزلزال ، والخيول ، في الأساطير اليونانية .

[٤] ديموسيثينيس : رجل دولة وخطيب في أثينا القديمة ، خلال القرن الرابع قبل الميلاد .

20 - إلى أورفيوس

هذا الصيف ، تحت كوكبة القيثارة ، تبقى متأملين .

ماذا كانت جدوى التغنى بـ "هاديس" وـ "بيرسيفون" في أغنيتك ؟
يموافقتهما على إعادة "إيوريديس" إليك ؟ وأنت ، متشكلاً في قوتك ،
ترأجعت لتعيد تأكيد ذاتك ، وضاعت هي من جديد في مملكة الأطيااف
تحت أشجار الحور .

آنثى ، منحنياً بمحابلة المستحيل ، أعلنت
للقىثارة العزلة كحقيقة نهائية . لهذا
فلا الآلهة ولا الناوس نسوك . وتابعت باخوس مرقن جسسك
أشلاء على شواطئ "هيبروس" . ولم تصل إلى ليسبوس سوى قيثارتك
ورأسك
منساقتين مع الشيار .

فما هو إذن تبرير أغنيتك ؟
أهو الامتزاج اللحظي (صورة زائفة في ذاتها) للنور والظلام ؟

أم، ربما، علقت عرائس الشعر قيثارتك في منتصف التجوم تماماً^٩

تحت هذه الكوكبة، في صيف هذا العام، تبقى متأملين.

كارلو فاسي، ساموس، 27 يونيو 1969

الحائط في المرأة

(1971 – 1967)

1 - رؤية عامة

الآن، كَمَا تَرَى، فَهَا هُنَا سَتَعِيش - قَال . هُنَا . مَاذَا يَهُم ،
هُنَا أَوْ هُنَاك ؟ - الْبَعْضُ يَهِبُّون ، وَالآخَرُونَ يَصْعَدُون
نَفْسَ السُّلَم ، - لَا يَحْيُون بَعْضُهُم الْبَعْض . نَافِذَةٌ تُوَضَّد ،
وَأُخْرَى تَنْفَتِح . الرُّؤْيَا ذَائِهَا : وَادٍ ، ثَلَّ ،
فِيهِ يَمْضِي غَجُورٌ فِي الْغُرُوب ، وَجِيدًا مَعَ عُكَارِه ،
رَيْشُون ، كُرُوم ، أَشْجَارُ سَرِّ وَحُور ،
بُرْجٌ جَرَس ، النَّهَر ، الْكَلْب ، الْأُثُوبِيس ، إِبْرِيق ،
ثَمَائِيل ، ثَمَائِيل ، ذَاتُ أَجْنِحَةٍ كَبِيرَةٌ مِنْ رُخَام -
وَحَتَّى لَوْ كَانَتْ لَدِيكَ فِي كِتْفَيْكَ ، فَهَلْ تَظُنْ أَنَّكَ سَتَسْتَطِعُ الطَّيْرَان ؟

2 - بَيَاض

وَضَعَ يَدَهُ عَلَى الصَّفَحةِ
حَتَّى لَا يَرَى الصَّفَحةَ الْبَيْضَاءَ.
رَأَى فَوْقَهَا يَدَهُ الْعَارِيَةَ. هَكَذَا
أَغْمَضَ أَيْضًا عَيْنَيْهِ الْأَثْنَتَيْنِ، وَسَمِعَ
يَصَاعِدُ بِدَاخِلِهِ، خِفَيَّةً،
الْبَيَاضَ الْطَّلَابِيَّ، الْعَصِيَّ عَلَى الْوَصْفِ.

ليروس، 10/11/67

3- امتياز

إِنِّي لَا أَفْهَمْ - قَالَ - هَذِهِ الْهَزَّاتُ الْمَفَاجِئَةُ .
وَكَيْ أَنْسَى أَنْظُرُ فِي الْمَرْأَةِ الصَّغِيرَةِ ،
أَلْمُحُ التَّائِفَةَ السَّاكِنَةَ ، أَرِي الْحَائِطَ -
لَا شَيْءَ يَتَغَيَّرُ ، سَوَاءٌ فِي دَاخِلِ الْمَرْأَةِ أَوْ خَارِجَهَا .
أَتَرُكُ وَرَدَةً عَلَى الْكُرْسِيِّ (فِي وَقْتٍ ذُبُولِهَا) .
هَا هُنَا أُقِيمُ ، فِي هَذَا الرَّقْمِ ، فِي مِثْلِ هَذَا الشَّارِعِ . حِينَ رَفَعَانِي فَجَأًهُ
(الْكُرْسِيُّ بِالْوَرَدَةِ) وَذَلِكَ مَا عَوَدَاهُ ، بِتَقَاعُذِ ،
إِلَى الْأَسْفَلِ ، إِلَى الْأَعْلَى ، - لَا أَدْرِي . وَلِحُسْنِ الْحَظِّ
كَانَ لَدَيَّ وَقْتٌ لَأَنْ أَضْعِفَ الْمَرْأَةَ الصَّغِيرَةَ فِي جَيِّبي .

4- ابتهاج

وَاحِدًا وَاحِدًا ، تَفَرَّغُ الْأَشْيَاء
وَلَيْسَ هُنَالِكَ أَبَدًا مَا يُمْكِنُ فِعْلُهُ . يَبْقَى وَحِيدًا ،
يَنْظُرُ إِلَى يَدِيهِ ، إِلَى أَظَافِرِهِ - بِالْغَرَابَةِ -
يُرَبِّتُ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى ذَقْنِهِ ، يَنْتَهِي : -
ذَقْنُ أُخْرَى ، بِالْغَرَابَةِ بِسَاسَاتِهِ تَمَامًا ،
غَرِيبَةٌ بِصُورَةِ الْعُمْقِ وَالْطَّبِيعَةِ ، حَتَّى أَنَّهُ هُوَ نَفْسَهُ
تَمَلَّكَتْهُ الْبَهْجَةُ بِسِيمَائِهِ الْمَكْتَمِلَةِ .

67/11/22

5 - تنازلات مُتَبَادِلة

عَيْنَاهِ بِلَا تَعْبِيرٍ وَتَابِتَانِ - كَانَ يَتَظَاهِرُ بِالْعَمَى . فِي جَاكِيتٍ مُرَقَّعٍ،
بَاهِتِ اللَّوْنِ، فَضَفَاضِ عَلَيْهِ، وَعُكَازٍ فِي يَدِهِ، تَقَدَّمُ،
مُتَخَبِطًا فِي الْخَوَائِطِ . وَالجَمِيعُ - أَطْفَالٌ، رِيَاضِيُّونَ، رَجَالٌ عَجَائِزُ،
نِسَاءٌ جَمِيلَاتٌ، ضُبَاطٌ - عَرَضُوا بِلَهْفَةٍ أَنْ يَقُوْدُوهُ،
لَا إِلَى مَا يُرِيدُونَ، بَلْ - لِلْغَرَابَةِ الشَّدِيدَةِ - إِلَى مَا طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَذَهَّبُوا إِلَيْهِ،
هُنَاكَ بِالْتَّحْدِيدِ . فِي الْمَقَابِلِ، وَبِطَرِيقَةٍ مُرْهَقَةٍ،
لَمْ يَتَحَدَّثْ أَبْدًا تَقْرِيبًا، عَمَّا لَاحَظَهُ . وَلَوْ تَكَلَّمَ،
فَإِنَّهُ كَانَ دَائِمًا مُنْتَهِيًّا لِتَغْيِيرِ الْمَكَانِ، وَالْأَسْمَاءِ، وَالثَّوَارِيخِ
مُخْفِيًّا لَهَا جَمِيعًا، وَمُخْفِيًّا نَفْسَهُ أَيْضًا فِيمَا وَرَاءَ الْمَخْفِيِّ
(أَمْ إِنَّهُ كَانَ، عَلَى الْعَكْسِ، يَكْشِفُ بِالْمَصَادَفَةِ، الْمَجْهُولَ الْمُشَرَّكَ بَيْنَهُمْ؟).

يناير 1968

6 - اعتدال

الكلمات أشبه ما تكون بالأحجار . فيمكِّنك بناء
متازل آمنة بآفاق أبيض ، بأسيرة بيضاء ،
جاهزة فحسب لشخص ما يسكنها ، أو على الأقل
ليقف وينظر من خلال سياج الحديقة في اللحظة
التي يتَّخذ فيها زجاج التوافذ اللون البني المحروق ، وعاليًا على الثالث
ترن أحراجاً المساء ، وبعد بُرْهَة
يختبِط حبل الحَرَس المترنخي بالجدار من تلقاء نفسه .

يناير 1968

7 - ذُئْيٌ من شَمْع

دَخَلَ الْقَاعَةَ . كَانَ ثَمَّةَ ضَوْءٌ شَحِيجٌ . أَمْعَنَ النَّظَرُ
فِي الدُّقَى الشَّمْعِيَّةِ الْعَارِيَّةِ ، الْمَلَوَنَةِ بِجَمَالٍ - أَحَبَّهَا :
يُشَغِّفُ مَا ، شَهْوَانِيَّ تَقْرِيبًا . أَجْسَادٌ بَدِيعَةٌ ، كَانَهَا مَجْبُولَةٌ لِكُلِّهَا
وَفَقَ نَفْسِ النُّمُوذَجِ ، فِي أَعْمَارٍ مُخْتَلِفَةٍ . حِينَ رَفَعَ عَيْنَيْهِ ،
تَعْرَفَ عَلَى وَجْهِهِ فِي وُجُوهِهَا . فِي تِلْكَ اللَّهِظَةِ ،
سَمِعَ وَقْعَ خُطْيٍّ فِي الرُّوَاقِ . خَلَعَ مَلَابِسَهُ عَلَى عَجَلٍ ، ثُمَّ وَقَفَ سَاكِنًا .
دَخَلُوا ، رَكَضُوا عَبْرَ الْقَاعَةِ ، وَفِي التَّهَايَةِ وَقَفُوا أَمَامَهُ . "هَذَا التَّمَثالُ
يَبْدُو طَبِيعِيًّا عَلَى الْأَقْلَى" ، قَالَتْ امْرَأَةٌ ، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ .
سَمِعَ رُمُوشَهُ وَهِيَ تَنْخَفِضُ . انْغَلَقَتْ .

8- الألم الخفي للديكور

لِيُنْقِدَ حَقِيقَتَهُ، نَطَقَ بِالْفِكْرَةِ كِذْبَةً .
وَفِي النَّهَايَةِ لَمْ يَعُدْ قَادِرًا عَلَى تَذَكُّرِ مَا كَانَ يُرِيدُ إِنْقَادَهُ .
وَالآخُرُونَ، قُبَيلَ الْذَّهَابِ إِلَى الْفِرَاشِ، وَضَعُوا أَحْدِيثَتَهُمْ
فِي الْخِزَانَةِ؛ وَغَالِبَيَّنَ النَّاسِ، النَّاسِ الْأَبْسَطُ ،
وَضَعُوهَا تَحْتَ الْأَسِرَةِ؛ وَالْبَعْضُ، الْأَكْثَرُ نُدْرَةُ ،
وَضَعُوهَا عَلَى الْكَرَاسِيِّ؛ لَكِنَّ الْجَمِيعَ، بِلَا إِسْتِثنَاءٍ ،
كَثُرُوا يَمُوْتُونَ ذَاتَ نَهَارٍ أَوْ آخَرَ (أَوْ فِي اللَّيْلِ) .
وَقَدْ تُرِكَ حِدَاءُ نِسَائِيٍّ، أَبِيَضَّ ،
أَمَامَ نَافِذَةٍ مَفْتُوْحَةٍ . الْهَوَاءُ يَهُبُ بِرِيقَةٍ .
وَالسَّتَّارَةُ الطَّوِيلَةُ الْبَيْضَاءُ تَلَامِسُهُ بَيْنَ آنِ وَآخَرَ .

٩- عَرَضاً

مَا إِن يَنْتَهِي – قَالَ – حَتَّى تُصْبِحُ الْخَوَاشِي مُضْجَرَةً :
الْإِيمَاءَاتُ ، الْكَلِمَاتُ ، التَّكَرَّارَاتُ ، الْأَعْلَامُ الْمُنْتَفَخَةُ ،
لَكِنْ يَفْعُلُ الْمَرَأِوجُ وَحْدَهَا ، – سَتَرُونَ فِي نِهَايَةِ الْخَفْلِ .
هُنَاكَ ، الدَّلِيلُ الْمَتِرُّبُ لِلَّيلِ الَّذِي يَتَجَرَّجُ وَسْطَ الْأَشْوَاكِ ،
وَهُوَ ، عِنْدَ الْبَابِ ، يَدْعَكُ أَذْنَهُ يُعُودُ ثَقَابَ .

لِيُرُوسُ ، ٢٤/١١/٦٧

10 - عَوْدَةٌ

فِي الْبِدَائِيَّةِ رَحَلَتِ التَّمَاثِيلُ . فَيَمَا بَعْدِ بِقَلِيلٍ
الْأَشْجَارُ ، وَالنَّاسُ ، وَالحَيَّاتُ . تُرِكَتِ
الْأَرْضُ مَهْجُورَةً تَمَامًا . كَانَ ثَمَّةَ رِيحٌ تَهُبُّ .
جَرَائِيدُ وَأَشْوَاكُ تَرْكُضُ عَبْرَ الشَّوَّارِعِ .
فِي الْمَسَاءِ أُضِيَّتِ الْأَنْوَارُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا .
عَادَ رَجُلٌ وَحْدَهُ ، نَظَرَ حَوَالِيهِ ،
أَخْرَجَ مَفْتَاحَهُ ، غَرَسَهُ فِي الْأَرْضِ
كَأَنَّمَا يُسْلِمُهُ إِلَى يَدِ مَا تَحْتَ الْأَرْضِ ،
كَأَنَّمَا يَزْرَعُهُ شَجَرَةً . ثُمَّ صَدَعَ
السَّلَالِيمُ الرُّخَامِيَّةُ وَنَظَرَ لِأَسْفَلِ عَلَى الْمَدِينَةِ .
يَخْدُرُ ، وَاحِدًا وَاحِدًا ، كَانَتِ التَّمَاثِيلُ تَعُودُ .

11 - نوفمبر

شجرَتَا الكِينَا تَحْتَ المَطَرِ، وَالْمَنَاضِدُ الْخَشِيبَةُ .
الْمَخْزَنُ الْقَدِيمُ خَاوِي . الْحَائِطُ ذُو بَلَلٍ أَحْمَرَ .
لَا نَجَارٌ، لَا عَامِلٌ رُّجَاجٌ، لَا كَهْرَبَائِيٌّ - لَا أَحَدٌ .
وَاحِدٌ، اثْنَانٌ، سَيِّدِيٌّ، - لِمَاذَا؟ أَرْبَعَةُ، سَبْعَةُ، يَا سَيِّدِيٌّ، - كَمُ الْعَدَدُ؟
السَّلَالِمُ تَلَتَّمِعُ . الْخَارِسُ يَهْبِطُ التَّلَّ .
الْآخَرُ بَقِيَ هُنَاكُ، فِي مَوْقِعِ الْحِرَاسَةِ، مَعَ رَادِيو تَرَانِسْتُورٍ، يَا سَيِّدِيٌّ .
شَعْرُكَ مُبَلَّلٌ - آهٌ، اسْمَحْ لِي بِلَمِيسِ شَعْرِكَ .
الرِّيْحُ أَطْفَأَتْ سِيْجَارَتِيِّ فِي يَدِي وَأَطْاحَتْ بِهَا إِلَى الْطَّينِ .
آهٌ، يَا سَيِّدِيٌّ، كَمُ الْعَدَدُ؟ - خَمْسَةُ، سَبْعَةُ، وَخَمْسَةُ، سَبْعَةُ، وَمِنْ
جَدِيدٍ خَمْسَةٌ .

12- بِعْنَى أَوْ بَاخْرَ

كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ، يَتَنَاقَّشُونَ، - فِي هَذِهِ الْضَّوْضَاءِ كُلُّهَا، لَمْ يَكُنْ يَتَمَمِّبِرُ
شَيْءٌ. شَخْصٌ مَا

يَمْجِلُسُ عَلَى الْأَرْضِ، يَأْخُذُ حَجَرًا وَيَسْتَخِدِمُهُ فِي كَسِيرِ لَوْزَةِ الْفَرَقَعَةِ
وَاضِحَّةٌ، مُحَدَّدَةٌ، - مِثْلَمَا حِينَ صَعَدَ الْآخِرُ السُّلْمَ الْخَشِبيِّ
لِيُعَلِّقَ أَعْلَى الْبَابِ لَوْحَةً كَبِيرَةً مَقْلُوبَةً. آتَيْتُ
صَمِيتَ الْجَمِيعَ دَفْعَةً وَاحِدَةً، نَظَرُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ، وَنَظَرُوا: -
كَانَ يُمْكِنُ رُؤْيَاةُ الْمَسَامِيرِ الصَّدِيقَةِ الصَّغِيرَةِ، وَجُثَثُ الدَّبَابِ،
بِالْمَقْلُوبِ، نَعَمْ. - كَارِثُونَ رَمَادِيٌّ يَبْقَعُ مِنَ الرُّطُوبَةِ. وَرَبِّمَا
لَمْ يَكُنْ مَطْلُوبًا قَطُّ إِخْفَاؤُهَا، بَلْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِالذَّاتِ مَرِئِيًّا.

67/12/1

13- شذرات

كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا . - تَحْتَ الْأَعْلَامِ ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لِيَفْكِرْ .
فِيمَا بَعْدُ ، حِينَ لَمَّا نَاهَى الْأَعْلَامَ لِيَنْصَعِفَهَا فِي صَنْدُوقَهَا ،
أَضَاعُوا الْخَيْطَ ؛ - قَدْمٌ مَقْطُوْعَةُ أَوْ يَدٌ ،
وَأَحِيَانًا الرَّأْسَ . كَانَ الْمُنْبَهَ يَرِينَ وَحْدَهُ فِي الْمَطَبُخِ ،
وَالْمَاءُ يَغْلِي ، يَفِيْضُ عَنِ الْحَافَةِ . وَالْجَرِيجُ ، جَعَلُوهُ يَجْتَازُ
فِي الْحَفَاءِ الرُّوَاقَ ، مَخْفِيًّا فِي بَطَانَيَّةِ .
وَفَجَاءَ ، فِي الْغُرْفَةِ الْأُخِيرَةِ ، سُمِعَتِ الصَّرَخَةُ .
وَضَعَ الْجَمِيعُ أَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ كَأَنَّهُمْ مَنْ صَرَخُوا .

67 / 12 / 12

14 - حُدُود

لَذِي مُرُورِ مُنْتَصِفِ اللَّيلِ ، دَوَّى الْبُوقُ . لَا أَحَدٌ
كَانَ يَعْرِفُ مَا يَجْرِي . كَانَ الْجَمِيعُ يَنْظَرُونَ ، مِنْ وَرَاءِ التَّوَافِذِ .
الْأَضْوَاءُ مُطْفَأَةٌ ، السَّتَّائِرُ مُسْدَلَةٌ . وَحْدَهُ حَارِسُ الْخَزَانِ مَنْ خَرَجَ ،
صَعَدَ السَّلَالِمَ ، وَعَوَادَ الْهُبُوطَ . وَكُلُّهُ
يَأْخُذُ فِي التَّبَاحِ فِي الْقَمَرِ . خَمْسَةُ رِجَالٍ يَأْقِنُونَ
ذَخْلُوا قَاعَةَ الْحَمَامَاتِ ، نَزَعُوا أَوَّلَ الْفَوَاصِلِ ،
وَالْبَنْطُلُونَاتِ وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَالْقُمْصَانَ ، وَالسَّرَّاوِيلَ الدَّاخِلِيَّةَ ، وَالْأَحْذِيَّةَ ،
وَخَمْسَ سَاعَاتٍ يَدِ . أَمَّا أَقْنِعَتُهُمْ ، فَلَمْ يَخْلُعُوهَا .

67/12/12

15- أدّاء تعبير

لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ الْأَشْيَاءِ، وَالْكَلِمَاتِ، وَالْطُّيُورِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ أَصْبَحَتْ
شِعَارَاتٍ أَوْ رُمُوزًا (وَلَا شَيْءًا أَوْ تَقْرِيبًا أَفْلَتْ مِنْ هَذَا الْمَصِيرِ).
وَأَيْضًا لَمْ يَعُدْ يُفَضِّلَ أَنْ يَفْتَحَ فَمَهُ،
بَلْ يَقُومُ، كَالْخَرِيسِ، بِأَنْوَاعِ مِنِ الْإِيمَاءَاتِ الْغَرِيبَةِ،
الْهَادِئَةِ، الْمُلْتَبِسَةِ، الْمَرِيرَةِ أَوْ بِالْأَحْرَى الْمُضِحَّكَةِ. وَهُمْ أَيْضًا مَعَ ذَلِكِ،
بَعْدَ عِدَّةِ أَعْوَامٍ، كَانُوا قَدْ أَصْبَحُوا شِعَارَاتِ.

67/12/12

سَلَقَنَا التَّلَلُ لِتُلْقِي نَظَرَةً عَلَى بَلْدَنَا :
حُقُولٌ قَلِيلَةٌ وَفَقِيرَةٌ ، صُخْرٌ ، أَشْجَارُ زَيْتُونِ .
مَزَارِعُ كُرُومٍ تَمَدُّدُ إِلَى الْبَحْرِ . وَبِحَوَارِ الْمِحْرَابِ
نَارٌ صَغِيرَةٌ تَنْفُثُ الدُّخَانَ . صَنَعْنَا مِنْ ثِيَابِ الْجَدَدِ الْعَجُوزِ
خَيَالَ مَائِتَةً لِمُوَاجِهَةِ الْغَرَبَانِ . وَأَيَّامُنَا
تَتَقَدَّمُ نَحْوَ خُبْزِ قَلِيلٍ وَضَوْءِ كَثِيرٍ .
تَحْتَ أَشْجَارِ الْحُورِ تَلْتَمِعُ قُبَّةُ مِنْ قَشٍ .
الْدَّيْكُ فَوْقَ السَّيَاجِ . الْبَقَرَةُ صَفَرَاءُ .
كَيْفَ تَوَصَّلَنَا إِلَى تَنْظِيمِ بُيُوتِنَا وَحَيَايَتِنَا بِيَدِ مِنْ حَجَرٍ ؟
وَحَتَّى عَتَبَاتِ أَبْوَابِنَا ، هُنَاكَ أَيْضًا سِنَاجٌ -
مِنْ شُمُوعِ أَعْيَادِ الْفِصِحَّ -
وَصُلْبَانُ صَغِيرَةٌ هُنَاكَ رَسَمَهَا عَامًا بَعْدَ عَامَ
الْمَوْتِ الْعَائِدُونَ مِنْ صَلَاةِ النُّشُورِ .
هَذِهِ الْأَرْضُ مَفْتُونَةٌ بِالصَّبَرِ وَالْكَرَامَةِ .

وَكُلَّ لَيْلَةٍ ،
تَشَرِّبُ التَّمَاثِيلُ مِنَ الْبَئْرِ الْجَافِ فِي حَدَّرِ ،
وَتَتَسَلَّقُ الأَشْجَارِ .

ليروس ، 13/12/67

17- الحاجة للتعبير

مع الوقت والشعب، تموت أيضا الكلمات - قال.
لم يبق لديه شيء للتعبير عن اللا شيء. أصابعه
أصبحت نحيلة للغاية. خاتمه يسقط. يربطه بقطعة خيط،
يرمي به في الآبار، ويصعد به. لا شيء. فالآبار
لم يعد بها ماء، ولا للخيط أي معنى. ومع ذلك
فاصطدام هذا الخاتم بالصخور، كما لو أنه كان يردد شيئاً ما،
شيئاً ما ينبغي رصده بآي شمن، فلربما، مع حلول المساء،
يتيم التوصل إلى العدد الفردي نفسه المنقوش وراء الباب.

يَقُومُ بِالْوُقُوفِ عَلَى السَّقَفِ . "الآن ، سَوْفَ أَقْفِزُ" ، صَاحَ .
النَّاسُ بِالْأَسْفَلِ ، سَاكِنِينِ ، كَانُوا يَلْتَقِطُونَ أَنْفَاسَهُمْ . قَامَ
بِإِيمَاعِهِ أَنِيَّةً - كَاسْتِعْدَادِ لِلْقَفْزِ - ، غَيْرَ رَأْيِهِ ،
هَبَطَ بِهُدُوءٍ ، وَظَهَرَهُ مُسْتَدِيرًا إِلَى السُّلْمِ . وَخِلَالَ بِضَعْ ثَوَانٍ ،
دُونَ مَعْرِفَةٍ بِالْمَوْقِفِ الْوَاجِبِ الْخَادِهِ ، ضَحِكَ النَّاسُ ، وَاغْتَاظُوا . فِي
النَّهَايَةِ صَفَقُوا .
امْرَأَتَانِ فَحَسِبَ كَانَتَا تَنْظُرَانِ فِي اِتِّجَاهٍ آخَرِ . وَالثَّالِثَةُ كَانَتْ قَدْ وَلَتْ .

19 - قصيدة صغيرة

كَانَ الْكَلْبُ يَقْبِضُ عَلَى الطَّائِرِ فِيهِ .

وَقَطَرَاتُ صَغِيرَةٌ مِنَ الدَّمِ تَسِيلُ عَلَى الصُّخُورِ .

الصَّيَادُ وَسْطَ الْأَعْشَابِ ، - كَانَ وَسِيمًا .

وَثُقْبُ أَحْمَرٍ فِي صِدْغِهِ . وَالْكَلْبُ

كَانَ وَاقِفًا بِقُرْبِهِ ، يَنْظُرُ بِحُزْنٍ -

وَيَحْتَفِظُ بِالْطَّائِرِ مُحِكِّمًا أَسْنَانَهُ عَلَيْهِ .

67/12/25

20- حُزْن

كَانَتْ تَصْعَدُ السُّلْمَ الْخَارِجِيَّ، حِينَ أَطْلَاهُتِ الرِّيحُ بِمَنْدِيلٍ يَدِهَا .
هَبَطَتْ، عَنَّرَتْ عَلَيْهِ بِسُهُولَةٍ . وَشَيْءٌ مَا، مَعَ ذَلِكَ،
كَانَ يُبَقِّي شَفَقَيْهَا مَزْمُومَتَيْنِ، - رُبَّمَا كَانَ ضَرُورَةً أَنْ تَصْعَدَ السُّلْمَ مِنْ
جَدِيدٍ،
أَوْ بِالْأَحْرَى بِسَبَبِ أَنَّهَا هَبَطَتْ .
وَالشَّمَالُ هُنَاكَ، يَحْوَارِ الْبَابِ،
عَارِيٌّ وَقَدَّةُ الشَّمْسِ (عَمَّ كَانَتْ تَبْحَثُ؟)، مُمِسْكَةً كَمَا لَوْ بِصَوْلَجَانِ
يُقَانُوْسِ مَا يَزَالُ مُضَاءً .
اقْتَرَبَتْ، نَظَرَتْ،
رَبَطَتْ الْمَنْدِيلَ حَوْلَ كَاحِلَّهَا، وَدَخَلَتْ الْمَنْزِلِ .
وَرَأَتِ الْبَابِ، كَانَ يُسْمَعُ صَمْتَهَا . وَفِي الْخَارِجِ، شَدَوْ زِينَ الْحَصَادِ فِي
الْخَدِيقَةِ .

67/12/28

21- مَوْكِبُ الْمَسَاءِ

أَرَاضِينَ فَقِيرَةً، فَقِيرَةً لِلْعَایَةِ. أَدْعَالُ مُخْتَرَقَةَ، وَصُخُورَ -
نُجُبَّهَا، هَذِهِ الصُّخُورُ، عَكَفَنَا عَلَيْهَا. وَالزَّمَنُ يَمُرُّ.
غُرُوبُ الشَّمْسِ مُتَوَهَّجٌ. رُجَاجُ التَّوَافِدِ قَاتِمٌ، قُرْمُزٌ.
وَرَاءَ آنِيَةِ الزُّهُورِ، ثَمَّةَ فَتَيَاتٌ يَنْتَظِرُنَ.

ضَبَابٌ يَتَصَاعِدُ مِنْ بُسْتَانِ الرَّيْتُونِ. حِينَ يَهُوِي فِي الْمَسَاءِ،
وَرَاءَ أَشْجَارِ السَّرُورِ يَصْعُدُ الْمَوْكِبُ الْبَطِيءُ لِخَامِلَاتِ الْأَشْرِعَةِ،
يُنْخُطُوا تُهُنْ شَيْءٌ مَا مِنَ الْخُشُونَةِ، كِبْرِيَاءُ عَتِيقٍ وَحَزِينٍ، -
وَفَجَاءَ ثُدِرِكُ مِنَ الْخُطْرِيِّ: أَنَّ رُكَبَهُنْ
مِنْ رُخَامٍ، مُتَكَسِّرٌ، وَمُتَلَاقِيٌ بِالْأَسْمَنَتِ.

22- تغييرات في العادات

أمام الباب، ثمة قائمة. هؤلاء
يمَنَ كأنوا يسمعون أسماءُهم كأنوا يستعدُون على عَجل، -
حقيقةً مُحرَّقة، صُرَّة - أمَّا غير الضَّروري، فكأنوا يتَّركونه.
كان المَكَانُ يخلُو، يتَّخلص. وأولئك الذين يَقْوَى، كأنوا يتَّقارِبون.
منبهٌ منسيٌ، وَضَعُوهُ في رُكْنٍ مِن المَكَانِ، يُشكِّلُ وَاضِحَّ،
يُذَعِّنُ مَا وَاهِتَمَ خاصَّ.

منذ ذلك الحين، وَطُولَ الْأَمْسِيَاتِ،
كان كُلُّ مِنْهُمْ يَصْدُدُ فِي دُورِهِ، مُنْتَظِرًا فِي هُدُوءٍ
أَنْ يَرِنَّ فِي السَّادِسَةِ وَالرُّبْعِ، فِي الصَّبَاجِ التَّالِيِّ، لِيَخْرُجْ وَيَغْتَسِلْ،
وَذَاتَ يَوْمٍ،
رَأَى فِي مُنْتَصِفِ اللَّيْلِ. نَهُضُوا، وَأَغْتَسَلُوا (كَانَ القَمَرُ بَدْرًا)،
ثُمَّ جَلَسُوا فِي حَلْقَةٍ حَوْلَ المَنْبَهِ وَأَشْعَلُوا سَجَائِرَهُمْ.

23- أُفق

ذَاتِ صَبَاجِ مَعَ الْجُبْرِ وَالْأَسْوَدِ الرُّخَامِيَّةِ ،
هَذَا الْبَلْدُ التَّازِفُ الَّذِي يُصِيبُكَ بِالْأَلَمِ ،
إِلَشْوَاكِهِ الصَّفَرَاءِ الْمُمَتَّدَةِ حَتَّىِ الْجُمُرُكِ ، فِي الْأَسْفَلِ تَمَامًا ،
حِينَ يَهِبِطُ الْحَمْلُ التَّلِ ،
وَمِنْخَارَاهِ مُتَسِعًا ، وَوَرَدَةٌ بَيْنَ أَسْنَانِهِ -
وَمِنْ وَرَائِهِ ، تَتَدَحَّرُ الصُّخُورُ إِلَى الْبَحْرِ
حَيْثُ يَسْتَحِمُ عَرَابَا الْجَانِحُونَ
الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَىِ الْبَعِيدِ ، فِي الْأَمَامِ ، فِي الْمَاءِ الْأَبِيَضِ ،
إِلَىِ الْخَطَّ الْأَحْمَرِ لِلْدُولَفِينِ الْجَرِيجِ .

أثينا، 24/3/71

24- أخطار

الموئي مُسَمِّرون إلى الجدران ، قُرب مُلصقات إعلانات
القروض الوطنية . الموئي واقفون على الأرصفة ،
على المنصات الرسمية ، بالأعلام والحوذات ،
بأقنعة من كرتون .

الموئي

لم يَعُدْ لَدِيهِمْ مَا يُخْفِونَهُ ، فَلَيْسُوا سَادَةً
عِظَامِهِمْ التَّيَاسَة (موئي قَابِلُونَ لِلتَّقَوُّض ، صَنَادِيق
تَرْفَعُهَا الرَّوَافِع ، كَرْتُون أَصْفَرِ بَابَيْس) . الموئي
يَتَحَمَّلُونَ الْمَخَاطِرَ الْأَسْوَأَ .

وَذَاك ، الْمَتَّبِعُ ، يَمْظَلِّتُهُ ،
الذِّي يَسِيرُ عَالِيَا هُنَاكَ عَلَى أَسْلَاكِ الْكَهْرَباء ، يَهْلَوَانَا
أَعْلَى الْعَرْض ، وَالْعَيْنَانِ مَرْبُوَّطَتَانِ بِمَنْدِيل ،
فِيمَا تَنَهَلُ الْقَطَرَاتُ الْأُولَى لِلْمَطَرِ .
بَعْدَهَا انْفَجَرَتِ الْعَاصِفَة .

نَادَى قَارِعُ الظُّبُولِ عَلَى النِّسَاءِ لِيُخَبِّئُو الْأَعْلَامِ .
وَهُوَلَاءِ النِّسَاءُ كُنْ مَحْبُوسَاتٍ فِي الْكَهْوَفِ وَقَدْ أَكَلَنَ مَفَاتِيْحَهُنَّ .

أثينا، ٢٥/٣/٦٦

25 - ملاحظة ربيعية

أجساد مهجورة، أحرقتها الشمس، عارية تماماً،
عَدَا ساعَةِ المِعْصِمِ الَّتِي تُوِيمُضُ
وَسَطَ ضَرِبَاتِ الشَّاكُوشِ، وَسَطَ
الْوَاجِ خَشِيبَةٌ مُنْتَصِبَةٌ، مُسْتَوَيَةٌ، تَعْكِسُ
كُلَّ شَمْسٍ النَّهَارِ كَشْمِسٍ مُصَغَّرَةٍ،
وَتَطْفُلُ عَلَى الدَّمِ الْخَارِقِ الْجَامِعِ
كَلِيمُونَةٌ لَفَظَتْهَا سَفِينَةٌ تَغْرِقُ.

أثينا، ٤/٤/٦٨

26- عُمق

يَرَى الْغَوَاصَ يَتَحَرَّكُ فِي التَّاءِ الْعَمِيقِ
يَحْرَكُكَاتٍ ظَفِيفَةً، يَأْيَمَاتٍ جَسَدِيَّةً. أَبْعَدَ قَلِيلًاً،
يَرَى الْعُضُوَ الْجِنِّيِّ لِلأَرْضِ وَسَاقِي الشَّمَالِ
الَّذِي كَانَ يَمْشِي يَخْطُلُ بَطِيشَةً فِي الْقَاعِ. يَرَى أَيْضًا، مُمَدَّدًا، هُنَاكَ،
دَائِكَنَّةً، امْرَأَةً كَانَتْ تَنْتَظِرُ،
وَرُكْبَتُهَا تَرْفَعُهَا سَمَكَةً كَبِيرَةً،
حَمَراءً، حَمَراءً تَمَامًا، إِلَى بَطْنِهَا. وَمَعَ ذَلِكَ،
فَالْطَّحَالِبُ لَمْ تَكُنْ تَتَحَرَّكَ، لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ طَحَالِبٌ.
لَيْسَ سِوَى قِطْعَةِ نَقْدٍ مَعْدَنِيَّةٍ تَمَ قَذْفُهَا كَانَتْ تَهِبِطُ بِطْءً
وَحَطَّتْ فَوْقَ قَمَ الْمَرْأَةِ تَمَامًا.

٦/٤/٦، أثينا

27 - مكاسب إضافية

لَمْ يَسْمَعُهُمْ يَصْعَدُونَ السُّلْمَ .
بَلْ لَمْ يَكُنْ لَدِيهِ وَقْتٌ لِيَسْأَلُهُمْ كَيْفَ وَجَدُوا الْمَفْتَاحَ .
ذَلِكَ مَا كَانَ يُسَمِّيهِ تَوْقِفُ الْمَهْلَةِ . وَلَمْ يَرَمِعْ ذَلِكَ
الشَّقَّ فِي الْأَرْضِيَّةِ . سَحَبَ أَمَامَهُ
سِتَّارَةً سَوْدَاءَ كَبِيرَةً ، فِيمَا فِي الْأَعْلَى
يُسَمِعُ صَرِيرُ الْحَوَاتِمِ التِّيكِلَ ،
هُنَاكَ فِي الْأَعْلَى ، عَلَى الْخَيْطِ الْخَفِيِّ الْمَدُودِ بِارِتَخَاءِ ،
فِي الْأَعْلَى تَمَامًا ، فِي سَمَاءِ سِرِّيَّةٍ كَانَتِ فِي النَّهَايَةِ تَنَشَّمِي إِلَيْهِ .

أثينا، 6/4/71

28- لَيْلَةٌ مِّنْ أَبْرِيل

مَعَ الْمَصَبَّاجِ الْمُتَرِبِ الْمُعْلَقِ بِالسَّقْفِ ،
وَالْخَرَاسِنِ فِي السَّاحَةِ ، بِالْخَارِجِ تَحْتَ الثُّجُومِ ،
وَقَدْ فَكُوا أَرْبِطَةَ أَحْذِيَتِهِمْ ، بِلَا أَيَّةَ شُكُوكٍ . وَالآخْرُونَ
يَبْحَثُونَ بِعَمَىٰ عَنْ تِلْكَ الْفَجُوَةِ بِالْخَائِطِ
الْمَنْقُوبَةِ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ فِي السَّرِّ فِي الظَّلَامِ
بِمِلْعَقَةِ الْمَطَعَمِ - مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ لِلْغَايَةِ . بِالدَّاخِلِ ،
تَفُوحُ رَائِحَةُ كَيْفَةِ لِشَجَرَةِ لَيْمُونٍ مَّنْسِيَّةٍ
فِي رُكْنِ بُسْتَانِ بَرَّيِّ ، مَعَ قَمَرِ حَزِينٍ
يَرْمِي بِرُزْهُورٍ بِيَضَاءِ عَلَى أَكْتَافِ امْرَأَةٍ
كَانُوا يُلْقَبُونَهَا عَنْ حَقٍّ بِـ "الْجَمَال" أَوْ "الْخَرَّيَةَ"
لَوْلَمْ تَكُنْ كُلُّ الْكَلِمَاتِ قَدْ أَصْبَحَتْ حَصْنِي فِي الْفَمِ ،
وَلَوْلَمْ يَأْتِ الْفَأْرُ الصَّغِيرُ ، عَلَى الْأَسْمَنِ ،
مُنْتَرِزٌ هُنْدَهُ فِيمَا بَيْنَ آنِيَةِ الزَّبَادِيِّ الْفُخَارِيَّةِ الْخَاوِيَّةِ .

أَثْنَا، 71/4/9

ساحة هادئة ، صامتة . الأشجار حزينة و مريضة ،
سامقة داخل الزمن . رائحة عفن .

السحلية ، الآثار المستنيرة ، أزهار الحيرانوم . من هناك ، قرابة المساء ،
الأعرج الشاب . على الباب المقابل
يستند الأكتئاب الشاب . ينظر في البعيد .

لأنجحى أحدهما الآخر . يكزان على أسنانهما . يريدان نسيان
ذلك الطائر الميت الذي دفناه معا ذات مساء ، في زمن
كان الأول ما يزال سليم الساقين والآخر سليم الدراجين ،
ومقعده الحوض ، قرب دغل الورود ،

كان ساخنا من الشمس ولم يكن أحد جالسا ،
ولكل شيء بلا غاية ، حزين وثابت ،
وبالتالي أبيدي ، في مدينة
عتيقة ، مسمرة ببساطة في المستقبل .

30 - سُوء فهم

ذلك لا يُغيّر على أية حال إطلاقاً من قول الكلمة
أو إسكاتها - مرادفات بمعانٍ مزدوجة
للموت أو الأبدية.

"مِثْلَ هَذَا فِي حَدِّ ذَاتِهِ فِي التَّهَايَا... " ، يَقُولُ

وَقَدْمٌ عَلَى الْكُرْسِيِّ ، فِي وَضْعٍ
الْأَبْطَالِ الْمِنْيَعِينِ ، الْمُتَوَاضِعِينِ ، الْمُطْلُوبِينِ بِقُوَّةِ ، عُمُومًا -
(فِي هَذَا الْوَضْعِ ثُمَّ تَصْوِيرُهُ ،
وَهَذِهِ الصُّورَةُ قَامُوا بِنَسْرِهَا فِي كُلِّ مُنَاسَبَةٍ)
وَهَكَذَا فَلَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ - فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ - نِيَّةٌ أُخْرَى
سِوَى أَنْ يَحْلِ رِبَاطِ جَذَائِهِ الَّذِي كَانَ يُسَبِّبُ لَهُ الْأَلْمَ.

أثينا، 15/4/71

31 - حُضُور

جِبَالٌ عَالِيَّةُ ، غَيْوُمٌ أَعْلَى أَيْضًا ، لِقاءً اثْ
بَيْنَ الْأَشْجَارِ وَالْأَسَاطِيرِ ، عَلَى الْمُنْحَدَرَاتِ الْخَادِدَةِ ،
هُنَاكَ حَيْثُ كَانَ يُدَوِّي ، بِقُوَّتِهِ الْكَامِلَةِ ، الْفِعْلُ
بِلَا خَوْفٍ مِنَ التَّشْدِيدِ ، فِيمَا فِي الْأَسْفَلِ قَلِيلًا ،
فِي صَفَّيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ ، كَانَتِ الْثَّمَانِيَّلُ صَامِيَّةً
وَسَطَ الْغُيُومُ الصَّفَرَاءُ لِنَبَاتَاتِ الْوَزَالِ الْمَذَهِرَةِ ،
عَارِيَّةً تَمَامًا ، وَالْأَثَدَاءُ مُنْتَصِبَةً أَعْلَى مِنَ الْمَوْتِ .

دلفي، 19/4/71

32- آثار خطى

يامتداد السياج الشبكي للحديقة ، كان الجنود يمرُون .
في الحديقة الظلال المدينة للأشجار ،
والندى المتلالى للقمر على الدكاك الرخامية .
كانت هيلين تقف ساكنة وراء الزنايق الكبيرة . فجأة ،
تسمع طلقات الرصاص في الشرفة المجاورة .
ذهبت هيلين على عجل ذاهلة الزنايق . في المنزل المقابل ،
تنطفي الأنوار فجأة . كان شخص ما يلقي
بالمقاعد في الحديقة . لم يبق هناك سوى بطاينة تباطن سقطها ،
وأنجرفت إلى غصن شجرة ، معلقة
كامرأة في الليلة الأولى من الزواج .

33- أخطاء طوعية

"مَكَاسِبُ وَخَسَائِرُ" ، أو "خَسَائِرُ وَمَكَاسِبُ" . فَوَحْدَهُ نُسُقُ الْكَلِمَاتُ
هُوَ الْجَدِيدُ بِالاعتِبَار - الْكَلِمَةُ ، الْمُسَلَّمَةُ .

وَذَلِكَ الشَّخْصُ

وَاقِفٌ بِالْفِعْلِ عَلَى الْكُرْسِيِّ . وَقَدْ نَسِيَ
الْمَسْمَارَ وَالشَّاكُوشَ . لَا يَهِبُطُ لِيَتَأْتِي بِهِمَا .
يَضْغَطُ بِكِلَتَاهُ يَدِيهِ الصُّورَةَ إِلَى الْخَائِطِ .
ثُمَّ يَهِبُطُ ، يَرَاجِعُ .

الصُّورَةُ

هُنَاكَ ، فِي مَوْضِعِهَا تَمَامًا . لَا تَهُوِي . يَسْتَبِدُ بِهِ الغَضَبُ . لَا يَنْطِقُ .
مَا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ هُوَ صَبَبُ الزُّجَاجِ الْمَهَمَّمُ - يَنْتَظِرُ
(أَوْ بِالْأَحَرِيِّ هَذَا مَا يَبْدُو عَلَيْهِ ، وَهَلْ هَذَا هُوَ مَا يُمْتَعِهُ ؟).

رَبِّمَا كَانَ هُنَاكَ مِسْمَارٌ فِي الْخَائِطِ مُنْذُ أَمْدٍ بَعِيدٍ .

أثينا، 16/5/71

34 - اختراع المركز

حَبْسُوهُ فِي دَائِرَةٍ . وَهُوَ كَانَ مُصِرًا
عَلَى التَّفْكِيرِ ، وَعَلَى الْمُلْاحَظَةِ . كَانَ يَسِيرُ
دَاخِلَ الدَّائِرَةِ ، عَلَى طُولِ الْجِدَارِ ، فِي سَاحَةِ
السَّجْنِ الدَّائِرِيِّ . لَمْ يَقُلْ شَيْئًا . وَفِي الْمَسَاءِ ،
كَانَ يُوَاصِلُ جَوَّلَتِهِ ، وَرَأْسُهُ خَفِيَّة . رُبَّمَا كَانَ يُفَكِّرُ فِي شَيْءٍ مَا مُحَدَّدٌ ،
رُبَّمَا كَانَ يُدِرِّكُ أَنَّ كُلَّ دَائِرَةٍ لَهَا مَرْكَزٌ
(أَمْ رُبَّمَا ثَمَّةَ مَرْكَزٌ وَاحِدٌ لِكُلِّ الدَّوَائِرِ؟).
عَلَى أَيَّةِ حَالٍ ،
كَانَ يَبْتَسِمُ مِنْ حِينٍ لِآخَرَ . وَوَرَاءِهِ ،
عَلَى الرَّقْمِ الْكَبِيرِ الَّذِي خَطَّهُ ،
كَانَ يَقْفُضُ طَائِرٌ شَاهِقُ الْبَيَاضِ ، لَا يَعْرِفُ بِهِ سِوَاهُ .

35 - لَا مَزِيدَ مِنْ ذَلِكَ

لَا مَزِيدَ مِنْ الشِّعْرِ، إِذْن، لَا مَزِيدَ مِنْ الشِّعْرِ.
تَعْرِفُ الْآنَ فِيمَا كُنْتَ تَقُومُ بِإِنْزَالِ
سَلَةَ الْمَطَبِخِ الْقَدِيمَةِ
مِنَ الْطَّابِقِ السَّابِعِ، مَرْبُوطَةَ بِطَرْفِ حَبْلٍ،
مَعَ مُوسَى الْحِلَاقَةِ، وَالْحَبِزِ، وَالْحِذَاءِ،
وَمِرَأَةِ الْجَبِيبِ، وَالْكَنَّارِيِّ الْمِيتِ.
وَقَدْ تَرَكَتُهُمْ هُنَاكَ . لَمْ تَصْعُدْ بِهِمْ . شَيْئًا فَشَيْئًا ،
خَنَقَ نَبَاتُ الْقُرَاصِ السَّلَةَ . وَوَحْدَهُ ،
احْتَفَظَتِ الْحَبْلِ مَرْبُوطًا فِي قُضَبَانِ سَرِيرِكَ .

أَثْنَا، 9/6/71

36- أَكَانْ لَهُمَا وِجْدُودْ؟

الْبَعِيدُ الَّذِي يَقْرَبُ ، وَالْقَرِيبُ الَّذِي يَبْتَعِدُ -
أَسِيجَةُ ، مَنَازِلُ ، نِسَاءٌ يَقْمَنُ بِالْتَّسْوِقِ فِي الشَّارِعِ ،
مِرْأَةٌ أَمَامَ الدُّكَانِ ، دُكَانُ الْخَلَاقِ ، عَرَبَةٌ كَارُو ،
الْتَّأْجِيلُ ، الْقَرَارُ . مِظَلَّةٌ مُسْتَنِدَةٌ إِلَى الْبَابِ الْأَصْفَرِ ،
كَلْبٌ وَحْدَهُ فِي الشُّرْفَةِ - أَكَانَ ذَلِكَ كَذِيلَ وَجْهِيًّا هَكَذَا ؟
نَاسٌ ، أَشْجَارٌ ، دُخَانٌ ، - كَمْ هُو عَمِيقُ الرَّحِيلِ .
الْقَرِيبُ ، وَالْبَعِيدُ ، أَكَانَا مَوْجُودَيْنَ وَحْدَهُمَا ؟

أثينا، 18، 6، 71

37 - قَصْرُ نَظَرٍ

خَلَعَ نَظَارَتَهُ . ثَمَدَ . أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ .
خَطَّتْ ذُبَابَةٌ عَلَى جَيْنِيهِ . تَرَكَهَا وَشَانَهَا .
كَانَ يُرَاقِبُ بَاطِنَ الدَّبَابَةِ : مَسَرُّخٌ خَارِّ،
وَمُمَثَّلٌ، وَحَدَّهُ، وَاقِفٌ عَلَى كُرْسِيٍّ،
يُكَرِّرُ بِلَا صَوْتٍ دَوْرَ إِيفِيَّجِينِي^[١] .

أَئِنَا، 71/2/71

[١] أَبْنَةُ الْمَلْكِ أَجَامِنُونَ، وَالْمَلْكَةِ كَلِيْمِنْسْتَرَا، فِي الْأَسَاطِيرِ الْيُونَانِيَّةِ.

38 - بصيرة

كُلُّمَاتٍ عَلَى وَرَقٍ ، قَصَائِدٌ عَلَى وَرَقٍ . الْمَدِينَةُ
يُكَامِلُهَا عَلَى وَرَقٍ . كَانَ يَعْانِي مِنْ عُودٍ ثَقَابٍ
يُخَاوِلُ إِشْعَالَهُ .

- "عُودٌ ثَقَابٌ ، عُودٌ ثَقَابٌ" .

أَعْوَادُ الثَّقَابِ رَطْبَةٌ ، لَا تَشْتَغِلُ - وَالْمَطْرُ ، بِلَا شَكٍ ،
أَوْ بِالْأَحْرَى أَلَمْ تَرُكْهَا مَسَاءً أَمْسٍ بِالْحَمَامِ ؟

أُنْيَا ، 9/7/71

39 - مع الريح

شَرَعَتِ الْرِّيحُ فِي الْهَبُوبِ، فِي الرَّكِضِ عَلَى الْطُّرُقِ الْعَامَّةِ، وَبِالْمَرْجِ.
أَمَّا الْرِّيحُ كَانَتْ تَجْرِي الشَّيْرَانِ، وَالْفَلَاحُونِ، وَأَوْلَادَ الْقَابِلَةِ.
وَفِي الْوَرَاءِ، كَانَ الرَّبُّ يَأْتِي، وَهُوَ يَعْرُجُ. مِنَ النَّافِذَةِ،
تَنْظَرَتِ فِي عَيْنَيْهِ امْرَأَةٌ مِنْ وَرَاءِ الزُّجَاجِ.
ثُمَّ أَخْفَضَتِ عَيْنَيْهَا، وَأَدَارَتْ لَهُ ظَهَرَهَا،
اقْتَرَبَتِ مِنَ الْمَائِدَةِ وَرَاحَتْ تَقْطَعُ الْخُبْزِ.

ساموس، 15/8/71

40 - ملائكة الليل

مَرَّتِ الْغَيْمَةُ . فَظَهَرَ الْقَمَرُ ثَلْجِيًّا .
وَبَعْدَهُ الدَّرْجُ الرُّخَابِيُّ وَالْكُرْسِيُّ .
وَآخِرًا الشَّجَرَةُ ، جَرَدَاءُ ، يَعْنَاقِيدُ مِنَ الْخَفَافِيشِ .
الْخَفَافِيشُ ، هُوَ الْمُخْرِجُ مِنْ قَامَ يَتَعَلَّيِقُهُمْ .
وَالْمَجْنُونُ كَانَ عِنْدَ الْبَابِ . وَضَعَ عَلَى الْأَرْضِ
بَاقَةً مُغَلَّفَةً فِي جَرِيَّةِ دَيْقَةٍ .
إِنَّهَا عِظَامٌ - قَالَ - مِنْ أَجْلِ الْكَلْبِ .
كَانَ الْكَلْبُ قَدْ مَاتَ مُنْذُ أَمْدٍ بَعِيدٍ . وَالآخَرُونَ
اسْتَدَارُوا إِلَى الْخَائِطِ ، وَقَامُوا بِتَغْطِيَةِ رُؤُوسِهِمْ
بِبَطَاطِينِ عَسْكَرِيَّةٍ عَنِيقَةٍ مَسْرُوَّقةٍ .

سَامُوسُ ، ٢١/٩/٣

من تمزيق في الديكور الورقي ،
يرى مسرحا عميقا ، مظلما وحاويا . هكذا
دخل ، معيده ارتداء سترته ، إلى الخشبة المضاءة
ومزق ستارة نفسها . هناك
كان دوره ، الكامل والأخير . من المقصورة
سقط شاكيش الكهربائي . وفجأة
أعادت البكرات رفع العابة الورقية ،
والقصر الورقي ، ومصابحا الشارع .
وحده القمر الزائف ، الضخم ، هو ما يقى في مكانه .

ساموس ، 26/9/71

42 - سِر الْبَهْلَوَان

عَلَى التَّلَالِ ، الْكَنَائِسُ خَاوِيَة . فِي الْأَسْفَلِ ، بِالْمَرْجِ ،
الْقَبَرَانِ ، وَالْأَحْصِنَةِ ، وَالْكُرُومِ . السَّمَاءُ سَاكِنَةٌ
وَسَطِ الْغُيُومِ الَّتِي تَبَدَّلُ . بَقْعَةٌ سَوَادَاءُ ،
سَاكِنَةٌ عَلَى الْبَحْرِ ، - أَكْثَرُ سَوَادًا فِي الْمَرْأَةِ . وَهُوَ
يَحْكُمُهَا بِأَظَافِرِهِ - تَأَكَّلَتْ أَظَافِرُهُ . آتَيْدُ
يَأْخُذُ طَلَاءَ وَيَطْلِي الْحَائِطَ بِالْذَّهِي . كَأَنَّمَا عَلَى سَبِيلِ الْحَطَّا ،
يَضْرِبُ نَفْسَهُ بِالْفُرْشَةِ عَلَى الْأَنْفِ ، وَعَلَى الْخَدَّيْنِ . وَحَيْثُ كُلُّ شَيْءٍ مُذْهَبٌ
الآن ،
يَنْتَظِرُ فِي الْمَرْأَةِ . يَضْحَكُ - تَغْمُضُ عَيْنَاهُ -
هَذَا الْبَهْلَوَانُ الدَّائِمُ لِلْمَوْتِ (مِثْلَمَا نُسَمِّيهِ) ،
الَّذِي يُخْفِي فِي جَيْهِهِ تَلَاثَةَ مَسَامِيرَ ضَخْمَةَ صَدِّيَّةَ .

سَامُوس ، 9/10/71

43 - أرض محمرة

كَانَ دَائِمًا مَا يُفَتِّشُ، بِلَا سَبَبٍ، بِلَا حَاجَةٍ.
فِي الرَّمَادِ غَرَّ عَلَى جُرُرٍ صَغِيرَةٍ مَأْهُولَةٍ
بِكَنَائِسِهَا الْعَتِيقَةِ الْمَلِيَّةِ بِالرَّيْحِ.
خَارِجٌ إِحْدَى الْكَنَائِسِ، كَانَ ثَمَّةَ كُرْسِيًّا.
فِي الْأَسْفَلِ، عَلَى الصُّخُورِ، قَنَافِذُ بَحْرِيَّةٌ كَبِيرَةٌ،
تُظَلَّلُهَا غَيْمَةُ سَاكِنَةٍ. فَيَمَا بَعْدُ،
لَمْ يَكُنْ لَدِيهِ مَا يُضِيفُهُ. كَانَ مِنَ الْوَاضِعِينَ أَنَّهُ كَانَ يُحْرِصُ
يَتَحَشَّى أَنْ يَذْكُرْ كَلْمَةً "مَوْتٌ".

مارس - أكتوبر 71

مساءً مُظْلِمٌ كَجَيْبٍ خَاوِي . في قَاعِ الْجَيْبِ ،
ثَقَبٌ ، نَاعِمٌ وَأَمْلَسٌ . خِلَالَهُ ، تَدْسُ فِي الْحَفَاءِ أَصَابِعَكَ لِتَلْمَسَ فَخَذَكَ
كَأَنَّكَ تَلْمَسُ جَسْدًا آخَرَ ، ضَخْمًا ، مُغَابِرًا -
الْجَسَدُ الْعَيْقَنِي لِمَوْتِكَ أَوْ لِلَّيْلِ .
خِلَالَ ذَلِكَ الثَّقَبِ تَنْزِلُقُ قِطْعُ الْعُمَلَةِ كُلُّهَا ،
وَخَاصَّةً تِلْكَ الْدَّهَبِيَّةُ ذَاتُ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ
لِأَمِيرِ الزَّنَابِقِ الْمَرَاقِقِ .

مارس - أكتوبر 71

هِيلِين

(1970)



(حتى عن بعد، فالليل والرثاثة وأضاحان - حوايل مهدمة ساقطه
عنها الحصُّ، مصاريع نوافذ متلاشية؛ سياج الشرفة صدئ. ستارة
تهتز خارج النافذة في الطابق العلوي، مُصفرةً، بالية في الأسفل.
وعندما يتمُّاقرباً - يتردُّد - يتجلّل نفس الإحسانين بالخراب في
الحديقة: نباتات عشوائية، أوراق شجر شهوانية، أشجار غير
مشدبة؛ الوردة الباقة مختبقة في القُرّاص؛ النافورات الجافة عفنة؛
نبات الأشنة على التماثيل الجميلة. سحلية قابعة بين ثديي
أفروديت شابة، تستدفِن في الأشعة الأخيرة للشمس الغاربة. كم
مرت السنين! كان شاباً آنذاك - في الثانية والعشرين؟ الثالثة
والعشرين؟ وهي؟ لا يمكن القول أبداً - كانت تُشعّ بكتير من
الضياء، فاعماك، اخترقك كُلّك - ولم تُعد تستطيع القول ماداً
كانت، إن كانت، وإن كُنت. دق جرس الباب. وفيما كان يقف في
المكان نفسه الذي عرفه جيداً في الماضي، والذي تغير الآن بصورة
بالغة الغرابة بالتشابك المجهول لأنوائه الداكنة، سمع صوت
الجرس يرن، وحيداً. كانوا بطيئين في الرد على الباب. شخص ما لاح
من النافذة العليا. لم يكن هي. خادمة، شابة. صاحكة فيما يبدوا.
تركَت النافذة. لا إجابة لا تزال على الباب، ومن بعد، سمع وقع

أقدام بالداخل على السلام. شخص ما فتح مصاريع الباب. صعد.
 رائحة غبار، وفاكهه عطنه، ووحول جاف، وبول. في الأعلى. عرفة
 نوم. خزانة ملأيس. مراة معدنية. مقعدان متداعيان بمسنددين
 منقوشين. منضدة صغيرة رديئة من صفيح عليها أ��اب قهوة
 وأعقارب سجائر. وهي؟ لا، لا، مستحيل! امرأة عجوز، عجوز-
 ميشة، ميئتا عام من العمر لكن منذ خمس سنوات- أو لا الملايين
 ملبيته بالشقوب. هناك، بلا حركة؛ جالسة على السرير، متحينة.
 عيناهَا فحسب- أوسع من ذي قبل، مستبدتين، فاقدتين،
 خاويتين) :

نعم، نعم - ها أنذا. فلتجلس برهة. لم يعد أحد يأتي إلى هذه التاجية.
 إنني أبداً في نسيان كيفية استخدام الكلمات. وعلى أية حال، فالكلمات لا
 تهم. أظن أن الصيف قادم،
 فالستائر تهتز بصورة مختلفة، محاولة قول شيء ما - مثل هذه البلاهات!
 إحداها ظارت فعلاً من التافية، مستحبة لكسر الحلقات،
 للطيران فوق الأشجار - ربما لتسحب معها المنزل لـ الله بعيداً -
 لكن المنزل يقاوم بكل أركانه
 وفي أيضاً معه، رغم إحساسه بأن تحررت من شهور
 من موئلي، من نفسي؛ ومقاومة هذـه،
 العصبية على الفهم، الأبعد من إرادتي، الغريبة علىـهـ، هي كلـ ماـ أملك -

اقتراني بهذه السرير، بهذه الستارة - هي أيضا خوفى،
كان جسدي كله مستند إلى الخاتم ذى الحجر الأسود في إصبعي السبابة.

الآن أتمعن في هذا الحجر بدقة؛ الآن، في ساعات الليل هذى التي لا
تنتهى -

سوداء، بلا انعكاسات - يكبر، يكبر، يمتلىء بماء أسود -
يقيض الناء، يترايد، فاغوص،
لأ إلى القاع، بل إلى عمق أعلى؛ من الأعلى هناك
يمكنني اكتشاف غرفتي في الأسفل، ونفسى، وخزانة الملابس،
والخدمات مراوغات بلا صوت؛ أرى إحداهم
مقيمة على كرسى، يتغير قايس، حاقد،
تجلو صورة "ليدا"^[١]؛ أرى منفحة الغبار
تحلّف وراءها أثرا من عبار وفجاعات تنبش وتنفجر
بأهمية رهيبة حول عظام كاحلى أو ركبى.

المحكم أنت أيضا وجهك مرئك، مشدود،
شائها يفعل التماوجات البطيئة للماء الأسود - التي تجعل وجهك عريضا
حينما، وحينما ممطوا
بخطوط صفراء. وشعرك يتلوى إلى أعلى

[١] ليدا: ابنة ملك أيتوليا ثيستيوس، وزوجة ملك سيرطة تينداريوس، وأم هيلين الطروادية وكليتمنسرا.

كَمِيدُوزًا مَقْلُوبَةَ رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ^[٣] . لَكِنِي آتَيْتُ أَقْوَلُ : إِنَّهُ لَيْسَ سَوَى
حَجَرٍ ،

حَجَرٍ كَرِيمٍ صَغِيرٍ . يَتَقَلَّصُ كُلُّ السَّوَادِ ،
ثُمَّ يَذْوِي وَيَسْتَقِرُّ فِي أَصْغَرِ عُقْدَةٍ مُمْكِنَةٍ -
أَحِسْهُهُ هُنَا ، تَحْتَ حَلْقِي تَثَامًا . وَأَعُودُ مِنْ جَدِيدٍ
فِي عُرْفَتِي ، عَلَى سَرِيرِي ، بِجُوارِ قَوَارِيرِي الْمَأْلُوفَةِ
الَّتِي تُحَدَّقُ فِيَّ ، وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، مُوْمِنَةً - لَا يُمْكِنُهَا مُسَاعِدَتِي
إِلَّا عَلَى الْأَرْقِ ، وَالْخُوفِ ، وَالذَّكَرِيَّاتِ ، وَالنُّسِيَّانِ ، وَالرَّبِّو.

مَا الَّذِي تَفْعَلُهُ ؟ أَوْ لَا تَرْأَلُ فِي الْجَيْشِ ؟ انْتِهِ . لَا تَشْغِلْ نَفْسَكَ كَثِيرًا
بِالْبُطْوَلَةِ ، وَالْأَوْسَمَةِ ، وَالْأَمْجَادِ . فَمَاذَا سَتَفْعَلُ بِهَا ؟
أَلَا يَرْأَلُ لَدِيكَ الدَّرْعُ الَّذِي تَقْشَتَ عَلَيْهِ وَجْهِي ؟ كُنْتَ مُضِحِّكًا لِلْغَایَةِ
فِي خَوْذِكَ الظَّوِيلَةِ بِدَيْلِهَا الْمَدِيدِ - شَابًا ، وَخَجُولًا
كَأَنْكَ قَدْ أَخْفَيْتَ وَجْهَكَ الْوَسِيمَ
بَيْنَ الْأَرْجُلِ الْخَلْفِيَّةِ لِحِصَانٍ يُعْظِي ذَيْلَهُ فِي الْأَسْفَلِ
ظَهَرَكَ الْعَارِيِّ . فَلَا تُجِنَّ مِنْ جَدِيدٍ . وَلَتَبْقَ مُدَّةً أَطْوَلَ .

زَمْنُ الْعَدَاءِ وَلِيَ الْآنُ ؛ وَالرَّغْبَاتُ ذَوَتْ ؛
رُبَّمَا يُمْكِنُنَا الْآنُ ، مَعًا ، مُلَاحَظَةَ الْأَجَدَوْيِ نَفْسِهَا -

[٣] مِيدُوزًا: كان أنثوي بشع، تخرج من رأسها- بدلاً من الشعر- أفاع سامة. وكل من ينظر إلى وجهها البشع يتتحول لعوه إلى حجر، وفقاً للأساطير الإغريقية.

حيث اللقاءات الحقيقية وحدها ، فيما أظن - مهما كانت لأهمية ،
لكن مع ذلك مهدئه - قد حققت جماعتنا الجديدة ، جرداه ، هادئه ،
فارغه ،

دون كثير من الاستبدال والتعارض - فلنحررك فحسب زمام المدفأه ،
فيما نصنع بين الحين والحين جرار دفن جميله ، طويله ونحيلة
أو نجلس على الأرض ونضر بها بسعي بلا صوت .

شيئاً فشيئاً ، فقدت الأشياء معناها ، أصبحت فارغه ؛
فهل كان لها من قبل أي معنى ؟ - راكرة ، جوفاء ؛
حشوتها يقش وتبين ، لتنتحها شكل ،
لتجعلها سميكة ، قوية ، واقفة في ثبات - المناضل ، المقاوم ،
السرير الذي ننام عليه ، الكلمات ؛ دائمًا جوفاء
مثل أكياس الملابس ، وأجولة الباعة الخيش ؛
من الخارج يمكن أن تخمن فعلاً ما يداخلها ،
بظاطس ، بصل ، قمع ، ذرة ، لوز أو طحين .

أحياناً ما يعلق أحدها في مسمار بالدرج
أو في طرف هلب بالميناء في الأسفل ، فتنشق مفتوحة ،
فيتأثر الطحين - نهراً أحمق . يفريع الجوال نفسه .
يعلم الفقراء الطحين في حفنات
ليصنعوا فطيرة أو عصيدة . ينهار الجوال .

يلتفتُه شخصٌ ما من قاعده، ويَهُزُّ في الهواء؛
 تلتفه غيمةٌ من عبار أبيض، يُصبحُ شعره أبيض؛
 حواجهُ بالذاتٍ تُصبحُ بيضاء. يتفرجُ عليه الآخرون.
 لا يفهمون شيئاً؛ ينتظرونَه ليفتحَ فمه، ليقولَ شيئاً.
 لا يفعلُ. يطوي الحالَ طيَّتين؛
 يرحلُ كما هو، أبيض، عصيًّا على التفسير، بلا كلامٍ،
 كأنَّه مُتخَفٌ كرجلٍ داعِرٍ غارٍ مُغطٍّ بِملاءةٍ،
 أو كميتٍ ما كبرٍ بُعثَ في كفنه.

هكذا، فليس للأحداث والأشياء أي معنى - والشيء نفسه بالنسبة
 للكلمات،

رغمَ أتنا بالكلماتِ نسمى، إلى حدّ ما، تلك الأشياء التي نفتقرُ إليها،
 أو التي لم نرها قط - الأشياء الأثيرية، الأبدية، كما نقول -
 كلماتٌ بريئةٌ، مُضللةٌ، مُعزيةٌ، مُلتبسةٌ،
 محاولين دائمًا أن تكون صائمة - يا له من شيء رهيب،
 أن نسمى طيفًا، فنستدعيه في الليل إلى السرير
 والملاعة مشدودة حتى عُنِقك، وإذا نسمعه، نظنّ نحنُ الحمقى
 أننا نُوحَّد أجسادنا معاً، وأنه يدعمنا، وأننا نحتفظُ بسيطرتنا على العالم.

هذه الأيام أنسى الأسماء التي كنت أعرفها جيداً، أو أندَّركُها مختلطة -
 باريس، مينيلاوس، أخيل، بروتوس، ثيوكليمينوس، تيفكروس،

كاستور وبوليديوسيس - أخرى الأخلاقيين ، الذين ، فيما أظن ،
 تحولوا إلى نجوم - كما يقولون - فنارات للسفن - ييسوس ، بيرينثوس ،
 أندروماك ، كاساندرا ، أجامنون - أصوات ، مجرد أصوات بلا شكل ،
 صورهم ليست خطولة على زجاج نافذة
 أو مراة معدنية على المياه الضحلة لشاطئ ما ، مثلاً في ذلك الزمان
 ذات يوم مشميس هادي ، بخشود الصواري ، بعد أن حمّلت المعركة ،
 وصريح الحال المبلولة على البكرات قد سحب العالم إلى أعلى ،
 مثل عقدة نسيج محبوس في حلقة شفاف -
 يمكنك أن تراه يومض ، يرتعش
 دون أن يتحول إلى صرخة ، وفجأة يغوص في المشهد الطبيعي ،
 السفن ، والبحارة والمركبات ، في الضوء والجهول .

الآن ، ثمة غرق أعمق ، أكثر حلاوة -
 تنبئ منه بين الحين والحين بعض الأصوات - عندما تدق الشواكيش
 الخشب

وتسمى سفينه جديدة في حوض سفن صغير ،
 فيما كانت مركبة بارعة خيول تمر على الطريق الصخري ،
 مُضيفة إلى دقائق ساعة الكاتدرائية في ديمومة أخرى ،
 كل هناك ما هو أكثر ، أكثر بكثير من اثنين عشرة ساعة
 وخيول تدور في الساعة حتى الاستزاف ؛
 أو حينما كان شابان وسيمان تحت نوافذني ،

يُغَنِّيَانِ أُغْنِيَّةً لِي، بِلَا كَلِمَاتٍ - أَحَدُهُمَا بِعَيْنٍ وَاحِدَةٌ؛
وَالآخَرُ يَضَعُ حِلْيَةً عَلَى حِزَامِهِ، ثُوِّيْضُ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ.

لَا تَأْتِي الْكَلِمَاتُ إِلَيَّ الْآنَ مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهَا - أَبْحَثُ عَنْهَا
كَأَيِّ أُتْرِجُمُ عَنْ لُغَةٍ لَا أَعْرِفُهَا - وَمَعَ ذَلِكَ، أُتْرِجِمُ .
بَيْنَ الْكَلِمَاتِ، وَخِلَالَهَا، فَجَوَاتُ عَمِيقَةٍ؛ أَحَدُهُنَّ فِيهَا
كَأَيِّ أُحَدُهُنَّ فِي الْعُقْدِ الَّتِي سَقَطَتْ مِنْ أَلْوَاجِ بَابِ
مُوَصِّدٍ تَنَامًا، مُسْمَرًا هُنَا مُنْذُ عُصُورٍ. وَلَا أَرَى شَيْئًا .

لَا كَلِمَاتٌ أَوْ أَسْمَاءٌ أُخْرَى؛ يُمْكِنُنِي فَحَسْبٌ تَمْيِيزُ بَعْضِ الْأَصْوَاتِ -
يَرِنُّ مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهِ شَمَدَانٌ فِضَّيٌّ أَوْ زُهْرَيَّةٌ كَيْرِسَتَالٌ وَيَتَوَقَّفُ فَجَاءَهُ
مُتَظَاهِرًا بِأَنَّهُ لَا يَدْرِي شَيْئًا، وَأَنَّهُ لَمْ يَرِنْ، وَأَلَا أَحَدٌ طَرَقَهُ، أَوْ مَرَّ بِهِ .
يَهُوِي ثَوْبٌ بِرِقَّةٍ مِنَ الْمِقْعَدِ إِلَى الْأَرْضِ،
مُحَوِّلًا الْأَنْتِبَاةَ عَنِ الصَّوْتِ السَّبَاقِ إِلَى بَسَاطَةِ الْعَدَمِ .
مَعَ ذَلِكَ، فَفِكْرَةُ الْمُؤَامَرَةِ الصَّامِمَةِ، رَغْمَ اتِّشَارِهَا فِي الْهَوَاءِ،
تَطْفُو بِكَثَافَةٍ فِي الْأَعْلَى، أَفْقِيَّةً عَالِيًّا،
حَتَّى لَتُحِسِّنَ بِالْحُظُوطِ الْمَحْفُورَةِ حَوْلَ فَمِكَ تُصْبِحُ أَعْمَقَ
بِالْتَّحْدِيدِ بِسَبَبِ هَذَا الْحُضُورِ لِمُتَظَفِّلٍ يَحْتَلُّ مَكَانَكَ
فَيُحَوِّلَكَ إِلَى مُتَظَفِّلٍ، هُنَا فِي سَرِيرِكَ، وَفِي غُرْفَتِكَ .

آهُ، أَنْ تُصْبِحَ مُغَنِّيًّا فِي مَلَأِيْكَ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي تَتَقَادَمُ،

في جلدك الذي يتغضّن ؛ فيما أصاينا
 لم تُعدْ تستطيع الإمساك أو حتى إحاطة أجسادنا
 بالبطانة التي ترتفع تلقائياً ، تتشير ، تتلاشى ، يقتربنا
 غرائياً في الفراغ . آتيت يدأ الجيتار المنسي منذ سنتين ، المعلق على
 الحائط

في الارتفاع ، بأوتاره الصدئة ،
 كفك امرأة عجوز يرتعش من البرد أو الخوف ،
 ويكوّن عليك أن تضع كفك مفرودة على الأوتار
 لشوق الرعدة المعدية . لكنك لا تُعثر على يدك ، فلابد لك ؛
 وفي أحشائك تسمع جرتك ترتج .

الهواء في هذا المنزل يصبح ثقيلاً وعصياً على التفسير ،
 ربما بسبب الحضور الطبيعي للموتى . ينفتح صندوق ثياب ،
 فتساقط ثياب قديمة ، تصدر حقيقاً ، تقف مُنتصبة
 وتتمشى بهدوء ؛ تبقى شرابة ذهبيتان على البساط ؛
 ستارة تنفرج - لا تنكشف عن أحد - لكنها ماتزال هناك ؛
 سيجارة تستعمل وتحترق في المنفحة ؛ والشخص الذي تركها هنا
 موجود بالغرفة الأخرى ، آخر إلى حد ما ،
 ظهره محني ، محلياً في الحائط ، ربما في عنكبوت
 أو بقعة رطبة ، مواجهها الحائط ، لهذا فلن يبين
 التجويف الداكن تحت عظام وجنتيه الثانية .

لَمْ يَعُدِ الْمَوْتَى يُحْسِنُونَ بِالْأَلْمِ لَنَا - ذَلِكَ عَرِيبٌ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ -
لَيْسَ كَثِيرًا عَلَى أَنفُسِهِمْ مِثْلَمَا عَلَيْنَا - تِلْكَ الْحَمِيمِيَّةُ الْحَيَادِيَّةُ لَهُمْ
فِي مَكَانٍ أَنْكَرُهُمْ وَلَا يُسَاهِمُونَ بِشَيْءٍ فِي صِيَانَتِهِ ،
وَلَا يَشْغِلُونَ أَنفُسَهُمْ بِخُلُاصَةِ الْوَضْعِ ،
هُمْ ، مُكْتَمِلِينَ بِلَا قَابِلَيَّةَ لِلتَّغْيِيرِ ، أَضْخَمُ قَلِيلًا مَا فَحَسِبَ .

ذَلِكَ مَا يُذْهِلُنَا أَحْيَانًا - تَزَايِدُ عَيْرِ الْقَابِلِينَ لِلتَّغْيِيرِ
وَأَكْتِفَاوُهُمُ الدَّائِيُّ الصَّامِتُ - بِلَا اسْتِعْلَاءٍ أَبَدًا ،
لَا يُخَالِوْنَ إِجْبَارَكَ عَلَى تَذَكِّرِهِمْ ، عَلَى أَنْ تَكُونَ لَطِيفًا .
النِّسَاءُ يَتَرُكْنَ بُطُونَهُنَّ تَرَهَّلُ ، وَجْوَارِبُهُنَّ تَهَدَّلُ ،
يَأْخُذْنَ الْإِبَرَ مِنَ الْعُلَيَّةِ الْفِضْيَّةِ ، يَغْرِسْنَهَا فِي قَطِيفَةِ الْأَرِيَّكَةِ
وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، فِي صَفَّيْنِ مُسْتَقِيمَيْنِ ، ثُمَّ يَلْتَقِطْنَهَا
وَيَبْدَأْنَ مِنْ جَدِيدٍ بِعِنَايَةِ مُهَدَّبَةٍ . يَنْبَيِّثُنَّ شَخْصً مَا بَالِغُ الْطُّولِ
مِنَ الْقَاعَةِ - يَخْبِطُ رَأْسَهُ فِي الْبَابِ ؛
لَا يَقُومُ بِأَيَّةٍ تَكْشِيرَةً - وَلَا الْحَبْطَةُ يُمْكِنُ أَنْ تُسْمَعَ أَبَدًا .

حَقًّا ، فَهُمْ حَمَقٌ مِثْلَنَا ؛ أَكْثَرُهُمْ دُوَءًا فَحَسِبَ . وَاحِدٌ آخَرُ مِنْهُمْ
يَرْقَعُ ذِرَاعَهُ بِصُورَةِ احْتِفَالِيَّةِ ، كَأَنَّهُ يُبَارِكُ شَخْصًا مَا ،
يَنْتَزَعُ قِطْعَةً كِرِسْتَالَ مِنَ الشَّمِيدَانِ ، وَيَضَعُهَا فِي فِيهِ ،
بِبَسَاطَةٍ ، كَفَاكِهَةَ رُجَاحِيَّةٍ - وَلَنْ تَظُنَّ أَبَدًا أَنَّهُ سَيَمْضِغُهَا لِيَسْتَعِيدَ مِنْ

جَدِيد

وَظِيفَةُ إِنْسَانِيَّةٍ - لَكِنْ لَا ، فَهُوَ يُطِيقُ عَلَيْهَا بِأَسْنَاهِهِ ، هَكَذَا ،
لِيُسْمَحَ لِلْكِرِيسَتَالِ بِالْالِتِمَاعِ بِالْقِبَّةِ عَبَّثِي .

تَأْخُذُ امْرَأَةٌ بَعْضًا مِنَ الْقِشْدَةِ السَّطْحِيَّةِ مِنَ الْجَرَّةِ الْبَيْضَاءِ الْمُسْتَدِيرَةِ
الصَّغِيرَةِ

بِالْحَرْكَةِ الْبَارِعَةِ لِإِصْبَاعِهَا ، وَتَكْتُبُ

حَرْفَيْنِ كَبِيرَيْنِ سَمِيكَيْنِ عَلَى رُجَاجِ النَّافِذَةِ - يُشَهَّانِ L وَ D -

تُسْخِنُ السَّمْسُ رُجَاجِ النَّافِذَةِ ، فَتَذُوبُ الْقِشْدَةُ ، وَتَقْطُرُ عَلَى الْحَائِطِ -

وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي شَيْئًا - مُجَرَّدُ شَقَّيْنِ دُهْنِيَّيْنِ ، قَصِيرَيْنِ .

لَا أَدْرِي لِمَاذَا يَتَّقَى الْمَوْتَى حَوْلَنَا هُنَّا دُونَ أَيِّ تَعَاوِظٍ مِنْ أَحَدٍ ؛ لَا أَدْرِي
مَا يُرِيدُونَ ،

وَهُمْ يَهِمُّونَ فِي الْغُرْفِ يَأْبَهُ مَلَائِسِهِمْ ، وَأَفْضَلُ أَحْذِيَتِهِمْ لِأَمِعَّةٍ ، نَظِيفَةٍ ،
إِلَّا صَوْتٌ مَعَ ذَلِكَ كَانَهُمْ لَا يَمْسُونَ الْأَرْضِيَّةَ .

يَحْتَلُونَ الْمَكَانَ ، يَدِبُّونَ أَيْنَمَا يُحِبُّونَ ، فِي الْمِقْعَدَيْنِ الْهَزَازَيْنِ ،
أَسْفَلَ عَلَى الْأَرْضِ ، أَوْ فِي الْحَمَامِ ؛ يَنْسُونَ فَيَتَرَكُونَ الصُّبُورَ يَقْطُرُ
يَنْسُونَ قِطْعَ الصَّابُونِ الْمُعَعَّرَةِ تَذُوبُ فِي الْمَاءِ .

وَالْخَادِمَاتُ الْلَّا لَيْ يَعْبُرُنَ وَسَطْهُمْ ، يَكْنُسُونَ بِالْمِكْنَسَةِ الْكَبِيرَةِ ،
لَا يَلْحَظُهُمْ . أَحْيَانًا فَحَسْبُ ، ثَمَّةَ ضِحْكَةُ لِخَادِمَةٍ ،

مَكْتُومَةٌ نَوْعًا مَا - لَا تَنْظِلِقُ خَارِجَ النَّافِذَةِ ،
تُشِبِّهُ عَصْفُورًا مَرْبُوَطًا مِنْ سَاقِهِ يُخْيِطُ يَشْدَهُ إِلَى الْأَسْفَلِ شَخْصٌ مَا .

آنِيَذْ تَفَضَّبُ مِنِي الْخَادِمَاتُ بِلَا تَفْسِيرٍ ، يَرْمِيَنَ الْمِكْنَسَةَ هُنَا ،
 وَسَطَ غُرْفَتِي ، وَيَذْهَبُنَ إِلَى الْمَطَبَخِ ؛ أَسْمَعُهُنَ
 يَصْنَعُنَ قَهْوَةً فِي قُدُورٍ كَبِيرَةٍ ، وَيَنْتَرُنَ السُّكَّرَ عَلَى الْأَرْضِيَةِ -
 يَنْسَحِقُ تَحْتَ أَحْذِيَتِهِنَّ ، وَرَائِحَةُ الْقَهْوَةِ
 تَنْدَفِقُ خِلَالَ الْمَدْخَلِ ، تُغْرِقُ الْمَنْزِلَ ، تَلْمَحُ نَفْسَهَا
 فِي الْعِرَاءِ مِثْلَ وَجْهِ سَخِيفٍ ، قَاتِمٍ ، وَصَفِيفٍ ، مُعَقَّبٍ بِخُصُلِ شَعْنَاءِ
 وَقُرْطَيْنِ رَاثِفَيْنِ بِلَوْنِ زُرْقَةِ السَّمَاءِ ، يَنْفُثُ أَنْفَاسَهِ فِي الْمِرَآةِ ،
 فَيَغْبَشُ الرِّجَاجَ . أَحِسْ بِلِسَانِي يَجْوُسُ فِي فَيِّي ؛
 أَحِسْ بِأَنِّي لَا يَرَأُلَ لَدِيَ بَعْضُ الْعَابِ . "قَهْوَةٌ لِي أَيْضًا" ، أَصِبَحَ بِالْخَادِمَاتِ
 "قَهْوَةً" (ذَلِكَ كُلُّ مَا أَطْلَبُ ، فَلَا أُرِيدُ شَيْئًا آخَرَ) .
 يَتَصَرَّفُنَ كَأَنَّهُنَ لَا يَسْمَعُنَ . أَنَادِي مِرَارًا وَتَكَرَّارًا
 بِلَا مَرَارَةً وَلَا غَضَبَ . لَا يُجِيبُنَ . أَسْمَعُهُنَ
 يَجْرِيَنَ الْقَهْوَةَ مِنْ أَكْوَابِ الْبُورْسِلِينَ ذَاتِ الْحَوَافِ الْمُذَهَّبَةِ
 وَالْوُرُودِ الْبَنَفْسَجِيَّةِ الرَّاقِيقَةِ . أَرْكِنُ إِلَى الصَّمَتِ وَأَحْمَلِقُ
 فِي تِلْكَ الْمِكْنَسَةِ الْمَرْمِيَّةِ عَلَى الْأَرْضِ كَالْجَسَدِ الْمُتَصَلِّبِ
 لَصِبِيِّ الْبَقَالِ التَّحِيلِ ، الطَّوِيلِ ذَاكَ ، الَّذِي أَرَانِي ،
 مُنْذُ سَنَوَاتٍ ، قَضِيَبِهِ الْكَبِيرِ مِنْ بَيْنِ قُضَبَانِ بَوَابَةِ الْحَدِيقَةِ .
 آهَ حَقًا ، فَأَنَا أَضْحَكُ أَحْيَانًا ، وَأَسْمَعُ ضَحْكِي الْأَجَشَ يَنْطَلِقُ ،
 لَا مِنَ الصَّدِرِ كَالْعَادَةِ ، بَلْ أَعْمَقَ بِكَثِيرٍ ، مِنَ الْأَقْدَامِ ؛ بَلْ حَتَّى أَعْمَقَ ،
 مِنَ الْأَرْضِ . أَضْحَكُ . كَمْ كَانَ كُلُّ ذَلِكَ تَافِهًًا ،

بِلَا مَعْنَى ، عَابِرًا وَوَهْمِيًّا - الْقَرَاءُ ، الْخُرُوبُ ، الْأَمْجَادُ ،
الْغِيَرَةُ ، الْمُجَوَّهَرَاتُ ، جَمَالِيَّ الْخَاصِّ .

أَيَّةُ حُرَافَاتٍ حَمَقَاءُ ،
يَجْعُلُ وَظَرْوَادِيُّونَ وَعِلَاقَاتُ حُبٍّ وَأَفْعَالُ جَسُورَةً .

لَقَدِ التَّقَيْتُ

يُعْشَاقِي الْقُدَّامَى مِنْ جَدِيدٍ فِي وَلَائِمَ لَيْلَيَّةَ جَنَائِزِيَّةَ ، بِلِحَى بَيْضَاءَ ،
يُشَعِّرُ أَيْيَضَ ، يُبَطُّونَ مُنْتَفِخَةَ ،
كَأَنَّهُمْ حَبَالَ حَقًّا بِمَوْتِهِمْ ، يَلْتَهِمُونَ بِشَرَاهَةَ غَرِيبَةَ
الْمَاعِزَ الْمَشَوِيَّ ، دُونَ التِّفَاتٍ إِلَى عَظَمَةَ كَتِفٍ - فَعَمَّ كَانَ لَهُمْ أَنْ
يَبْخَثُوا - ٩١

ظِلٌّ مُنْبَسِطٌ مُمْتَلِئٌ بِيَضْعَ بُقْعَ بَيْضَاءَ .

وَأَنَا ، كَمَا تَعْرِفُونَ ، احْتَفَظْتُ بِجَمَالِيَ السَّابِقِ
بِمَا يُشِيهُ الْمُعْجِزَةِ (لَكِنْ أَيْضًا بِأَصْبَاغِ ، وَأَعْشَابِ وَمَرَاهِمْ ،
يَعْصِيرُ الْلَّيْمُونِ وَمَاءِ الْحَيَّارِ) . كُنْتُ مَرْغُوبَةً مِنْ أَنَّ أَرَى فِي وُجُوهِهِمْ
رَوَالَ أَعْوَامِيِّ . فِي ذَلِكَ الْجِينِ كُنْتُ أَشَدُّ عَصَلَاتٍ بَطْنِيَّ ،
كُنْتُ أَشَدُّ خَدَّيَّ بِابْتِسَامَةٍ مُفْتَعَلَةَ ،
كَأَنِّي أَسِنَدُ جِدَارَيْنِ مُنْهَارَيْنِ بِدَعَامَةٍ نَحِيلَةَ .

ذَلِكَ مَا كُنْتُهُ ، قَعِيدَةَ ، حَبِيسَةَ ، عَصَبِيَّةَ - يَا إِلَهِي ، أَيُّ اسْتِنْزَافٍ -
حَبِيسَةَ كُلَّ دَقِيقَةٍ (حَتَّى فِي نَوْيِي) كَأَنِّي

كُنْتُ فِي دَرَعٍ يُثْلِجُنِي أَوْ مِشَدٍّ خَشِيَّ يُحِيطُ بِجَسْدِي كُلَّهُ،
أَوْ دَاخِلَ حِصَانِي الْطَّرَوَادِيُّ الضَّيْقُ الْمُخَادِعُ، مُدْرِكَةً آتَيْنِي
تَفَاهَةَ الْخِدَاعِ وَخِدَاعِ الدَّاَتِ، تَفَاهَةَ الشَّهَرَةِ،
تَفَاهَةَ وَزَوَالِ كُلِّ انتِصارِ.

مُنْدُ بِضَعَةٍ شُهُورٍ،
عِنْدَمَا فَقَدْتُ رَوْجِي (أَكَانَ ذَلِكَ مُنْدُ شُهُورٍ أَمْ سَنَوَاتٍ؟)،
تَرَكْتُ حِصَانِي الْطَّرَوَادِيُّ فِي الْخَظِيرَةِ إِلَى الْأَبْدِ، مَعَ أَحْصِنَتِهَا الْعَجُوزُ،
لَيُمْكِنَ لِلْعَقَارِبِ وَالْعَنَاكِبِ أَنْ تَمَرَّحَ فِيهِ. وَلَمْ أَعُدْ أَصْبِغُ شَعْرِي بَعْدَ
ذَلِكَ.

تَنَامَتْ دَمَامِلُ كَبِيرَةً فِي وَجْهِي. وَشَعْرُ كُثِيفٍ نَمَّا حَوْلَ فَيِ -
أَتَشَبَّثُ بِهِ، لَا أَنْظُرُ إِلَى نَفْسِي فِي الْمِرَآةِ -
شَعْرُ طَوِيلٍ، وَحْشِي - كَأَنَّ شَخْصًا آخَرَ قَدْ تَوَجَّ نَفْسَهُ دَاخِلِي،
رَجُلٌ صَفِيفٌ، حَاقِدُ، وَتِلْكَ هِيَ لِحِيَتِهِ
الَّتِي تَبَيَّنَ مِنْ جِلْدِي. وَأَنَا أَسْمَحُ لَهِ بِذَلِكَ - فَمَاذَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَفْعَلَ؟ -
فَأَنَا أَخْشَى إِنْ طَرَدْتُهُ أَنْ يُجْرِيَنِي وَرَاءَهِ.

لَا تَرْحَلْ. فَلَتَبِقَ قَلِيلًا. فَأَنَا لَمْ أَتَحَدَّثْ مُنْدُ عُصُورِ.
وَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَأْتِي لِيَرَانِي. فَهُمْ جَمِيعًا يَتَعَجَّلُونَ الرَّحِيلِ،
أَرَاهُ فِي عُيُونِهِمْ - يَسْتَعِجِلُونَ جَمِيعًا مَوْتِي. وَالزَّمْنُ لَا يَنْقَضِي.
تَتَقَرَّزُ الْخَادِمَاتُ مِنِّي. أَسْمَعُهُنَّ يَفْتَحُنَ أَدْرَاجِي فِي اللَّيْلِ،
فَيَأْخُذنَ الْأَشْيَاءَ الْمُرَخَّرَفَةَ، الْمُجَوَّهَاتَ، وَالْعُمَلَاتُ الْدَّهَبِيَّةَ،

فَمَنْ يَسْتَطِعُ التَّخْمِينَ إِنْ كَانُوا سَيَّرُكُونَيْ بِثَوْبٍ وَجِيدٍ مُخْتَشِمٍ لِسَاعَةَ
الصَّرُورَةِ

أَوْ حِذَاءً وَجِيدَ . بَلْ لَقَدْ أَخْدُوا مَفَاتِيحِي
مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي ؛ وَلَمْ أُحَرِّكْ سَاكِنَّا ؛ تَظَاهَرُ بِأَنِّي نَائِمَةَ -
كُنَّ سَيَّاْخُذُنَّهَا عَلَى أَيَّةٍ حَالِ ذَاتِ يَوْمٍ - لَمْ أَكُنْ أُرِيدُ فَحَسِبَ أَنْ يَعْرِفَنِ
أَنِّي أَعْرِفَ .

فَمَاذَا يُمْكِنُ أَنْ أَفْعَلَ بِدُونِهِنِ ؟ "صَبِرًا ، صَبِرًا" ، أَقُولُ لِتَفْسِيِّي ؛
صَبِرًا" - وَذَلِكَ أَيْضًا أَصْغَرُ شَكِيلٍ لِلانتِصَارِ ،
عِنْدَمَا يَقْرَأُ الرَّسَائِلُ الْقَدِيمَةَ لِلْمُعْجَبِينَ بِي
أَوْ الْقَصَائِدَ الَّتِي أَهْدَاهَا لِي شُعَرَاءُ عِظَامٍ ؛ يَقْرَأُنَّهَا
يَتَفَخِّيمُ أَبْلَهَ وَكَثِيرٌ مِنْ أَخْطَاءِ النُّطْقِ ، وَالنَّبْرُ ، وَالْوَزْنُ
وَالْوَقْفَاتُ - لَا أَصْحَحُ لَهُنْ . أَتَظَاهَرُ بِأَنِّي لَا أَسْعَ .
وَأَحِيَانًا مَا يَرْسُمُنَ شَوَارِبَ كَبِيرَةَ بِقَلْمِ حَوَاجِيِّ الْأَسْوَدِ
عَلَى تَمَاثِيلِي ، أَوْ يَضَعُنَ خَوْذَةَ عَتْيَقَةَ أَوْ قِدْرًا
عَلَى رُؤُوسِهَا . أَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ فِي بُرُودٍ . فَيَغَضِّبُنِ .

ذَاتَ يَوْمٍ ، عِنْدَمَا شَعَرْتُ بِبَعْضِ التَّحَسُّنِ ، طَلَبْتُ مِنْهُنَّ مَرَّةً أُخْرَى
أَنْ يُزَيِّنَ وَجْهِي . فَعَلَنِ . طَلَبْتُ مِرَآةً .
كُنَّ قَدْ ظَلَيْنَ وَجْهِي بِالْأَخْضَرِ ، مَعَ قِيمِ أَسْوَدِ . "شُكْرًا" ، قُلْتُ لَهُنِ ،
كَأَنِّي مَا رَأَيْتُ شَيْئًا غَرِيبًا . كُنَّ يَضْحَكُنِ . إِحْدَاهُنِ

تَعَرَّتْ أَمَاءِيْ ، وَارْتَدَتْ وِشَاجِيَ الدَّهْبِيَّ ، وَعَلَى هَذَا التَّحْوِيْ تَمَامًا ،
عَارِيَةَ السَّائِقِينَ ، بِدَأَتِ الرَّقْصَ بِسَاقِيَهَا السَّمِيَّتَيْنَ ،
قَفَرَتْ إِلَى الْمِنْصَدَةِ - مُهْتَاجَةً ؛ رَقَصَتْ وَرَقَصَتْ ، مُنْحَنِيَّةَ
فِي تَقْلِيْدِ ، كَذِلِكَ ، لِحْرَكَاتِي الْقَدِيمَةَ . وَأَعْلَى فَخْدِهَا
كَانَتْ هُنَاكَ عَصَّةُ حُبٍّ مِنْ أَسْنَانِ رَجُلٍ قَوِيَّةَ ، مُتَسَاوِيَةَ .

تَفَرَّجَتْ عَلَيْهِنَّ كَأَنِّي فِي مَسَرَحٍ - بِلَا مَهَانَةَ أَوْ حُزْنَ ،
أَوْ نِقْمَةَ - بِيَأْيَةَ غَايَةَ ؟ - لَكِنِّي ظَلَلْتُ أَقُولُ لِنَفْسِي :
"ذَاتِ يَوْمٍ سَنَمُوتُ" ، أَوْ "سَتَمُونَ ذَاتَ يَوْمٍ" ،
وَكَانَ ذَلِكَ انتِقامًا ، وَخَوْفًا وَعَزَاءَ مُؤَكِّدًا .

كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ مُبَاشِرَةً فِي الْعَيْنِ بِوُضُوحٍ فَاتِرٍ ، يَفْوُتُ الْوَصْفَ ،
كَانَتْ عَيْنَايِي مُسْتَقْلَتَيْنِ عَنِّي ؛ وَكُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى عَيْنَيِي
اللَّتَيْنِ تَقَعَانِ عَلَى بُعْدِ مِتْرٍ مِنْ وَجْهِي ، كَرْجَاجِ نَافِذَةِ مَخْلُوعٍ
يَجِيلُسُ خَلْفَهُ شَخْصٌ مَا آخَرَ
وَبُرَاقِبُ الْمَارَةَ فِي شَارِعٍ تَجْهُولُ
بِهِ مَقَاءِ مُوَضَّدَةٍ ، وَمَحَلَّاتٍ تَصْوِيرٍ وَعُطُورٍ ،
وَكَانَ لَدَيَ الإِحْسَانِ بِأَنَّ قَارُورَةَ كِرِيسْتَالٍ جَمِيلَةَ قَدْ انْكَسَرَتْ ،
وَانْسَكَبَ الْعِطْرُ فِي وَاجِهَةِ الْعَرْضِ الْمُتَرِبَّةِ ، وَكُلُّ مَارَ ،
مُتَوَقِّفًا فِي غُمُوضٍ ، مُتَشَمِّمًا الْهَوَاءَ ، تَذَكَّرُ شَيْئًا مَا طَيَّبَّا
ثُمَّ تَلَاهَشَ وَرَاءَ أَشْجَارِ الْفَلْفُلِ أَوْ فِي نِهَايَةِ الشَّارِعِ .

بَيْنَ الْحَيْنَ وَالْحَيْنِ، لَا يَزَالُ يُوْسِعِي أَنْ أَحِسَّ بِالْأَرْبِعِ - أَعْنِي، أَتَدَّكِرُهُ؛
أَلَيْسَ ذَلِكَ غَرِيبًا؟ - وَبِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كُنَّا عَادَةً مَا نَعْتَبِرُهَا عَظِيمَةً،
مُنْتَهِيَّةً، مُتَلَّاشِيَّةً -

مَقْتُلُ أَجَامِنُونَ، ذَبْحُ كِلِيْتِمِنْسِتِرَا (أَرْسَلُوا إِلَيْهِ
إِحْدَى قَلَائِدِهَا الْجَبِيلَةِ مِنْ مِيسِنَيَّا)،
الْمَصْنُوعَةِ مِنْ أَقْنِعَةِ ذَهَبِيَّةِ صَغِيرَةٍ، مُلْتَحَمَةٍ بِرَوَابِطِ
مِنَ الْأَطْرَافِ الْعُلَيَا لِلْأَذَانِ - مَا ارْتَدَيْتُهَا أَبَدًا). نُسِيَّتْ؛
بَعْضُ الْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى تَبَقَّى - أَشْيَاءٌ بِلَا أَهْمِيَّةٍ، بِلَا مَعْنَىٰ؛
أَتَدَّكِرُ رُؤْبَيْتِي ذَاتَ يَوْمٍ لِطَائِرٍ يَجْمُعُ عَلَى ظَهِيرٍ حِصَانٍ، وَبَدَا لِي هَذَا الشَّيْءُ
الْمَحَيْرِ
تَفْسِيرًا (وَخَاصَّةً لِي) لِغُمُوضِ مَا جَمِيلٍ.

لَا أَزَالُ أَذْكُرُ، وَأَنَا طِفْلٌ عَلَى شَوَّاطِئِ إِيُورُوْتَاسِ، يَحْوَارِ أَشْجَارِ الْلَّيْنَدَرِ
الْمُحَرَّقَةِ،
صَوْتُ شَجَرَةٍ تُقْسِرُ لِحَاءَهَا وَجِيدَةً؛
يَسَاقِطُ الْلَّحَاءُ بِرِيقَةٍ إِلَى الْمَاءِ وَيَطْفُو بَعِيدًا كَالْقَوَابِ،
وَكُنْتُ أَنْتَظُرُ، فِي عِنَادِ، قَرَاشَةً سَوَادَاءَ ذَاتَ حُطُوطٍ بُرْئَقَالِيَّةِ
أَنْ تَحْكَطَ عَلَى قِطْعَةِ لِحَاءٍ، مَذْهُولَةً مِنْ حَرَكَتِهَا رَغْمَ سُكُونِهَا،
وَمَرَّقَنِي ذَلِكُ، أَنَّ الْفَرَاسَاتِ، رَغْمَ بَرَاعَتِهَا فِي الطَّيْرَانِ،
لَا تَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ السَّفَرِ فِي الْمَاءِ، أَوِ التَّجْذِيفِ. وَأَنْتَ.

هُنَاكَ لَحْظَاتٌ مُعَيْنَةٌ غَرِيبَةٌ ، مَعْزُولَةٌ ، وَغَالِبًا مُضْحِكَةٌ .
رَجُلٌ يَتَمَشَّى فِي الظَّهِيرَةِ ، وَاضِعًا سَلَةً كَبِيرَةً فِي رَأْسِهِ ؛
تُخْفِي السَّلَةُ وَجْهَهُ كَمَّهُ كَأَنَّهُ بِلَا رَأْيْنِ ، أَوْ يَتَخَفَّى بِرَأْسِهِ ضَخْمَةً بِلَا عُيُونِ ،
أَوْ مُتَعَدِّدَةُ الْعُيُونِ .

وَرَجُلٌ آخَرُ ، يَتَعَرَّفُ فِي شَيْءٍ مَا ، فِيمَا يَتَمَشَّى ، مُتَأْمِلًا فِي الغَسْقِ ، يَلْعَنُ ،
وَيَعُودُ ، يَبْحَثُ - فَيَجِدُ حَصَاءً ، يَلْتَقِطُهَا ؛ يُقْبِلُهَا ؛
لَمْ يَتَذَكَّرْ أَنْ يَنْظُرَ حَوْلَهُ ؛ وَيَمْضِي يَإِحْسَانِ بِالدَّنْبِ .
وَامْرَأَةٌ تَدْسُ يَدَهَا فِي جَيْبِهَا ؛ لَا تَجِدُ شَيْئًا ؛ تُخْرِجُ يَدَهَا ،
تَرْفَعُهَا وَتُمْعِنُ النَّظَرَ فِيهَا كَأَنَّمَا لَفَحَهَا مَسْحُوقُ الْخَوَاءِ .

أَمْسَكَ نَادِلٌ بِذَبَابَةٍ فِي يَدِهِ - لَمْ يَسْحَقْهَا ؛
يُنَادِي عَلَيْهِ أَحَدُ الزَّيَائِنِ ؛ كَانَ مُسْتَغْرِقًا ؛ يَفْتَحُ قَبْضَتَهُ ؛
تَفِرُّ الذَّبَابَةُ وَتَحُظُّ عَلَى الزُّجَاجِ . قُصَاصَةُ وَرَقٍ تَتَدَحَّرُجُ أَسْفَلَ الشَّارِعِ
مُرْدَدَةً ، مُتَشَنَّجَةً ، دُونَ أَنْ تَلْفِتَ اِنْتِبَاهَ أَحَدٍ -
مُسْتَمِتَّةً تَمَامًا . لَكِنَّهَا مَعَ ذَلِكِ ،
كَثِيرًا مَا تُصْدِرُ خَشَخَشَةً مَا تُكَذِّبُهَا ؛ كَأَنَّهَا تَتَطَلَّعُ
إِلَى شَاهِدٍ نَّزِيهٍ عَلَى طَرِيقَهَا السَّرِّيِّ ، الْمُتَوَاضِعِ . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
لَهَا جَمَالٌ كَثِيرٌ ، بِلَا تَفْسِيرٍ ، وَأَلْمَعْ عَمِيقٌ
بِسَبَبِ إِيمَاءَاتِنَا الغَرِيبَةِ التَّجْهُولَةِ - أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟

الْبَقِيَّةُ ضَائِعَةٌ ، كَأَنَّهَا مَا كَانَتْ . أَرْجُوسُ ، أَثِينَا ، سَبَرَةُ ،

كُورِنَّتَهُ، طَيْبَةُ، سِيْكِيُونْ - ظَلَالُ أَسْمَاءِ. أَنْطِقُهَا؛
 يَرَدُّ صَدَاهَا كَأَنَّهَا تَغُوصُ فِي التَّقْصَانِ .
 كُلُّ ضَالٌّ، كَرِيمُ الْأَصْلِ ،
 أَمَامَ نَافِذَةٍ تَحَلُّ الْبَانِ فَقِيرٌ. فَتَاهُ مَارَةٌ تَنْظُرُ إِلَيْهِ؛
 لَا يَسْتَجِيبُ؛ يَمْتَدُ ظَلُّهُ شَاسِعًا عَلَى الرَّصِيفِ .
 لَمْ أَعْرِفِ السَّبَبَ أَبَدًا. بَلْ أَشْكُ أَنَّهُ مَوْجُودٌ .
 لَيْسَ هُنَاكَ سَوَى تِلْكَ الْمُوَافَقَةِ الْمُلْزَمَةِ، الْمُهِينَةِ (مِنْ؟)
 إِذْ نُوْمِيْ "حَقًا" كَأَنَّمَا تُحْيِي شَخْصًا مَا
 يُخْنُوْعَ لَا يُصَدِّقُ، رَغْمَ أَنَّ أَحَدًا لَا يَمُرُّ، لَا أَحَدَ هُنَاكَ .

أَظُنَّ أَنَّ شَخْصًا آخَرَ، ذَا صَوْتٍ جِيَادِيٍّ تَمَامًا، أَخْبَرَنِي ذَاتَ يَوْمٍ
 بِتَفَاصِيلِ حَيَاتِي؛ كُنْتُ نَاعِسَةً وَأَتَمَّيْ مِنْ كُلِّ قَلْبِي
 أَنْ يَتَوَقَّفَ، أَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ إِغْنَاضِ عَيْنَيَّ، وَأَنَّامَ .
 وَإِذْ تَكَلَّمُ، وَلَا فَعَلَ شَيْئًا مَا، لِأَطْرُدُ النُّعَاسَ ،
 أَخَذْتُ أُحْصِي شُرَابَاتِ شَالِيِّ، وَاحِدَةً وَاحِدَةً ،
 بِنَغْمَةِ أُغْنِيَّةٍ "عُمَيْضَةٍ" طُفُولِيَّةٍ سَخِيفَةٍ ،
 إِلَى أَنْ ضَاعَ الْمَعْنَى فِي التَّكَرَارِ. لَبَّكِنَ الصَّوْتَ يَبْقَى -
 صَحَبُ، ارِتِيَامَاتُ، صَرِيرُ - أَزِيزُ الصَّمْتِ، تُحِبُّ نَشَازَ ،
 شَخْصٌ مَا يَخِيَّشُ الْخَائِطَ يَأْظَافِرُهُ، مِقْصُ يَسْقُطُ عَلَى الْوَاجِهِ الْأَرْضِيَّةِ ،
 شَخْصٌ مَا يَكُوْحُ - وَيَدُهُ عَلَى فَيْهِ، حَتَّى لَا يُوْقَظُ الْآخَرُ
 الثَّالِثَمَ مَعَهُ - رُبَّمَا مَوْتُهُ - يَتَوَقَّفُ؛ وَمِنْ جَدِيدٍ

ذلك الأَزِيرُ اللَّوَيُّ الْمُتَصَاعِدُ مِنْ بَئْرِ خَاوِيَّةِ، مُوصَدَةٌ.

فِي الْلَّيلِ أَسْمَعَ الْخَادِمَاتِ يَحْرُّكُنَ قِطْعَ الْأَثَاثِ الصَّخْمَةَ؛
يَنْقِلَنَّهَا إِلَى الطَّابِقِ السُّفْلِيِّ - مِرَآةً، مَحْمُولَةً كَنْقَالَةً،
تَكْشِفُ تَصْمِيمَاتِ السَّقْفِ الْجِبْسِيَّةِ الْبَالِيَّةِ؛
رُجَاجٌ نَّافِذَةٌ يَرْتَطِمُ مِرَارًا بِالسَّيَاجِ - وَلَا يَنْكِسِرُ؛
الْمِعْطُوفُ الْقَدِيمُ عَلَى الْخَامِلِ يَرْفَعُ ذِرَاعَيْهِ الْخَاوِيَّتَيْنِ لِيُرْهَةً، ثُمَّ يَدْسُهُمَا فِي
الْجَيْبَيْنِ؛

الْعَجَلَاتُ الصَّغِيرَةُ لِسِيقَانِ الْأَرِيَّكَةِ تُقْرِقُ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ.
يُمْكِنُنِي مِنْ هُنَا أَنْ أُحِسَّ عَلَى كُوعِي بِالْخَرِشَاتِ الَّتِي تَصْنَعُهَا عَلَى الْخَائِطِ
أَرْكَانُ خِزَانَةِ الْمَلَائِسِ

أَوِ الْمِنْضَدَةِ الْمَنْقُوشَةِ الْكَبِيرَةِ. مَاذَا سَيَفْعَلُنَّ بِهِمْ؟ "وَدَاعًا" ،
أَقُولُ بِصُورَةِ مِيَكَانِيَكِيَّةٍ غَالِبًا ، كَأَنِّي أُوَدَّعُ زَائِرًا يَظْلُلُ غَرِيبًا.
لَيَسْ هُنَاكَ سَوَى ذَلِكَ الصَّرِيرِ الْغَامِضِ الَّذِي يَبْقَى فِي الصَّالَةِ
كَأَنَّمَا مِنْ تَفِيرِ أُمَرَاءِ صَيْدِ عَائِدِيَّنَ مَعَ قَطَرَاتِ الْمَطَرِ الْأُخِيرَةِ ، فِي غَابَةِ
مُحَرَّقةٍ.

يُصْدِقُ ، فَالْكَثِيرُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْعَقِيمَةِ الْمُتَرَاكِمَةِ بِشَرَاهَةٍ كَبِيرَةٍ
قَدْ سَدَّتِ الْمَكَانَ - لَا نَسْتَطِيعُ الْحَرْكَةَ؛
تَرْتَطِمُ رُكْبَنَا بِرُكْبَ حَشْبِيَّةٍ ، حَجَرِيَّةٍ ، مَعْدَنِيَّةٍ .
أَوْ ، سَيَكُونُ لَنَا حَقًّا أَنْ نَشِيخَ ، أَنْ نَشِيقَ لِلْغَايَةِ ، أَنْ نُصْبِحَ مُسْتَقِيمِينَ ،

لتحصل إلى تلك التزاهة المعتدلة ، انتفاء المصلحة الرهيف ذلك في
المقارنات والأحكام ،
حينما يصبح قدرنا ألا نشارك إلا في تلك السكينة .

آه حقا ، كم من معارك سخيفة ، وأفعال بطيئة ، وطموحات ، وغطرسة ،
وتضحيات وهزائم ، وعارك أخرى لا تزال من أجل أشياء
قررها آخرون سايفون علينا : أناس أبرياء
ينقرون عيونهم بدبابيس الشعر ، يخبطون رؤوسهم
في الخاطط العالي ، مدركون تماما أنه لن ينهار
أو حتى يتضدّع ، فقط ليروا على الأقل مين فرجية صغيرة
شريحه نحيلة من زرقة السماء بلا شائبة ، متحررة من الرمن وظلامهم .

وفي الوقت نفسه - من يدرى -

هناك ، حيث شخص ما يقاوم ، بلا أمل ،
ربما يبدأ هناك التاريخ الإنساني ، كما يقال ، وجمال الإنسان
ووسط نصال حديده صدقة وعظام ثيران وأحصنة ،
ووسط مراجل لا يزال يخترق فيها بعض الغار
والدخان يصاعد ، متويا في الغروب مثل صوف ذهبي .

فلتبق مدة أطول . فكل شيء يتهاوى . والصوف الذهبي الذي تحدثنا عنه -
آه ،

فال فكرة تأتي بطيئة إلينا نحن النساء - تُريح إلى حد ما . ومن الناحية

الأخرى ،

فَالرِّجَالُ لَا يَتَوَقَّفُونَ لِيُفَكِّرُوا - رُبَّمَا كَانُوا خَائِفِينَ ؛
رُبَّمَا لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى خَوْفِهِمْ فِي الْعَيْنَيْنِ ، لِيَرَوْا تَعَيْهُمْ ،
لِيَسْتَرِيْجُوا -

جُبَنَّاءَ ، مَغْرُورِينَ ، فُضُولِيَّينَ ، يَنْدَفِعُونَ إِلَى الظَّلَامِ .
ثِيَابُهُمْ تَفُوحُ دَائِمًا بِدُخَانٍ حَرِيقٍ مَرَوا بِهِ أَوْ خَلَالَهُ بِلَا وَعِيٍ .
يَتَعَرُّونَ بِسُرْعَةٍ ؛

يَرْمُونَ بِثِيَابِهِمْ إِلَى الْأَرْضِيَّةِ ؛ يَسْقُطُونَ فِي السَّرِيرِ .
لَكِنْ حَتَّى أَجْسَادُهُمْ تَعْبَقُ بِالدُّخَانِ - يَخْدُرُهَا . كَانَ عَادِيًّا أَنْ أَجِدَ ،
عِنْدَمَا يَنَامُونَ فِي النَّهَايَا ،

أَوْ رَأْقَ شَجَرٍ مُحْتَرِقَةَ دَقِيقَةَ وَسْطَ شَعِيرٍ صُدُورِهِمْ
أَوْ بَعْضَ رَغْبَ رَمَادِيَّ مِنْ طَيُورٍ مَذْبُوَّحةٍ .
آتَيْدُ الْمَلِعُمَا وَأَحْتَفِظُ بِهَا فِي غُلَبَةٍ صَغِيرَةٍ -
الشَّارَاثُ الْوَحِيدَةُ لِمُشَارِكَةِ سِرَّيَّةِ - لَمْ أُرِهَا أَبَدًا لَهُمْ - فَلَمْ يَكُنُوا
لِيَتَعَرَّفُوا عَلَيْهَا .

أَحِيَانًا ، أَوْ حَقًّا ، كَانُوا جَمِيلِينَ - عَرَابِيَا مِثْلَمَا كَانُوا ، مُسْتَسِلِمِينَ لِلنَّوْمِ ،
بِلَا أَيَّةَ مُقاوَمَةَ ، مُرْتَخِيَّنَ ، وَيُطْوِنُهُمُ الضَّخَمَةُ الْقَوَيَّةُ
هَامِدَةُ وَطَرِيَّةُ ، مِثْلَ أَنْهَارِ هَادِرَةٍ تَنْدَفِقُ فِي الْأَسْفَلِ
مِنْ چَبَالِي عَالِيَّةٍ إِلَى سَهْلِ هَادِي ، أَوْ كَأَطْفَالِ مَهْجُورِينَ .
فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحِيَانِ ، كُنْتُ أُحِبُّهُمْ حَقًّا ، كَأَنِّي وَلَدَتُهُمْ . لَمَحْتُ رُمُوسَهُمْ

الطُّرِيبَة

وَأَرَدْتُ أَنْ أُعِيدَهُمْ إِلَى دَاخِلِي، لِأَحْيِيهِمْ، أَوْ لِأَقْتَرَنَ بِأَجْسَادِهِمُ الْعَفِيفَةِ،
بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ. كَانُوا نَائِمِينَ. وَالنَّوْمُ يَسْتَدِعِي احْتِرَامَكَ لَهُ،
لَأَنَّهُ نَادِرٌ لِلْغَایَةِ. كُلُّ ذَلِكَ انتَهَى، أَيْضًا. كُلُّهُ نُسِيَ.

لَيْسَ ذَلِكَ مَا لَمْ أَعْدُ أَتَذَكَّرُهُ - فَإِنَا أَذْكُرُهُ؛ فَالْأَمْرُ فَحَسْبُ أَنَّ الْذَّكْرَيَاتِ
لَمْ تَعُدْ عَاطِفِيَّةً - لَا تَسْتَطِعُ تَحْرِيكَنَا - إِنَّهَا لَا شَخْصِيَّةٌ، صَافِيَّةٌ،
وَاضِحَّةٌ حَتَّى أَرْكَانِهَا الْأَكْثَرُ دَمْوِيَّةٌ. إِحْدَاهَا فَحَسْبُ
لَا تَرَأَلْ تَسْتَبِقِي بَعْضَ الْهَوَاءِ حَوْلَهَا، وَتَتَنَفَّسَ . فِي ذَلِكَ الْأَصْبِلِ الْأَخِيرِ،
عِنْدَمَا كُنْتُ مُحَاطَةً بِصَرَخَاتِ الْجَرَحِ الْلَّا يَهَا يَةٌ،
وَاللَّعْنَاتِ الْمَعْمَعَةِ لِلرِّجَالِ الْعَجَائِزِ وَانِدْهَاشِهِمْ مِنِّي،
وَسَطِ رَاجِحَةِ الْمَوْتِ الشَّامِلِ، الَّذِي كَانَ يُوْمَضُ مِنْ آنِ لَآخَرَ
عَلَى دِرْعٍ أَوْ سِنَّ حَرَبَةٍ أَوْ وَاجِهَةٍ مَعْبَدٍ مُهْمَلٍ
أَوْ عَجَلَةً مَرَكَبَةً - صَعَدْتُ وَحْدِي
إِلَى الْجَدَرِ الْعَالِيِّ وَرُحِثْ أَتَمَشَّى .
وَحْدِي، وَحْدِي تَمَامًا،
بَيْنَ الْطُّرُوَادِيَّنَ وَالْأَخِيَّنَ، فِيمَا أُحِسْ بِالرَّيْحِ تَضَغْطُ أَوْ شَحْقِي الْرَّهِيقَةَ
عَلَيَّ،

تَدْعَكُ حَلَمَاتِي، تَحْتَضِنُ جَسَدِي كُلَّهُ،
الْعَارِي وَالْمُكْتَسِي بِحِزَامِ فَضَّيِّ عَرِيبِينَ فَحَسْبُ
رَافِعَةً ثَدِيَّيَّ إِلَى أَعْلَى -

كُنْتُ هُنَاكَ جَيْلَةً ، ظَاهِرَةً ، مُتَمَرِّسَةً ،
فِيمَا كَانَ الْمُتَنَافِسَانَ عَلَى حُجَّيْتِيْتَهُ بَارِيسِيْتَهُ مَصِيرُ الْحَرْبِ الطَّوِيلَةِ
كَانَ يَتَقَرَّرَ -

بَلْ لَمْ أَرِ رِبَاطَ حَوْذَةِ بَارِيسِيْتَهُ يَنْقَطِعَ -
بَلْ رَأَيْتُ الْقَاعَ مِنْ نُخَاسِهَا ،
الْقَاعَ دَائِرِيَا ، حِينَمَا ضَرَبَهَا غَرِيمُهُ فِي غَضَبِ
مُتَدَلِّيَةِ مِنْ رَأْسِهِ - كَيْصِفِرَ مُضِيءَ .
لَمْ تَكُنْ تَسْتَحِقُ التَّنَظُّرِ إِلَيْهَا -

فَإِرَادَةُ الْأَلَهَةِ قَدْ شَكَّلَتِ الْأَشْيَاءَ مِنْذُ الْبِدَائِيَةِ ؛
وَبَارِيسُ ، مُجَرَّدًا مِنْ صَنْدَلِهِ الْمُتَرِبِّ ، سَرَعَانَ مَا سَيْكُونُ فِي السَّرِيرِ ،
مُغَسِّلًا بِيَدِي الرَّبَّيَةِ ، فِي انتِظَارِيِّ ، مُفْتَعِلًا الْابْتِسَامِ ،
خُفِيفًا فِي ادْعَاءِ نُدْبَةِ رَائِفَةِ فِي جَنْبِهِ بِرِبَاطِ قُرْنَفِيلِيِّ .

لَمْ أَعُدْ أَشَاهِدَ ، وَبِالْكَادِ كُنْتُ أَسْمَعُ صَرَخَاتِهِمُ الْقِتَالِيَّةَ -
فَأَنَا ، عَالِيَا فَوْقَ الْجُدُرَانِ ، أَعْلَى رُؤُوسِ الْبَشَرِ ، أَثِيرِيَّةَ ،
بِلَا انْتِمَاءَ لِأَحَدٍ ، بِلَا احْتِيَاجٍ لِأَحَدٍ ،
كَأَنِّي كُنْتُ (أَنَا الْمُسْتَقِلَّةُ) حُبًّا مُطْلَقًا ،

مُتَحَرِّرَةً مِنَ الْحُكُوفِ مِنَ الْمَوْتِ وَالْزَّمَنِ ، بِوَرَدَةٍ بَيْضَاءَ فِي شَعْرِيِّ ،
بِوَرَدَةٍ بَيْنَ ثَدَيَّيَ ، وَأُخْرَى بَيْنَ شَفَّيَ
خُفِيفِي ابْتِسَامَةِ الْحُرْبَيَّةِ لِيِّ .

كَانَ يَمْقُدُورِهِمْ أَنْ يُصَوِّبُوا

سَهَامُهُمْ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ .

كُنْتُ هَدَفًا سَهَلَ الْمَنَال

أَتَمَشَّى الْهُوَيْنِي عَلَى الْجُدْرَانِ ، مُنْظَبِعَةً بِكَامِلِي
عَلَى سَمَاءِ الْمَسَاءِ الْقُرْمُزِيَّةِ الْوَرَدِيَّةِ .

أَبْقَيْتُ عَيْنَيَّ مُغْمَضَتِينَ

لِأَسْهَلِ عَلَيْهِمْ أُيَّةً إِيمَاءَةً عَدَائِيَّةً - مُدْرِكَةً بِعُمْقٍ
أَلَا أَحَدٌ مِنْهُمْ سَيَجْرُو . ارْتَعَشْتُ أَيْدِيهِمْ بِالرَّهْبَةِ
إِزَاءَ جَمَالِي وَخُلُودِي -

(رُبَّمَا يُمْكِنُنِي التَّحْكُمُ فِي ذَلِكَ :

لَمْ أَخْشَ الْمَوْتَ لِأَنِّي أَحْسَسْتُ بِهِ بَعِيدًا عَنِّي) .

آنِيَّ

أَطْحَثُ بِالْوَرَدَتَيْنِ مِنْ شَعْرِي وَثَدِيَّ - مُحْتَفَظَةً بِالْقَالِقَةِ
فِي فَيِّي - أَطْحَثُ بِهِمَا إِلَى جَانِبِي الْجَدَارِ
بِإِيمَاءَةٍ مُخَابِدَةٍ تَمَامًا .

آنِيَّ ، رَأَى الرَّجَالُ ، فِي الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ ، بِأَنفُسِهِمْ

عَلَى بَعْضِهِمْ بَعْضًا ، أَعْدَاءَ وَأَصْدِقَاءَ ،

لَا خِطَافِ الْوَرَدَتَيْنِ ، لِتَقْدِيمِهِمَا لِي - وَرَدَيَّ .

لَمْ أَرَ شَيْئًا آخَرَ بَعْدَ ذَلِكَ - سَوَى ظُهُورِ بَخِيَّةِ ، كَأَنَّهُمْ جَمِيعًا
كَانُوا رَأَى كِعِينَ إِلَى الْأَرْضِ ، حَيْثُ كَانَتِ الشَّمْسُ تُجَفِّفُ الدَّمَ -
بَلْ رُبَّمَا سَحَقُوا الْوَرَدَتَيْنِ .

لَمْ أَرَ.

رَفَعْتُ ذِرَاعَيَ

وَفِيمَا أَشِبُّ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِي إِلَى أَعْلَى ،
تَرَكْتُ الْوَرْدَةَ التَّالِقَةَ تَسْقُطُ مِنْ شَفَّيَ .

كُلُّ ذَلِكَ لَا يَزَالُ بَاقِيًّا مَعِي - نَوْعٌ مَا مِنَ الْعَزَاءِ ، تَبَرِّيرٌ مَا يَعْدِ ،
وَرُبَّمَا سَيَبِقُ ذَلِكَ ، فِيمَا آمَلُ ، فِي مَكَانٍ مَا فِي الْعَالَمِ - حُرْيَةً مُؤَقَّتَةً ،
خَادِعَةً ، أَيْضًا ، بِالظَّبْعِ - لُعْبَةً حَظَّنَا وَجَهَلْنَا .
فِي هَذَا الْوَضْعِ بِالْتَّحْدِيدِ (مِثْلَمَا أَذْكُرُ) عَيْلَ النَّحَائِنَ
فِي ثَمَاثِيلِ الْأَخِيرَةِ ؛ مَا تَرَأَلْ هُنَاكَ بِالْخَارِجِ فِي الْحَدِيقَةِ ؛
لَا بُدَّ أَنْكَ رَأَيْتَهَا عِنْدَمَا جِئْتَ . أَحِيَانًا (عِنْدَمَا تَكُونُ الْخَادِمَاتُ فِي مِزَاجِ

طَيْبٍ

وَيُمْسِكُنِي مِنْ ذِرَاعِي لِيَأْخُذَنِي إِلَى ذَلِكَ الْمِقْعَدِ أَمَامَ الْبَاقِفَةِ) ،
يُمْكِنِنِي أَيْضًا أَنْ أَرَاهَا . تَلْتَمِعُ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ .
تَنْبَعِثُ حَرَارَةً بِيَضَاءِ مِنَ الرُّخَامِ مُتَصَاعِدَةً إِلَى هُنَا . لَا أَتَمْعَنُ فِيهَا طَوِيلًا .
تُنْهِكُنِي ، أَيْضًا ، بَعْدَ بُرْهَةٍ . أَفْضَلُ الْفُرْجَةَ عَلَى جَانِبِ مِنَ الشَّارِعِ
حَيْثُ يَلْعَبُ وَلَدَانٌ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِكُرَّةٍ مِنْ خِرَقِ ، أَوْ فَتَّانٌ
تُدَلِّي سَلَّةً يَحْبِلُ مِنَ الشُّرْفَةِ عَبْرَ الشَّارِعِ .

أَحِيَانًا مَا تَنْسَى الْخَادِمَاتُ أَيْ هُنَاكَ . لَا يَأْتِينَ لِإِعَادَتِي إِلَى السَّرِيرِ .
أَظْلَلُ طَوَالَ اللَّيْلِ أَحْمَلِقُ فِي ذَرَاجَةٍ قَدِيمَةٍ

أمام النافذة المضاءة لمحل حلوي جديد،
إلى أن ينطفئ الضوء، أو أغرق في التوم على عتبة النافذة.
وبين الحين والحين أفكر في أن نجما يوقدني، متهاريا خلال الفضاء
مثلا اللعب من قم رخو، بلا أسنان، لرجل عجوز.
مررت الآن عصوراً مند أخذني إلى النافذة. أبي هنا في السرير
جالسة أو راقدة - يمكينني أن أتصرف. ولقطع الوقت
أمسك بوجهي - وجه غريب - أتلمسه، أتحسسه،
أعد الشعيرات، والغضون والدماميل - من يدخل
هذا الوجه؟

شيء ما الأذع يصاعد في حلقي - غثيان وخوف،
خوف سخيف، يا إلهي، حتى الغثيان يمكن أن يضيع. يبقى مدة
أطول -

ضوء صغير يأتي من خلال النافذة - لا بد أنهم قد أضاءوا مصابيح
الشوارع.

ألا يريد أن أدق الحرس لأجيء لك شيئاً ما؟ - بعض الكرز المحفوظ
أو برتقال لاذع محلى - ربما تبقى شيئاً ما في الحزار الكبيرة،
تحول الآن إلى سكر معقود - إذا ما تركت الخادمات الشرهات
 شيئاً، بالطبع. في الأعوام القليلة الأخيرة كنت مشغولة
بصنع الحلوي - فما الذي يمكن فعله هنا غير ذلك؟
بعد طردادة - كانت الحياة في سرطة

مُمِلَّةٌ لِلْغَایَةِ - رِيفِیَّةٌ حَقًّا؛ حَبِیْسَةَ الدَّارِ طُولَ النَّهَارِ،
 وَسَطَ الْغَنَائِمِ الْمُتَرَاكِمَةِ لِحُرُوبِ كَثِيرَةٍ؛ وَالذَّكَرَیَاتِ
 الدَّاوِيَةِ وَالْمُزَعِّجَةِ، تَشْبُّثُ وَرَاءَكَ فِي الْمِرَأَةِ
 وَقَدْ مَشَطَتْ شَعْرَكَ، أَوْ فِي الْمَطَبِخِ تَخْرُجَ
 مِنَ الْبَخَارِ الْدُّهْنِيِّ لِلْقَدْرِ؛ وَتَسْمَعُ فِي غَلَيَانِ الْمَاءِ
 بِضَعَ تَفَاعِيلَ سُدَاسِيَّةٍ مِنْ الرَّابِسُودِيَّةِ الْثَالِثَةِ
 فِيمَا يَصْبِحُ دِيْكُ مَا فِي نَشَازٍ مِنْ قُنْ مُجَاوِرٍ قَرِيبٍ.

وَأَنْتَ تَعْرِفُ بِالْتَّأْكِيدِ كَمْ أَنَّ حَيَاتَنَا رَتِيْبَةً. حَقٌّ الْجَرَائِدُ
 لَهَا نَفْسُ الشَّكْلِ، وَالْحَجْمُ، وَالْعَنَاوِينِ - لَمْ أَعُدْ أَقْرَأُهَا. مِرَارًا وَتَكَرَّارًا
 أَعْلَمُ فِي الشُّرُقَاتِ، احْتِفَالَاتُ وَطَنِيَّةُ، اسْتِعْرَاضَاتُ
 لِجَنُودِ الدُّتْنِيِّ - الْفُرَسَانُ وَحْدَهُمْ احْتَفَظُوا بِشَيْءٍ مَا مُرْتَجِلُ،
 بِشَيْءٍ مَا شَخْصِيِّ - رُبَّمَا بِسَبِيلِ الْأَحْصِنَةِ. ارْتَفَعَ الْغَبَارُ كَغَيْمَةٍ؛
 فَأَوْصَدَنَا النَّوَافِذَ - فِيمَا بَعْدَ سَيَكُونُ عَلَيْنَا الْقِيَامُ بِنَفْضِ الْغَبَارِ، قِطْعَةً
 قِطْعَةً،

الزُّهْرِيَّاتُ، وَالْعُلُبُ الصَّغِيرَةُ، وَإِطَارَاتُ الصُّورِ، وَالشَّمَائِيلُ الْبُورِسِلِينُ
 الصَّغِيرَةُ، وَالْمَرَايَا، وَخِزَانَاتِ أَدَوَاتِ الْمَائِدَةِ.
 وَقَدْ تَوَقَّفْتُ عَنِ الدَّهَابِ إِلَى الاحْتِفَالَاتِ . كَانَ زَوْجِي عَادَةً مَا يَعُودُ
 عَرَقَائِ،

يَنْدَفعُ إِلَى طَعَامِهِ، لَا عِقَّا شَرَائِعَ الْلَّحِيمِ، مُجْتَرًا مِنْ جَدِيدٍ
 أَمْجَادًا غَابِرَةً مُضْجَرَةً وَاسْتِيَاءَاتٍ تَصَاعَدَتْ كَدُخَانٍ. حَدَّقَتْ

في أَزْرَارِ مِعْظِفِهِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى وَشْكٍ أَنْ تَتَفَقَّقَ - لَقَدْ أَصْبَحَ سَمِيًّا .
نَحْتَ ذَقْنِيهِ اضْطَرَّتْ بُقْعَةُ قَاتِمَةٌ كَبِيرَةٌ .

آنِيَّذِ ، يَكُونُ لِي أَنْ أَسِنَدَ ذَقْنِي ، فِي حِيرَةٍ ، فِيمَا أَوَّلَ صُلْطَانِي ،
مُسْتَشِعِرًا فِي الأَسْفَلِ يَتَحَرَّكُ فِي يَدِي
كَأَنَّهُ انْفَصَلَ عَنْ رَأْسِي وَأَنَا أُمِسِّكُهُ عَارِيًّا فِي كَفِيِّ .
رَبِّيَّا بِسَبَبِ ذَلِكَ أَصْبَحْتُ بَدِينَةً . لَا أَدْرِي . كَانَ الْجَمِيعُ يَبْدُونَ خَائِفِينَ -
كُنْتُ أَرَاهُمْ أَحْيَا نَا مِنَ النَّوَافِذِ - يَسِيرُونَ مَائِلِينَ ،
فِي نَوْعٍ مِنَ الْعَرَجِ ، كَأَنَّهُمْ يُخْفُونَ شَيْئًا مَا نَحْنَ أَذْرِعْتُهُمْ . وَكُلُّ أَصْبِلٍ
تُدْقِي الْأَجْرَاسُ فِي كَابَةٍ . يَطْرُقُ الْمُتَسَوِّلُونَ الْأَبْوَابِ . وَفِي التَّبِيعِ ،
عِنْدَمَا يَحِلُّ اللَّيْلُ ، تَبْدُو وَاجِهَةُ مُسْتَشْفَى الْوِلَادَةِ الْمَطْلِيَّةِ بِالْأَيْضَنِ أَكْثَرَ
بَيَاضًا ،
أَبْعَدَ ، وَمَجْهُولَةً . نُضِيءُ الْمَصَابِيحَ بِسُرْعَةِ .
أَسْتَبِدُلُ ثَوْبًا قَدِيمًا . آنِيَّذِ تَتَعَطَّلُ مَا كِيَنَةُ الْخِيَاطَةِ ،
يَأْخُذُونَهَا إِلَى الطَّالِقِ الْأَرْضِيِّ مَعَ تِلْكَ الْلَّوْحَاتِ الزَّيَّنَيَّةِ الرُّومَانِيَّكَيَّةِ
الْقَدِيمَةِ
الْمَلِيَّةِ يَمْسَاهِدَ أَسْطُورِيَّةَ مُبَتَّدَلَةَ - اِنْبِثَاقُ أَفْرُودَيْتِ مِنَ الْبَحْرِ ، النُّسُورُ
وَشُخُوصُ جَانِيَمِيدِ .

وَاحِدًا وَاحِدًا يَرْحَلُ مَعَارِفُنَا الْقُدَّامَى . يَتَنَاقُصُ الْبَرِيدِ .
لَا أَكْثَرَ مِنْ كَارِبَ بَرِيدِيِّ فِي الْمُنَاسَبَاتِ الْخَاصَّةِ ، فِي أَعْيَادِ الْمِيلَادِ -

مَنْظُرٌ نَّمَطِي لِجَبَلِ تَائِيجِيُّوس بِقَمَمِ مُتَتَالِيَّةِ، زَرَقَاءُ لِلْغَایَةِ،
جَانِبٌ مِنْ نَهْرِ إِيُورُوَّتَاس بِخَصَّى أَبِيَّضٍ وَنَبَاتِ الْوَرَدِيَّةِ،
أَوْ أَطْلَالِ مِيَسْتَرَاس ذَاتِ أَشْجَارِ التَّلَيْنِ الْبَرَّيَّةِ. لَكِنْ مَا هُوَ أَكْثَرُ،
تِلْغَرَافَاتُ التَّعْزِيَّةِ. لَا رَدَّ يَأْتِي.
رُبَّمَا ثُوَّفَتِ الْمُسْتَقِيلُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ - لَمْ تَعُدْ تَصِلُّنَا أَخْبَارَ.

لَمْ يَعُدْ زَوْجِي يُسَافِرُ. لَا يَفْتَحُ كِتَابًا. فِي أَعْوَامِهِ الْأَخِيرَةِ
أَصْبَحَ أَكْثَرَ عَصَبِيَّةً. كَانَ يُدْخَنُ بِلَا انْقِطَاعٍ. يَتَمَشَّى فِي اللَّيلِ
فِي عُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ الشَّاسِعَةِ، يُخْفِهُ الْبَنِيَّ الْبَالِيِّ
وَتَوَبِّ نَوْمِهِ الظَّوِيلِ. فِي الظَّهِيرَةِ، عَلَى الْمِنْضَدَةِ، يَسْتَعِيدُ
ذِكْرَيَاتِ خِيَانَةِ كِلِيتِيُّنِسْتَرَا وَكُمْ كَانَتْ صَائِبَةً أَفْعَالُ أُورِيَسْتَ^[٣]،
كَانَهُ يُهَدِّدُ شَخْصًا مَا. فَمَنْ كَانَ يُبَالِي؟ فَلَمْ أَكُنْ حَتَّى لَأَسْمَعَ.
لَكِنَّهُ عِنْدَمَا ثُوَّفَ، افْتَقَدَهُ كَثِيرًا - افْتَقَدَتْ تَهْدِيدَاتِهِ السَّخِيفَةَ أَكْثَرَ مِنْ
أَيِّ شَيْءٍ،
كَانَهَا قَدْ جَمَدَتِي فِي وَضْعِ سَاكِنٍ عَلَى مَدَى الزَّمَنِ،
كَانَهَا قَدْ مَنَعَتِي مِنْ أَنْ أَشِيخَ.
آتَيْذِ اعْتَدْتُ أَنْ أَحْلُمُ

[٣] وفقاً للأساطير الإغريقية، أقامت كليتيونيسترا زوجة أجامنون علاقة حب، خلال مشاركته في حرب طروادة، مع أجبيستوس، ابن عم أجامنون. وخطط الاثنان للتخلص من أجامنون لدى عودته، وتم قتله. وخلف أجبيستوس أجامنون في الحكم، مع كليتيونيسترا كملكة، التي قُتلت - في النهاية - على يد "أوريست"، ابنها من أجامنون.

بِأُودِيسِيُوسْ ، وَهُوَ بِتِلْكَ الْأَبْدِيَّةِ نَفْسِهَا ، بِقُبْعَتِهِ الْمُقْلَمَةِ الْأَنْيَقَةِ ،
مُؤَخِّرًا رُجُوعَهُ ، ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمَاكِرُ - بِدَعَوْيِ أَخْطَارِ خَيَالِيَّةِ ،
فِيمَا كَانَ يَرْمِي بِنَفْسِهِ (الْمُحَظَّمَةِ فِيمَا يُفَتَّرُضُ) فِي أَحْضَانِ سَاحِرَةِ أَحْيَانًا ،
وَأَحْيَانًا

فِي أَحْضَانِ أَمِيرَةِ ، لِيُزِيلَ عَنْ صَدْرِهِ الدَّبَقَ ، لِيَسْتَحْمِمَ
بِصَابُونِ وَرَدِيَّ ، لِيَتَمَّ تَقْبِيلُ النُّدْبَةِ عَلَى رُكْبَتِهِ ، لِيُمْسَحَ جَسَدُهُ بِالرَّيْتِ .

أَظُنُّ أَيْضًا أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى إِيَّاَكَ - وَلَا بُدَّ أَنَّ بِيَنِيلُوبِ الْفَاتِرَةِ ، الْبَدِينَةِ ، قَدْ
أَخْمَدَتْهُ

فِي تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَنْسِجُهَا . لَمْ تَصِلِنِي قَطُّ رِسَالَةٌ مِنْهُ مُذْذَاكَ -
رُبَّمَا تَكُونُ الْخَادِمَاتُ قَدْ مَرَّقْنَهَا - فَمَا الَّذِي عَادَ يَهُمْ ؟ سُخُورُ

السَّمِيلِيَّجَاد

انْتَقَلَتْ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ ، أَعْمَقَ ، يُمْكِنُكَ أَنْ تُحِسَّ بِهَا ،
سَاكِنَةً ، مُرْتَجِيَّةً - أَسْوَأُمِنْ ذِي قَبْلِ - لَا تُخَطِّمُ ،
بَلْ تُغْرِقُكَ فِي سَائِلِ كَيْفِ ، أَسْوَدَ - بِلَا مَقْرَرِ .

يُمْكِنُكَ أَنْ تَذَهَّبَ إِلَيْهِ الْآنِ . الْلَّيْلُ حَلَ . وَأَنَا نَاعِسَةِ . آه ، لَيَتَنِي أَغْيِضُ عَيْنِي ،
أَنَامَ ، لَا أَرَى شَيْئًا فِي الْخَارِجِ أَوِ الدَّاخِلِ ، أَنْسَى
الْحَوْفَ مِنَ النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ . لَا أَسْتَطِعُ . أَقْفَرُ -
فَأَنَا خَائِفَةُ مِنْ أَلَا أَصْحُو أَبَدًا مَرَّةً أُخْرَى . أَبْقَى يَقْظَى ، فِيمَا أَسْعَ
غَطِيطَ الْخَادِمَاتِ مِنْ غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ ، وَالْعَنَاكِبُ عَلَى الْجُدْرَانِ ،

وَالصَّرَاصِيرَ فِي الْمَطَيْخِ، وَالْغَطِيطَ الْمَيْتِ
يَأْنَفَاهُنَّ عَمِيقَةً، كَأَنَّ الصَّوْتَ يَنَامُ، يَهْدَأُ.
إِنِّي الآن أَفْقِدُ حَتَّى مَوْتَايِ. لَقَدْ فَقَدْتُهُمْ. مَضَوا.

أَحِيَّاً، بَعْدَ مُنْتَصِفِ اللَّيلِ، يُمْكِنُ سَمَاعُ وَقْعِ حَوَافِرِ أَحْصِنَةٍ
عَرَبَةٍ مُتَّاخِرَةً، كَأَنَّهُمْ يَعُودُونَ
مِنْ عَرِيسٍ كَثِيرٍ يَمْسَرُجُ مَا مُنْهَارٍ فِي الْجَوَارِ
وَالْجَحْصُ سَاقِطٌ عَنْ سَقْفِهِ، وَحَوَافِطُهُ مُتَقَشَّرَةٌ،
وَسَتَارُهُ الصَّخْمَةُ الْحَمْرَاءُ الْبَاهِتَةُ مَسْحُوبَةٌ،
مُنْكَمِشَةٌ مِنْ كُثْرَةِ الْغَسِيلِ، مُخْلَفَةٌ تَحْتَهَا فَرَاغَا
لِتُكَشِّفَ الْقَدَمَ الْخَافِيَةَ لِمُدِيرِ الْحَشَبَةِ الشَّاسِعَةِ أَوِ الْكَهْرَبَائِيِّ
الَّذِي قَدْ يُرَاكُمْ غَابَةً مِنْ وَرَقٍ لَمْ يُمْكِنَ إِطْفَاءُ الصَّوْءِ.

تِلْكَ الْفَتْحَةُ لَا تَرَأَلْ مُضَاءَةً. فِيمَا فِي الْقَاعَةِ
ثَلَاثَي التَّصْفِيقُ وَالثُّرَيَاتُ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ.
الْهَوَاءُ ثَقِيلٌ يَأْنَفَ الصَّمْتِ، وَهَمَمَةُ الصَّمْتِ
تَحْتَ الْمَقَاعِدِ الْخَارِيَةِ، مَعَ قُشُورِ لَبِّ عَبَادِ الشَّمْسِ وَالثَّدَادِ الْمُكَرَّمَةِ،
وَبِضَعْةِ أَزْرَارٍ، وَمِنْدِيلِ مُطَرَّزٍ، وَقِطْعَةِ مِنْ حَيْطِ أَحْمَرٍ.

... وَذَلِكَ الْمَشَهَدُ، عَلَى جُدْرَانِ طَرَوَادَةٍ - هَلْ حَقًّا غَائِبُ الصُّعُودِ،
لَا تُرْكَهُ يَسْقُطُ مِنْ شَفَقَيِّ - ؟ أَحِيَّاً حَتَّى الآن،

وَأَنَا أَسْتَلِقِي هُنَّا فِي السَّرِيرِ، أَحَاوِلُ رَفَعَ ذِرَاعَيَّ، أَنْ أَقْفَ
عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِي - أَنْ أَقْفَ فِي الْهَوَاءِ - الْوَرَدةُ التَّالِفَةُ -

(توقفت عن الكلام. سقطت رأسها إلى الوراء. ربما نامت. نهض الشخص الآخر. لم يقل "تصبحين على حير". كان الظلام قد حل. وإذ سار في الممر، أحس بالخدمات ملتصقات بالحوائط، مُسْتَرِقات السمع. بلا حراك. هبط السلم الداخلي كأنه في بئر غيقية، ياحساس أنه لن يعثر على أي مخرج- أي باب. بحثت أصابعه المتشنجة عن مقبض الباب. بل تخيل يديه طائرتين يشهقان بحثا عن هواء، مدرجاً رغم ذلك- في نفس الوقت- أن ذلك لم يكن أكثر من تعبير عن رثاء الذات الذي تشبهه عادة بالخوف الغامض. وفجأة، سمعت أصوات من أعلى الدرج. أضيئت الأنوار الكهربائية في الرواق، في الدرج، في الغرف. صعد من جديد. كان متأكداً الآن. كانت المرأة جالسة في الفراش وكتوتها مستند على المنضدة القصدير، وخدتها مُسْتَرِحة في كفها. كانت الخدامات يذهبن ويجئن في صحب. وشخص ما يجري مكالمة تليفونية في الصالة. اندفعت نساء الجوار إلى الداخل: "أو، آه، صرخن، وهن يخفين أشياء تحت ثيابهن. مكالمة أخرى. سرعان ما أتى البوليس. أبعد الخدامات والنساء، لكن الجيران كان لديهم مُتسع من الوقت ليأخذوا أقفال الطيور بالكناري، وبعض أصص الزهور ذات التباتات الغرائبية، وراديُو ترانزستور، وسخاناً كهربائياً. أحدهم أخذ إطار

صُورَةٌ ذَهَبِيَّ. وَضَعُوا الْمَرْأَةَ الْمِيَةَ عَلَى تَقَالَةِ أَوْصَدَ الشَّخْصُ الْمَسْتَوْلُ
الْمَنْزِلَ بِالشَّمْعِ - "إِلَى أَنْ يَتَمَّ الْعُثُورُ عَلَى الْمُلَّاِكِ الشَّرِيعَيْنِ" ، قَالَ -
رَغْمَ مَعْرِفَتِهِ بِعَدَمِ وُجُودِ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَسَيَبَقِيَ الْمَنْزِلُ هَكَذَا، مُوصَدًا
بِالشَّمْعِ لِأَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَبَعْدَهَا، سَتُعَرَّضُ مَمْتَلَكَاتُهُ فِي مَرَازِدٍ لِيَصَالِحَ
الْمَنْفَعَةَ الْعَامَّةَ. "إِلَى الْمَشَرَّحَةِ" ، قَالَ لِلْسَّائِقِ. انْطَلَقَتِ السَّيَارَةُ. فَجَاءَ
تَلَائِشٌ كُلُّ شَيْءٍ. صَمَتْ مُطِيقٌ. كَانَ وَحِيدًا. اسْتَدَارَ وَتَطَلَّعَ حَوْلَهُ.
الْقَمَرُ مُشْرِقٌ. وَالشَّمَائِيلُ فِي الْحَدِيقَةِ مُضَاءٌ بِصُورَةٍ كَيْبَيَّةٍ -
وَتَمَاثِيلُهَا، مُنْعَزَلَةٌ، بِجِوارِ الْأَشْجَارِ، خَارِجَ الْمَنْزِلِ الْمَوْصَدِ. وَقَمَرٌ
صَامِتُ، مُخَادِعٌ. فَإِلَى أَيْنِ يَمْكِنُ الدَّهَابُ الْآنَ؟).

مايو-أغسطس 1970



الرُّوَاقُ وَالسَّلَالُمُ

(1970)

1 - فَحَسْب

لَمْ أَعُدْ قَادِرًا عَلَى الادْعَاء بَعْدَ الْآنَ :
مَقَاعِدُ، تَاسُ، أَطْفَالِي، سَجَائِيرِي،
هُوَ الْمَوْتُ، أَنْتَ الْمَوْتُ. أَنَا الْمَوْتُ ؛
أَعْضَعُضُ الْمُسَوَّكِ الْمُتَرَبِ عَلَى صَحْنِ الْفِنْجَانِ ؛
هُوَ الْمَوْتُ ؛ يَنْظُرُ لَهُ، أَنْظُرْ لَهُ - الْمَوْتُ فَحَسْبُ ؛
رُهُورُ الْجِيَرَانِيُومِ الْمِبَرَقَشَةُ، عَصَافِيرُ الْكَنَارِيِّ فِي الْقَفْصِ -
فَلَا تَخْدَعُوا أَنفُسَكُمْ - رُوَاقُ، مِصَبَّاحُ زَيْتِ الْبَارَافِينِ،
صُورُ قَدِيمَةٌ عَلَى الْخَائِطِ، مِظَلَّةُ سَوْدَاءُ،
مِيَاهُ مَكْتُومَةٌ تَحْتَ الْأَرْضِيَّةِ ؛ الْمَنْزِلُ يَرْحَلُ
بِالْمُسْتَأْجِرِينِ، بِالْأَرِيكَةِ -
الْمَنْزِلُ يَرْحَلُ، يَتَلَاشَى، تَلَاشَى - إِلَى أَيْنَ يَمْضِي ؟

2 - الْأَلَّا مُخْبُوء

لَيَالٍ، شَوَّارِعٍ، وُجُوهٍ، أَضْوَاءٍ -
أَقْنِعَةٌ لِلْمَوْتِ؛
بَابٌ يَنْفَتِحُ، نَافِذَةٌ تَنْغُلِقُ؛
ثَلَاجَةُ الْمَرْأَةِ الْمَيَّتَةِ مَلِيَّةٌ بِالْطَّعَامِ؛
عِمَيَانٌ يَصْطَفُونَ فِي حَكَّةٍ قِطَارِ الْأَنْفَاقِ؛
"اسْمَحْ لَنَا بِشِرَاءِ شَقَّةٍ جَدِيدَةٍ"؛
"اسْمَحْ لَنَا بِشِرَاءِ سَيَارَةٍ جَدِيدَةٍ"؛
الْظَّلْ يَخْتَبِئُ وَرَاءَ السَّتَّارَةِ؛
السَّيِّرُكُ تُصِبَّ فِي الْمَيَّانِ؛
وَالْمِيكْرُوْفُونَاتُ تُدَوِّي؛
النَّاسُ يَرْكُضُونَ، يَتَوَقَّفُونَ،
يَأْكُلُونَ وَاقِفِينَ، يُجَامِعُونَ وَاقِفِينَ؛
"إِنَّهُمْ يُضَاعِفُونَ الْمَوْتَ" ، قَالَ،
(مُسْتَدِيرِينَ إِلَى الْحَائِطِ) ، وَحَدَّهُمُ الْمَوْتَ

يَظْلَلُونَ مُسْتَيْقِظِينَ حَيْثُ يَرْقُدُونَ - هُمْ وَحْدُهُمْ ؛
عَيْوَنُهُمْ فُوسْفُوريَّةٌ ،
ثُقُوبٌ مَحْفُورَةٌ فِي الْلَّيلِ ؛ نَنْظُرْ ؛
وَخَلَالِ هَذِهِ الثُّقُوبِ نَرَى -
وُجُوهُهَا ، أَصْوَاءَهَا ، حِرَابًا ، أُثُوبِيسَاتْ ،
الْخُوْضُ الْفُخَارِيُّ ، السَّلَالِمُ الْخَدِيدِيَّةُ ،
الْخُبْزُ ، وَالسَّكِينُ ، وَالبُرَازُ ، وَالْمَنِيُّ ، وَالْعَظْمَةُ ،
وَالْمَرْأَةُ مَعَ السَّمَكَةِ الْكَبِيرَةِ الْمَيَّتَةِ ،
وَالْخُوْضُ الْمَكْسُورُ وَالسَّلَالِمُ الْمُسْتَعَارَةُ .

3 - مَا الجدوى؟

كُلُّ شَيْءٍ يَشِيقُ، يَبْلُى، يُصْبِحُ بِلَا جَدْوَى - قَالَ -
دُخَانٌ خَفِيٌّ، غُرْفٌ مُوَضَّدَةٌ،
أَعْلَامٌ، قَتَلَ، تَصْرِيْحَاتٌ، تَمَاثِيلٌ -
السَّتَّارَةُ الْبَيْضَاءُ اسْتَحَالَتْ صَفَرَاءُ،
الْمَرْأَةُ تَخْدُوشَةٌ بِالْوَجْهِ،
عِنْدَهُ اسْتَقْرَأَتْ
عَلَى الثَّوْبِ الْجَمِيلِ الَّذِي ارْتَدَتْهُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ،
وَالْمَقْهَى فِي الرُّكْنِ أَغْلِقَ،
وَالشُّرْفَةُ هَوَتْ عَلَى وَجْهَهَا فِي الْأَشْوَاكِ،
وَالشَّمَائِيلُ فِي الْخَدِيقَةِ بِلَا أَعْضَاءٍ ذُكُورٍ يَةٍ -
فَمَا جَدْوَى الْأَسَى إِذْنَ، مَا جَدْوَى الْكَرَاهِيَّةِ،
وَالْحَرَيَّةِ، وَغَيْرَابِ الْحَرَيَّةِ،
وَمَلَائِقِ الْقَهْوَةِ الْفِضْيَّةِ، وَحِسَابِ الْبَنِكِ،
وَالْأَسْنَانِ الصَّنَاعِيَّةِ لِلْمَرْأَةِ الْمَيْتَةِ، وَالشَّمْسِ،

وَالشَّمْعَدَانِينَ عَلَى الْمَائِدَةِ ، وَأَقْرَاصِ الْأَسْبِرِينِ ،
مَا جَدَوْيِ الْحُبَّ وَالشَّعْرَ ؟

كَانَتِ الشَّمْسُ مُشْرِقَةً - كَانَ شَهْرُ يُولُو -
كَانُوا يَلْفُونُ الْحُبْزَ فِي الْمَفْرَشِ ،
وَالْقَارِبُ الصَّغِيرُ يَرْحَلُ ،
وَكَانُوا يُحْرِقُونَ الْجَرَائِدَ فِي قُبَّةِ مِنْ قَشٍّ
وَسَطَ الْمَيَاهِ .

4 - بصورة محشومة

عَلَى امْتِدَادِ الشَّارِعِ الْخَلْفِيِّ ، عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ ، عَلَى السَّلَالِمِ الْخَدِيدِيَّةِ ،
هُنَاكَ ، مَعَ أُصُصِ الْرُّهُورِ الْمَكْسُورَةِ ، وَالْجِرَارِ الْمَكْسُورَةِ ،
هُنَاكَ ، مَعَ الْكِلَابِ الْمَيَّتِةِ ، وَالْدِيَدَانِ ، وَالْدَّبَابِ الْأَخْضَرِ ،
هُنَاكَ ، مَعَ بَوْلِ الْحَدَادِينِ ، وَالْجَرَارِيْنِ ، وَالْخَرَاطِينِ -
الْأَطْفَالُ خَائِفُونَ فِي الْلَّيلِ ؛ فَالثُّجُومُ تَصِيقُ كَثِيرًا ،
تَصِيقُ عَنْ بَعْدِ كَيْبِيرٍ ، كَأَنَّ الْجَمِيعَ قَدْ رَحَلُوا -
لَا تُكَلِّمِنِي مَرَّةً أُخْرَى عَنِ التَّمَاثِيلِ - قَالَ - فَلَا أَحْتَمِلُ ذَلِكَ ، أَقُولُ
لَكَ :

لَا أَعْذَارَ بَعْدَ الْآنِ - فِي الْقَبِوِ الْكَبِيرِ بِالْأَسْفَلِ
نِسَاءٌ تَحِيلَاتٌ بِأَيْدِ طَوِيلَةٍ يَكْسِطُنَ السُّخَامَ عَنِ الْآنِيَةِ ،
يُلْظَخُنَ عُيُونَهُنَّ ، وَأَسْنَانَهُنَّ ، وَبَابَ الْمَطَبَخِ ، وَالْجَرَةِ ،
وَيَتَخَيَّلَنَ بِذَلِكَ أَنَّهُنَ قَدْ أَصْبَحَنَ خَفِيَّاتٍ أَوْ - عَلَى الْأَقْلِ - لَا يُمْكِنُ
الْعَرْفُ عَلَيْهِنَ ،
فِيمَا الْمَرْأَةُ فِي الرُّوَاقِ ، عَظِيمَةٌ ، تَتَقدَّمُ تَخْوَهُنَ

لحظة أن يدخلن أو يخرجن في السر ، متشبّقات بالحائط ،
والكسّافات تجّمّدُن في منتصف المرج الأصفر .

5 - حلول وسطية

السلك الشائك ، الحبس ، التوافد الساقطة .

المرأة تصيغ من الشرفة ، "كأتينا ! كأتينا !

الحضر واتي يهруш خصيئه .

خمسة آخرون تم استدعاءوهم إلى قسم الشرطة .

عشرة آخرون حملوا على الكارو إلى المقبرة .

مبنيان سكينيان جديدان ارتفعا .

الأشجار لا تفهم أي شيء - تحملق .

"بظريقة أو بأخرى ، سنمومت جميعا" ، قال .

عارضه الآخر ، "ليس الأمر سيان" .

قال الأول ، "المعارضة هي مجرد ذريعة" .

آنذد هب عبار ربح .

المفاريش الورقية تناهت من المطعم .

تفريح العمال من المداخل .

"أَلَا تُشِيهُ الطُّيُورُ؟"، وَأَشَارَ إِلَى المَفَارِسِ.
قَبْلَ الْأَوَّلِ بِالْخَلْلِ الْوَسَطِ. لَمْ يَقُلْ شَيْئًا.

6 - لِمَ السُّؤَال ؟

هَل سَتَّعُودُ اللَّحْظَةُ مَرَّةً أُخْرَى
إِلَيْكَ لِتَقُولَ الْكَلِمَاتِ مِنْ جَدِيدٍ ، الْمُسْتَهْلِكَةَ مُنْذُ أَمْدٍ بَعِيدٍ ،
لِتُشَوَّسَ مِنْ خُطَاكَ كَأَنَّكَ تَتَقَدَّمْ ،
كَأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ أَنَّ الظَّرِيقَ مُغْلَقَ ،
لِتَطْرُقَ الْبَابَ نَفْسَهِ بِصَبَرٍ
فِيمَا لَا أَحَدَ هُنَاكَ لِيَفْتَحَ ،
فِيمَا لَا تَمْلِكُ الْوَسَائِلَ وَلَا الْقَابِلِيَّةَ لِاِقْتِحَامِهِ ،
فِيمَا التَّمَاثِيلُ الْطَّبِينِيَّةُ فِي الْحَدِيقَةِ
مُنْتَصِبَةٌ فِي صَفٍّ وَرَاءَ السَّيَاجِ ،
تَتَّاكلُهَا الْكُرُومُ الْمُتَسَلِّقَةُ وَالْبَرَقَاتُ
مُخْرَمَةً ، كَثِيرَةُ الْعُيُونِ ، عَمِيَاءً ،
وَعَيْوَنُهَا الرُّجَاحِيَّةُ سَاقِطَةٌ
بِالْأَسْفَلِ ، عَمِيقًا ، فِي فَجَوَاتِ الْأَقْدَامِ ،
بَلْ أَبْعَدَ فِي الْأَسْفَلِ ، بَلْ أَعْقَمَ ، فِي الْمَيَاهِ وَالْتُّرْبَةِ الْعَطِينَةِ ؟

7 - الدَّرَاج

هَا هُو الشَّابُ الْبُرُونِزِيُّ
يَالْعِصَابَةِ الْمُسْتَوِيَّةِ عَلَى جَبَنِيهِ ،
بَعِينَيْهِ السَّاکِنَتَيْنِ -
مُتَرَفِّعًا وَمُغَايِرًا ،
فِيمَا يُمْسِكُ بِالْمَقْوِدِ الْمَكْسُورِ
يَبِدِّي هَادِئَةً ،
مُنْتَصِبًا
فَوْقَ غِيَابِ عَجَلَتِهِ -
هَلْ قُلْتَ : مُنْتَصِبًا ؟
مُنْتَصِبًا . الْبَاقِي
تَحْتَ الْأَحْجَارِ وَالْأَعْوَامِ ،
ضَائِعٌ ، بِلَا إِصْلَاحٍ ، بِلَا اسْتِعَادةٍ .

"وَحْدَهُ الْعَدَمُ كُلُّ لَا يَتَجَزَّأُ" ، قَالَ ،

وَفِيمَا يَلْعَقُ إِصْبَعَيْهِ،
لَمَسَ السُّرَّةَ الْبُرُونِيَّةَ لِلَّدْرَاجِ.

٩ - عَرَضاً

فِيمَا وَرَاءِ الْجِدَارِ الْقَدِيمِ ،
وَسَطِ الْأَسْوَارِ ذَاتِ الْفَتَحَاتِ ،
وَسَطِ الْفَجُوَاتِ الَّتِي خَلَفَتْهَا الْأَحْجَارُ الْمَسَاقِطُ ،
كَانَ الْمَيِّتُ ،
يَعْيَنِينَ وَحْشِيَّتِينَ ، مَفْعُورَتِينَ ،
يَرْى
الصَّيَادُ الشَّابُ يَبُولُ
عَلَى الْقَوْصَرَةِ الْمَهَشَّةِ .

هَكَذَا ، إِذَن ، إِذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ مُسْتَلْقِيَةً ،
فَالْمَوْتُ أَيْضًا يَسْتَلِقِي .

10 - المعنى نفسه

كُلِّمَاتُ مُتَّمَرَّسَةُ، كَيْفَيَّةُ، مُحَدَّدةُ،
غَيْرُ مُحَدَّدةٍ، مُلِحَّةٍ، بَسِيَطَةٌ، مُرَتَّابَةٌ -
ذِكْرَيَاتُ، ذَرَائِعُ، ذَرَائِعُ،
الشَّدِيدُ عَلَى التَّوَاضُعِ - أَحْجَارُ مُفَرَّضَةٍ،
مَسَاكِنُ مُفَرَّضَةٍ، أَسْلِحَةُ مُفَرَّضَةٍ - يَقْبَضُ الْبَابُ،
يَقْبَضُ الْجَرَّةُ، مِنْضَدَّةٌ عَلَيْهَا زُهْرَيَّةٌ،
سَرِيرٌ مُرَبَّبٌ - دُخَانٌ. كُلِّمَاتٌ -
تَضَرِّبُهَا بِالْهَوَاءِ، بِالْحَسَبِ، بِالرُّخَامِ،
تَضَرِّبُهَا بِالْوَرَقِ - عَدَمٌ؛ مَوْتٌ.

فَلَتَعِقِدْ رَبْطَةً عُنْقِكَ بِإِحْكَامٍ أَكْبَرٍ. هَكَذَا.
اصْبِتْ. هَكَذَا. هَكَذَا.

يَهُدُوءُ، يَهُدُوءُ، فِي الرُّكْنِ الضَّيقِ، هُنَاكَ
وَرَاءَ السَّلَالِيمِ، مُسْتَوِيًا بِحِدَاءِ الْخَائِطِ.

11 - المرفُوض

يَقْفُ عِنْدَ الْمَنْصَدَةِ الرُّخَامِيَّةِ . يُثَابِرُ ،
وَهُوَ يَكْسِرُ كُتْلَةَ ثَلْجٍ يَشَاكُوشُ .
تَتَطَابِرُ شَظَايَا ، تَذُوبُ . الْبَرْدُ
يُسَيِّطُ عَلَى أَصَابِعِهِ ، عَلَى جَسَدِهِ . يُثَابِرُ .
تِمَالٌ لِلَّدْفُءِ ، يَقُولُ - لِلَّدْفُءِ الْغَائِبِ ،
لِلَّدْفُءِ الْمُشْتَهَى ، يَقُولُ . الْتَّلْجُ يَذُوبُ . التِّمَالُ يَذُوبُ .
الْمَاءُ يَنْسَابُ مِنِ الرُّخَامِ . يُقَرِّرُ
فِي الْمَوَاسِيرِ الْمَدْفُونَةِ بِالْحَوَاطِطِ ، تَحْتَ الْأَرْضِيَّةِ ،
تَحْتَ الْبَلَاطِ الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ بِالْمَطَبَخِ ، بِالْخَارِجِ
فِي الْمَصَرَفِ الطَّيْنِيِّ بِالْحَدِيقَةِ ، تَحْتَ الْأَرْضِ
وَسْطَ الْجُذُورِ الشَّرَهَةِ . الْمَرْأَةُ الْعَلِيلَةُ
تُنَادِي مِنِ الْغُرْفَةِ الْخَلْفِيَّةِ . وَهُوَ
يَمْسَحُ يَدَيْهِ عَلَى عَجَلٍ فِي مِنْشَفَةِ ،
يُشْعِلُ الْمَصَبَاحِ . الْفَقَابُ يَرْتَعِشُ .

"هيَ جَاهِزةٌ" ، يَقُولُ ، "سَأَحْضُرُهَا بَعْدَ لَحْظَةٍ" .
الضَّوءُ يُومِضُ عَلَى السَّرِيرِ الْكَبِيرِ
وَالْبَطَاطِينِ الْبَالِيَّةِ ، الْمَهَلَّةَ .
النَّاءُ يَنْسَابُ غَمِيقًا فِي الْبَالُوْعَاتِ . وَالاِثْنَانِ يَعْرَفَانِ ذَلِكَ .

12 - الشخص المنحاز

مَعَ الْخَيَازِ شَخِصٌ مَا غَيْرِ مُذِعِنٍ لِلِّمَوْتِ ،
مُرَاوِيْغُ ، مُنَافِقٌ ، عَنِيدٌ ،
يُشَدَّدُ عَلَى الْأَشْيَاءِ التَّافِهَةِ أَوْ غَيْرِ الْمَوْجُودَةِ -
سُقُوطِ الْطَّائِرِ بِالْطَّلْقَةِ عَلَى الْأَشْجَارِ الشَّوْكِيَّةِ ،
فَتَحَّةٌ نَافِذَةٌ فِي الْخَائِطِ الْخَاوِيِّ ،
الشُّقُوقُ فِي الْخَائِطِ - الرَّسِيمُ عَلَى جَرَّةِ مَا -
الرَّأِيِّ الْوَسِيمُ مَعَ الزَّرَانِيَّةِ الْكَبِيرَةِ ،
ذَلِكَ الشَّيْءُ الْخَفِيُّ الَّذِي يُصَوِّبُ عَلَيْهِ الرَّأِيِّ فِي الْبَعِيدِ ،
فِيمَا الْمَيْتَانُ ، وَظَهَرَاهُمَا مَقْلُوبَانِ ،
يَرْفَعَانِ بِعِنَيَّةِ أَمَامِ النَّافِذَةِ
الْمَلَأَةِ الْبَيْضَاءِ ، الْمَرَبَّعَةِ ، الْمَفْرُودَةِ .

13 – الأساسيات

يُخْرَاقَةً ، يَابِرَةً سَمِيَّةً ، يُخَيِّطُ سَمِيِّكَ ،
يُخَيِّطُ الأَزْرَارَ فِي سُرْتَهِ . يُكَلِّمُ نَفْسَهُ :

هَلْ أَكَلْتَ حُبْرَكَ ؟ هَلْ نِمْتَ فِي سَكِينَةٍ ؟
هَلْ كُنْتَ قَادِرًا عَلَى الْكَلَامِ ؟ عَلَى أَنْ تَفِرِّدَ ذِرَاعَكَ ؟
هَلْ تَذَكَّرَتْ أَنْ تَنْظُرَ مِنَ النَّافِذَةِ ؟
هَلْ ابْتَسَمْتَ عِنْدَ الْطَّرِيقِ عَلَى الْبَابِ ؟

لَوْ كَانَ هُوَ الْمَوْتُ – فَهُوَ فِي الْمَقَامِ الثَّانِي .
فَالْحُرْيَةُ دَائِمًا أَوَّلًا .

تحت المنازل هنالك قبورٌ غائرةٌ .
تحت القبور هنالك مزيدٌ من المنازل .
سلمٌ حجريٌ هائلٌ يجتاز
المنازل والقبور . يصعد المولى ،
ويهبط الأحياء . تتقاطع مساراتهم ؛
لَا يحيي بعضهم البعض - ربما لا يعرف بعضهم البعض ،
ربما حتى يتظاهرون بذلك . أريح
بستان برتقالي غير مرئي على الليل . والأطفال
يُدحرجون إلى الأسفل أطواق براميل . امرأتان
تحادثان عند التبع . صوتاًهما يدخلان
الحجرة مع الماء . عند حلول الليل
تَعُودان بين صفين من أشجار السرو ،
حاميلتين الحجرة كطفل غير شرعي .
ونوقفهما ثوميضاً التجوم ينبعث .

15 - تأيین

اليدُ الحجرِيَّةُ المراهِقةُ عَلَى الْكُرْسِيِّ؛
الْمِذْعُ بِلَا رَأْيٍ أَمَامَ الْمَرْأَةِ؛
بَاطِنُ قَدْمٍ وَحِينَةً فِي صَنْدَلِهَا الرُّخَامِيِّ
تَتَمَشَّى فِي مَكَانٍ آخَرَ (غَيْرِ مُتَوَقَّعَةِ) وَسْطَ
أَشْيَاءٍ مَهْجُورَةٍ، وُرُودٌ وَرَقَيَّةٌ،
رَنَاقٌ نَاضِرَةٌ.

"هَذِهِ الْأَشْيَاءُ، عَلَى الْأَقْلِ" - قَالَ -
"هَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَمْ تَضِعْ؛ لَمْ يَضِعْ كُلُّ شَيْءٍ، كَمَا تَدْرِي".
"لَا شَيْءٌ ضَاعَ" ، أَضَافَ (وَبَانَتْ
الْعُرُوقُ فِي يَدِيهِ).

"لَا شَيْءٌ ضَاعَ" ،
ظَلَّتِ النِّسْوَةُ العَجَائِزُ يَقُلنَ ، وَهُنْ يُنَظَّفُنَ الْقَمَعُ
فِي أَطْبَاقِ بَيْضَاءَ كَبِيرَةٍ ، وَيَغْلِبُنَ الْقَمَعُ
فِي الْإِنَاءِ الثُّخَابِيِّ الْوَاسِعِ . "لَا شَيْءٌ ، لَا شَيْءٌ" ،

كَرَرْنَ وَبَكَيْنَ، مُحْنِيَاتِ رُؤُوسَهُنَّ
عَلَى أَكْتَافِ الْبُخَارِ السَّاكِنِ بِالْمَطَبَخِ.

دَخَلَتِ الْعَمَّةُ "لَا هُوَ" بِالصَّيْنِيَّةِ وَالسُّكَّرِ،
وَضَعَتِهَا عَلَى الْمَنْضَدَةِ، وَانْتَهَتِ جَانِبُها،
اسْتَدَارَتِ إِلَى الْحَائِطِ وَلَعَقَتِ أَصَابِعَهَا.

16 - في الحديقة القديمة

بعد سنوات عديدة ، نهضت المرأة العليلة ،
ذهبت إلى الحديقة . شرقي شمس الشتاء . سكينة معلقة -
عليها يطفو دوي المسامير التي تنغرس في سقالات
جديدة ، لا مرئية . العشب يفوح . أصص الزهور ، الشرفات ،
تنأكلها النباتات والجذور الرغيبة . شجرة الرمان
أطول من السرو . البئر موضد . عبار أصفر
شبيه بالغبار المتتساقط وراء الأيقونات المليئة بالثقوب . وفجأة
تأتي رائحة اللقاح البعيدة لزهور البرتقالي المنعشة
المصفوفة بجمالي حول صينية فضية
على قاعدة تمثال شامخ غير موجود .

17 - ملادات

تَمَاثِيلُ عَارِيَّةُ ، رُخَامِيَّةُ ، خَفِيَّةُ مَصْفُوفَةُ
عَلَى كِلَّا جَانِبِيَ الظَّرِيقِ . بَيْنَ الْحَيْنَ وَالْحَيْنِ
كُنَّا نَخْتَفِي خَلْفَهَا لِبُرْهَةٍ ، فِي الْأَيَّامِ الْمُشَمِّسَةِ
جِينَ گَانَ يَمُرُّ رِجَالٌ مُقْنَعُونَ بِمَلَابِسِ الْبَرِيدِ ، أَوْ جِينَ
كَانَتْ عَرَبَةُ كَارُو طَوِيلَةُ ضَيْقَةٍ ، تَجْرِيْهَا أَرْبَعَةُ أَحْصِنَةٍ
فِي كِسْوَةِ بَيْضَاءِ ، غِطَاءِ مُطَرَّزٍ ، تَسْتَثِيرُ الْغُبَارِ . وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى مِنْ

جَدِيدٍ

كُنَّا نُقَلَّدُ تِمَالًا مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدْمِهِ ، بِلَا حِراكٍ ،
خَابِسِينَ أَنفَاسَنَا ، مُلَاحِظِينَ الظَّرِيقَ يُومِضُ
فِي الْبَعِيدِ بِضَوْءِ مُرَوْعٍ ، خَادِعٍ ، خَافِتٍ ،
مُدْرِكِينَ أَنَّنَا فِي أَيَّةٍ لَحْظَةٍ قَدْ يَخْوُنُنَا
دُخَانُ سِيْجَارَةٍ ، أَوْ سَعْلَةٌ خَفِيقَةٌ ، أَوْ انتِصَابٍ .

18 - سُلُوكُ مُحْسُوب

كَانَ يَضِيقُ إِيمَاءَاتِهِ، وَتَعْبِيرَاتِهِ، وَكَلِمَاتِهِ،
حَتَّىٰ فِي اللَّيلِ، وَحِيدًا، فِي الغُرْفَةِ الضَّيْقَةِ
كَانَ يُرْتَبُ أَحْدِيَتَهُ، وَمَلَابِسَهُ، مُتَحَرِّكًا
مِنْ سَرِيرِهِ إِلَى خِرَانَةِ الْمَلَابِسِ. وَإِذَا مَا أَحْيَانًا، فِي مُنْتَصِفِ اللَّيلِ،
خَلَعَ مَلَابِسَهُ كُلَّهَا وَحَمَلَ بِشَهْوَانِيَّةٍ فِي عُرْبِهِ
أَمَامَ الْمَرْأَةِ، فَقَدْ كَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَيْ يَتَظَاهِرَ
بِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّ الْمَتَلَصِّصَ وَالْمَتَنَصِّتَ الْكَبِيرَ
فِي الغُرْفَةِ الْخَارِيَّةِ، غَيْرِ الْمَوْجَرَةِ، الْمَجَاوِرَةِ،
ذَاتِ الْمَسَامِيرِ فِي الْخَوَائِطِ، كَانَ دَائِمًا يَتَفَرَّجُ عَلَيْهِ
مِنْ خِلَالِ ثُقُوبِ حَفَيْيَةِ الْبَابِ، أَوْ فِي جَسَدِهِ نَفْسِهِ.

مساحَةً صَارِمةً . كَلِمَاتٌ مَحْسُوبَةٌ . لَا أَثْرٌ لِلَّوْنِ .
 رُوَاقٌ - أَبْوَابٌ مُوصَدَةٌ إِلَى الْيَمِينِ وَالْيَسَارِ . أَصْوَاتٌ مَكْتُومَةٌ
 وَرَاءَ الْأَبْوَابِ (كُلُّ مِنْهَا مِنْ تِلْقَاءِ ذَاتِهِ) مُنْدَمِجَةٌ
 فِي تَكَشُّمِ عُمُوْيٍ - الصَّينِيَّةُ تَهُوِي عَلَى الْأَلْوَاحِ ،
 الْأَطْبَاقُ تَهُوِي ، وَالْمِشْطُ ، وَالْحِذَاءُ ، وَالْمَرَأَةُ ،
 وَالْأَوْبُول^[١] الْقَيْمِينِ . يَنْتَعِطُ الصَّوْتُ إِلَى مَكَانٍ آخَرِ . فِي اللَّيلِ
 يَعْبُرُ الْمَسَرَّنُوْنُ الْثَّلَاثَةَ صَمَتَ الرُّوَاقُ ،
 مُخْتَفِينَ أَسْفَلَ هَذَا التَّمَاثِيلِ الْمُسْتَطِيلِ . سَاعَةً الْخَاطِطِ الْكَبِيرَةِ
 عَلَى الْخَاطِطِ الْبَعِيدِ تَوَقَّفَتْ ، لَا تَكْشِفُ عَنْ شَيْءٍ ، وَلَا حَتَّى
 نِسِيَّةُ الزَّمَنِ . وَرَاءَ الرُّجَاجِ الْمُعْتَمِ ،
 لَا مَرِثِيَّةُ ، سَيِّدَةُ الْمَكَانِ - صَامِتَهُ ، بَدِينَتَهُ ، ضَخْمَةُ ،
 ثُدِيرُ مَفَاتِيحَهَا كَمِغْرَلِ حَدِيدِي ، وَهِيَ تَقْوُمُ
 بِعَمَلِيَّاتِ الْإِخْلَاءِ الْجَدِيدَةِ لِمُسْتَأْجِرِيهَا وَالْجَمِيلَةِ هِيلِينِ -
 تَأْخُذُ الْعُلْكَةَ مِنْ فِيهَا وَتُلْصِقُهَا بِجَيْنِهَا .

[١] عملة معدنية يونانية قديمة، تساوي سدس "دراخمة".

20 - حادثة عادية

بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ كَانَ يُؤْكِدُ لِتَفْسِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَرَ، أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ؛
يُخَافِظُ عَلَى طِبِيعَيَّةِ ذَقْنِهِ، وَشَفَقَتِيهِ، وَعَيْنَيْهِ؛
يَعْقِدُ رِبَاطَ عُنْقِهِ بِجَمَالِ أَمَامَ الْمَرْأَةِ،
يَضَعُ الْمَفَاتِيحَ فِي جَيْبِهِ، يَخْرُجُ، يَمْشِي -
لَا يَنْتَرُ إِلَى الْوَرَاءِ أَبَدًا، يُحْيِي الْمَارَةَ. لَكِنَّهُ
يُدْرِكُ يِبْقَيْنِ رَهِيبَ أَنَّهُ - وَرَاءَ الْبَابِ
فِي الْمَنْزِلِ، فِي الْمَرْأَةِ - قَدْ تَرَكَ، حَيْسَا،
السَّجِينَ الْقَاتِمَ، الْوَسِيمَ نَفْسَهُ، وَأَنَّهُ - لَدَى عَوْدَتِهِ -
سَيَجِدُ نَعْلَيْهِ فِي مَكَانٍ مَا مُغَایِرٌ، وَالْمَنَاسِفُ الْثَلَاثَةُ الزَّغَبَيَّةُ
سَتَكُونُ مَبْلُولَةً، مَرْمِيَّةً عَلَى ظَهَرِ الْكُرْسِيِّ.

21 - رَبِيع رِيفِي

الزَّمْنُ بَطِيءٌ . الصَّوْءُ يَصْقِلُ السُّطُوح ، يَلْجُ
إِلَى خِزَانَاتِ الْمَلَائِس ، وَالْأَدْرَاج ، وَتَحْتَ الْأَسِرَّة ،
يُجْفَفُ الْوِسَادَةُ الْمُبْتَلَةُ بِاللَّعَاب ، يُلْغَى حَلَزُونِيَّةُ السَّلَالِم ،
يَضْعُ الْكَلِمَاتِ فِي نَسْقٍ مَوْزُونٍ . وَهُوَ ،
الذِّي لَا يَمْلِكُ إِلَّا مِعْطَفًا قَدِيمًا ، طَوِيلًا ، لَيُخْفِي
نُدُوبَهُ الْمِشِينَةَ ، وَشَعْرَ جَسَدِهِ الشَّائِب ، هُوَ الْآنَ مُجْبَرٌ
عَلَى أَنْ يَقْفَ عَارِيًّا فِي الصَّوْء ، كَأَنَّهُ يَتَظَاهِرُ
بِأَنَّهُ تِمَالٌ شَابٌ عَلَى شَعْرِهِ الْحَجَرِيِّ
يَضْعُ عَابِرُ سَيِّلِ سَخِيفٍ قُبَّعَةَ قَشَّ مُهَلَّهَةَ
بِشَرَائِطٍ وَكَرِزٍ شَمِيعٍ مِنْ أَصْيَافِ غَابَةٍ .

يُمُرُّرِ الأَعْوَامُ، بِالْمَصَادَقَةِ تَمَامًا، بِلَا أَيِّ قَصْدٍ، اسْتَبَدَلُوا
بِيَاضَ الْطَّلَاءِ بِيَاضَ الرُّخَامِ - بِيَاضُ
أَكْثَرِ إِبْهَارًا إِلَى حَدٍّ مَا، عَلَى السَّطْحِ - كَانَ قَمَّةُ احْتِيَاجٍ لِذَلِكِ؛
كَانَتِ الْكَلِمَاتُ وَالرُّسُومُ عَلَى الْخَوَائِطِ كَثِيرَةً لِلْغَایَةِ . وَالآنِ،
وَاحِدًا وَاحِدًا، يَطْلُونَ الْأَفْنِيَةَ، وَأَصْصَرَ الْزُّهُورَ، وَالْأَحْجَارَ،
حَتَّى الْأَشْجَارَ، إِلَى مُنْتَصِفِهَا - ذَلِكَ مَا يُعْطِي بَهَاءَ مَا، نَظَافَةَ مَا؛
يَقُوُّحُ بِالْعَافِيَةِ - وَهَكَذَا، تُشَرِّقُ الْأَرْصِفَةُ وَالْكَنَائِسُ
بِبَسَاطَةٍ قَدِيمَةٍ جَدِيدَةٍ - يُشَيِّءُ مَا يَنْتَهِي إِلَيْنَا . وَفِي الْمَسَاءِ،
يَضَعُونَ إِصْبِصَرَ جِيرَانِيُومَ عَلَى الْجِدَارِ الْمَطْلِي بِالْأَبْيَضِ
وَيَتَظَلَّلُونَ إِلَى الْبَحْرِ . وَعَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ عَبْرَ الْطَّرِيقِ، تَبَدُّو
السَّيِّدَةُ "بِيلَيَا" غَاضِبَةً - وَتُوَبُّهَا الْأَسْوَدُ مُبَرَّقَشُ
بِقَطَرَاتِ الْطَّلَاءِ، كَأَنَّهُ يَزَدَهُرُ بِأَقْحَوَانَاتٍ صَغِيرَةً .

يمرور الأعوام - يقول - تهجرني الألوان ، أهجرها ؛
يبدولي الحجر الأبيض أكثر ملائمة .
ياطراف أصايعي ، يكفي كلها ، يشفقي ،
أتحول إلى جسد أبيض ، مناقضا للليل ، الليل الملائم -
يتنصب بوضوح في الظلام ؛ يُشرق . أترك لسانِي
يشهوانية في فيه الرخامي . والآن ، على الأقل ،
لدي الحق في الرُّؤُون إلى الصمت وأغماض عيني .

23 - السَّلَام

صَعَدَ وَهَبَطَ السَّلَالِمْ . شَيْئًا فَشَيْئًا ،
كَانَ الصُّعُودُ وَالهُبُوطُ - فِي إِرْهَاقِهِ -
يَتَّخِذُانِ الْمَعْنَى نَفْسَهُ - بِلَا مَعْنَى أَبَدًا - التَّقْطَةُ نَفْسَهَا
فِي عَجَلَةِ دَوَارَةٍ . وَهُوَ ، بِلَا حِرَالٍ ،
مَرْبُوطٌ بِالْعَجَلَةِ ، بِوَهْمِ أَنَّهُ يُسَافِرُ ،
يَشْعُرُ بِالرَّيْحِ تُمَسَّطُ شَعْرَهُ إِلَى الْوَرَاءِ ،
مُلَاحِظًا رِفَاقَهُ ، الْمُقْنَعِينَ بِنَجَاجٍ
كَبَحَارَةٍ مُنْهَمِكِينَ ، يَسْدُونَ مَجَادِيفَ غَيْرِ مَوْجُودَةَ ،
يَسْدُونَ آذَانَهُمْ بِالشَّمْعِ ، بِالرُّغْمِ مِنْ أَنَّ السَّيْرِينَاتِ [٣]
قَدْ مُتْنَ مُنْذُ ثَلَاثَةِ آلَافِ عَامٍ عَلَى الْأَقْلَ .

[٣] السيرينات (في الأساطير اليونانية): كائنات خطرة، لها ملامح أنوثية، تغري البحارة العابرين بأصواتهم وموسيقاهم الساحرة، لاستدرجهم إلى الدمار.

تَلْمِيَحَات

(1971 – 1970)



في جَيْبِكَ الْخَاوِي قِطْعَةُ عَمْلَةٍ قَدِيمَةٍ ، مَنْسِيَّةٍ -
لَمْسَتُكَ تَتَعَرَّفُ عَلَى نَحْوِي أَعْمَى عَلَى أَعْضَاءِ الإِلَهِ الْعَارِيَةِ .



السَّجَرَةُ ، وَالشَّمَالُ ، وَالْحَدِيقَةُ ، وَالْمَرْأَةُ الْعَجُوزُ -
فِيمَا تُؤْمِنُ بِدَيْمُونَةِ الْكَلِمَاتِ ، فِيمَا تَمْضِي
خَارِجَ الزَّمَنِ ، خَارِجَ مَدْخَلِ الْقَصِيَّةِ .



يَبْتَسِمُ رَجُلٌ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ فِي الظَّلَامِ ،
رَبَّمَا لَأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ الرُّؤْيَاةَ فِي الظَّلَامِ ،
رَبَّمَا لَأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ رُؤْيَاةَ الظَّلَامِ .



دَعْكَ مِنَ التَّفْسِيرَاتِ - فَمَا قَيَّمْتُهَا ؟ فَهِيَ ، عَلَى العَكْسِ ،
تُؤَدِّي إِلَى تَشْوِيشِ أَكْبَرِ الْأَشْيَاءِ - طَالَمَا أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ الشِّعْرَ ،

الغاري ، والمتواضع والمتكبر ، ليس أكثر من
التحقيق المدهش لما يستعصي على التفسير .



قطعت الفتاة غصن صفصاف ، رمته بعيدا
وتشمت أصابعها - حركتها هذه
كانت إسقاطا للزمن داخل الغير .



وراء أزهار عباد الشمس الكبيرة ، كان الجدار ،
وراء الجدار ، الطريق - لا يمكن رؤيته أبدا .
ثم المنازل ، والأشجار ، والتلائل ، والجرائم . في الظهيرة
يذهب عمال ورشة الأخشاب إلى هناك لي bowelوا .
في الليل يخرج الموتى ليدهنوا الجدار .



لأنهم حول الموضوع ، فلتتكلم بفظاظة ، بل بلهاث ،
(التضمينات والمحذفات الجميلة - يقول - هي من أجل اللياقة) -
فحتى تهشيم القصيدة قد يولّد قصيدة .



فَلَقْتُكِ الْخَرَبَةَ دَائِمًا فِي رُكْنِ الْغُرْفَةِ ،
وَلَقْتُكِ الدَّرَعَ مَقْلُوبًا لِيَمْتَلَىءَ بِالْمَاءِ
فَقَدْ تَأْتَى الْطَّيُورُ لِتَشَرَّبَ وَأَنْتَ تَنْتَرُ عَبْرَ رُجَاحِ النَّافِذَةِ ،
وَأَنْتَ تُشَاهِدُ الْأَرَانِبَ تَمْضِعُ أَوْرَاقَ الْكَرْوُمِ
مَعَ صَرِيرِ ذَبِيلِ طَائِرَةٍ وَرَقِيَّةٍ وَهُوَ يَغُوصُ فِي الزُّرْقَةِ .



مَعْنَى الْقَنْ - قَالَ - قَدْ يَتَمُّعُ الْعُثُورُ عَلَيْهِ
فِيمَا تَمَّ حَذْفُهُ ، عَنْ قَصْدٍ أَوْ غَيْرِ قَصْدٍ ،
شَأْنَ تِلْكَ السَّكِينِ الْوَامِضِيَّةِ الْمَخْفِيَّةِ تَمَامًا فِي السَّلَةِ
تَحْتَ الْعِنْبِ الْأَحْمَرِ ، الْذَّهَبِيِّ ، الْأَرْجُوَانِيِّ .



أَيَا كَانَ مَا تُرَاكِمُهُ فِي صُنْدُوقَكَ فَهُوَ يَتَّخِذُ طَرِيقَ الْمَوْتِ .
أَيَا كَانَ مَا تَهْبِهُ فَهُوَ يَتَّخِذُ طَرِيقَ الْحَيَاةِ . الْأَعْمَى الْعَجُوزُ
يَتَعَرَّفُ عَلَى الْعُمَلَاتِ الرَّائِفَةِ بِاللَّمْسِ . يَلْمَسُ بِأَصَابِعِهِ
كُلَّ شَيْءٍ أَمَامَ عَيْنَيهِ ، يُسَمِّيَهَا وَاحِدًا وَاحِدًا ،
وَلَا يَهْمُمُ كَمْ تُخْفِي فِي الرُّكْنِ أَوْ وَرَاءَ السَّتَّارَةِ .



يَزَادُونَ ابْتِعَادًا ، الْوَاحِدُ عَنِ الْآخَرِ ؛ لَمْ يَعُودُوا يُؤْمِنُونَ بِالْبَرَاءَةِ ؛ لَمْ يَعُودُوا

يُؤْمِنُونَ

بِالْأَفْكَارِ ، بِالْكَلِمَاتِ ، بِالْزُّهُورِ . وَهُمْ يَنْفَصِلُونَ
كَانَ كُلُّ مِنْهُمْ يَبْدُو أَنَّهُ يَحْمِلُ جَبَلَهُ عَلَى ظَهِيرَهُ .

❖

لَا تَسْلِكْ كُمْ سَيَسْتَمِرُ ذَلِكَ - لَنْ يَسْتَمِرُ ؛ فَالآخَرُونَ يَتَخَذُونَ الْقَرَارَاتِ .
فَلَتَقْلِبِ الْمِنْضَدَةَ رَأْسًا عَلَى عَقِبِهِ ؛ فَلَتُطْفِئِ الْمِصْبَاحَ .
الْمِرَآةُ مَلِيئَةٌ بِشُقُوبِ الرَّصَاصِ . لَا تَنْظُرِ إِلَى الدَّاخِلِ .
سَأَنْظُرْ - قَالَ الْآخَرُ - خِلَالَ هَذِهِ الشُّقُوبِ .
وَكُلَّ مَرَّةً أَرَى وَجْهِيَ الْمَسْرُوقُ مِنْ جَدِيدٍ ، لَمْ يُمْسِ .

❖

السَّفِينَةُ رَحَلَتْ . الْأَضَوَاءُ ذَوَتْ . عَلَى رَصِيفِ الْمِينَاءِ
ظَلَّتِ الْأَكْيَاسُ الْمُمْتَلَأَةُ بِالْدَّيْنَامِيتِ مُكَدَّسَةً فِي صُفُوفِ .
وَفِي الْمَيْدَانِ الْعَامِ ، أَمْسَكَ التَّمَثَّالُ بِالثَّقَابِ .

❖

طَوَالَ وَقْتٍ مَا أَنْهَكَ الْكَلِمَاتِ . وَمَعَ ذَلِكَ ،
فَهُوَ دَائِمًا يَنْتَظِرُ ، وَمَصْبَاحُهُ مُضَاءٌ ،
خَشِيَّةً أَنْ يَلْتَقِي مُصَادَفَةً بِالْقَصِيدَةِ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيلِ .

❖

دَائِنًا مَا يُرَاقِبُ التَّرْمُومِتَرَ عَلَى الْخَائِطِ .
 حَسْبَ الدَّرَجَاتِ ، يَزَادُ سُخُونَةً أَوْ بُرُودَةً .
 وَعِنْدَمَا انْكَسَرَ التَّرْمُومِتَرَ ذَاتَ يَوْمٍ ، ارْتَبَكَ -
 لَمْ يَعْدْ يَدْرِي مَتَى يُدْفِئُ نَفْسَهُ أَوْ يَبْرِدُ .
 قَطْرَاتُ الرَّثْبَقِ انسَابَتْ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ
 مَعَ حُرْيَّةٍ مُبَدَّدَةٍ ، غَيْرِ مَقْبُولَةٍ ، مُرْعِبَةٍ .



يُرِيدُ أَنْ يَصْنَعَ التَّمَثالَ التَّذْكَارِيَّ لِضُفْدَعَةٍ صَغِيرَةٍ -
 لَا الضُّفْدَعَةَ نَفْسَهَا - إِنَّهَا النُّعُومَةُ مَا يُرِيدُ ،
 الْمِيكَانِيَّكِيَّةُ الْمُرَكَّبَةُ لِلْقَفَرَاتِ الْوِرَاثِيَّةِ
 فِي الْحَدِيقَةِ الْمَرْوِيَّةِ فِي الْلَّيلِ تَحْتَ الدَّبَّابِينِ
 لَحْظَةً أَنْ كَانَتْ هِيلِينَ تَخْلُمُ ثِيَابَهَا خَلْفَ الْبَابِ الْزُّجَاجِيِّ .



سَأُغَادِرُ - يَقُولُ - أَصْوَاتُ السُّوقِ ، وَالْقَلَاجَاتِ ، وَالسَّلَالِ ،
 الْمُنْتَجَاتِ الْمُتَنَوِّعَةِ ، التَّأْفِهَةِ ، وَالْإِعْلَانَاتِ الْجَدِيدَةِ ؛
 سَأَذْهَبُ إِلَى الْمَنْزِلِ ، أُغْلِقُ الْبَابَ ، أَجْلِسُ فِي مِقْعِدِي ،
 أَبْرِي سِنَّ قَلْمَيِ الرَّصَاصِ بِأَدَبٍ ، يِعْنَاهُ ، وَأَصْرُخُ .



شَرِيعَةُ بَطْرِيجُ أحْمَرَ فِي الطَّبَقِ .
الْكِتَابُ الَّذِي أَغْرَى هُنْكَانَ جَمِيلًا .
أَفَكَرُ الْآنَ فِي كِتَابَةِ قَصِيَّةٍ .
فِيهَا ، لَنْ يَتَحَادَّ سَوَى الطُّيُورِ .



كُلُّ مُعْتَقِدٍ - يَقُولُ - إِمَّا سَذَاجَةُ أَوْ جُنُونٌ أَوْ ذَرِيعَةُ مَا كَرَّةٌ .
أَدْخُنُ سِيْجَارَتِيِّ بِسَكِينَةٍ تَحْتَ أَنْفِ الْمَوْتِ ؛
أَزْرُرُ قَمِيْصِيِّ أَوْ أَفْتَحُهُ ؛ أَغَادِرُ أَوْ لَا
قَبِيلَ أَنْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ مُظَالَّبَتِيِّ بِالْمُغَادَرَةِ أَوْ طَرِدِيِّ .
فِي الْلَّيْلِ أَجْلِسُ نُقْطَةً مَيَّتَةً فِي الْفَرَاغِ ، أَعْقِدُ ذِرَاعَيِّيَّ ،
أَنْظَاهَرُ بِأَيِّ جُنُونٍ أَمَّا الْمِرَآةُ وَأَمْضِيَ لِأَنَّامَ .



طَوَالَ أَيَّامٍ بِلَا انْقِطَاعٍ تَتَلَمَّسُ يَدُهُ فِي جَيْبِهِ
عِظَامَ الْحَدَّ الثَّالِثَةِ لِلْفَرَاغِ . ثُمَّ فَجَأَهُ
يُخْرِجُ دُمِيَّةً عَمِيَّاءً ، يُضِيِّفُ لَهَا عَيْنَيْنِ ،
وَيُعْطِيَهَا لَابْنَةَ مُتَعَهِّدِ الْأَشْيَاءِ الْمُسْتَعْمَلَةِ .
تُعَرِّيَهَا بِاسْتِمَاعٍ ، وَتُخْرِجُ عَيْنَيْهَا مِنْ جَدِيدٍ .



كَانَ الشِّعْرُ مِنْ جَدِيدٍ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَعَ حُدُوِّسٍ ٍاِحْتِمَالَاتٍ مُعْجِزَةً .

كَانَتْ حُطْمِي

الْمَرْأَةُ الْأَثِيمَةُ الْجَمِيلَةُ الَّتِي تُلَازِمُ الْجِدَارَ ،
وَحَفِيفُ تَوِيهَا أَعْلَى الزَّعْرُورِ الْكَبِيرِ فِي حَقْلِ الْكِلَابِ ؛
أَضَيَّتْ رَائِحَتَهُ إِبْطِيهَا فَجَأَةً بِمِصْبَاحِ الشَّارِعِ فِي مَيْدَانِ الْمَدِينَةِ
لَحْظَةً أَنْ كَانَتْ يَدُ الْمَوْتِ تَخْتَبِي خَلْفَ هَذَا الْمِصْبَاحِ بِالْدَّاَتِ .

❖

لَا يَهُمُّ كَمْ يَكُونُ الْمَرْأَةُ وَجِيدًا فِي خَوْفِهِ وَأَلِيهِ ،
مَعَ الظَّحَالِبِ وَرُجَاجِ النَّوَافِذِ ، مَعَ ظَلَالِ تَجْهُولَةِ عَلَى السَّقْفِ الْوَاطِئِ ،
وَالْحَظْلُ الأَحْمَرُ لِنَارِكِ مِنَ الْفُرْجَةِ تَحْتَ الْبَابِ
يُنْهِرُنَا مِنْ جَدِيدٍ عَنْ أَبْجَدِيَّةِ الْحَيَاةِ ، الْتَّلَاحِمِ ، وَالْأَمْتِيَازِ ، وَالْكِبِيرِيَّاءِ ،
اللَّحْظَةِ الْجَمِيلَةِ عِنْدَمَا تُغَادِرُ الْمَنِزِلَ وَتَلْتَقِي بِشَجَرَةِ ،
عِنْدَمَا تُصْبِحُ وَرَقَةُ شَجَرٍ وَسَطُ الْأَوْرَاقِ ، فِي نَفِيسِ الْأَغْنِيَةِ ،
يَا أَنْتَ الَّذِي تَنْبَيِّقُ مِنَ التَّمَاثِيلِ وَأَشْجَارِ السَّرِّ وَالْقَطْوِيلَةِ .

❖

فِي الْحَقْلِ الْمُقْفِرِ فِي الْلَّيْلِ نُحْرِقُ ظَلَالَنَا .
تَوَهَّجَتِ التَّارِ . وَسَطَ الْلَّهِيَّبِ
أَنْتَصَبَ عَكَازٌ ضَخْمٌ نَحْوَ السَّمَاءِ
مِثْلَ نَجْمَةِ الدَّيْنُونَةِ .

أَسْفَلَ ذَلِكَ السُّلْمَ

هَبَطَ الْمَلَائِكُ الْمُحَرَّقُ، مُحْتَضِنًا جَنَاحِيهِ إِلَى قَلْبِهِ كَفَتَاهِينَ مَيَتَتَينَ.



سُيَلُوا عَنْ رَغْبَتِهِمُ الْأُخِيرَةِ.

"حَقَائِبُ وَرَقَيَّةٌ" ، قَالُوا . جِيءَ لَهُمْ بِهَا.

نَفَخُوهَا ، اسْتَدَارُوا ،

فَجَرُوهَا عَلَى الْجِدَارِ، وَسَقَطُوا.



مُنْذُ أَنْ عَرَفَ أَنَّهُمْ يُرَاقِبُونَهُ مِنَ النَّافِذَةِ ،

كَيْفَ يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَتَحَرَّكَ بِبَسَاطَةٍ ، بِجَمَالٍ؟

أُرِيدُ مَعْرِفَةً مِنْ كَانِيْكِيَّةَ هَذِهِ الْبَسَاطَةِ .

أُغْلِقُ الْمَصَارِيعَ ، أَنْظُرُ إِلَى نَفْسِي فِي الْمِرَآةِ .

يُحِبِّطُنِي ثُقُبُ فِي جَيْبِيِّي .

مايو-أكتوبر 1970



قصائد ورقية

(1974-1970)

ساموس، 1970

خريف
والحبل مربوط
يجذع شجرة التزيتون؛
قناع الكرتون
لَا يمنع الماء -
إنه ينساب من العينين .



خذ الزلاقة .
وعند الخروج من الغابة
قلت لحظ
الحصان مبللا بالعرق
 أمام أبي الهول .



قاعة تثريج .

البُشُورُ زَرَقاءُ .
القَيْتَيلُ عَلَى الْمَنْصَدَةِ -
قِطْعَةُ ذَهَبٍ عَلَى السُّرَّةِ
وَوَرَقَةُ خَسٍ بَيْنَ الْأَسْنَانِ .



فِي الْمَرَأَةِ
فِي الرُّكْنِ الْأَيْمَنِ
عَلَى الْمَنْصَدَةِ الصَّفَرَاءِ
تَرَكُثُ الْمَفَاتِيحُ .
خُذْهَا .
فَالْكَرِيسْتَالُ لَا يَنْفَتِحُ .
لَا يَنْفَتِحُ .



فِي زُجَاجِ الْمَقْصُورَةِ
تَجْرِي الْمَشَاهِدُ الْطَّبِيعِيَّةُ .
فِي جَيْبِي عَرَثُ عَلَى
مِسْوَاكَ ،
وَفِي قُبَّعِي
بُرْجِ الْكَنِيْسَةِ .

فِي وَرَقٍ ، حَقًا ، فِي وَرَقٍ .
فَلَتَعْثُرْ عَلَى سَطْرٍ أَكْثَرْ عُمُومِيَّةَ
يُحَبِّثُ لَدَى سُقُوطِ السَّقْفِ
لَا يَنْكِسُرُ الرُّجَاجَ
لَا تَنْجَرِحُ الْمَرْأَةُ الْمَيْتَةَ .

الْزُّهُورُ فِي الْإِنَاءِ .
يَدْكُوكُ عَلَى الْحِزَامِ .
مَاذَا كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَقُولُ ؟

عَلَيْكَ أَنْ تَضَعْ أَصْصَاصَ الزُّهُورِ
حَوْلَ الْبَيْرِ تَمَامًا
فِي نَسْقٍ جَمِيلٍ
مِثْلَ الْقَصَائِدِ
حَوْلَ الْعَدَمِ .
لَنْ يَكُونَ لِذَلِكَ أَهَمِّيَّةَ
إِلَّا بِأَنْ تَكُونَ خَاوِيَّةَ -
ذَلِكَ هُوَ بُلْنَا الْأَوَّلَ

وَالْآخِرِ.



الْكَلِمَاتُ تَفْقِدُ مَعَانِيهَا
جِينَ يَسْقُطُ الْمَاءُ مِنْ أَسْفَلَ لِأَعْلَى
جِينَ يَدْوُرُ الدَّرَاجُ الصَّغِيرُ
بِلَا اِنْتِهَاءٍ فِي الْبَرْمِيلِ الْكَبِيرِ،
وَالشَّعْرُ مَمْسُوكٌ يَخْبِطُ.



يَحْدِيَّةُ أَكْبَرُ، يَحْدِيَّةُ أَكْبَرُ،
فِي الْأَسْوَدِ،
بِالصَّلِيبِ الْمَدَلِّ
عَلَى الصَّدْرِ،
وَالْجَنَاحُ
تَخْفِيَّ فِي جَيْبِ الْبَنَطَلُونَ
مَعَ الْمِشْطِ.



سَوْفَ تُعَيِّنُ الْمَكَانُ،
سَتَمْضِي إِلَى الْوَرَاءِ،

سَتَرُكُ السَّيْرَكَ .
وَالْطَّوْقُ الْكَبِيرَ
عَلَى الْحِصَانَ
سَوْفَ تَحْفَظُ بِهِ .



سَأَرُسُمُ ظِلِّي بِالْأَزْرَقَ .
سَأُنَظِّفُ أَسْنَانِي بِالْفُرْشَاهَ ،
أَعِزِّفُ عَلَى الْجِيتَارَ .
وَأَنْتَ ، تَخْتَبِي
تَحْتَ السَّرِيرَ .
تَتَظَاهِرُ بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي .



تُرِيدُ بِأَيِّ ثَمَنِ
أَنْ أَقُولَ لَكَ :
"لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ " .
هُوَ كَذَلِكَ .
بِالنِّسْبَةِ لِي أَيْضًا .
فَانْتَهِي وَأَنْتَ تَقْصُ الْأَظَافِرَ .
فَالْمِقْصُ يَلْتَمِعُ .

حَقًا؟ رِسَالَةُ إِلَيْكَ؟

فَلَتُمْرِّقَهَا.

ثُمَّ نُتَلَمِّلِمِ

الْقُصَاصَاتِ الصَّغِيرَةِ وَاحِدَةٌ وَاحِدَةٌ

نُلْصِقُهَا بِعَضِهَا

وَنَقْرَأُهَا.

أَلَا تَسْمَعُ التَّرَاشَقَ بِالرَّصَاصِ؟

هَزِيلًا، غَيْرَ حَلِيقٍ، بَائِسًا -

فِي جَيَّبِيهِ

ظَائِرًا مَسْرُوقًا.

مَا إِنْ يَدْوُرُ حَوْلَ نَاصِيَةِ الشَّارِعِ،

حَتَّى يُحَلِّقَ.

رِيحُ فَاصِفَةٍ.

لَيْلٌ.

فِي الأَسْفَلِ عِنْدَ الْبَابِ أَصْوَاءُ مُرْتَعِشَةٍ.

فِي رُوَاقِ الْجُمُرُكِ

السَّعَالَة

تَكِنْسُ بِهُدُوهُ .
الْحَقَائِبُ مُغَلَّقَةٌ .
لَاقِيَةٌ : "مَنْسُوعٌ" .
رِيحٌ - رَفِيقَةٌ .
الْأَشْرِيقَةُ ، الْأَشْرِيقَةُ الْكُبْرَى .



هُوَ أَنَا مَنْ غَرَّسَ فِي الْحَدِيقَةِ عِصَمَ الْحَدِيدِ .
لَسَوْفَ تُزَهِّرُ .
حَتَّى لَوْلَمْ يَعْتَقِدْ ذَلِكَ الْمُوقَى .



ثَقْبٌ فِي الْجِدَارِ .
كَأَنَّكَ طَمَسْتَهُ جَيِّداً .
أَرَيْمَا تَظُنْ أَنَّكَ أَخْفَيْتَ
السَّاعَةَ وَالشَّعَبَانَ ؟



وَاحِدٌ - اثْنَانُ ، وَاحِدٌ - اثْنَانُ .
لَا تَنْطِقِ بِرَقْمٍ آخَرَ .

فَسَوْفَ يُعْطُونَكَ دَرَجَةً رَفِيعَةً
فِي مَعَهِدِ الْمُوسِيقِيِّ الْجَدِيدِ.



وَبِدُونِ أَصَابِعِكَ
لَا يُمْكِنُكَ الْحِسَابُ.
فَإِنَّكَ تَحْسِبُ أَصَابِعِكَ.
وَالْحِسَابُ عَيْرُ مَوْجُودٍ.
فَهُوَ يَفْتَقِرُ إِلَى عَشَرَةِ أَصَابِعٍ.



هَذَا الْجَسَدُ
وَهَذَا التَّمَثَالُ
يَعِكُسُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ.
وَأَنْتَ لَا تَكْفِيكَ
الْمَرْأَةُ.
الرَّوْعَةُ نَفْسُهَا تَحْجُبُكُمْ
أَنْتُمُ التَّلَاثَةُ.



فِي الصُّورَةِ الْفُوْتُوغرَافِيَّةِ

كَانَ هُنَاكَ الْعَجُوزُ وَلَحِيَتُهُ .
أَرَالُوهَا .

لَقَدْ تَهَرَّأَ الْخَيْطُ - قَالُوا :
وَالْإِطَارُ سَوْفَ يَسْقُطُ ;
وَرُبْجَاجُهُ سَوْفَ يَنْكِسُرُ .

وَرَاءَ الْخِزَانَةِ الْآنِ
الصُّورَةُ الْفُوْتُوغرَافِيَّةُ الْقَدِيمَةُ
وَوَجْهُهَا إِلَى الْخَائِطِ .
لَمْ يَكُنْ بِهَا خَيْطٌ .
كَانَ بِهَا سِلْكٌ حَدِيدِيٌّ .



الْغُصْنُ يَهْتَزُ .
هُوَ أَنْتَ مَنْ يُحْيِيهِ .
هُوَ أَنَا أَيْضًا .
لَا فَرْقٌ .
هَلْ تَدْرِي ؟
إِذْنَ فَلِمَاذَا لَمْ يَرْغَبُوا فِي وُجُودِنَا ؟



ذَلِكَ أَفْضَلُ .

ذَلِكَ دَائِمًا أَفْضَلُ .
وَمِنْ جَدِيدٍ ، سَعِيدٌ ، يَا سَيِّدِي .
فَاسْمَحْ لِي بِالِتِقَاطِ أَنْفَاسِي قَلِيلًا
بَيْنَ قَهْوَتَيْنِ
وَثَلَاثِ حُرُوبِ .



قُلْتُ : سَيِّدِي ،
هُوَ أَنْتَ مَنْ كُنْتُ أَعْنِي .
فَلَوْ أَنِّي أَخْطَأْتُ ، فَسَامِحْنِي .
لَقَدْ خَلَعْتُ حِذَائِي
وَأَطْفَأْتُ الشَّمْعَةِ .



هَذَا الْغَنَيَانِ
لَيْسَ مَرَضًا .
إِنَّهُ إِجَابَةٌ .



لِلْكَلِمَاتِ بَشَرَةٌ أُخْرَى
بِدَاخِلِهَا

مِثْلَ اللَّوْزِ
أَوِ الصَّبْرِ.



كَانُوا جَمِيلِينَ (هَلْ تَذَكَّرُ؟)
كَانُوا يَسِيرُونَ بِاسْتِقَامَةٍ إِلَى الْأَمَامِ.
كَانُوا يَنْظُرُونَ بِاسْتِقَامَةٍ إِلَى الْأَمَامِ.
كَانُوا يُغَنِّونَ.

كَانُوا يُمْسِكُونَ بِحِرَابِهِمْ عَمُودِيَّةً،
عَالِيَّاً، عَالِيَّاً تَمَاماً.

لَمْ يَكُنُوا يَرَوْنَ
أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ عَلَمْ.

أبيها، 1973

قُل "مَا الَّذِي يُمُكِّنُنِي فِعْلُهُ فِي ذَلِكَ؟"
فَلَتَسْرُخْ قَلِيلًا .
لَا أَسْتَطِيعْ .
مِشْنَقَةْ .



عِنْدَمَا كُنْتَ مُنْزَعِجًا
مِنْ أَنْكَ خَائِفٌ
مَعَ كُلِّ هَذِهِ الْأَزْرَارِ بِسُرْتِكِ
الْمُنْزُوعَةِ
شِبَّةَ عَارِ
أَكْثَرَ مِنْ عَارِ ،
لَمْ تَكُنْ لَتَرَى الْعُمَلَاتِ الْمُعَدَّنَةِ
الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ قَدَمَيْكِ .



إنه خطئي - يقول
أنا إنسان .

فكيف كان يمقدوري أن أكون غير ذلك ؟
المفتاح ،
ليس معي دائمًا
في حزامي .

وَكَثِيرًا مَا يَنْبَغِي أَنْ أَبْقَى
خَارِجَ مَنْزِلِي
وَحْدِي مَعَ السَّمَاءِ
وَعَظَامَ كُلِّي .



أَحَلَامُ تَرَنَّا
كَلِمَاتُ مُبَدِّرَة
قَمَرِي مُتَوَاضِع
وَنَحْنُ الْاثْنَيْن
وَحِيدَيْن تَمَامًا
خِفْيَةٌ بِأَحَدِ الْأَرْكَان
نَقْوُمُ بِالثَّبَوْلِ .



دَكَانُ الْعُطُور
كُشَكُ التَّجَار
الصَّيْدَلِيَّة
اللَّوْحَانِ الْكَبِيرَان
الْأَقْدَامُ الْخَافِيَّة
الْمَسَامِيرُ.

يَأْخُذُ سُلْمَهُ التَّقَال
يَجْلِسُ عَلَى الرَّصِيفِ.
فَلَيَتَبَارَكَ الْكَلْبُ الْأَعْرَجُ
فَلَيَتَبَارَكَ ضَوْءُ النَّهَارِ
فَلَيَتَبَارَكَ الْجَلَادُ.
وَالرَّجُلُ الْفَاضِلُ، هَلْ تَقُولُ؟
لَا. جَيَانُ.



بِهَذَا الْجَسَدِ
الْمُلَتَّصِقِ بِالْخَاطِطِ
مَعَ هَذِهِ الْضَّرَبَةِ بِالْقَبْضَةِ فِي الصَّدْعِ
مُعْتَصِرَةً مَا هُوَ خَفِيٌّ
فِي الْخَلْقِ
أَكْثَرُ، بِعُمْقٍ أَكْبَرُ -

يَمْنَعُك
تَوَاطُّؤُ الْخَاتَمِ الْأَيَّنَ
مِنْ لَمِسِّ الْمَنَبَعِ.



أَرِيَجُ زَهْرِ شَجَرَةِ الْلَّيْمُونَ
الَّذِي لَا يَأْتِي مِنَ الْحَدَائِقِ
بَلْ مِنَ الْمَعْبُدِ.
قَلَنْسُوَةُ الْمَسِيحِ
تَحْتَ إِبْطِ الْعَامِلِ
أَعْلَى
السُّلَّمِ الرُّخَامِيِّ
ذَامِيَّةً.
أَنْتَ أَيْضًا رَأَيْتَهَا.
إِذْنَ فَمَا الَّذِي جَرَى؟



شَعْرٌ بِالْعُلُوِّ الْحَمَرَةِ
شَمْسٌ وَّتَلٌ.
عَلَى رُكْبَتَيْهِ نِصْفُ رَغِيفٍ.
أَشْعَلَ عُودَ ثِقَابٍ

وَوَضْعَهُ فِي نَفِيْهِ .
الآن - قال -
يُمْكِنُ أَنْ يَحْلِ اللَّيْلَ .



رُؤُسُ صَلَعَاءَ
شَعْرُ مُسْتَعَارٌ ذَهِبِيٌّ
شَمْسٌ زَانِفَةَ
الْجَرَائِدُ وَالْجَوَائِطُ .
أَبْطَالٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ .
مِنَ الْأَفْضَلِ الْبُكَاءُ
مِنَ الْأَفْضَلِ الْبَقَاءُ عَارِيَا
بِلَا جَسَدٍ بِلَا صَوْتٍ
ذَلِكَ سَيَكُونُ أَفْضَلُ .



الْخَطَأُ نَعَمْ .
لَا الْكَذِبُ .
سَاعِدُونِي - قال -
عَلَى قَصْ أَظَافِرِي .
فَالْمَقْصُ لَا يَقْصُ .

سَاعِدُونِي - قَالَ -
عَلَى قَوْلِ الْحَقِيقَةِ .
أَيَّهُ حَقِيقَةٌ ؟
فَأَظَافِرُ الْمَوْتَى أَنفُسِهِم
مُسْتَعِصِيَةٌ .



كَمْ كَانَ ضَخْمًا
احْتَفَظَ تَنَامًا
يَقْبَضُهُ مَضْمُومَةٌ
مَرْفُوعَةٌ
ضِدَّ الظُّلْمِ .

جِينَ حَلَّ اللَّيلَ -
كُوبَ مَاءٍ صَافِ .
فِي قَاعِ الْكُوبِ
قُرْصُ الدَّوَاءِ الْأَصْفَرِ
قُرْصُ مُنْتَوْمٍ .
كَانَتِ الْحَدُودُ تَنَحَّلُ .
فَقَاعَاتُ شَفَافَةٍ
شَفَافَةٌ ؛

كُنْتُ أَرَاهَا .
عَلَى هَذَا التَّحْوِيْنِ .



دَائِمًا فِي مِئَةٍ مَكَانٍ
مَعَ مَصَابِيجِ الشَّوَّارِعِ
مَعَ السُّلْمِ
مَعَ أَعْوَادِ الشَّقَابِ
يَصْعَدُ
لَا يُشَعِّلُ الشَّقَابَ
يَبْقَى هُنَاكَ
أَعْلَى الدَّكَاكِينِ الْمَوْضَدَةِ
وَحِيدًا
أَعْلَى الظَّلَامِ
مَعَنًا .



لَقَدْ رَأَيْتَهَا عَلَى الْأَرْضِيَّةِ
قَطَرَاتِ الظَّلَاءِ
الْجَافَّةِ تَسْوَدَ .
لَمْ يَتِمْ طَلَاءُ الْبَابِ .

لَمْ يَكُنْ الْمَوْتَىْ هُنَاكَ .
وَلَا نَحْنُ .

أَيْهَا الْمَسَاءُ الشَّهْوَانِيَّ
أَيْهَا الْمَجْدُ الْعَاجِزُ .



مَا أَقُولُه
إِنَّكَ لَا بُدَّ أَنْ تُدْرِكَ شَيْئًا آخَرَ
لَيْسَ النَّقِيقَضُ تَمَامًا
بَلْ شَيْئًا آخَرَ .
صَفَّ مِنْ أَسْلَاكِ شَائِكَةَ
صَفَّانَ تَلَاثَةَ .



تَكَبَّدَ عَنَاءَ كَبِيرًا لِصُنْعِ
طَائِرٍ كَبِيرٍ مِنْ وَرَقِ
بِهِذِهِ الْجَرِيدَةِ الرَّدِيَّةِ
(بِدَاخِلِهِ أَخْفَى الطَّائِرِ الْحَقِيقِيِّ) .
إِنَّهَا تَطِيرَ - كَانَ يَقُولُ -
الْجَرِيدَةُ تَطِيرَ
بِكُلِّ ثِقَةٍ وَكُلِّ رُسُوخٍ

بِالْكَيْدِ تَطِيرُ .
إِلَّا أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيْعُ الْمَشِيْ .



وَظَهَرَهُ إِلَى الشَّمْسِ
يَتَمَعَّنُ فِي ذَاتِهِ .
الْحَرَارَةُ كَثِيْفَةُ .
وَالْكُرْسِيُّ خُصُّوْعٌ كَامِلٌ
عَلَى أَقْدَامِهِ الْأَرْبَعِ .
يَا لِنِسَيَانِ الْآخَرِينَ
نِسَيَانٌ مُبَارَكٌ
بَرَبِّيَّةُ .
وَالْمَسَدَّسُ مُصَوَّبٌ
نَحْوَ شَبَّيْجِ الشَّمْسِ
عَلَى بَلَاطِ الْمَطَبَّخِ .



خُطْوَةُ الْعَنْكَبُوتِ
عَلَى ظَهِيرِ الْوَرَقَةِ الْبَاهِتَةِ ،
وَالشَّعْدَانُ عَلَى الْمَنْضَدَةِ
بِلَا شُمُوعَ .

في منتصف الليل
تأتي المرأة الجميلة
يقدمن حافيتين .
تُمسك به
تصعد إلى السقف
في وسط المدينة .
تشعل الشموع التاقصة
مضيئة حلات الزجاج
وَقَمِيص نومها يلتقط النار
والدخان يغمر المباول .



القصيدة
منذ أمد بعيد
تبحث عن قارئها .
هكذا
تجنوا على ركبتيها
في ظل
أجنحة هائلة
في الليل الأفراح
مع الأرائك المهجورة بالخدائق

والستانيير الحديد في الأشجار .



لَوْ كُنَّا قَدْ مَضَيْنَا بِصُورَةٍ مُخْتَلِفَةٍ لَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ قَدْ انْكَسَرَ
مِثْلَ الْمَرْأَةِ عَلَى هَذَا الْخَاطِطِ
تَحْتَ مِطَرَقَةِ الرُّجُلِ الْعَارِيِّ
عِنْدَمَا ضَرَبَ صُورَتَهُ
دُونَ أَنْ يَمْسَّ
جَوْهَرَ الْكَرِبِيْسَّالَ نَفْسَهُ
أَمَامَ الْمَرْأَةِ
بَعْدَ الْمَرْأَةِ
فِي عُرْبِيْهِ الْفَاتِنِ
فِيمَا أَسْفَلَ السُّلْمَ
إِلَى الْمَحْرَقَةِ إِلَى الْمَحْرَقَةِ
كَانَ الْمَرْتَدُونَ يَصْرُخُونَ .



لَا بِدَائِيَةٍ - قَالَ -
وَلَا نِهَايَةٍ
دَائِرَةٌ
بَلْ حَتَّى لَيَسَّتْ دَائِرَةٌ .

أَمْسِكُ بِالْقُضْبَانِ
أَحْصِبِهَا.

غَيْرُ مَوْجُودَةِ.

يَتَوَقَّفُ الْأُتُوبِيسُ
يَهْبِطُ الْمَرَاقِبُ
يُشَعِّلُ سِيْجَارَةً.

الَّذَا كِيرَ تَنَطَّايرَ عَلَى الرَّصِيفِ.
الرَّصِيفُ أَبَيَضُ.



هُوَ أَنْتَ مَنْ أَشْعَلَ الْخَرِيقَ.
ظَلَّكَ خَانَكَ
وَهُوَ يَتَقَافَزُ خَلْفَكَ
ضَخْمًا

حَتَّى التَّوَافِدُ الْمُوَصَّدَةُ لِلْطَّوَابِيقِ
حَتَّى شُرَفَةُ الْمُسْتَشْفَى
صَارِخًا
هُوَ أَنَا" "هُوَ أَنَا".



نَمَالُ أَوْرَاقِ شَجَرِ أَعْقَابُ سَجَائِرِ

صَمَتْ سَتاَنِرْ نُجُومٌ .
قُلْتَ ذَلِكَ حَقًّا .

وَالسِّيقَانُ المَقْطُوعَةُ فِي وَاجِهَاتِ الْمَاتَاجِرِ
وَمُكَبَّرَاتُ الصَّوْتِ عَلَى الْمَوَاقِدِ
وَالْأَبَطَالُ الْمَظَارِدُونَ
خَارِجُ التَّارِيخِ .
هُوَ إِذْنُ التَّقْيِيسِ
حَقًّا

الَّذِي يَسْتَوْجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُعِيدَ بَدْءَ التَّارِيخِ
وَمِنْ بَعْدِ أَكْبَرِ .



ذَلِكَ الْأَحَدَبِ
الْمَوْجِلِ
الْأَعْمَى .
الْقِطَارُ مَضَى .
الْأَضْوَاءُ حَضَرَاءُ .
سَلَالِيمِ .

لَوْ أَصْبَحَ نَظَرِي أَفْضَلِ
فَسَأَكُونُ قَدِيمٌ .



إِنْ ثَمَ الْعُثُورُ عَلَيْهِ قَرِيبًا
فَسَيُمْكِنُ لَهُ بِالْتَّأْكِيدِ الْإِمْسَاكُ بِهِ
أَوْ تَفَادِيهِ.

الآن

يَقْلِمُ رَصَاصِ عَادِي
يَرْسُمُ أَقْحَوَانًا أَسْوَدَ
مَبْلُوْلًا بِمَطْرِ مُفَاجِعَ
نَحْتَ مِظَلَّةِ مِنْ قُمَاشِ أَحْمَرَ
لِمَتَجَرِ الْمَوَادِ الْطَّازِجَةِ الْمَقَابِلِ.
كَانَ أَكْثَرَ إِشْرَاقًا مِنَ الْأَقْحَوَانِ الْأَيْضِ.
وَذَلِكَ مَا سَيَخُونُهُ.



كَانَ يَخْرِسُ الْخَائِطَ بِأَظَافِرِهِ
وَيُلَمِّلُمُ الْغُبَارَ
الَّذِي يَتَسَاقَطُ عَلَى حَاجِبِيهِ.
خَرَسَ الْخَائِطَ مِنْ جَدِيدٍ
دُونَ أَنْ يُلَمِّلُمُ الْغُبَارَ.
وَفِي الْمَرَآةِ

كَانَ الْآخَرُ أَكْثَرُ ابِيضاضًا .

مُسْتَحِيلٌ - قَالَ -

ذَلِكَ يَسْتَحِيلُ قَوْلُهُ .

فَهُوَ بِالْأَحْرَى أَخْضَرَ .



بَقَايَا مِنْ رُكَامِ شَائِهِ

مِنْ طُرُقِ قَدِيمَةِ لِلْسَّكَةِ الْخَدِيدِ

مَهْجُورَةٍ

وَتَحْتَ نَبَاتِ الْفُرَّاصِ

لِلْأَنْيَةِ الْفُخَارِيَّةِ الْمُهَشَّمَةِ

مَا يَسْتَعِصِي عَلَى الْعُبُورِ .

بَعْدَهَا الْاسْتِعْدَادُ الْعَظِيمُ

شَيْءٌ مَا أَخْرَسَ وَجَدِيدٌ تَمَامًا

وَأَمْلَأُ تَمَامًا

كَتِمَالٍ

وَكُلُّ مَا حَوْلَ الْخَوَاجَزِ

الْخَوْضُ وَالسَّكَّينِ .



سَوْفَ تَحْفُرُ هُنَالِكَ حَيْثُمَا حَفَرَتَ مِنْ قَبْلِ

سَبَّبَنِي هُنَاكَ حَيْثُمَا بَنَيْتَ مِنْ قَبْلِ

سَتَحِمِّلُ الْبَابَ عَلَى گَتِيفِكَ

سَتَنْقِلُ

الْجَرِيجَ وَالْمَيْتَ أَوَ الْوَلِيدَ

عَلَى هَذَا الْبَابَ

بِلَا مَفْتَاحٍ يَدْخُلُ فِي الثُّقَبِ

بِلَا حَاجَةٍ إِلَى مَفْتَاحٍ .

وَئِمَّةٌ مِلْحُ فِي كُلِّ الْبَلَاطِ .



الْمَرْأَةُ الَّتِي تَعْبُرُ الشَّارِعَ

بِشَبَكَةِ النَّسْوَقِ النَّاِيْلُونَ الْوَرْدِيَّةِ

بِفَاصُولِيَّاءِ خَضْرَاءِ طَازِّجَةِ .

حِينَ يَجِلُ الرَّبِيعُ بِبَسَاطَةِ

وَالْحَبَّ

وَالْعَالَمَ

يَكْفِيُ أَنْ يَلْمَسَ إِصْبَعُ

الْخَائِطِ أَوِ الْأَرْضِ

أَوِ الشَّفَتَيْنِ الْمُضْمُوتَيْنِ .



أَحَدُهُمَا فِي عُرْفَةَ
الثَّانِي فِي أُخْرَى
أَبْعَدَ قَلِيلًا الثَّالِثَ .

بَيْنَ الْثَّلَاثَةَ
حَائِطَانَ .

عَلَى الْأَرْضِ فِي الرُّوَاقِ
مِظَلَّاتُهُمْ وَأَحْذِيَتُهُمْ
وَمَلَأْبِسُهُمُ الدَّاخِلِيَّةَ
وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي لَمْ يَقُولُوهَا .

فِي الْمَرْأَةِ

فِي مُوَاجَهَةِ النَّافِذَةِ
كُوبُ وَحِيدٍ
لَهُمُ الْثَّلَاثَةَ .



قَدْمُ عَلَى الْأَرْضِ
الْأُخْرَى عَلَى الْغَيْمِ
وَسَاعَةُ الْحَائِطِ مُتَوَقَّفَةٌ مِنْذُ أَمْدٍ بَعِيدٍ .
وَفِي الْجَانِبِ الْأَخْرَى أَبْوَابٌ ؛
الصَّيْحَاتُ الصَّيْحَاتِ
بِلَا أَعْلَامٍ .

بَعْدَمَا يَزُولُ الْخَوْفُ
أَنْيَذِ فَقَطْ سَيَقْتَرِبُ
الْأَخِيرُونَ
وَيَقُولُونَ "حَاضِرُونَ".
وَلَنْ يَسْمَعُهُمْ أَحَدٌ.



أَنْتَ يَا مَنْ تَبْحَثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ
هُوَ الْخَائِطُ مَا تَبْحَثُ عَنْهُ.
الْحَجَرُ الْحَجَرُ الْآخَرُ الْآخَرُ.
فَلَتَسِنِدْ ظَهَرَكَ إِلَى الْخَائِطِ
أَوْ جَيْبِنَكَ
فَلَتَبْقَ وَاقِفًا هَكَذَا فِي اللَّيْلِ
مَعَ الْعُمَلَاتِ الْمُعَدَّنِيَّةِ الصَّغِيرَةِ فِي جَيْبِكَ
الَّتِي لَا تُصِدِّرُ أَيَّ صَوْتٍ
ذَهَبِيَّةً كَانَتْ أَمْ فِضَّيَّةً
إِلَّا أَيَّةً قِيمَةً.
فَلَا أَحَلَامَ بَعْدَ الْآنِ.



ذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ - يَقُولُ -

أَيُّهَا الْأَحَمَقُ - يَقُولُ الْآخَرُ -
كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَحِيلٍ
بَلْ مَا هُوَ أَكْثَرٌ
فِي الشِّعْرِ .
أَكْثَرٌ يَكْثِيرُ - يَقُولُ -
فَالْمَجْدُ
إِنْتِقَامُ عَامٍ .



جَسَدٌ
نَحِيلٌ كَعُودٍ ثِقَابٌ
أَبْيَضٌ
مِنْ طَرَفِ الْأَفْقِ
إِلَى الْآخَرِ .
إِزَاءَ الْحِدَاءِ
عَصْفُورٌ قَتِيلٌ .
عَلَى السُّرَّةِ
مَسِيحٌ أَعْوَرٌ
يَبْكِي .



مَا تَأْتِي بِهِ - يَقُولُ
لَا يَضْعُهُ أَحَدٌ فِي اعْتِبَارِهِ .
فَمَا تَحْذِفُهُ هُوَ مَوْضِعُ الْاعْتِبَارِ .

فَلْتَغْسِلْ فِي الْمَطَيْخِ
أَطْبَاقَ خَادِمِكِ .

ذَلِكَ هُوَ أَنْ تَمْنَحَ مَا تَجْمَعَ .

الْخَادِمَةَ

أَمَامَ الْمَرْأَةَ
وَمِشْطُكَ فِي يَدِهَا -
كَمْ شَعْرُهَا أَسْوَدَ وَخَشِنَ .
فَلْتَغْسِلْ أَيْضًا الْأَكْوَابَ

وَلْتُعِدْ السَّرِيرَ
خَاصَّةً السَّرِيرَ .



قَاتِمَةُ
هَذِهِ الْأَجْسَادُ الْمُنْتَضَخَمَةُ
تَمَامًا
الْحِلْدُ لِلْأَسْدِ
الْجَوَارِبُ مَرْمِيَّةُ
الْمَنِي

الشُّمُوعُ الْأَرْبَعَ

الْمَسَامِيرُ

يَا إِلَهِي .



أَمَامَ هَذَا الْقَفَصِ الْكَبِيرِ
فَلَتَّمِ يَالْبَحْثِ
اَخْلَعَ قُبَّعَتَكِ
الْتَّقِطُ الْعُمَلَةُ الصَّغِيرَةُ
مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَمُوْتُوا .
لَا قَبْلَ الْأَوَانِ أَبْدَا - قَالَ -
نُصْبُ لِغَيْرِ الْمَوْتِ
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ انْقَبَّتْ أَغْطِيَتُهُمُ الْقَدِيمَةُ
يُفْعَلُ السَّجَاجِيرُ
وَالْعِشَّةُ
وَالْفَشْلُ الْمُتَكَرَّرُ .



بَعِيدًا بَعِيدًا لِلْغَايَةِ
مُنْحَسِرًا
هَارِبًا مِنِّي

(مُقْرَبًا مِنِي عَلَى الْعَكْسِ)

يَعْضَهُ فِي الصَّدْرِ

يَخْدِشُ فِي الرَّقَبَةِ .

أَغْمُرُ الْيَدِ

فِي وِعَاءِ مَاءِ

أَعْكَسُ الْحِكَاهَةِ

الْمَاءُ يَحْمَرُ

الشَّهْرُ يَحْمَرُ .

يَا لِأَسْمَاكِ الْمَاكْرِيلِ الْهَارِبَةِ

يَا لِأَسْمَاكِ الْمَاكْرِيلِ الْمُرْتَزِقَةِ .

❖

قُفَّازَاتُ طَوِيلَةٍ

مِنَ الْمَطَاطِ .

تَحْتَ السُّخَامِ الدَّمِ

الْوَسْخُ وَالصَّدَأُ .

يَدَاهُ نَظِيفَتَانِ تَمَامًا .

لَسْتُ طَبِيبًا مُولَّدًا - يَقُولُ -

وَلَا مَسْؤُلًا عَنْ كَنْسِ الْبَارَاتِ

أَنَا يَبْسَاطَةٌ فِي حَالَةِ حُلْمٍ .

ظرُقُ المَسَامِيرِ الَّتِي يَتَمَّ دَقْهَا
 فِي ظَهِيرِ الْمَرْأَةِ
 يَتَرُكُ شُقُوقًا
 فِي الْقِنَاعِ الْمَصْفَرِ لِلْقِدِيسِ .
 مِنْ هَذِهِ الشُّقُوقِ
 تَنْهَمِرُ دُمُوعُهُ الْحَقِيقِيَّةِ
 وَبُخَارُ الْعَرَقِ
 وَاللَّدَمِ
 وَالْخَطِيئَةِ الَّتِي لَمْ يَرْتَكِبْهَا .

هَيَا بِنَا ، قَالَ أَحَدُهُمَا .
 هَيَا - قَالَ الْآخَرُ -
 وَإِلَى أَيْنَ سَنَمْضِي ؟
 هُنَا حَيْثُ سَرِيرِي
 وَاثْنَانِ مِنْ قُمَصَانِي
 وَرُجَاحٌ نَافِذَتِي الْمَكْسُورِ
 وَحَائِطِي -
 حَائِطِي أَنَا

حَائِطِي الْحَقِيقِي الْوَجِيدِ .



سَتَلْتَقِي بِي - يَقُولُ -
جِين يَفْوُثُ الْأَوَانِ .
وَذَلِكَ لَيْسَ خَطَأَكَ وَلَا خَطَئِي .
فَالْأَوَانُ دَائِمًا يَفْوُتُ .
فَلَنْتَسَأِلُ الْمَرْأَةَ
الَّتِي تُنَظِّفُ الْعَدَسَ
فِي طَبَقِي مِنْ خَرْفَ .
(فَلَنْتَسَأِلُ) الشَّمَالَ .
السُّؤَالُ أَيْضًا يَأْتِي بَعْدَ الْأَوَانِ بِكَثِيرٍ .



دَمُ الْقَمَرِ عَلَى الْوِسَادَةِ
الْخُبُزُ فِي الْفَسَالَةِ
السُّلَحَفَاءُ الَّتِي تَخْبَئُ
- أَحَلَامٌ بِلَا جَدَوْيٍ .
لَقَدْ أَقْسَمْتُ لِلْمَوْتِ - يَقُولُ -
فَسَمَا بِأَنَّنِي لَمْ أُبَالِ -
وَهَا هُوَ الْعِقَابُ .

مِنْ جَدِيدٍ هُنَا
بِبَاطِنِ السَّكَائِنِ
مَقْلُوبًا
وَهِيَ ذَائِبٌ فِي كُوِيْ.



إِنْ لَمْ تَجِدْ وَسِيلَةَ الْمَوْتِ
فَلَا تَسْقُطْ رَغْمَ ذَلِكِ - يَقُولُ -
فِي الْكَذِبِ الْمَضَادِ .

دَعْ قِشَرَ الْبَيْضِ
كَدَلِيلٍ وَاضِحٍ عَلَى الْمَائِدَةِ
لَا تَدْسُهُ
تَحْتَ السَّرِيرِ .
وَظَالَمَا أَنْتَ كُنْتَ جَائِعًا
فَأَنْتَ جَائِعٌ
وَنَحْنُ جَائِعُونَ .



عَجَائِرُ أَوْغَادٌ سَجَائِرُ وَأَغْطِيَةٌ
فِي عَرْفٍ شَاسِعٍ غَيْرِ مَأْهُولَةٍ
صُورُ الْأَسْلَافِ فِي الرُّوَاقِ

بِبَلَاطِهِ الْمُكَسَّرِ
 خَيْرُهُ مَعْلَقٌ بِالْمَسَامِيرِ
 مِنْ حَائِطٍ إِلَى الْآخَرِ
 وَالْوَصِيِّ
 رَمَى بِسِرْوَالِهِ الدَّاخِلِيِّ عَلَى الْمَنْصَدَةِ
 وَحِذَائِهِ عَلَى الْقَمَرِ .
 وَالْفَتَرَانُ صَعَدَتِ السُّلَمِ .
 آوِيَا دِيكَ الْخِيَانَةِ
 يَا شَقِيقِي يَا الْمُزُورِ يَا شَاهِدِي
 جَنَاحُكَ الْدَّهْيِي عَلَى قُبَّعَيِّي
 وَالْآخَرُ الْأَسْوَدُ فِي جَيْبِي .
 ♦

لَيْلَةُ عَرْجَاءُ يَتِيمَةٍ
 كَمْ مِتْرًا مِنَ الْقُمَاشِ
 الْقُطْنِيِّ الْأَبَيْضِ الْمَنَشِّيِّ
 لِتُضَمَّدَ ذِرَاعَكَ الْمَكْسُورَةِ .
 انْتَهِي إِلَى أَنَّ الْأَصَابِعَ السَّوَادَاءَ لَا تُرَى
 وَالصَّرَاصِيرَ الْمَنَوَمَةَ
 وَسَاعَةَ الْيَدِ فِي ذِرَاعِكَ
 بَيْنَ أَنْصَافِ الْلَّيْمُونَاتِ الْمَعْصُورَةِ .

وَجِينَ أَفْتَحَ - يَقُولُ -
بَابَ غُرْفَةِ النَّوْمِ
مُصْدِرًا أَقْلَى صَوْتٍ مُمْكِنٍ
أَسْمَعَ أَنفَاسَ
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَمْ يَعُودُوا هُنَاكَ .
أَشْعِلُ الضَّوْءَ فِي الْخَالِ
وَأَكْجُحُ عَلَى رَاحَتِي .



أَحَدُ بَائِسٍ
رُبَّمَا كَانَ وَسِيمَا
(لَا يَظْهَرُ وَجْهُهُ)
مَحْنِي
وَسْطَ أَحْذِيَةِ الزَّبَائِنِ
وَسْطَ الْمَفَاتِيحِ الضَّائِعَةِ
وَالْمَنَادِيلِ الْوَرَقِيَّةِ لِلْمِسْوَاكِ .
رُبَّمَا كَانَ يُصْلِي .
فِي مِعَصِيمِهِ
سَاعَةً مِنْ صَفِيفٍ
بِلَا عَقَارِبَ .

❖
ظلَّ المَنْزِل
وَالرَّصِيفُ وَالشَّجَرَةُ .
ظلَّ وَجْهَهُ
فِي الْمَرْأَةِ .
يَدْخُلُ الْمَوْتَى
مِنْ خَلْفِهَا
وَيُخْرِسُونَ الْطَّلَاءَ .

❖
أَبْيَضُ عَلَى أَبْيَضِ
حَمَلُ عَلَى ثَلَجِ
لَا يُمْكِنُكَ فَصَلْهُمْ .
نَفْسُ الشَّيْءِ مَعَ كُلِّمَاتِنَا
الْمُخْتَارَةِ
عَلَى الْوَرَقِ .

❖
الْمَجْدُ
هُوَ الْطَّفْلُ الْثَّانِي
لِلْوِحْدَةِ .

هَذَا الْطَّرِيقُ أَفْضَلُ .
دَائِمًا: هَذَا الْطَّرِيقُ أَفْضَلُ .
فَلَتَحْفَظَنَا مِنَ الْأَسْوَأِ ، يَا إِلَهِي .
فَلَتَمْنَحْنِي فُسْحَةَ تَنَفُّسٍ
بَيْنَ قَهْوَتَيْنِ
وَثَلَاثَةَ حُرُوبٍ .

الْخَائِطُ أَصْفَرُ
وَالْمَسَامِيرُ سَوَادَاءِ .
تَنَزِّعُ الْمَسَامِيرُ .
الْثُقُوبُ حَمَراءِ .

فَلَتَنْظُرْ إِلَيْهَا مِنْ هَذَا الْجَانِبِ .
الْعِيْمَةُ التَّانِيَةُ .
فِي أَحَدِ أَرْكَانِهَا
سَبْعَةُ صُلْبَانٍ صَغِيرَةٌ .
وَاحِدٌ لِكُلِّ رُكْبَةٍ لَكَ
لِكُلِّ كَفٍ لَكَ .

لِقَدِيْكَ .

وَالسَّابِعُ

عَلَى جَيْبِيْكَ .



يَا مَنْ تَبْحَثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ

فَلْتَبْحَثْ عَنِ الْخَائِطِ .

الْحَجَرُ ، وَالْحَجَرُ الْآخَرُ ، وَالْآخَرُ .

فَلْتُحِنْ ظَهَرَكَ أَوْ جَيْبِنَكَ

إِلَى الْخَائِطِ

مُنْتَصِبًا فِي اللَّيلِ

بِالْعُمَلَاتِ الصَّغِيرَةِ فِي جَيْبِكَ

بِلَا صَوْتٍ

ذَهَبِيَّةً أَوْ فِضَّيَّةً

بِلَا إِعَادَةٍ .

وَالْأَحْلَامُ .



الرُّخَامِيَّةُ الْقَاسِيَةُ

(أَمِنْ تِمَالِكْ؟) -

تَظَلُّ مُسِكًا بِهَا فِي ذِرَاعِكَ

كُطِفِلٌ مَيْتٌ -
تَنْثُلُ عَلَيْكَ

تِلْكَ الْيَدُ الْقَاسِيَةُ
الَّتِي أَشَارَتْ بِسَبَابَتِهَا
عَالِيَاً ، عَالِيَاً ، أَعْلَى
رُبَّمَا إِلَى الْحِدَاءِ
إِلَى الْغَيْمَةِ
أَوْ إِلَيْكَ .

أثنين، 1973-1974

يَنَامُ الْطَّفْلُ مَعَ الْكَلْبِ
تَنَامُ الْمَرْأَةُ مَعَ الْحَصَانِ
يَنَامُ الرَّجُلُ مَعَ الْجَبَلِ
وَأَنَا أَنَامُ مَعَ تِمَالِيِّ.
طَيْوُرٌ كَبِيرٌ فِي أَقْفَاصِ
فِي أَقْفَاصِ كَبِيرَةٍ خَضْرَاءِ
يُصْدِرُونَ صَخْبًا مُسْتَحِيلًا
يَمْنَعُونِي مِنِ النَّوْمِ.



أَيْتُهَا الْقَصِيْدَةُ الْعَاجِزَةُ
الْعَاجِزَةُ الْعَاجِزَةُ
بِلَا جَدَوْيٍ.
الْمَوْتِي
لَا يُبَعَّثُونَ.

هُم مَوْجُودُونَ .



ذَلِكَ مَا سَوَّفَ أُحَافِظُ عَلَيْهِ - يَقُولُ -
يَأْسَنَانِي وَأَظَافِرِي سَأَحَافِظُ عَلَيْهِ .

التساهم : انحراف

الغُفران : جُبْنٌ .

بَاقٍ هُنَا .

الْأَعْمَى يُقَدِّمُ لِي سُرَرَتَهُ

أَرَتِدِيهَا مَقْلُوبَةً

أَشْتَرِي تَذَكَّرَةً قِطَارَ

أَعْبُرُ النَّفَقَ

أَرِيدُ أَنْ أَصْفَرَ

وَلَا أُفْرِجُ أَسْنَانِي .



جَسَدٌ عَصِي

عَارٍ تَمَامًا فَوْقَ الْوَصْفَ

بِالثَّدَيْنِ مُنْتَصِبَيْنِ أَيْضًا

عَصِي

بِالظَّلَقَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالْخَارِجِيَّةِ

بِهَذَا الْخَبِيثِ الْأَزْرَقِ الظَّافِرِ
وَالْمَسْطَرِينِ الْكَبِيرِ فِي الْيَدِ
وَهُوَ يَدْهُنُ بِالْأَسْنَتِ
بِابْتِسَامَةِ الْمَسِيحِ الثَّانِيِّ .



مُخْتَبِئًا
وَرَاءَ التَّمَاثَالِ الضَّخِيمِ لِزَبُوسِ
يَنْتَظِرُ إِطْفَاءَ النَّيْرَانِ
وَانْصِرَافَ الْحَرَاسِ .
انْعِكَاسُ أَصْوَاءِ الْحَدِيقَةِ
كَافِ .
يَعْرِفُ كُلُّ نَفْصِيلَةِ .
الرُّحَامُ الْآنُ سَاخِنٌ .
وَالْيَدُ تَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ تَتَّجِهِ .



نَائِسُ غَارِقُونِ بِالْمَطَرِ
أَبْوَابُ مُوَصَّدَةٌ أَصْوَاءُ مُتَكَسَّرَةٌ أَوْحَالُ
أَعْلَامُ تَخْفِيَةٌ
لَا بُدُّ أَنْ تُغَيِّرَ رَأِيكَ

أَن تَنْظُرُ فِي الْجَاهِ آخَرَ
أَن تَصِيتَ
إِلَى أَن يَرْتَحِي الْفَكَانَ
إِلَى أَن يَكُفَّ الصَّمْتُ عَنِ الصَّرِيرِ .



وَصَلَ الْمَحَارِبُونَ فِي مُنْتَصِفِ اللَّيلِ
ثُمَّ الْآخَرُونَ وَأَيْضًا الْآخَرُونَ
وُجُوهٌ سَيِّئَةٌ الْحِلَاقَةُ
أَحْدِيَّةٌ مَبْلُولَةٌ
خَوْفٌ .

كَانَ الْجَمِيعُ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْقِتَالِ
عَنْ هَزِيمَةٍ لَا أَحَدٌ
كَانَ الْجَمِيعُ يَلْرَمُونَ الصَّمْتَ
مَعَ الْمَوْتِ .
وَالسَّكِينُ مَغْرُوسٌ فِي الْخَاطِطِ .



بِالثَّأْكِيدِ مِنَ السَّهْلِ أَن تَخْدَعَ الْآخِرِينَ
لَكِنْ أَن تَخْدَعَ نَفْسَكَ ؟
فِي لَحْظَةٍ أَن تَمْشِي

حَيْثُ تَنْظُرُ أَمَامَك
تَنْظُرُ عَيْنَاك
الْمُنْتَقِلَتَانِ إِلَى خَلْفِيَّةِ رَأْسِك
مَدْفُونَتَيْنِ فِي شَعْرِك
وَمُغْمَضَتَيْنِ تَقْرِيبًا
تَنْظُرَانِ مُبَاشِرَةً فِيمَا وَرَاءَك
إِلَى نَفْسِ الْأَنْجَاهِ.



مُحْظُورَاتُ عَقَبَاتُ تَحْرِيمَات
وَأَنْتَ
بِإِمْسَاكِ
تَحْفُرُ الْخَائِطِ.
أَنْجَزَتُ الْخُفْرَةَ.
ضَوْءُ أَشْجَارٍ أَوْ تُوْبِيسٍ.
فَلِمَادِاً يُغَمْضُونَ عَيْنَهُمْ؟
أَمِنْ أَجِلٍ أَلَا يَرَوْنَكَ؟



ذَلِكَ الشَّيْءُ مَا
الْبَعِيدُ

عصيُّ المثال -
فلنستبدل
بشيءٍ مَا قرِيب
في ظورِ الاكتمال .
نَرَحَل . نَعُودُ إِلَى بَيْوِتَنَا .
الأَيْدِي فِي الْجُيُوبِ .
الْخَوَائِظُ مُتَدَاعِيَةٌ فِي السَّلَالِيمِ .
وَالصَّست .



مُهَرَّبُونَ قَوَادُونَ انتِهَا زَيْوَ الْحَرُوبِ
هَوَائِيَاتُ التَّلِيفِزِيُونَ
قُبَّاعُ عَلَى الْمَذَاخِنِ
هُبُوطُ أَرْضِيِ
صَرْفُ صِحَّيِ مُهَمَّشِ
طِفْلٌ مَعَ آلَتِهِ الْهَارِمُونِيَّا
انْتَهُوا انْتَهُوا
فَالْعُصَفُورُ لَيْسَ لَدِيهِ
مَوْطِئُ قَدَمِ
وَهُوَ مُتَعَبٌ فِي السَّمَاءِ .



يُدُونُ أَنْ تُلَاحِظَ
أَنْ تُرَاقِبَ

فَلَتُشَارِكِ فِي الْوَقَائِعِ وَالإِشَارَاتِ الْأَكْثَرِ خَفَاءً
وَرَاءَ الْأَبْوَابِ الْبَاهِتَةِ
وَالدَّرَاجَةِ الْعَتِيقَةِ

وَرَاءَ الْخَائِطِ الْقَصِيرِ ذِي الْقُرَاصِ
مَا تَرَأَلُ سَاخِنَةً مِنْ جَسَدٍ مَنْ امْتَظَاهَا.



الْغُرْفَةُ الْمُؤَجَّرَةُ

السَّنَارَةُ الْخَضْرَاءُ

الْمِصْبَاحُ الصَّبَاحُ

يَأْتِي الْوَلَدُ

يَتَرُكُ الْجَرِيدَةَ عَلَى الْمَنْصَدَةِ

وَالْقَهْوَةُ وَالْبُقْسَمَاطُ

الْمَسَامِيرُ الْخَمْسَةُ فِي الْقُبَّةِ

وَيَرْحَلُ - هَلْ تَرَى -؟

بِلَا حِذَاءَ.

تَارِيخُ الْجَرِيدَةِ يَرْجِعُ إِلَى عَامَيْنِ.

لَكِنِي عَلَى بُعْدِ كِيلُومِترَاتٍ مِنْ هُنَاكَ .



الْطَّبَقُ الَّذِي كَسَرَتَهُ
الْبَابُ الَّذِي خَلَعَتَهُ
الْجَرْسُ الْمَوْجُودُ أَعْلَى السُّلْمَ
لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ
الْبَرَآةُ احْتَفَظَتْ بِالْوَجْهِ
بِأَحَدِ الْكَتَفَيْنِ
وَالْعُصْفُورُ أَعْمَى
ثُمَّ كَانَ الْمَوْتُ
ظِلُّ الْبَوَابَةِ
الَّتِي كَانَتْ تَنْغِلِقُ وَرَاءَهَا .



شَقْ أَحْمَرٌ فِي الْلَّحْمِ
عَمِيقٌ
ذَاقِنُ الْحُمَرَةِ
شَكْلُ مُتَحَرِّكٍ
شَرِهٌ -
الْجَسَدُ الْإِنْسَانِيِّ بِلَا اِنْتِهَاءٍ .

مِنْ كُلَّابٍ إِلَى آخَرْ
 حَبْلٌ أَصْفَرْ
 الْمَلَائِسُ وَالْأَحْذِيَةُ مُعَلَّقَةٌ
 حَيَّوَانَاتُ الْجِزَارَةِ مَخْفِيَّةٌ .
 وَفِي الْأَسْفَلِ
 الْفِتَرَانُ جَيِّدَةُ التَّغْذِيَةِ
 وَالْمُوْتَى شَرِهُونَ .



الخطأ الأَفَدَح
 هَذَا الْأَسْمُ الْمَشَدَّدُ
 عَلَى حَافَّةِ عُلَبَّةِ السَّجَاجِيرِ .
 وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ ذَرِيعَةً مَا
 ذَلِكَ إِلَّا أَتَذَكَّرُهُ
 مِنْ الْأَفْضَلِ قَوْلُ "أَفْضَلُ الْأَنْكَلَمْ عَنْهُ"
 الْكُوبُ الَّذِي يَنْكَسِرُ
 الدَّمُ عَلَى الرَّصِيفِ
 وَبَائِعَةُ الْلَّبَنِ الصَّغِيرَةِ
 الَّتِي تَعُودُ فِي الْمَسَاءِ
 بِخَمْسٍ عَشْرَةً رُّجَاجَةً فَارِغَةً .
 مُلَاحَظَةٌ حَزِينَةٌ لِلْغَايَاةِ .

وَالْحِسَابُ مَوْجُودٌ .



الْوَرْدَتَانِ عَلَى الْكُرْسِيِّ
الْدُّبَابَةُ عَلَى الْكُوبِ
وَضَعِيفُ السَّمْعِ الَّذِي كَانَ يَصْرُخُ
لَقَدْ سَمِعْتُ لَقَدْ سَمِعْتَ"
فِيمَا لَمْ تَكُنْ قَدْ قُلْتَ شَيْئًا .



يَا إِلَهِي - يَقُولُ فِي صَوْتٍ خَفِيفٍ -
لَا تَنْتَظِرُ التَّنَاسُخَ
لَا تَبْحَثُ عَنْهِ -
يَقُولُ وَهُوَ مُمَدَّدٌ عَلَى ظَهِيرَهِ
فِيمَا يَرَى الْفَارِ
يَشَرِّبُ زَيْتَ الْمِصْبَاحِ .
الْزَّمْنُ الْأَبْطَأُ
لَمْ يَمْرِ أَبْدًا خَارِجَ الْقُضْبَانِ
وَالْخَيْطُ الْأَخْضَرُ
مُعَلَّقٌ بِالسَّقْفِ
بِلَا أَيِّ مُبَرِّرٍ .

يَحْشُرُ قُبَعَتَهُ حَتَّى الْأَذْتَنِ

وَجِيد

يَخْرُجُ مِنَ الْبَابِ

يَخْلُعُ قُبَعَتَهُ

الرَّيْحُ تَعْبَثُ بِشَعْرِهِ

هُنَاكَ شَمْسٌ

مَتَاجِرُ الْأَشْجَارِ

مِيشْطٌ عَلَى الرَّصِيفِ .

إِذْنٌ فَهُوَ حَقِيقِي . ذَلِكَ حَقِيقِيٌّ تَمَامًا .



حِينَ ثُمَّ اسْتِنْرَافُهَا تَمَامًا ،

كُلُّ الدَّرَائِعِ

كُلُّ وَسَائِلِ التَّنَكُّرِ ،

خَلَعُوا مَلَائِسَهُمْ

ظَلُّوا وَاقِفِينِ

حَتَّى لَا يَرَاهُمْ أَحَدٌ .

خَارِجُ التَّافِدَةِ

كَانَ الْمَحَصُّلُ يَطْرُقُ الزُّجَاجَ

بِظُفَرِهِ .



سَيِّدَةُ عَجُوزٍ بِلَا أَسْنَانٍ
تِلْكَ الَّتِي تُغْرِي الْقِطْطَ الْوَلِيدَةَ
فِي الدَّلْوِ
تُطْلِقُ صَرَخَاتٍ فِي مُنْتَصِفِ اللَّيْلِ
تُطْلِقُ صَرَخَاتٍ
الْجَمِيعُ هَرِمُونَ مِنْ قَبْلِ الْوِلَادَةِ
الْجَمِيعُ مَوْتَىٰ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُولَدُوا -
مَعَ إِبْرَةٍ خِيَاطَةٍ كَبِيرَةٍ
تُسَمِّرُ الْجَنَادِبَ فِي الْخَائِطِ
تَثْقُبُ الْأَبْوَابَ -
فِي الدَّاخِلِ يَعْزِفُونَ عَلَى الْجِيتَارِ؛
لَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا .



لَمْ أَكُنْ أُرِيدُ أَنْ تَقُولَ ذَلِكَ .
إِذْنَ فَلِمَاذَا
أَقُولُهُ أَنَا لَكَ ؟
الْمَسَاءُ شَيْءٌ بَالِغُ الْحُزْنِ

وَجَاهَةٌ يُشَفِّي الْمَرْضَى
يَخْرُجُونَ إِلَى الْحَدِيقَةِ
يَجْلِسُونَ عَلَى الدَّكَكِ.
مَسْمُوعٌ صَوْتٌ تَدْفُقِ الْمَاءِ
الَّذِي يُرَوِي السَّوْسَنَ وَالثَّمَاثِيلَ.



مَنْ يَقْرَعُونَ الْطُّبُولَ
طَوَالَ النَّهَارِ فِي اكْتِمَالِ الشَّمْسِ
مِنْ وَقْتٍ لَاَخَرَ يَنْسَحِبُونَ
إِلَى جَانِبِ الشَّارِعِ
يَبُولُونَ
دُونَ أَنْ يَتَوَقَّفُوا عَنْ قَرْعِ الْطُّبُولِ.
الْإِيقَاعُ يَتَغَيَّرُ
الْمَوْكِبُ يَرْصُدُ الْخُطْوَةَ
وَسَاعَةُ الْكَاتِدِرَائِيَّةِ
لِلْمَرَّةِ الْخَامِسَةِ
تُشَيرُ إِلَى الثَّانِيَّةِ عَشَرَةَ وَدَقِيقَةً.



فِيمَا لَمْ يُشَعِلُوا أَيَّ ضَوءٍ

سِمِعُوا فِي الرُّوَاقِ
الدَّقَاتِ بِالْغَةِ الرَّهَافَةِ
لِسَاعَةِ الْخَاطِطِ
لِلْتَّيَارِ الْكَهْرَبَائِيِّ .
أَهَكَذَا كَانُوا مُذْنِيبِينَ؟
أَشْغَلُوا كُلَّ الْأَضْوَاءِ
لَمْ يَعُودُوا يَسْمَعُونَ أَيَّ شَيْءٍ .
وَعَلَى الْأَرْضِيَّةِ كَانَتْ تَوَهَّجُ
فُشُورُ الْأَسْمَاكِ .



نَظَرَ هُنَالِكَ
الْمَدِينَةُ مُضَاءَةً .
أَدْرَكَ .
عَاصِيَةٌ جَمِيلَةٌ
حَيْثُ يَخْتَفِي
لُصُوصُ الْأَقَالِيمِ الْبُوَسَاءِ
وَالْفَتَيَاتُ الْلَّا إِنْ يَمْضِيْنَ حَزِينَاتٍ
وَالْحَلَاقَاتِ
وَالْأَوَادُ الْفَاقِشُونَ
فِي امْتِحَانَاتِ دُخُولِهِمِ الْجَامِعَةِ

وراء الجدار الطويل
لِشَعَارَاتِ مُنْظَفِتَةِ .
في الضواحي البعيدة
قطارٌ خارجٌ عن مساره -
يركضون للاستيلاء على أكياس الطحين
تاركين الموتى .



أولئك الملوفون في كفن
قماشه مُتَسِّخ
صدمات المطبات
التليفون في الغرفة الأخرى
كان يرى شخص ممسوس
ولاعبو كرة القدم الخمسة
على رصيف المقهى
وطفل النجاري بالثبي
الذى يرفع إصبعيه الاثنين

في شكل V
مثلاً مقص أوديب -
قصةٌ طويلةٌ في حلقات .

❖
وَعُودُ لَمْ تَتَحَقَّقَ
وَعُودُه لِلآخَرِينَ
وَضَعَ إِصْبَاعًا
عَلَى شَفَتِيهِ
يَقْضِيهِ
فَيَمْتَلِئُ فَمُهُ بِاللَّدَمِ
يَبْصُفُهُ عَلَى الْجَرِيدَةِ.
سَهْنَتِ الْجَرِيدَةِ
كَانَ الصَّمْتُ يَتَمَدَّدُ مُنْبِسْطًا.

❖
يَعِيشُ الْجَنْدُبُ الْخَائِفُ
عَلَى شَمْعَانِ الْكَنِيسَةِ
إِلَى سَاعَةٍ مُتَقَدَّمَةٍ حَقًّا.
السَّاعِي
طَرَقَ الرُّخَامَ بِعُكَازِهِ
انْظَفَاتِ الْأَنَوارِ.
دَخَلَتِ النِّسَاءُ الشَّكَالِ
وَرَاءَ الدُّخَانِ الْوَرَديِّ.

مَا إِنْ أَدْرَكَ الْآخَرُ
حَتَّىٰ انْتَهَىٰ كُلُّ شَيْءٍ
وَجَاءَ دَوْرُهُ
لِيُلْقِي بِالْكِلْمَةِ .



أَغْلَقَ بِالْمَفْتَاحِ
وَأَحْكَمَ مِزَاجَ الْبَابِ
وَضَعَ أَيْضًا حَجَرًا
وَسَدَ التُّفُوبَ .

هَكَذَا مِنْ أَنَّ سَيَّتِمُ الدُّخُولُ ؟
أَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَحْرَىِ
لَوْ فَكَرَّ فِي الإِغْلَاقِ مِنَ الْخَارِجِ
وَهُوَ مَحْبُوسٌ بِالدَّاخِلِ ؟



مَا يُقَالُ إِنَّهُمْ مُحْتَالُونَ
يَبْيَعُونَ بِأَسْعَارِ التَّهْرِيبِ الْمُزْعُومِ
خَارِجَ الْمَنَافِسَةِ كَمَا يُقَالُ
الْأَغْطِيَةَ الْمَنْقُوشَةَ بِأَرْخَصِ مِنَ الْحَيِّ
مَلَّاحَاتِ مَنْزِلَيَّةَ قُمَصَانَا أَمْشَاطَا

كُولُونِيات جَوَارِبْ أَفَاقَاصْ طُيُورْ
طُيُورَا بِأَجْنِحَةِ مُلَوَّنَةِ
وَنَمَّةَ رَجُلْ عَارِ
جَرِيعْ كَمَا يُقَالْ
وَمَلْفُوفْ فِي بَطَانِيَّةِ حَمَراءِ .



قَمَرْ أَيْضُ مُنْتَفِخْ
قَارُورَةُ زَرَقَاءُ مَكْسُورَةُ
قِطَّةُ مَيَّتَةُ فِي الْقِيَامَةِ
حَجَرُ الْمَوْتِيَ فَادِحُ الْقَلْ -
كَانَتْ لَدَنِيَ فِكْرَةُ جَيِّدَةُ عَنْ قَصِيَّةِ
فِي الْأَسْفَلِ فِي أَرْضِ الْمَلَعِبِ مَعَ الزُّهُورِ الْبَرَيَّةِ
مَعَ الزُّنْبُرُكَاتِ الصَّدِيَّةِ
مَعَ الْقَمِيَّصِ الْمَرَّقِ لِلْأَعْبِ كُرْتَةِ الْقَدَمِ .
فِي النَّهَايَةِ فَضَلَّتِ التَّمَثَّالِ
ذَا الإِبَهَامِ المُقْطُوعِ .



أَدْرَكَ خَطَأَهُ
وَاعْتَرَفَ .

الآن هو موثوق وفخور تماماً
وأكثر وساماً بالتأكيد.
يمكك أسنانه الأمامية
بظفريه.
ولديه زوجان من الجوارب
جديداً تماماً.



رَبَّاثُ بَيْوَتِ قَبْلَ الْأَوَانِ
تَتَهَدَّلُ أَنْدَادُهُنْ
مِنْ عَامٍ لَاخَرَ حَمْلٌ زَائِفٌ أَوْ إِجَاهَاضٌ
هُنْ مَنْ يَمْسَحُون
السَّلَالِيمَ الْكَبِيرَةَ
حَتَّىٰ وَقْتٌ مُتَأَخِّرٌ مِنَ الْمَسَاءِ
عَجَائِزُ "تُوسَانٌ" -
بِالْخَارِجِ يَتَقَدَّمُ الْمُوَكِّبُ بِالْمَشَاعِلِ
بِالْقُضْبَانِ الدُّكُورِيَّةِ الْكَبِيرَةِ مِنْ خَشَبٍ
وَالظَّلَالُ الَّتِي يَعْكِسُونَهَا بِفِعْلِ النَّوَافِذِ الرُّجَاجِيَّةِ عَلَى الْخُطُورَاتِ
كَانَتْ بِالنُّسْبَةِ لَهُنْ بُقَعًا بَذِيَّةَ
تَرْجِعُ بِالثَّاكِيدِ إِلَى تَقْصِيرِهِنْ
يُحَيِّثُ يَنْبَغِي عَلَيْهِنْ غَسلُ السَّلَالِيمِ

يُكَثِّفُ مِنَ الْمَاءِ مَرَّةً أُخْرَىٍ .



أَنْ تَتَكَلَّمَ أَوْ لَا

ذَلِكَ

ثَابِتُ سَاكِنٌ هُنَا .

ضَعُ أَوْ رَاقِكَ

تَحْتَ هَذَا التَّمَثَالِ الصَّغِيرِ الْجَمِيلِ مِنْ بُرُونْزٍ

خَشِيَّةً أَنْ تَنْفَتِحَ النَّافِذَةُ

خَشِيَّةً أَنْ تُطْبِعَ بِهَا الرَّيْحَ

عَلَى الْأَقْلَى فَسَتَجِدُ هَكَذَا

الْعِبَةَ عَلَى كَتِفِكَ

أَكْثَرَ احْتِمَالًا .



قِطَارُ اللَّيلِ

يُكَثِّفُ مِنَ الْأَضْوَاءِ

يَعْبُرُ السَّهْلَ الْهَادِئَ .

فِي الْعَرَبَةِ الثَّانِيَةِ

الْفَتَاهُ الصَّغِيرَهُ ذَاتُ الْيَدَيْنِ الْمُتَسَخَّتَيْنِ تَنَامُ

عَلَى سَلَّهُ فُسْتِقِهَا .

صُورٌ لطِيقَةٍ - قَالَ -

حَزِينَةٌ

مُعَزِّيَةٌ

تَعْرِضُ شَيْئًا آخَرَ -

لَا الدَّمْ

لَا الطَّعْنَةُ

لَا النَّجْمُ الْعَصِيٌّ .



كَلِمَاتٌ غَيْرُ مُتَاحَةٌ

طَنَائِيَّةٌ

مُتَنَاهِرَةٌ .

بَابُ مَكْسُورٍ

وَثَانٍ وَثَالِثٍ وَخَامِسٍ .

فِي الشَّارِعِ أُضِيَّقْتُ الْأَنْوَارِ ،

الصَّرَاصِيرُ تَعْوَارُكُ فِي الْمَطَبُخِ .

مَا الَّذِي يَسْمَعُهُ الْأَعْمَى مِنَ الْآخَرِ؟ -

يُخْرِجُ مِنْ دِيلَهُ مِنْ جَيْبِهِ

يَتَرُكُهُ عَلَى الْمَنْضَدَةِ .

فِي قَمِ الْأَعْمَى تَلَقَّى .

الصَّلَاةُ بِالْتَّجَدِيفِ .

وَأَنْتَ تَجْلِسُ بِالْمَقْلُوبِ
عَلَى الْكُرْسِيِّ
تَنْظُرُ فِي اِتْجَاهٍ آخَرَ
لَا تَنْسِيَّ.



الْأَشْيَاءُ بِسِيَطَةٍ .
بِالثَّاْكِيدِ بِالثَّاْكِيدِ - قَالَ الثَّانِي -
ظَالِمًا أَنَّهُنْ لَا يَسْتَطِعُنَ الْقِيَامَ بِشَيْءٍ آخَرَ .
وَأَنْتَ تَقْصُمُ الْخِبْرَ
وَتَلْتَمِعُ السَّكِّينَ
تَدْخُلُ السَّمْسُ مِنَ النَّافِذَةَ
وَفِي الشَّارِعِ يَصِحُّونَ
بِائِعَةُ الْأَعْشَابِ وَالسَّمَّاكُ وَالْطَّحَانَ
كُلُّ وَاحِدٍ بِصُورَتِهِ
وَالثَّالِثُ بِالصَّمْتِ .
وَأَنَا أَسْمَعُ .



كَانَ السُّجْنُ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ
وَمِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى أَيْضًا .

في الوَسْطِ
 الْأَلْوَاحُ الْخَشِيَّةُ وَالْمَسَامِيرُ وَالْمَعْوَلُ
 الرَّافِعَةُ الْصُّلْبُ الْكَبِيرَةُ
 الْمَرَأَةُ الْمَشْرُوَّخَةُ
 غُرْفَةُ قِرَاءَةِ الْبَحْتِ
 فِي الْأَعْلَى أَيْضًا
 الطَّائِرُ الْمَدَّاجُ
 مُتَاهِّبٌ لِيُوتِهِ .



وَقَعَ كُلُّ شَيْءٍ - قَالَ - بِالْخَطْأِ .
 نَحْنُ وَحْدَنَا كُنَّا مَعْصُومِينَ
 بِأَسَاوِرِنَا الْذَّهَبِيَّةِ
 فِي الْأَذْرُعِ وَالْأَقْدَامِ
 عَرَائِيَا
 دُونَ أَنْ نَدْرِي
 بِالْخَدَادِ وَلَا الصَّائِغِ .
 (حَقًا بِدُونِ مَعْرِفَةٍ بِهِمَا)
 عَلَى أَيَّةٍ حَالٍ فَذَلِكَ الَّذِي طَرَحَ السُّؤَالَ
 لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُهُ .



هَذِهِ اللَّيْلَةِ نَفْسَهَا.

بَعْدَ الْخَرِيقِ بِقَلِيلٍ

فَتَّحَ فَكِيهِ

بِلَا أَسْنَانٍ

الْحِصَانُ الْخَشِي

الْأَجَوْفُ الْضَّخْمُ

بِلَا جُنُودٍ فِي فَرَاغَاتِهِ

وَتَكَلَّمُ :

أَهُمُ الْطُّرُوادِيُّونَ مَنْ خَدَعْتُمُوهُمْ

أَمْ بِالْأَحَرَى قَدْ خَدَعْتُمْ أَنفُسَكُمْ؟

كَانَ الدَّمْ يَنْسَابُ حَتَّى الشَّاطِئِ فِي الْأَسْفَلِ.



سُوناتا ضوء القمر

[1]

5 رفعت سلام ر بما

15 الأعمال الكاملة يانيس ريتسيوس

19 تحية إلى ريتسيوس لو أراجون

25 إيتافيوس (1936)

51 حلم ظهيرة صيف (1938)

69 سوناتا ضوء القمر (1956)

87 تمرينات (1950-1960)

التماثيل 89؛ انتصار قاتل 90؛ شجاعة أم جهل 91؛ بعد النيران 92؛ الظالم 93؛ خطيب بروليتاري 94؛ تبادلات 95؛ جمال 96؛ واقعة 97؛ إلى وجهة 93
مجهولة 98؛ توضيغ ضروري 100؛ نضوح 102؛ طفل قصير النظر 103؛ حياة 104؛ تحقق 105؛ ليلةُ رجلٍ وحيد 106؛ امرأةُ قروية 108؛ هكذا دائمًا 110؛ تناقضات 111؛ حصاد الفراغ 113؛ ظهيرة 114؛ أُعجوبة 115؛ سائقو

كارو يونانيون 116؛ سؤال 118؛ رسام تجريدي 120؛ عودة هارب 121؛ لحظة
مُداواة 124؛ صيادون 125؛ بالمصادفة 126؛ 123

شجرة السجن والنساء (1962) 127.....

شهادات (1957-1963) 139.....

خطر داهم 141؛ انتصار جديد 142؛ ذكرى 143؛ بناؤون 144؛ المسموع
وغير المسموع 145؛ مواجهة أمينة 146؛ امتحان 147؛ من أجل دقة أكبر
149؛ منظور 150؛ الأبله 151؛ اتفاق صامت 152؛ نهاية نهار 153؛ معرفة
الغامض 154؛ اللص 155؛ في النسيان 157؛ تفسيرات خاطئة 158؛ معرفة
مُدرج قديم 160؛ حق الفجر 161؛ شجرة 162؛ عملية 163؛ صُعود
164؛ أحجار 165؛ مكان خاص 166؛ نَدَم 167؛ نموذج من الجبس 168
لحظة أَسَى 169؛ صباح 170؛ صيف 171؛ تدقيق 172؛ تقريباً ساحر
173؛ احتياج إلى برهان 174؛ إزاحة 175؛ يوم شخص عليل 177؛ المشبوه
178؛ جسد الرّيح 179؛ اعتراف صغير 180؛ بلا ترويض 181؛ أصيل 182؛
رسول 183؛ الوجه العكسي 184؛ بعد الاحتفال 185؛ طواويس بيريلامبيس
186؛ اللذة الحسية الأولى 187؛ اختيار 188؛ في منزل ناويكا 189؛ تدرجات
191؛ تفاصيل عادية 192؛ شهر التنظيف 193؛

النّتا عشرة قصيدة إلى كفافيس (1963) 195.....

مكان الشاعر 197؛ الم صباح 199؛ مصباحه قرب الفجر 201؛ إطفاء المصباح
203؛ نظارته 205؛ أماكن الملاذ 206؛ عن الشكل 208؛ سوء فهم 210
الغسق 212؛ الساعة الأخيرة 214؛ ما بعد الموت 216؛ تقسيم 218؛

فيلوكتيت (1963-1965) 219.....

أحجار (1968) 255.....

الخلال 257؛ لا تكون 258؛ فأل 259؛ بلاغات 260؛ لا، لا 261؛
حضار 262؛ ظمانيّة 263؛ بلا جواب 264؛ اختناق 265؛ رشد 266؛
إدراك متاخر 267؛ عري 268؛ فلاحـة 269؛ غير المقبول 270؛ نحو ماذا؟
غريزة 273؛ بسيط وعصي 274؛ منهج العـاول 275؛ تـاجـلات 276؛
بهـذه الأـحـجـار 277؛ شـيخـوخـة 278؛ توـسـع 279؛ بلا ثـقل مـواـزن 280؛
فوـتوـغرـافـيا 281؛ إـدانـة مـزـدـوـجـة 282؛ الجـرس 283؛ مـصـيـرـ عـادـي 284؛
مـنـتصفـ اللـيل 285؛ سـرـطـانـ الـبـحـر 286؛ خـاتـمة 287؛ ضـتـ 288؛ لـيل 289

أجامـنـون (1966-1970) 291.....

تـكـرارـات (1968-1969) 315.....

قـبـورـ الأـسـلـاف 317؛ بـعـدـ الـهـزـيـة 319؛ آـلـيـمـين 321؛ تـفـاحـاتـ هـيـسـبـرـيدـيس I 323؛ تـفـاحـاتـ هـيـسـبـرـيدـيس II 325؛ بـعـدـ اـنـهـيـارـ مـعـاهـدـةـ الـلـاـكـيـدـاـيمـونـيـنـ 323؛ والأـثـيـنـيـنـ 326؛ الرـقـصـةـ الـجـدـيـدـة 328؛ فيـلـوـمـيـلـ 330؛ نـيـوـيـ 331؛ الجـزـةـ 331؛ تـالـوـسـ 335؛ أـخـيـلـ بـعـدـ الـمـوـتـ 337؛ يـأـسـ بـنـيـلـوبـ 339؛ اختـيـارـ 333؛ مـارـيـسـاـ 341؛ عـازـفـ النـايـ 343؛ القـضـيـةـ الـفـعـلـيـةـ 344؛ حـرـفـ الـعـطـفـ "أـوـ" 345؛ النـازـجـ 347؛ تـأـبـينـ 348؛ إـلـىـ أـورـفـيـوسـ 349

الـحـانـطـ فـيـ الـمـرـآـةـ (1967-1971) 351.....

رـؤـيـةـ عـامـةـ 353؛ بـيـاضـ 354؛ اـمـتـيـازـ 355؛ اـبـتـهـاجـ 356؛ تـنـازـلـاتـ مـتـبـادـلـةـ 357؛ اـعـتـدـالـ 358؛ دـئـيـ منـ شـعـ 359؛ الـأـلـمـ الـخـفـيـ لـلـدـيـكـورـ 360؛ عـرـضـاـ 361؛ عـودـةـ 362؛ نـوـفـبـرـ 363؛ بـعـنـيـ أـوـ بـآـخـرـ 364؛ شـدـرـاتـ 365؛ حـدـودـ

366؛ أداة تعبير 367؛ بلدًا 368؛ الحاجة للتعبير 370؛ حيرة 371؛ قصيدة 366
صغريرة 372؛ حُزن 373؛ موكب المساء 374؛ تغيرات في العادات 375؛ أفق 376
؛ أخطار 377؛ ملاحظة ربيعية 379؛ عُمق 380؛ مكاسب إضافية 381
؛ ليلة من أبريل 382؛ ساحة 383؛ سُوء فهم 384؛ حضور 385؛ آثار 386
خطى 386؛ أخطاء طوعية 387؛ اختراع المركز 388؛ لا مزيد من ذلك 389
أكان لها وجود؟ 390؛ قصر نظر 391؛ بصيرة 392؛ مع الريح 393؛ ملائكة 394
الليل 394؛ ستارة 395؛ سير البهلوان 396؛ أرض محَرَّمة 397؛ حتميات 398

399 هيلين (1970)

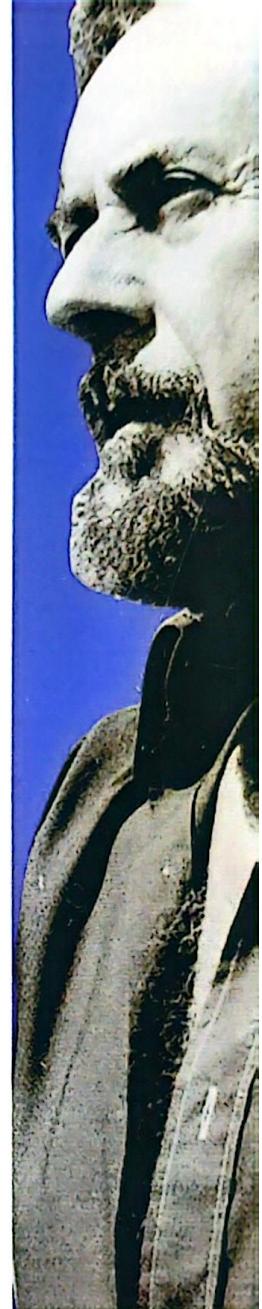
435 الرُّواق والسَّلَالم (1970)

فحسب 437؛ اللَا مُخْبُوء 438؛ ما الجدوى؟ 440؛ بصورة مختومة 442؛ حلول 444؛ لِمَ السُّؤال؟ 446؛ الدَّرَاج 447؛ عَرَضاً 449؛ المعنى نفسه 450؛ المرُفُوض 451؛ الشخص المنحاز 453؛ الأساسيات 454؛ ثُقب 455؛ تأيين 456؛ في الحديقة القديمة 458؛ ملَازمات 459؛ سلوك محسوب 460؛ رُواق 461؛ حادثة عادية 462؛ ربيع ريفي 463؛ طلاء أبيض 464؛ تجارب 465؛ السَّلَالم 466؛

467 تلميَحات (1971 - 1970)

477 قصائد ورقَيَة (1974-1970)





هذه الترجمة هي "أشمل" مختارات شعرية بالعربية من أعمال يانيس ريتسوس، أحد أهم الأصوات الشعرية في القرن العشرين. مختارات تبدأ بـ"إيتافيوس" (1936)، وصولاً إلى "في آخر الليل"، ديوانه الشعري الأخير، الذي صدر عقب وفاته (1990).

وبين البداية والنهاية، ترجمة كاملة لعدد كبير من أهم أعماله الشعرية الرئيسية، التي فرضت حضور شعريته على المشهد الشعري العالمي والعربي. قارة شعرية فادحة، ذات تضاريس وأعماق وأبعاد متعددة، تؤسس لقصيدة مضادة لما هو ذهني، تأملي، تمتزج فيها الأسطورة بالتاريخ باليومي الراهن، كأنها تأريخ للروح الإنسانية في أرهاf تجلياتها.

• منشورات 2021

خطوط وظلال للنشر والتوزيع
الأردن، عمان، جبل الحسين، بناية (20)
ص.ب: 11190، عمان 925220 الأردن
تلفون: +962 6 4651846 - +962 79 5746218
e-mail: dar5otot@gmail.com

دار خطوط للنشر والتوزيع



9 789923 400142